

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العدد الخامس عشر

# أَهْلُ الْبَيْتِ عليهم السلام

ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ / شباط ٢٠١٤ م

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليهم السلام

رئيس التحرير: أ.د. صادق عزيز الموسوي  
سكرتير التحرير: أ.م.د. باقر جواد الزجاجي

## أعضاء هيئة التحرير

أ.د. عباس حسين الحميري  
أ.د. فاضل عبد القادر الشихلي  
أ.د. صادق ياسين محمد الحلو  
أ.م.د. حسن حنتوش رشيد  
أ.م.د. مهدي حسين التميمي  
أ.م.د. مهدي داخل العبيدي  
أ.م.د. كمال عبدحامد آل زيارة

كربلاء، شارع الحر، شارع الحر الصغير، جامعة أهل البيت عليهم السلام  
ص.ب: ٤٨٦، هاتف: ٣٥١٢٥٧-٩

Karbala, Al-Hurr street, P.O.Box: 486, Tel: 351 257-9

info@abu.edu.iq ، www.abu.edu.iq

## الهيئة الإستشارية

الأستاذ الدكتور

حسن عودة زعال

رئيس جامعة المثني

الأستاذ الدكتور

حاكم محسن محمد

عميد كلية الادارة والاقتصاد / جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور

عبود جودي الحلبي

كلية التربية / جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور

ناظم رشيد شيخو

كلية التربية / جامعة الموصل

الأستاذ الدكتور

خديجة الحديثي

كلية الآداب / جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور

عباس زبون العبودي

كلية القانون / جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور

صباحي ناصر حسين

كلية البنات / جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور

هادي حسين الكرعاوي

معاون عميد كلية الفقه / جامعة الكوفة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٢٠٠٥ لسنة ٨٥٤

ISSN 1819-2033

## قواعد النشر في المجلة

ترحب مجلة أهل البيت عليه السلام بمساهمات الاساتذة والكتّاب والباحثين في مجالات الفكر الإسلامي، والعلوم الإنسانية والاجتماعية مع الإهتمام بقضايا المشكلات الثقافية في العالم العربي والإسلامي، والتجدد والبناء الحضاري، وكذلك قضايا الإنماء التربوي والتعليمي.

يشترط في المادة المرسلة:

أن لا تكون قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

☑ أن تلتزم بقواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المصادر والمراجع، بذكر البيانات كاملة، مع تحقق الموضوعية والمنهجية والمعالجة العلمية، مع تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف بصورة دقيقة وكاملة.

☑ أن يراعي الباحث سلامة اللغة وحسن صياغتها.

☑ يقدم البحث من نسختين مطبوعة على الآلة الكاتبة والحاسوب ويرافقه ملخص في صفحة واحدة مع تعريف بالباحث.

☑ تخضع المادة المرسلة للنشر لمراجعة المومنين المتخصصين.

☑ لا تعاد المواد التي ترسل إلى المجلة ولا تسترد، نشرت أم لم تنشر. ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب عدم النشر.

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه.

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان.

شارع الحر، شارع الحر الصغير،

جامعة أهل البيت عليه السلام

ص.ب: ٤٨٦، هاتف: ٣٥١٢٥٧.٩

## محتويات العدد

- كلمة هيئة التحرير . . . . . ٥
- تطور النفقات العامة وهيكلتها في العراق  
أ.م.د. كمال عبد حامد آل زيارة . . . . . ٧
- التعبير عن الذات في شعر العصر العباسي الأول . . . . . ٢٧  
أ.م.د. سوسن صائب المعاضيدي
- صورة البطل التمزوي في الشعر العراقي الحديث يوسف الصائغ نموذجاً . . . . . ٤٣  
م.د.عباس عبيد علوي العامري
- شعر الشكوى عند أبي العتاهية وناصر خسرو القبادياني.(دراسة موضوعية مقارنة). . . . . ٥٩  
د. عباس يداللهي  
زينب رضا بور
- نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة نظرة تحليلية . . . . . ٨٣  
أ.م.د. الدكتور عبدالله علي عبو
- تحليل العوامل المؤثرة في الاستثمار الاجنبي المباشر في الاردن خلال الفتره ٢٠٠٢ - ٢٠١١ . . . . . ١٠٨  
د. عبد الرسول عبد الرزاق الموسوي
- مفهوم الاخلاق الحيوية في مجال التقنيات الطبية المعاصرة . . . . . ١١٨  
م.م. اسماء قاسم محمد
- فقه الظل والفيء . . . . . ١٣١  
م.م. علاء كاظم إبراهيم الشمري

- ١٦٤ . . . . الحجاج بمفهوم المنزلة عند سيويه (مقاربة تشييدية بين الغرض العلمي والتعليمي) .  
أ.م.د. رجاء عجيل الحسناوي
- ١٨٤ . . . . آفاق التحضر والسكن العشوائي-دراسة ميدانية في مدينة كربلاء . . . . .  
د. مكّي عبد مجيد
- ٢٠٠ رسم الحدود الإيرانية- الأفغانية- دراسة للبعد التاريخي في تكوين الحدود الإيرانية الأفغانية  
م.د. مسلم محمد العميدي
- ٢١٩ . . . . موقف الملك فيصل الأول من الثورة العربية والقضية الفلسطينية ١٩٠٨ - ١٩٣٣ م . . . .  
م.د. سالم هاشم عباس أبو دلّه
- النحو الكوفي في مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)
- ٢٤٧ . . . . ((ما لم يصرّح به خاصة)). . . . .  
د. محمد ياسين الشكري
- ٢٦٩ . . . . تنوع مجالات الاستثمار السياحي في مدينة كربلاء المقدسة ودورها في معالجة البطالة . . . .  
م.م. عباس فاضل رسن الاختصاص
- ٢٨٦ . . . . (الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية عام ١٩٢٠).دراسة تاريخية . . . . .  
د. جاسم محمد إبراهيم اليساري
- ٣٠٧ . . . . الذكاء الشعوري للعاملين وعلاقته برضاهم الوظيفي . . . . .  
دراسة استطلاعية لأراء عينة من موظفي جهاز الاشراف والتقويم العلمي  
حسين وليد حسين  
م.م. منى عبد الستار محمد حسن
- قسم الانكليزي :
- 6 . . . . . المحتوى الثقافي للمنهج  
م.م. بشرى سعدون النوري

## كلمة هيئة التحرير

### العودة إلى المربع الأول

ليس العودة إلى المربع الأول حالة مذمومة دائماً فإذا كان المربع الأول هو جامعة الكوفة أيام الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. والمدرسة المستنصرية أيام المستنصر بالله وجامع الأزهر أيام الحاكم بأمر الله، فالعودة إلى هذا المربع ليس فقط أمر محمود وحسب بل يجب على القائمين على أمور المسلمين اليوم أن يشدوا الرحال إلى العصر الذهبي الإسلامي يوم كانت أوربا ترسل أبناءها وعلماءها لينالوا العلم في الجامعات الإسلامية.

يوم كان الغرب يدرس أبنائه كتاب ((الجبر و المقابلة)) للخوارزمي.

يوم كانت كتب نصير الدين الطوسي والبيروني في الرياضيات والمثلثات والفلك تدرس في الجامعات الأوروبية.

يوم كانت نظريات ابن سينا في سرعة الضوء والصوت ونظريات ابن هيثم في الضوء وانكساراته تدرس في العواصم الأوروبية ويوم كانت رسائل جابر بن حيان في التقطير والترشح والتكلس والتبخير والتبلور موضوعة على رفوف المختبرات الغربية.

أليس الرازي هو الذي حضر لأول مرة حامض الكبريتيك والكحول وهو أول من ربط بين الكيمياء والطب.

أليس الخوارزمي هو من اخترع علم الجبر.

أليس المسلمون هم الذين وضعوا النظام العشري والصفروالنسب العددية والهندسية واستخراج المجهول والجذور في علم الحساب.

أليس المسلمون هم أول من بنى المستشفيات والجامعات على غرار ما موجود اليوم في أرقى جامعات العالم.

فإذا كان هذا هو مربعا الأول فلماذا لانعود إليه لنعيد مجدنا الذي فقدناه يوم هزمنا علمياً؟  
عندما تركنا علومنا للآخرين وتحولت كتب ابن سينا والطوسي والبيروني وابن هيثم والرازي إلى تراث في مكتباتنا نتباهى بها فقط لا يشدنا إليه إلا الحنين إلى الماضي.

فمتى نغير هذا الواقع؟؟

ومن المسؤول عن تغييره؟

ومن المسؤول، أهو الحاكم أم العالم؟؟

عندما نعود إلى التاريخ نجد أن العلماء هم الذين دفعوا بالأمة إلى الأمام وليس الحكام؟  
فالذين كتبوا عن الحضارة الإسلامية في القرن الرابع والخامس الهجريين لم يكتبوا عن الحكام بل كتبوا عن العلماء الذين بنوا مجد هذه الأمة.

فكذلك اليوم يتحمل علماؤنا وجامعاتنا ومراكز الأبحاث المسؤولية الكبرى في تغيير واقع الأمة من الجهل والتخلف إلى العلم والتقدم والازدهار.

## تطور النفقات العامة وهيكلتها في العراق

### THE DEVELOPMENT OF THE GENERAL EXPENSES AND THEIR STRUCTURE IN IRAQ

أ.م.د. كمال عبد حامد آل زيارة<sup>(١)</sup>

Ass. Prof. Kamal Abd Hamid

#### المقدمة :-

يشكّل الإنفاق العام أداة مهمة في إطار السياسة الاقتصادية لتحقيق أهداف النمو والاستقرار والإصلاح الاقتصادي...، وبغض النظر عن اتجاه النظام وفلسفته وطبيعة الملكية فيه. وتساعدت هذه الأهمية مع النمو المطرد في النفقات الحكومية ونسبتها إلى الناتج المحلي الإجمالي في دول العالم المختلفة المتقدم منها والنامي إلا ما ندر في بعض السنوات ولأسباب استثنائية. ومن هنا انطلقت فكرة البحث الحالي، إذ سعى الباحث للوقوف على طبيعة التطور في النفقات العامة في العراق واتجاهات هذا الإنفاق، معرجاً في حيثيات ذلك على دور السياسة الإنفاقية ومدى فاعليتها. شمل البحث خمسة مباحث خصص الأول منها لتناول الأساس النظري لظاهرة زيادة النفقات العامة والأسباب الكامنة وراء ذلك، في حين تطرق المبحث الثاني لأسباب تلك الزيادة ولكن على صعيد العراق، أما المبحث الثالث فحاول الباحث من خلاله تتبع مسيرة النفقات وما طرأ عليها من تغيرات مع إجراء المقارنة بينها وبين بعض المتغيرات الأخرى مثل الإيرادات العامة والناتج المحلي الإجمالي، وبالنسبة للمبحث الرابع فتم من خلاله الوقوف على هيكل الإنفاق العام العراقي واتجاهات هذا الإنفاق، ثم أخيراً في المبحث الخامس خلص الباحث إلى أبرز الاستنتاجات والتوصيات التي يراها مناسبة.

---

١ - جامعة أهل البيت / كلية القانون

### مشكلة البحث :-

تنحصر المشكلة في أن هناك نقاط ضعف في السياسة الإنفاقية في العراق، وإنه لا يمكن الاستمرار بتلك السياسة نفسها التي سادت خلال الفترة الماضية، لأن ذلك يؤدي إلى آثار سلبية تحد كثيراً من النتائج الإيجابية المبتغاة على صعيد دفع عجلة التنمية وتحقيق النمو والاستقرار الاقتصادي والحد من معدلات البطالة المرتفعة.

### هدف البحث :-

تقويم سلوك الإنفاق العام في العراق واتجاهاته من خلال التعرف على طبيعة هذا الإنفاق ومكوناته، وتحليل علاقته ببعض المتغيرات الاقتصادية الكلية. والوصول إلى بعض المؤشرات التي يمكن الاسترشاد بها من قبل متخذي القرار في توجيه الموارد نحو فقرات الإنفاق الأكثر أهمية وإعادة هيكلة الإنفاق العام.

### فرضيات البحث :-

١. مفردات السياسة الإنفاقية المتوازنة والمتكاملة مع السياسات الاقتصادية الأخرى، تعد الركيزة الأساسية التي يمكن الاعتماد عليها للوصول إلى الإصلاح الاقتصادي المنشود.
٢. إن اختلال التوازن بين الإنفاق الجاري والإنفاق الاستثماري، يعيق التطور والنمو الاقتصادي في البلد.
٣. إن مسار الإنفاق العام في العراق أسوأ بالعديد من البلدان النامية، يشكل في الغالب زيادة ظاهرية لا تنعكس على المنفعة العامة وزيادة الخدمات لأفراد المجتمع.

### أهمية البحث :-

تنبع هذه الأهمية من أن الإنفاق العام، يعد أداة هامة بيد الدولة لتصحيح أوضاعها الاقتصادية، ولذلك فإن التوقف عند نقاط الضعف التي تعاني منها السياسة الاقتصادية في هذا الميدان ودراستها دراسة معمقة لمعرفة أسباب ضعفها ومعالجة هذه الأسباب، تشكل مسألة في غاية الأهمية وذلك من أجل التوصل إلى السبل الفعالة التي يمكن استخدامها من قبل صانعي القرار في تحسين الوضع الاقتصادي.

### منهج البحث :-

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في تتبع واستقصاء مادته، بالإضافة إلى المنهج الإحصائي المستند على تحليل سلسلة زمنية (١٩٩١ - ٢٠١٠)، وإجراء بعض الطرق الإحصائية عليها لأجل استنباط النتائج.

### المبحث الأول :- التحليل النظري والواقعي لزيادة النفقات العامة

من الظواهر التي باتت شائعة بالنسبة لمالية الدولة، ظاهرة التزايد المطرد في النفقات العامة عبر

الأعوام وتنوعها بالتزامن مع تطور دور الدولة وازدياد درجة تدخلها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وخلص الاقتصاديون استناداً إلى استقرار الإحصاءات في البلدان المختلفة إلى أن جعلوا هذه الظاهرة "قانوناً عاماً" من قوانين التطور الاقتصادي والاجتماعي.<sup>(٢)</sup>

ويعد الاقتصادي الألماني فاجنر (Wagner) أول من لفت الانتباه إلى ظاهرة زيادة النفقات العامة، إذ قدم في سنة ١٨٨٣ ما عرف باسم قانون "التزايد اللانهائي في نشاط الدولة". وتوصل إلى هذا القانون من خلال دراسة تطور الإنفاق العام في بعض الدول المتقدمة اقتصادياً في القرن التاسع عشر. ويفيد هذا القانون أن نصيب الإنفاق العام في الناتج القومي الإجمالي يتزايد بمرور الزمن، حيث أن زيادة متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي الإجمالي تؤدي إلى زيادة في الطلب الخاص على السلع عموماً والسلع العامة بصورة خاصة.

ومن هنا يمكن القول أن فرضية فاجنر تتلخص في وجود علاقة طردية بين متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي الإجمالي بوصفه متغيراً مستقلاً ومتوسط نصيب الفرد من السلع العامة (مثل خدمات الصحة والتعليم والمرافق العامة) بوصفه متغيراً تابعاً، وإن زيادة المتغير الأول تؤدي إلى زيادة المتغير الثاني ونسبة أكبر والعكس بالعكس. بمعنى أن مرونة الطلب الداخلية على السلع العامة تكون أكبر من الواحد الصحيح، وعليه فإن زيادة الناتج المحلي الإجمالي بنسبة معينة تؤدي إلى زيادة ونسبة أكبر في الإنفاق العام لإشباع الطلب على هذه السلع العامة.<sup>(٣)</sup>

وإذا كان فاجنر أول من استرعى الانتباه لظاهرة زيادة النفقات العامة، فإن هنالك تفسيراً آخر لهذه الظاهرة، والذي يتطلب الوقوف عنده، وهو ما تقدم به الأستاذان في مدرسة لندن للاقتصاد وهما بيكوك ووايزمان (Peacock - Wiseman) في عام ١٩٦١، إذ قاما بدراسة الإنفاق العام في المملكة المتحدة خلال المدة ١٨٩٠ - ١٩٥٥. حيث انطلقا في دراستهما من أن الزيادة في الإنفاق العام لا تتم عادة بأسلوب مستمر ومتدرج بل تتم بطريقة متقطعة وعلى فترات. وأرجعا ذلك إلى ثلاثة تأثيرات هي أثر الاستبدال (Displacement Effect) وأثر التفتيش (Inspection Effect) وأثر التركيز (Concentration Effect).

يحدث أثر الاستبدال عندما تحصل قلائل وإضرابات اجتماعية تتطلب وجود مستويات مرتفعة من الإنفاق العام، وزيادة الإيرادات الضريبية بالقدر الذي يفي بتمويل هذا المستوى من الإنفاق. ونتيجة لهذا، فإن مستوى كل من الإنفاق العام والإيرادات الضريبية سوف يكون أكبر من مثيله الذي كان سائداً قبل حدوث هذه الإضرابات. وبعد انتهاء الإضرابات الاجتماعية يرفض المجتمع العودة ثانية إلى الوضع السابق قبل حدوثها، فيكون لدى المجتمع رغبة في تمويل الإنفاق العام

١ - عادل أحمد حشيش، أساسيات المالية العامة - مدخل لدراسة أصول الفن المالي للاقتصاد العام، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٥. ص ٩٨.  
٣ - مجدي الشوربجي، اقتصاد المالية العامة، القاهرة، ٢٠٠٨. ص ١٤٢.

المرتفع من خلال تحمل العبء الضريبي بالقدر المطلوب. ومن ثم سيستقر الإنفاق العام عند مستوى أعلى ولن يعود إلى مستواه الأول قبل حصول الإضرابات.

إن إحلال مستوى مرتفع من كل من الإنفاق العام والعبء الضريبي محل المستوى المنخفض منهما (والذي يعرف بأثر الاستبدال)، لا يعني الاستقرار عند هذا المستوى، بل سيعمل أثر التفتيش كدخول الحكومة في أنشطة اجتماعية جديدة فضلاً عن الحروب والهزات الاجتماعية الأخرى على زيادة الإنفاق العام. أما أثر التركيز فيتمثل في ميل الحكومة لزيادة الإنفاق العام كنسبة من النشاط الاقتصادي.<sup>(٤)</sup>

وخلاصة لما تقدم يمكن القول أن الفرضيات التي فسرت سلوك الإنفاق العام عبر الزمن مكتملة بعضها للبعض الآخر، فقانون فاجنر أعطى تفسيراً جيداً لزيادة الإنفاق في الظروف العادية، في حين تم استخدام فرضية بيكوك ووايزمان في تفسير التغيرات في الإنفاق العام أوقات الاضطرابات الاجتماعية وما بعدها مباشرة. وفي كل الأحوال علينا أن لا ننسى الدور الهام الذي تؤديه الاعتبارات السياسية في تحديد مستوى الإنفاق العام ومعدل نموه.

وإذا كانت هذه التفسيرات قد وضحت الأسباب النظرية لظاهرة تزايد الإنفاق العام، فإن هنالك أسباباً واقعية ترتبط بكل بلد وظروفه ومستوى تقدمه ودور الدولة فيه. وإن كانت البلدان بعامة تشترك، وبمستويات مختلفة، في تلك الظاهرة. بل أن المطلع على الموازنة العامة لأي بلد من البلدان ولسنوات عدة، يلاحظ أن النفقات العامة فيها تتنامى سنة بعد أخرى وينسب متصاعدة أكثر من نسب التزايد في إيرادات الدولة العامة، بالنظر إلى سهولة الإنفاق وصعوبة فرض الإيراد وبخاصة الضرائب والرسوم وجبايتها لذلك قيل وبحق "الخرج أسرع إلى النمو من الدخل".<sup>(٥)</sup>

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الزيادة في النفقات العامة لا ترجع كلها لأسباب حقيقية بل ترجع في الكثير من الأحيان لأسباب ظاهرية. ولكل من الزيادة الظاهرية والحقيقية أسباب معينة نلخصها فيما يأتي :-

#### أولاً:- الزيادة الحقيقية:

وتعني زيادة في المنفعة العامة المترتبة على زيادة النفقات العامة، وارتفاع عبء التكاليف العامة بنسبة ما، كما تشير في معظم الأحيان إلى ازدياد تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي والاجتماعي لأفراد المجتمع وذلك بزيادة متوسط نصيب الفرد من الخدمات العامة. ولكن تطور مستوى الإنفاق العام وإن كان عاملاً مشتركاً في معظم الدول، إلا أن أسبابه متعددة ومتباينة في أهميتها النسبية من بلد لآخر (كما تم ذكره) وذلك بحسب الظروف والأوضاع ومستوى التقدم لكل بلد. وفيما يأتي استعراض موجز لأبرز الأسباب الحقيقية التي تقف وراء هذه الظاهرة :-

٤ - المصدر نفسه . ص ١٤٣ - ١٤٤ .

٥ - جهاد سعيد خصاونة، علم المالية العامة والتشريع الضريبي، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠١٠ . ص ٣٧ .

١ / الأسباب الاقتصادية :- وتمثل بشكل عام في زيادة الدخل القومي وقيام الدولة ببناء المشروعات العامة ومواجهة التقلبات الاقتصادية وبخاصة حالة الانكماش الاقتصادي والمنافسة بين الاقتصادات القومية وارتفاع تكاليف الإنتاج في منشآت القطاع العام. فزيادة الدخل القومي تؤدي إلى زيادة العوائد أو الإيرادات التي تحصل عليها الدولة، الأمر الذي يشجع الدولة على استغلالها في زيادة الإنفاق على الأوجه المختلفة. كذلك يؤدي التوسع في إقامة المشروعات العامة الاقتصادية إلى زيادة النفقات العامة. وتهدف الدولة من قيامها بهذه المشروعات إما الحصول على موارد إضافية لخزينة الدولة وإما التعجيل بالتنمية الاقتصادية ومحاربة الاحتكار وهذا ما يكون استناداً إلى فلسفة الدولة وسياستها الاقتصادية. ومن ناحية أخرى عندما تسود حالة الانكماش الاقتصادي، بكل ما تتضمنه من جو تشاؤمي بين أصحاب رؤوس الأموال وانخفاض في مستوى الاستثمار الخاص ومستوى الأجور وزيادة البطالة وانعكاس كل ذلك في تدني مستوى الطلب الكلي، فإن هذه الآثار الضارة تحتم على الدولة القيام بالمزيد من الإنفاق لزيادة مستوى الطلب الكلي الفعلي إلى الحد الذي يسمح بتحقيق الاستخدام الكامل في حدود الطاقة الإنتاجية للاقتصاد القومي، وهذه السياسة وإن كانت تنسجم مع ظروف الدول المتقدمة، إلا أنها لا تصلح دائماً بالنسبة للدول الآخذة بالنمو.

كذلك من الأسباب المؤدية لزيادة الإنفاق العام، هو ما يتمخض عن التنافس الاقتصادي الدولي، سواء في صورة إعانات اقتصادية للمنشآت الوطنية لتشجيعها على التصدير ومنافسة المنتجات الأجنبية في الأسواق الدولية، أم في صورة إعانات للإنتاج لتمكين المنشآت الوطنية من الصمود في وجه المنافسة الأجنبية في الأسواق المحلية.<sup>(٦)</sup>

أخيراً لا بد من الإشارة إلى ارتفاع مستوى الإنفاق العام بسبب زيادة نفقة إنتاج الوحدة من الخدمات التي تقدمها الدولة. فزادت الإنتاجية في القطاع العام للاقتصادات عموماً بمعدل أبطأ من معدل زيادة الإنتاجية في القطاع الخاص (نتيجة التخلف النسبي للفنون الإنتاجية والقصور النسبي في استخدام الآلات الحديثة في قطاع الدولة، فضلاً عن غياب المنافسة وباعث الربح في هذا القطاع)، فإذا ما اقترن انخفاض الإنتاجية هذا بزيادة أكبر في مرتبات العاملين (لمواجهة ارتفاع تكاليف المعيشة) ترتب على ذلك زيادة نفقة الوحدة من الخدمات التي تؤديها الدولة، الأمر الذي يتطلب زيادة في حجم الإنفاق العام.<sup>(٧)</sup>

٢ / الأسباب الاجتماعية :- وتتمحور هذه الأسباب في تركيز السكان في المدن، وتنامي الوعي الاجتماعي، فأدى ميل السكان في العصر الحديث إلى التركيز في المدن والمراكز الصناعية، نتيجة للهجرة من الريف، إلى زيادة النفقات العامة المخصصة للخدمات المختلفة، ويرجع هذا بالطبع إلى أن حاجات سكان المدن أكبر وأعقد من حاجات سكان الريف. كذلك أدى زيادة التعليم

٦ - عادل أحمد حشيش، المصدر السابق. ص ١٠٠ - ١٠١.

٧ - محمد دويدار، دراسات في الاقتصاد المالي، منشأة المعارف، الإسكندرية، سنة الطبع (بلا)، ص ٩١.

كماً ونوعاً إلى تنامي الوعي الاجتماعي، فبات الأفراد يطالبون الدولة بوظائف لم تعرفها سابقاً، مثل تأمين الأفراد ضد البطالة والفقر والمرض والعجز والشيخوخة وغير هذا من أسباب عدم القدرة على الكسب، ونتيجة لقيام الدولة بهذه الإعانات والخدمات الاجتماعية ازدادت النفقات العامة وبخاصة النفقات التحويلية.

**٣/ الأسباب السياسية :-** وتتضح من خلال بعض العوامل التي تؤدي إلى ارتفاع الإنفاق العام. وأهم تلك العوامل انتشار المبادئ الديمقراطية وزيادة نفقات التمثيل الخارجي. فترتب على اتساع المبادئ والنظم الديمقراطية اهتمام الدولة بحالة الطبقات الكادحة والقيام بالكثير من الخدمات الضرورية لها، فضلاً عن أن التعددية الحزبية تدفع عادة بالحزب الحاكم إلى الإكثار من المشروعات الاجتماعية أرضاءً للناخبين، وإلى الإفراط في تعيين الموظفين مكافأةً لأنصاره، الأمر الذي يسهم في زيادة النفقات العامة. كذلك يؤدي رسوخ مبدأ مسؤولية الدولة أمام القضاء إلى تنامي الإنفاق الحكومي لمواجهة ما يحكم به على الدولة من تعويض للأفراد جراء ما يلحقهم من ضرر نتيجة للقيام بالأعمال العامة. ومن ناحية أخرى أدى تطور العلاقات الدولية وتزايد عدد الدول المستقلة إلى اتساع درجة التمثيل الدبلوماسي من جهة وارتفاع نفقات المساهمة في المنظمات الدولية (المتخصصة وغير المتخصصة) والإقليمية من جهة ثانية.

علاوة على ما تقدم (من أسباب سياسية واجتماعية) فإن عدم توافر الصفات والقيم الأخلاقية لدى بعض الموظفين، كالتزاهة والحرص على المال العام، من شأنه أيضاً أن يحدث أثراً مدمراً في زيادة الإنفاق العام، ولنا في مظاهر الفساد المالي والانحرافات الأخرى في بعض الدول دليلاً على ذلك.

**٤/ الأسباب الإدارية :-** ترتب على نمو وظائف الدولة وتنوعها تضخم حجم الإدارة الحكومية نتيجة لاستحداث العديد من الوزارات والإدارات من أجل تقديم الخدمات العامة والإشراف على حسن سير المشروعات العامة المختلفة. ومن المنطقي أن يؤدي ذلك إلى ازدياد الإنفاق العام، وكلما كانت الإدارة الحكومية رشيدة استطاعت أن تجعل هذا الازدياد مقبولاً، وبعبارة أخرى إذا كان التنظيم الإداري سيئاً وقاصراً عن ملاحقة متطلبات العمل بكفاءة، فإن هذا الازدياد يمثل عبئاً ثقيلاً على موارد الدولة. والملاحظ هنا أن المبالغة في عدد الموظفين واتساع ظاهرة البطالة المقنعة والإسراف في ملحقات الوظائف العامة من مباني وأثاث وسيارات دائماً ما يؤدي إلى زيادة الأعباء العامة بصورة غير مقبولة لكونها غير منتجة لا يصاحبها زيادة في النفع العام.<sup>(٨)</sup>

**٥/ الأسباب المالية :-** في السابق لم تكن الدولة تلجأ إلى القرض العام إلا في الظروف الاستثنائية والطارئة، لكن في الوقت الحاضر أصبحت الدولة تقترض بشكل أوسع نطاقاً، بل أن

٨ - مجدي شهاب، أصول الاقتصاد العام - المالية العامة، دار الجامعة الجديدة، الأزاريطة، ٢٠٠٤، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

بعض الدول باتت تعطي أفضلية، في بعض الأحيان، للقروض العامة على الضرائب لما تتطلبه الأخيرة من تشريعات قانونية معقدة، فضلاً عن ردود الفعل الاجتماعية والسياسية التي تتولد من تصاعد العبء الضريبي. وهنا تكمن الزيادة في النفقات العامة وذلك من خلال اتساع خدمة الدين العام علاوة على أعباء التسهيلات والمزايا التي تقدمها الدولة للمكثبين في القرض العام لتشجيعهم على الاقتراض. كذلك يؤدي وجود فائض في الإيرادات أو مال احتياطي غير مخصص لغرض معين إلى إغراء الحكومة في إنفاقه على أوجه غير ضرورية وبذلك تزداد النفقات العامة. وتكمن خطورة ذلك في الأوقات التي تتطلب فيها السياسة المالية الحكيمة على الدولة العمل على خفض نفقاتها لما هو معلوم من صعوبة خفض كثير من بنود الإنفاق والعودة بها إلى ما كانت عليه قبل الزيادة.

**٦ / الأسباب العسكرية :-** وتعد من أهم الأسباب المؤدية إلى التزايد المطرد في النفقات العامة، والإنفاق العسكري هو من أهم فقرات الإنفاق الحكومي وقد درجه فقهاء الاقتصاد والمالية في غالب الأحيان ضمن الأسباب السياسية، ولكن بالنظر للطبيعة الخاصة لهذا الإنفاق وأهميته الإستراتيجية، فقد تناوله الباحث ضمن هذه الفقرة الخاصة.

وتكمن أهمية الأسباب العسكرية في أن الدولة وحدها هي المعنية بتنفيذها حتى في ظل أفكار المدرسة الكلاسيكية التي جعلت مهمة الدفاع الخارجي من أولويات واجبات الدولة تجاه مواطنيها، علاوة على ذلك فإن مهمة الدفاع ترمي إلى تحقيق منفعة عامة تتمثل فيما تخلقه هذه النفقات من شعور لدى الأفراد بالأمن والطمأنينة.

وتتضمن النفقات العسكرية النفقات الموجهة إلى رواتب العاملين من عسكريين وفنيين، وإلى قيمة الآلات والمعدات ونفقات الصيانة سواء في فترة الحرب أم السلم، وكذلك تشمل رواتب المحاربين القدامى وإعانات وتعويضات ضحايا الحرب وأسراهم، فضلاً عن ما تدفعه الدولة سداداً للديون الخارجية والداخلية التي ترتبت بذمتها نتيجة الحرب.<sup>(٩)</sup>

### ثانياً :- الزيادة الظاهرية :

قد تعزى الزيادة في النفقات العامة كلها أو جزء منها إلى أسباب ظاهرية تؤدي إلى تعاضم الإنفاق العام دون أن يرافقه زيادة في المنفعة العامة، وبعبارة أخرى، فإن الزيادة الظاهرية هي تلك التي لا يقابلها زيادة في نصيب الفرد من الخدمات التي تؤديها الدولة من خلال هيئاتها ومشروعاتها العامة. ويمكن تناول أبرز هذه الأسباب كما يأتي :-

**١ / تدهور قيمة النقود:** ويقصد به هبوط القوة الشرائية لوحدة النقد على السلع والخدمات نتيجة لارتفاع المستوى العام للأسعار. ومن الملاحظ، بصورة عامة، أن قيمة النقود آخذة بالانخفاض بشكل مستمر في معظم الدول، وإن كانت نسبة التدهور تختلف من دولة إلى أخرى.

٩ - خالد شحادة الخطيب، أحمد زهير شامية، أسس المالية العامة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥، ص ٨٧.

ويترتب على تدني قيمة النقود زيادة النفقات العامة لمواجهة هذا التدني، فالدولة تدفع عدداً من وحدات النقد أكبر مما كانت تدفعه من ذي قبل للحصول على المقدار نفسه من السلع والخدمات. فالزيادة هنا في رقم النفقات العامة زيادة ظاهرية، تعكس ما يسمى بخداع النقود، إذ لا يترتب عليها أية زيادة في المنفعة العامة.

**٢/ اختلاف الفن المالي :-** قد تعزى الزيادة في النفقات العامة إلى التغيير في الفن أو الأسلوب المالي. فمن المبادئ الفنية المعروفة في إعداد الموازنة العامة للدولة، الأخذ بفكرة الموازنة الصافية أو الإجمالية. وتقوم فكرة الموازنة الصافية، والتي كانت شائعة في الماضي، على ما يسمى بظاهرة (تخصيص الإيرادات العامة لنفقات معينة) ومؤدى ذلك أن تجري مقاصة بين إيرادات الهيئات العامة ونفقاتها، بحيث تخصم النفقات من الإيرادات المتحصلة، ومن ثم فإنه لا يظهر في موازنة الدولة إلا فائض الإيرادات على النفقات. أما فكرة الموازنة الإجمالية فإنها لا تقوم على مبدأ تخصيص الإيرادات ومن ثم تظهر في الموازنة العامة النفقات كافة التي تنفذها المرافق والمؤسسات العامة. لذلك فمن المتوقع أن يؤدي الأخذ بمبدأ الموازنة الإجمالية في سنة مالية معينة إلى وجود قدر من الزيادة في مستوى الإنفاق العام بالمقارنة مع السنة السابقة لها، حيث كان يعتمد مبدأ الموازنة الصافية، ولكنها زيادة ظاهرية ليس إلا.

ومن الصور الأخرى في تغيير الفن المالي، هو أن يزداد الإنفاق العام زيادة ظاهرية لتغيير الأساليب الحكومية، إذا ما حصل تعديل في بدء السنة المالية الجديدة، وأيضاً فإن تعدد الموازنات العامة وما ينشأ عن ذلك من تداخل فيما بينها، يؤدي في الغالب إلى ما يعرف بظاهرة التكرار في حساب الإنفاق العام بالموازنة الأمر الذي يحدث كذلك زيادة ظاهرية للنفقات.

### ٣/ زيادة مساحة الإقليم أو زيادة عدد السكان :

قد تعود الزيادة الظاهرية في النفقات العامة إلى اتساع مساحة إقليم الدولة أو ارتفاع عدد سكانها، كما في قيام الدولة باحتلال دولة أخرى، أو استرداد جزء من إقليمها. وهذا ما ينعكس بالطبع على حجم الإنفاق العام بالزيادة، لكنها زيادة ظاهرية بالنظر لعدم حدوث تحسن في النفع العام. ومن الجدير بالملاحظة هنا أن زيادة النفقات العامة حقيقية إذا تأثر بها إيجابياً متوسط نصيب الفرد من الخدمات العامة، كما مر ذكره، أما إذا تزايد الإنفاق لمجرد مواجهة التوسع الحاصل في مساحة الدولة أو زيادة عدد السكان، دون أن يمس السكان الأصليين فهنا تعدد الزيادة في الإنفاق العام مجرد زيادة ظاهرية.

ولا تتأثر النفقات العامة بالزيادة المطلقة في حجم السكان فحسب وإنما بالتغيرات الهيكلية في السكان، فارتفاع عدد الأطفال في سن التعليم يؤدي إلى زيادة في النفقات العامة التعليمية لمواجهة تلك الزيادة الحاصلة في نسبة عدد الأطفال إلى إجمالي السكان، كما أن زيادة عدد الشيوخ يؤدي إلى زيادة في المرتبات التقاعدية والنفقات الصحية.

## المبحث الثاني :- أسباب زيادة النفقات العامة في العراق

شهد العراق خلال العقدین الأخيرین مستويات عالية من التضخم، وصلت إلى نسب قياسية، وبخاصة أبان التسعينيات من القرن المنصرم، إذ أدى الحصار الاقتصادي الذي فرضته الأمم المتحدة على العراق (بسبب غزوه للكويت) إلى انقطاع شبه تام لتصدير النفط الخام الذي يشكّل عصب الحياة الاقتصادية في العراق، لذلك أغلقت السبل في وجه تمويل الإنفاق العام لاسيما في ظل ضعف الإيرادات الأخرى ومنها الضريبة التي تعاني تخلفاً كبيراً. ولذلك أختار أصحاب القرار السياسي والاقتصادي اللجوء إلى تمويل الموازنة العامة من خلال الإصدار النقدي الجديد. وكان هذا القرار باعتماد سياسة نقدية توسعية كارثياً على سعر صرف العملة العراقية التي وصلت إلى مستويات متدنية جداً تجاه العملات الأجنبية ولاسيما الدولار الأمريكي، ورافق ذلك طبعاً، ارتفاعاً هائلاً في المستوى العام للأسعار نتيجة لندرة السلع والخدمات المنتجة محلياً والمستوردة بفعل الحصار الاقتصادي وتدني مساهمة القطاعات الإنتاجية في الناتج المحلي الإجمالي العراقي.

وإذا كان هذا هو حال الاقتصاد العراقي لفترة ما قبل الاحتلال الأمريكي في نيسان من عام ٢٠٠٣، فإن الفترة التي أعقبت ذلك شهدت هي الأخرى نسب مرتفعة من التضخم فاقت في مستوياتها السنوات السابقة. فخلال سني الاحتلال تعطلت العديد من المنشآت الاقتصادية وارتفعت بشكل كبير أسعار المشتقات النفطية، فضلاً عن الانفتاح الاقتصادي غير المدروس فكان من جراء ذلك تصاعداً في كلفة المنتج المحلي واستيراداً للتضخم النقدي، قابله زيادة في الطلب المحلي نتيجة لارتفاع المرتبات والأجور لمتسببي الدولة وشبكة الرعاية الاجتماعية، وحماية المسؤولين ومرافق الدولة (التي تفاقمت في ظل حالة عدم الاستقرار الأمني والسياسي)، الأمر الذي انعكس بمجمله على أسعار السلع والخدمات التي تصاعدت بوتيرة عالية خلال السنوات ٢٠٠٣ - ٢٠١٠. وبناء على ما تقدم، ولأجل الوقوف على تطور النفقات العامة في العراق، والأسباب الحقيقية التي تكمن وراء هذا التطور، لا بد من استبعاد التغيرات التي طرأت على القوة الشرائية للنقود خلال مدة البحث، ويكون ذلك من خلال اعتماد الأرقام القياسية لمستوى الأسعار. وفي هذا الإطار يمكن الاستعانة بالمعادلة الآتية لاستخراج الزيادة الحقيقية في النفقات العامة واستبعاد الزيادة الظاهرية المتمثلة في تصاعد المستوى العام للأسعار.<sup>(١٠)</sup>

$$\text{النفقات العامة بالأسعار الثابتة} = \frac{\text{النفقات العامة بالأسعار الجارية}}{\text{المستوى العام للأسعار}} \times 100$$

وبتطبيق المعادلة أعلاه على النفقات العامة في العراق للسنوات ١٩٩١ - ٢٠١٠ يتضح أثر التضخم وارتفاع الأسعار على تلك النفقات، وكما هو مبين في الجدول رقم (١).  
جدول رقم (١)

١٠ - عادل العلي، المالية العامة والقانون المالي والضريبي، إثراء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١، ص ٥٩.

النفقات العامة بالأسعار الجارية والثابتة في العراق للمدة ١٩٩١ - ٢٠١٠

النفقات العامة بأسعار ١٩٩٣ (مليار دينار)	الرقم القياسي لأسعار المستهلك ١٠٠ = ١٩٩٣	النفقات العامة بالأسعار الجارية (مليار دينار)	السنة
97.22	18	17.5	١٩٩١
99.70	33	32.9	١٩٩٢
69.00	100	69.0	١٩٩٣
36.25	549	199	١٩٩٤
25.85	2673	691	١٩٩٥
24.22	2242	543	١٩٩٦
21.96	2759	606	١٩٩٧
29.08	3167	921	١٩٩٨
29.00	3565	1034	١٩٩٩
40.05	3743	1499	٢٠٠٠
47.53	4355	2070	٢٠٠١
48.45	5197	2518	٢٠٠٢
132.98	6943	9233	٢٠٠٣
381.77	8816	33657	٢٠٠٤
298.00	12074	35981	٢٠٠٥
202.66	18501	37494	٢٠٠٦
162.39	24206	39308	٢٠٠٧
270.72	24851	67277	٢٠٠٨
188.09	29555	55590	٢٠٠٩
231.61	30281	70134	٢٠١٠

المصدر: - وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية لسنوات متعددة.

ملاحظة: -

تم حساب العمود الثالث من قبل الباحث بموجب المعادلة (  $\frac{\text{النفقات العامة بالأسعار الجارية}}{\text{الرقم القياسي لأسعار المستهلك}} \times 100$  )

يتضح من الجدول السابق أثر الارتفاع في الأسعار على النفقات العامة، بحيث انخفضت أرقام النفقات العامة بالأسعار الجارية لبعض السنوات من عشرات الترليونيات من الدينانير لتصبح بضع مئات فقط من مليارات الدينانير بالأسعار الثابتة (بفعل تطبيق المعادلة أعلاه)، ويمكن الوقوف جلياً

على تأثير ارتفاع الأسعار على الإنفاق العام من خلال طرح النفقات الحقيقية (بأسعار ١٩٩٣) من النفقات الجارية، إذ يعكس الفرق الزيادة الظاهرية الحاصلة في النفقات العامة والتي تعود إلى التضخم .

وإن استبعاد الزيادة الحاصلة في الإنفاق نتيجة الانخفاض الحاصل في النقود، واستخراج النفقات بالأسعار الثابتة، لا يعني الحصول على الزيادة الحقيقية في الإنفاق العام للدولة، بل يتطلب الأمر أيضاً إلغاء أثر الزيادة السكانية على النفقات العامة .

ولبلوغ هذا الهدف يمكن الاستعانة بالخطوات الموضحة في الجدول رقم (٢)، فابتداءً يجري استخراج نصيب الفرد من النفقات العامة وذلك من خلال تقسيم النفقات العامة بالأسعار الثابتة (التي تم حسابها سابقاً) على عدد السكان في كل سنة من سنوات البحث، ثم حساب التغير الحاصل في السكان وبضرب هذين المؤشرين يتم الحصول على الزيادة الظاهرية في نفقات الدولة التي تذهب لمواجهة الزيادة السكانية .

## جدول رقم (٢)

أثر نمو السكان على زيادة النفقات العامة في العراق للمدة ١٩٩١ - ٢٠١٠

السنة	النفقات العامة بأسعار ١٩٩٣ (مليار دينار) (١)	السكان (مليون نسمة) (٢)	متوسط نصيب الفرد من النفقات (٣)=(٢÷١)	التغير في السكان (٤)	الزيادة الظاهرية (٥)=(٣×٤)	النفقات الحقيقية (٦)=(١)-(٥)
١٩٩١	97.22	18.42	5.278			
١٩٩٢	99.70	18.95	5.261	0.530	2.789	96.911
١٩٩٣	69.00	19.48	3.542	0.529	1.874	67.126
١٩٩٤	36.25	20.01	1.812	0.529	0.958	35.292
١٩٩٥	25.85	20.54	1.259	0.529	0.666	25.184
١٩٩٦	24.22	21.12	1.147	0.588	0.674	23.546
١٩٩٧	21.96	22.05	0.996	0.922	0.918	21.042
١٩٩٨	29.08	22.70	1.281	0.656	0.840	28.240
١٩٩٩	29.00	23.38	1.240	0.680	0.843	28.157
٢٠٠٠	40.05	24.09	1.663	0.704	1.171	38.879
٢٠٠١	47.53	24.81	1.916	0.727	1.393	46.137
٢٠٠٢	48.45	25.57	1.895	0.757	1.434	47.016
٢٠٠٣	132.98	26.34	5.049	0.770	3.887	129.093

370.530	11.240	0.799	14.067	27.14	381.77	٢٠٠٤
289.219	8.781	0.824	10.657	27.96	298.00	٢٠٠٥
196.702	5.958	0.847	7.034	28.81	202.66	٢٠٠٦
157.619	4.771	0.872	5.471	29.68	162.39	٢٠٠٧
251.936	18.784	2.213	8.488	31.90	270.72	٢٠٠٨
186.860	1.230	0.210	5.859	32.11	188.09	٢٠٠٩
228.929	2.681	0.376	7.131	32.48	231.61	٢٠١٠

المصادر :-

العمود الثاني :- الجدول رقم (١) .

العمود الثالث :- وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية لسنتي ٢٠١٠ - ٢٠١١ .

الأعمدة (٤ - ٧) :- حسب من قبل الباحث .

يتبين من الجدول السابق أن الزيادة في النفقات العامة هي زيادة ظاهرية بدليل أن استبعاد أثر النمو السكاني أدى إلى تدني في النفقات بل إلى تناقصها في بعض السنوات .

### البحث الثالث :- تحليل اتجاه الإنفاق العام في العراق

جدول رقم (٣)

تطور النفقات العامة ونسبتها إلى الناتج المحلي الإجمالي في العراق خلال المدة ١٩٩١ - ٢٠١٠

السنة	النفقات العامة (مليار د.ع)	الزيادة السنوية (%)	الناتج المحلي الإجمالي (مليار د.ع)	نسبة النفقات العامة إلى الناتج المحلي الإجمالي (%)	الإيرادات العامة (مليار د.ع)	الفائض أو العجز المالي
١٩٩٠	14.2					
١٩٩١	17.5	23.2	21	83.33	4.2	-13.3
1992	32.9	88.0	57	57.72	5.0	-27.9
1993	69.0	109.7	141	48.94	9.0	-60.0
1994	199	188.4	704	28.27	26	-173.0
1995	691	247.2	2252	30.68	107	-584.0
1996	543	-21.4	2556	21.24	178	-365.0
1997	606	11.6	15093	4.02	411	-195.0
1998	921	52.0	17126	5.38	520	-401.0
1999	1034	12.3	34404	3.01	719	-315.0
2000	1499	45.0	50214	2.99	1133	-366.0
2001	2070	38.1	41315	5.01	1289	-781.0

-547.0	1971	6.14	41023	21.6	2518	2002
6753.0	15986	31.21	29586	266.7	9233	2003
-668.0	32989	63.22	53235	264.5	33657	2004
4455.0	40436	48.93	73534	6.9	35981	2005
11562.0	49056	39.22	95588	4.2	37494	2006
15657.0	54965	35.27	111456	4.8	39308	2007
13364.0	80641	43.13	155982	71.2	67277	2008
-346.0	55244	39.90	139330	-17.4	55590	2009
44.0	70178	40.79	171957	26.2	70134	2010
0.987	معامل الارتباط بين النفقات العامة والإيرادات العامة		0.954	معامل الارتباط بين النفقات العامة والنتائج المحلي الإجمالي		

المصدر: وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية لسنوات متعددة.

ملاحظة: - الأعمدة (٣، ٧، ٥) حسب من قبل الباحث .

توضح البيانات المتاحة في الجدول رقم (٣) إلى أن (قانون فاجنر) يحكم النفقات العامة في العراق (كما هو الحال في معظم دول العالم). إذ تشير التقديرات إلى قفزات كبيرة في الإنفاق العام شهدتها فترة البحث وصلت فيها نسبة الزيادة السنوية في بعض السنوات إلى قرابة (٢٥٠٪)، كما هو الحال في السنوات (١٩٩٥، ٢٠٠٣، ٢٠٠٤). وإذا كانت هذه الزيادة في النفقات العامة في جانب كبير منها زيادة ظاهرية، مبعثها التضخم بالدرجة الأساس وزيادة السكان بدرجة أقل، كما تم تبيانها، إلا أن الأمر الواضح أيضاً أن هناك زيادة حقيقية في النفقات تعكس مدى تدخل الدولة في الجانبين الاقتصادي والاجتماعي وبغض النظر عن السياسة الاقتصادية المتبعة والاختلاف الحاصل في نهج النظام الاقتصادي وفلسفته .

فعلى الرغم من التحولات الاقتصادية الهامة التي رافقت احتلال العراق في عام ٢٠٠٣، والتي تمثلت بالتحول من النظام المركزي إلى الاقتصاد الحر والانفتاح على الاقتصاد العالمي والمؤسسات النقدية الدولية ...، إلا أن وتيرة التصاعد في الإنفاق العام استمرت بفعل ديمومة الارتفاع في فقرات مهمة مثل رواتب منتسبي الدولة والنفقات التحويلية ودعم البطاقة التموينية .

ويمكن الاستدلال أيضاً عن درجة تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية من خلال قياس نسبة النفقات العامة إلى الناتج المحلي الإجمالي، والذي يعد مؤشراً يعكس درجة إشباع الحاجات العامة من قبل الدولة ومدى نجاح السياسة الإنفاقية في إعادة توزيع الدخل القومي .

إن نسبة الإنفاق العام إلى الناتج المحلي الإجمالي<sup>(١١)</sup>، تجاوزت (٣٠٪) في معظم سنوات البحث، أما السنوات التي كانت فيها هذه النسبة متدنية، فهي التي انحصرت بين عامي ١٩٩٦ و ٢٠٠٢، إذ شهدت هذه المدة تطبيق الأمم المتحدة لاتفاقية النفط مقابل الغذاء والدواء، بحيث تقلصت إلى حد كبير أمكانية الحكومة العراقية في التصرف بالإيرادات النفطية، فضلاً عن دفع الأمم المتحدة للتعويضات من تلك الإيرادات سواء للكويت التي غزاها العراق أو للدول الأخرى ورعاياها التي تضررت من هذا الغزو.

وبالقياس النسبي أيضاً إلى الناتج المحلي الإجمالي فإن النفقات العامة انخفضت خلال تلك السنوات (١٩٩٦ - ٢٠٠٢) بفعل السياسة المالية الانكماشية التي اعتمدها الحكومة العراقية. فبعد أن وصلت نسبة التضخم في عام ١٩٩٥ إلى مستوى قياسي، وشهدت العملة العراقية تدهوراً خطيراً جرى تعديل في السياسة النقدية من التوسع إلى الانكماش، إذ تم الحد من المعروض النقدي (الإصدار النقدي الجديد)، ورافق ذلك إجراءات أخرى ومنها بيع بعض ممتلكات الدولة ورفع أسعار الخدمات (مثل الماء والكهرباء) لتوفير الإيرادات فضلاً عن التقليل النسبي للنفقات العامة وترشيدها.

إن اتجاه النفقات العامة نحو الزيادة، واتخاذها شكل القفزات في أرقامها، فضلاً عن كون غالبيتها زيادة ظاهرية، لا يعني نجاحاً في السياسة المالية، إذ أن دور هذه السياسة محدود، وإن الإنفاق العام يحدد، بصورة رئيسة، بناءً على مستوى الإيرادات المتاحة.

ولأجل إثبات ما تقدم، قام الباحث بحساب معامل الارتباط بين النفقات العامة من جهة وكل من الإيرادات العامة والناتج المحلي الإجمالي من جهة أخرى خلال المدة (١٩٩١ - ٢٠١٠)، إذ تبين أن معامل الارتباط بين النفقات العامة والناتج المحلي الإجمالي بلغ (٠,٩٥٤)، في حين كان معامل الارتباط أعلى بين النفقات العامة والإيرادات العامة، إذ بلغ (٠,٩٨٧).

إن هذا الارتباط الموجب والقوي بين تقلبات الإنفاق وتقلبات الناتج المحلي الإجمالي والإيرادات العامة، هو خير دليل على ما تم ذكره من أن السياسة المالية لا تستخدم بشكل نشيط سواء في تحقيق الاستقرار الاقتصادي أم في إعادة توزيع الدخل<sup>(١٢)</sup>، بل من الواضح أن النفقات العامة يجري تحديدها في ضوء توافر الإيرادات الممولة لها، وبشكل خاص الإيرادات النفطية. فارتفاع العوائد النفطية ينجم عنه زيادة العملات الأجنبية الداخلة إلى البلد، وهذه الزيادة ستحقق

١١ - أو ما يعرف بالميل المتوسط للنفقات العامة ويقاس بقسمة النفقات العامة لسنة معينة على الدخل القومي أو الناتج المحلي الإجمالي للسنة نفسها.

١٢ - إن الخلل في السياسة المالية في العراق يعود أيضاً إلى الضعف في السياسة الضريبية، إذ يعاني الجهاز الضريبي من تخلف نسبي، ولا زالت الإيرادات الضريبية متدنية جداً، ودورها لا يكاد يذكر بالقياس لإجمالي الإيرادات المملة لموازنة الدولة.

ارتفاعاً في الودائع الحكومية لدى السلطات النقدية مما يؤدي إلى تنامي قوة مركز الحكومة النقدي، الأمر الذي يتمخض عنه زيادة في الأنفاق الحكومي .

ففي عام ٢٠٠٨، مثلاً، حينما حصل الارتفاع غير المسبوق في أسعار النفط الخام الذي تجاوز (١٣٧) دولاراً للبرميل<sup>(١٣)</sup>، ازدادت نتيجة لذلك العوائد النفطية في العراق، وهذا ما أدى إلى إتباع سياسة مالية توسعية، بحيث ارتفع الإنفاق العام بنسبة تجاوزت (٧١٪) مقارنة بعام ٢٠٠٧، وشمل ذلك كلا نوعي الإنفاق الاستثماري والجاري، بما في ذلك تحقيق زيادة كبيرة في معدلات المرتبات والأجور للعاملين في الدولة، بعد تآكل الدخل الحقيقي خلال السنوات الماضية . ولكن ما أن حصلت الأزمة المالية العالمية في أواخر عام ٢٠٠٨ (وما رافقها من انكماش اقتصادي وشحة في السيولة النقدية تمثلت بتراجع الطلب على أنواع السلع والخدمات المختلفة)، حتى شهدت السوق العالمية انخفاضاً كبيراً في الطلب على النفط الخام، ومن ثم شهد عام ٢٠٠٩ جراًء ذلك تدنياً كبيراً في أسعاره، الأمر الذي انعكس سلباً على إيرادات العراق من النفط (أسوة بالعديد من البلدان المصدرة للنفط الخام)، وعليه سرعان ما تحولت السياسة المالية إلى الانكماش، إذ انخفضت نسبة الإنفاق العام في العراق بحوالي (١٧٪) قياساً بعام ٢٠٠٨ . ولكن هذا الانخفاض لم يكن بمستوى نقصان الإيرادات العامة، الأمر الذي أدى إلى حصول عجز مالي فعلي في عام ٢٠٠٩ ( ولأول مرة منذ عام ٢٠٠٥) .

وفي عام ٢٠١٠ عادت العلاقة الطردية بين الإيرادات النفطية والإنفاق العام لتؤكد نفسها من جديد، فما أن رجعت أسعار النفط لتويرتها المتصاعدة<sup>(١٤)</sup> ومن ثم زادت العوائد النفطية، حتى ارتفعت وتيرة الإنفاق العام وبنسبة قاربت (٢٦٪) مقارنة بعام ٢٠٠٩ .

إن الارتفاع المستمر وغير المحسوب في الإنفاق العام سيولد بدوره آثاراً سلبية متمثلة بارتفاع الأسعار التي تستتبع بموجات تضخمية متوالية، وذلك لأن زيادة الإنفاق العام في ظل الجهاز الإنتاجي غير المرن وغير القادر على تلبية الزيادة في الطلب الكلي الناجمة عن تصاعد الإنفاق العام ستؤدي إلى هذه الموجات من التضخم<sup>(١٥)</sup>. كذلك فإن زيادة النفقات وبمعدل يفوق الإيرادات (كما في بعض السنوات) سيكون له أثراً سلبياً على الادخار الوطني .

١٣ - صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠٠٩، أبو ظبي . ص ١٠٥ .  
١٤ - زاد متوسط أسعار النفط العربي في عام ٢٠١٠ بنسبة تجاوزت (٢٥٪) بالقياس إلى عام ٢٠٠٩، بحيث بلغ سعر النفط كحد أدنى في عام ٢٠١٠ حوالي (٧٥) دولاراً للبرميل الواحد.  
للمزيد من التفاصيل أنظر :-

صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠١١، أبو ظبي . ص ٩٦ .  
١٥ - محمد صقر، محمد معن ديوب، هيفاء غدير، واقع وآفاق السياسات المالية والنقدية في البلدان النامية، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية - سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (٢٧)، العدد (٣)، ٢٠٠٥ . ص ١١٨ .

### المبحث الرابع:- هيكل الإنفاق العام في العراق:

صاحب الاتساع المستمر في نطاق الإنفاق العام والزيادة المستمرة في حجمه تغيّر في هيكله (أي النصيب النسبي لكل نوع من أنواع النفقة في مجموع الإنفاق الكلي) نظراً للتغيّر في الأهمية النسبية لكل وظيفة في علاقتها بالوظائف الأخرى التي تقوم بها الدولة .

وبشكل عام، أخذ العراق بنظام الموازنة الموحدة للدولة التي تتكون من الموازنة التشغيلية التي تضم النفقات الجارية (رواتب الموظفين، المستلزمات السلعية والخدمية، المنح والإعانات والمنافع الاجتماعية...)، والموازنة الاستثمارية التي تضم النفقات الرأسمالية على صعيد الوزارات والدوائر غير المرتبطة بوزارة فضلاً عن المحافظات وإقليم كردستان .

وبنظرة على الحسابات الختامية وما نفذ على صعيد النفقات الجارية والاستثمارية الموضحة

في الجدول رقم (٤) يلاحظ ما يأتي :-

١- على الرغم من الاتجاه الصعودي الجلي للنفقات العامة، إلا أنه لا يوجد هناك اتجاه واضح بالمقابل في تغير الإنفاق الجاري والاستثماري (تصاعدي أو تنازلي)، فالتذبذب هو الصفة الغالبة خلال السنوات ١٩٩١ - ٢٠١٠، لكلا نوعي النفقات .

٢- في معظم السنوات قيد البحث كانت النفقات الجارية تشكل أكثر من ثلاثة أمثال النفقات الاستثمارية، فلم تتجاوز النفقات الأخيرة نسبة (٣٠٪) في أية سنة، في حين تجاوزت النفقات الجارية في أكثر من نصف السلسلة الزمنية نسبة (٨٠٪) من إجمالي النفقات العامة .

جدول رقم (٤)

تطور النفقات الجارية والاستثمارية في العراق خلال المدة ١٩٩١ - ٢٠١٠

السنة	النفقات العامة (مليار دينار)	النفقات الجارية (مليار دينار)	نسبة النفقات الجارية إلى النفقات العامة %	النفقات الاستثمارية (مليار دينار)	نسبة النفقات الاستثمارية إلى النفقات العامة %
١٩٩١	17.5	15.7	89.7	1.8	10.3
١٩٩٢	32.9	25.9	78.7	7.0	21.3
١٩٩٣	69.0	50	72.5	19	27.5
١٩٩٤	199	172	86.4	27	13.6
١٩٩٥	691	606	87.7	85	12.3
١٩٩٦	543	506	93.2	37	6.8
١٩٩٧	606	534	88.1	72	11.9
١٩٩٨	921	825	89.6	96	10.4
١٩٩٩	1034	832	80.5	202	19.5

23.1	347	76.9	1152	1499	٢٠٠٠
28.0	579	72.0	1491	2070	٢٠٠١
30.0	755	70.0	1763	2518	٢٠٠٢
20.3	1870	79.7	7363	9233	٢٠٠٣
15.2	5114	84.8	28543	33657	٢٠٠٤
21.0	7550	79.0	28431	35981	٢٠٠٥
18.0	6749	82.0	30745	37494	٢٠٠٦
16.8	6588	83.2	32720	39308	٢٠٠٧
22.3	14976	77.7	52301	67277	٢٠٠٨
17.4	9649	82.6	45941	55590	٢٠٠٩
22.2	15553	77.8	54581	70134	٢٠١٠

المصدر: - وزارة المالية العراقية، الحسابات الختامية لسنوات متعددة.

ملاحظة: - العمودان (٦، ٤) حسب من قبل الباحث .

٣- إن فقرة تعويضات الموظفين (الأجور والرواتب بضمنها المخصصات المختلفة) وفقرة المنح والإعانات والمنافع الاجتماعية وفقرة المستلزمات السلعية والخدمية للقطاع العام تشكل حسب التوالي الفقرات الثلاث الأساسية في الإنفاق الجاري العراقي . فلو أخذنا على سبيل المثال السنوات الثلاث الأخيرة من البحث (٢٠٠٨ - ٢٠١٠)، لوجدنا أن تعويضات الموظفين شكلت نسبة (٣٨٪) من إجمالي النفقات الجارية لعام ٢٠٠٨، في حين تصاعدت هذه النسبة لتبلغ (٥٣٪) في عام ٢٠٠٩، ثم عادت النسبة لتتخفف إلى (٤٩٪) في عام ٢٠١٠ .

أما فقرة المنح والإعانات والمنافع الاجتماعية، فشهدت انخفاضاً من (٢٩٪) إلى (٢٢٪) ثم إلى (٢٠٪) خلال السنوات المذكورة على التوالي، بالمقابل فإن الإنفاق على السلع والخدمات سجل اتجاهها صعودياً للسنوات الثلاث من (١٣٪) إلى (١٤٪) ثم إلى (١٧٪) <sup>(١٦)</sup>. وهذه النسب جميعها تدل على أن الفقرات الثلاث سألقة الذكر، أسهمت بأكثر من (٨٠٪) من الإنفاق الجاري خلال السنوات (٢٠٠٨ - ٢٠١٠) .

وتشكل فقرة تعويضات الموظفين الثقل الأساس ليس على صعيد النفقات الجارية فحسب، إنما على مستوى إجمالي النفقات العامة المنفذة، وخير دليل على ذلك أنها أسهمت بحوالي (٣٠٪)، (٤٤٪، ٣٨٪) من إجمالي النفقات الأخيرة للسنوات ٢٠٠٨، ٢٠٠٩، ٢٠١٠ على التوالي .

٤- في حالة ضغط النفقات (كما حصل في عام ٢٠٠٩ على أثر الأزمة المالية العالمية) فإن المفاضلة بين الإنفاق الجاري والاستثماري عادة ما تذهب إلى التضحية بالجانب الاستثماري على حساب الاستهلاكي، فالأخير يرتبط بالأجور والرواتب بالدرجة الأساس، وهي فقرة من الصعب

١٦ - وزارة المالية، الحسابات الختامية للسنوات (٢٠٠٨ - ٢٠١٠).

المساس بها، لذا يتم التضحية غالباً بالنفقات الاستثمارية، التي يمكن التخلي عن بعض برامج الحكومة من خلالها، وذلك لأن آثارها على أفراد المجتمع تكون غير مباشرة وغير محسوسة على العكس من تخفيض النفقات الجارية ذات المساس المباشر بالأفراد، وهو ما تتجنبه الحكومات في العادة. ولكن الأمر كان أسهل في حالات الرواج ونمو الإيرادات وما يتمخض عنه من تصاعد النفقات، ففي مثل هذه الحالات، فإن الزيادة شملت كلا شقي الإنفاق العام (الاستهلاكي والاستثماري).

٥- إن اتجاه الإنفاق العام العراقي الواضح لصالح الموازنة التشغيلية على حساب الموازنة الاستثمارية، لا يسهم بحل مشكلة البطالة التي يعاني منها البلد. فالبطالة تعد من أعقد الأزمات الاقتصادية التي تواجه المسؤولين عن السياسة الاقتصادية، وإن حلها لا يكون من خلال بضعة آلاف من فرص العمل التي تتيحها الموازنة العامة السنوية في كل عام لينضموا إلى القطاع العام الذي يعاني بدوره من استثناء البطالة المقنعة، إنما يكون الحل، كما نعتقد، من خلال الترشيد ورفع إنتاجية النفقة وبما يدفع باتجاه توفير المال الضروري للاستثمار، سواء أكان استثمار حكومي أم استثمار خاص وأجنبي تهيئ له الدولة سبل الدعم والنجاح، وبما يسهم بإيجاد فرص عمل واسعة تحد فعلاً من مشكلة البطالة.

٦- من المعلوم أن زيادة الإنفاق الاستثماري ومن ثم زيادة التراكم الرأسمالي سوف يسهم في رفع معدلات النمو الاقتصادي في أي بلد، وهذه الميزة لا يمكن لها أن تتحقق في العراق في ظل تدني مستوى الإنفاق العام الموجه نحو الاستثمار.

### المبحث الخامس:- الاستنتاجات والتوصيات:

#### أولاً: الاستنتاجات :-

١. إن المتتبع لحركة الإنفاق العام في العراق وبخاصة خلال العقدين الأخيرين، يلاحظ ارتفاعاً مهماً في الأرقام عبر السنوات، ولكن في حقيقة الأمر هي زيادة ظاهرية في غالبيتها، والسبب الرئيس وراء ذلك هو معدلات التضخم العالية التي شهدتها البلد. بحيث كان معظم زيادة الإنفاق العام لمواجهة الارتفاع في المستوى العام للأسعار، ولم يصب في تحقيق المنفعة العامة للمجتمع.
٢. في العديد من سنوات البحث أسهمت النفقات العامة بنسبة تجاوزت (٣٠٪) من الناتج المحلي الإجمالي، الأمر الذي يدل على اتساع مدى تدخل الدولة في الميادين الاقتصادية الاجتماعية.
٣. أظهر البحث وجود معامل ارتباط مرتفع بين النفقات العامة من ناحية وكل من الإيرادات العامة والناتج المحلي الإجمالي من ناحية ثانية، بحيث بلغ حوالي (٩٩٪)، (٩٥٪) على الترتيب. وهذا يدل على ضعف في فعالية السياسة المالية في تحقيق أهداف الاستقرار

- الاقتصادي، إذ أن المحدد الرئيس لتغيرات الإنفاق العام يتمثل في مدى توافر الإيرادات العامة وبخاصة الإيرادات النفطية، وليس استخدام النفقات أداة من أدوات السياسة المالية.
٤. أشارت الإحصائيات الواردة في البحث إلى أن معظم النفقات العامة يجري تنفيذها في إطار ما يعرف بالموازنة التشغيلية، وإن الرواتب والأجور لمتسببي الدولة ومنهم العاملين في القطاع الأمني والعسكري، فضلا عن المنح والإعانات والمنافع الاجتماعية ومشتريات الدولة من السلع والخدمات... شكلت النسبة الغالبة من الإنفاق الجاري في البلد.
٥. أبرزت الظروف الطارئة التي مر بها العراق (الحروب، الحصار، الاحتلال) الحاجة إلى الاستثمار من أجل إعادة تعمير وإنشاء البنى التحتية، والنهوض بواقع قطاعات النفط والصناعة والزراعة... وهنا قد يكون هنالك دور للاستثمار الأجنبي وللقطاع الخاص في العراق لتحقيق ذلك، إلا أنه قدر تعلق الأمر بموضوعنا فإن دور الاستثمار الحكومي ضعيف في تحقيق هذه الأهداف، والدليل على ذلك النسبة المتواضعة للإنفاق الاستثماري بالقياس إلى الإنفاق الجاري خلال سنوات البحث.
٦. إن تغيرات النفقات العامة، وهيكلتها الحالية، لا تصب فقط في حل مشاكل الاقتصاد العراقي وأزماته، بل قد تسهم في تعميقها، فزيادة الإنفاق العام، وما يترتب عليه من توسع في الطلب الكلي، يشكّل أحد العوامل الدافعة نحو مزيد من التضخم، ولاسيما في ظل غياب الجهاز الإنتاجي المرن القادر على الاستجابة لارتفاع الطلب، كما أن ضعف الإنفاق الاستثماري، وقلّة دعم الاستثمار الخاص والأجنبي (سواء بسبب تشريعي أم سياسي أم أمني أم اقتصادي....)، شكلت بدورها عوامل معرّقة للتخفيف من البطالة واسعة النطاق في البلد.
- إن هذه الاستنتاجات تنسجم وفرضيات البحث، فالزيادة الظاهرية للنفقات العامة، وانعدام التوازن بين الإنفاق الجاري والاستثماري لصالح الأول، كانت أحد عوامل ضعف السياسة الإنفاقية ودورها في السياسة الاقتصادية بعامّة لتحقيق أهداف الاقتصاد في الإصلاح والتنمية.

### التوصيات :-

١. ضرورة تكثيف مساعي الدولة لضبط الإنفاق وترشيده، ويتطلب ذلك إصلاح بنود الإنفاق العام وجوانبه المتعددة، وتحسين كفاءة إدارات الإنفاق والدين العام ووضع الموازنات من منظور متوسط المدى يأخذ في الحسبان الموارد المتاحة والأهداف التنموية. وأن يكون شعار من يصنع القرار ويتخذه هو أن العبرة ليس في حجم الإنفاق، بل بمدى انعكاس هذا الإنفاق بالمنفعة على أفراد المجتمع.
٢. العمل على كسر حلقة الربط بين تقلبات النفقات وتقلبات الإيرادات (وبخاصة النفطية) والنتائج المحلي الإجمالي، الأمر الذي يؤدي إلى تفعيل دور السياسة المالية في مواجهة تقلبات الدورة الاقتصادية.

٣. إن استخدام الفوائض المالية الكبيرة في الإنفاق على تنمية البنى التحتية وتطويرها وتحسين التعليم والصحة يكون أكثر فاعلية إذا ما رافقه إحداث المزيد من التخفيض في الدين العام (التزامات الدولة)، وإنشاء وتغذية صناديق تثبيت الإيرادات وصناديق الادخار وذلك لضمان استقرار الوضع المالي .
٤. من الأمور التي ترهق كاهل موازنة الدولة مسألة الدعم وبخاصة البطاقة التموينية، وقد يكون إلغاؤها في الوقت الراهن أمرا غير مقبول سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، لأنه يشكل عبئا إضافيا على الطبقات الفقيرة في المجتمع، إلا أنه بالمقابل على أصحاب القرار وصانعي السياسة الاقتصادية أن يضعوا برنامجا مستقبليا يتم من خلاله إيجاد البدائل الواقعية لأجل الاستغناء عن البطاقة التموينية، علما أن إلغاء الدعم، وإن كان بصورة تدريجية، سيكون أحد العوامل الهامة في معالجة عجز الموازنة العامة الذي عانى منه الاقتصاد العراقي خلال العديد من السنوات الماضية .
٥. إن المطلوب في ظل واقع الاقتصاد العراقي، رسم سياسة إنفاقية تبنى على أساس وضع الأولويات في تحقيق الأهداف . مثل تحقيق الاستقرار المالي والنقدي والوصول إلى مستويات متقدمة من النمو الاقتصادي، وإجراء تعديل على الإختلالات الهيكلية في الموازنة العامة وفي الاقتصاد بعامة، والحد من معدل البطالة . وعلى الرغم من الترابط والتأثير المتبادل بين هذه الأهداف، وما يتمخض عنها من إشكاليات فرعية أخرى، وعلى الرغم من أهميتها جميعا، إلا أن الباحث يرى ضرورة إعطاء أولوية وأهمية استثنائية لهدف معالجة البطالة وذلك لكونها من المشاكل الخطرة التي يعاني منها البلد ليس على الصعيد الاقتصادي فحسب إنما على الصعيدين الاجتماعي والسياسي أيضا الهوامش: لمنطلق يوصي الباحث بضرورة توجيه الإنفاق الحكومي نحو خفض معدلات البطالة، الأمر الذي يستلزم التركيز في السياسة الاقتصادية على المشروعات التي توفر فرص العمل، ومن ذلك إعادة إعمار المشروعات المدمرة والمتوقفة عن العمل، وإنجاز مشروعات البنى التحتية والتوجه نحو مشروعات التنمية الصناعية والزراعية وأن يتم ذلك أيضا بتنشيط القطاع الخاص، وخلق البيئة الملائمة للاستثمار الأجنبي المباشر .
٦. كما هو معلوم، فإن العراق غني بموارده ولكنه فقير في إنجازاته، والسبب الرئيس في ذلك هو ضعف الكفاءة الإدارية وانتشار الفساد المالي والإداري (بشهادة المؤسسات الدولية والمحلية)، لذلك يرى الباحث، على قدر تعلق الأمر بالجانب المالي، بضرورة إعطاء موضوع الرقابة على تنفيذ النفقات الأهمية الاستثنائية، سواء أكانت رقابة مجلس النواب أم رقابة مالية مستقلة .

## التعبير عن الذات في شعر العصر العباسي الأول

### Self-expression in the poetry of the first Abbasid

أ.م.د. سوسن صائب المعاضيدي<sup>(1)</sup>.

Ass. Proff. Dr: Sawsan Saeb Almaadida<sup>(2)</sup>,

#### الخلاصة

هذا البحث يتحدث عن أثر الذات الإنسانية عند شعراء العصر العباسي الأول وما عانوه في حياتهم من فقد البصر، أو ألم السجن، أو المعاناة من الفقر والحرمان، فلقد صور هؤلاء الشعراء مآسيهم بصور شعرية رائعة بثوا من خلالها آلامهم ومآسيهم وما أحسوا به من خلال هذه المعاناة.

#### Abstract:

This research is talking about the impact of the human self when poets Abbasid first and suffered in their lives from vision loss, or pain prison, or suffering from poverty and deprivation, has pictures of these poets tragedies images lattice wonderful stayed through their pain and tragedies and felt him through this suffering.

هذا البحث يتحدث عن أثر الشعر في تصوير الذات الإنسانية عند شعراء العصر العباسي الأول الذين تناولوا في أشعارهم ما أحسوا به من فقد للبصر، أو أسى الفقر وويلاته أو ما عانوه من حوادث الأيام والسجن ونكباته، وقد أشار الدكتور محمد مصطفى هدارة اليه بالقول: (نزعة

---

١ - جامعة بغداد. / كلية التربية - ابن رشد / قسم اللغة العربية

2 - College of Education, Ibn Rushd niversity of Baghdad

واضحة كل الوضوح في شعر القرن الثاني، وهذا الاتجاه كان قليل الظهور في الشعر القديم بالمعنى الذي نقصده وهو العكوف على النفس وتحليلها، وإلا فالشعر كله إنما هو تعبير عن الذات<sup>(٣)</sup>. وأطلق عليه تسمية (الشعر الذاتي) وهذه التسمية تحمل في مداولاتها عمقاً حسناً ذاك أنها تعنى بتصوير ما في نفس الشاعر الذي يتعرض لحادث فقد البصر، أو سوء الحال، أو السجن.

### فقد البصر:

من الطبيعي أن تتأثر النفس الانسانية بنشاط أعضائها فتخمل أو تنشط وفق ما تعمل عليه هذه الاعضاء، فإذا فقد الانسان جزءاً أو عضواً منها فإنه سيعاني من جراء ذلك ويبدو ذلك واضحاً في شخصيته وسلوكه وتصرفه العام مع الناس.

ولما كانت نعمة البصر التي منحها الله سبحانه وتعالى هي أعظم نعمة، فإن فقدانها يسبب بالتأكيد أذى نفسياً كبيراً لصاحبها ذلك أنه الأعمى يشعر بقلق كبير تجاه ما حوله ناتج عن الشعور بالقصور الأمر الذي ينتج عنه عدم الأمان لذا (فإن الكفيف يشعر بخوف دائم مما حوله، ويتجنب الخوض في مغامرات استطلاعية فتظل معرفته عن البيئة معرفة ناقصة، لأن جزءاً كبيراً من المعرفة بالعالم الخارجي يأتي عن طريق الرؤية والكفيف محروم منها، فإذا أضفنا الى ذلك عزوف الكفيف عن المغامرات الاستطلاعية التي تعرضه للأذى أدركنا النقص الكبير في حصيلته من معرفة البيئة)<sup>(٤)</sup>. ولقد وصف د. طه حسين نفسية الأعمى مشيراً الى أن (هذه المصيبة تورث صاحبها من الحزن ما يلزمه في جميع أطوار حياته لا يفارقه ولا يعدوه ذلك لأنه يذكر بصره كلما عرضت له حاجة، وكلما ناله من الناس خير أو شر، بل كلما لقيهم في مجمع عام أو خاص، فما يزال الحزن يؤلمه ويجزه إلا أن يفقد الشعور وتصيبه البلادة المطلقة)<sup>(٥)</sup>.

إن رؤية الدكتور طه حسين هي أصدق ما يمثل الحالة النفسية للمكفوفين وألمهم الحار من عاهتهم هذه وهو في موضع آخر يقول: (والمكفوف إذا جالس المبصرين أعزل، وأن بزهم بأدبه وعلمه وفاقهم بذكائه وفطنته فقد يتندرون عليه بإشارات الأيدي وغمز الالحاظ، وهز الرؤوس، وهو عن كل ذلك غافل محجوب، فان نمت عليهم بذلك حركة ظاهرة أو صوت مسموع فحجته عليهم منقطعة وحجتهم عليه ناهضة، وليس له من ذلك إلا ألم يكتمه وحزن يخفيه)<sup>(٦)</sup>. ولما كان الشعراء يمتلكون حساً مرهفاً وذائقة شعرية رائعة لذا راحوا يصورون مشاعرهم وما يتألمون منه

٣- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري د. محمد مصطفى هدارة، ص ١٧٤، ط / دار المعارف، مصر، ١٩٦٣.  
٤- شعر المكفوفين، ص ١٨.  
٥- تجديد ذكرى أي العلاء، ص ١١٢.  
٦- م. ن. ص ١١٢.

بأصدق المشاعر وأعمقها. فهذا صالح بن عبد القدوس\* (ت ١٦٧هـ)، يرثي نفسه بفقدته بصره فيقول:

عزاؤك أيها العين السكوبَ  
وكانت لي بك الدنيا تطيب  
فأن أك قد ثكلتك في حياتي  
ودمعك أنها نوب تنوب  
وفارقني بك الألف الحبيب<sup>(٧)</sup>.

يعزي الشاعر نفسه بفقدته عينه وهي أعز نعمة أنعم الله بها على عباده ذاكراً أن هذه هي مصائب تصيب الأفراد، ولا بد لكل فرد نصيبه من هذه النوائب، مخاطباً عينه بالقول إنها كانت سراجاً له وكانت دنياه بها تطيب، فأن كان قد فقدتها في حياته، فإن كل أليفين لا بد لها من فراق.

ثم يستمر في بثه حزنه على عينه في قصيدته هذه فيقول:

على الدنيا السلام فما لشيخ  
يموت المرء وهو يعد حيا  
يمنيني الطبيب شفاء عيني  
إذا ما مات بعضك فابك بعضا  
ضرير العين في الدنيا نصيب  
ويخلف ظنه الأمل الكذوب  
وما غير الإله لها طبيب  
فأن البعض من بعض قريب<sup>(٨)</sup>

لقد أودع صالح بن عبد القدوس أحزانه في الأبيات مصوراً فيها حزنه على عينيه، إذ ودع الدنيا مسلماً موضحاً أن الشيخ الضرير ليس له في هذه الدنيا حظ أو نصيب، إذ أنهى فقدته عينيه كل أمل لديه، وها هو ذا الطبيب يمنيه بالشفاء وليس يشفيها إلا الله سبحانه وتعالى، على أن الشاعر أودع حكمة في أبياته حينما يقرر أن موت عضو أو جزء من الانسان إنما هو موت للكل لأن البعض من بعض قريب.

ولأبي الشيب الخزاعي\* (ت ١٩٦هـ) أبيات تنم عن إحساسه بالألم من جرّاء فقد عينه فيقول:

يا نفس بگي بادمع هتن  
على دليلي وقائدي ويدي  
أبكي عليها مخافة أن  
وواكف كالجمان في سنن  
ونور وجهي وسائس البدن  
يقرنني والظلام في قرن<sup>(٩)</sup>

\* صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي الجذامي مولاها، أبو الفضل شاعر حكيم، كان متكلماً يعظ الناس في البصرة، شعره كله حكم وأمثال أتهم عبد المهدي بالزندقة فقتله. ينظر: أمالي المرتضى ١/١٠٠، فوات الوفيات ١٩١/١، وفيات الأعيان ٤٩٢/٢.

٧- ديوان صالح بن عبد القدوس، ص ١٢٨، ق ١٢.

٨- شعر صالح بن عبد القدوس، ص ١٢٨، ق ١٢.

\* هو محمد بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل، وأبو الشيب لقب غلب عليه وكنيته أبو جعفر وهو عم دعبل الخزاعي، عمي في آخر عمره وله مراث في عينيه (ت ١٩٦هـ)، أشار الخطيب البغدادي إلى أنه ابن عم دعبل، وله قصيدته الضادية التي استحسناها الشعراء وأولها:

أبقى الزمان به ندوب عضاض  
ورمي سواد قروتها ببياض  
ينظر الاغانى ١٥/١٠٤، تاريخ بغداد ٥/٤٠١.  
٩- اشعار ابي الشيب، ص ١٠٣.

ان شدة الألم في نفس أبي الشيص تدفعه للبكاء بدموع هتانة شديدة مشبهاً هذه الدموع بأنها كالجمان ذاك أن عينه كانت دليله الذي يهديه وقائده ونور وجهه وسائس بدنه.  
وأما الشاعر أبو يعقوب الخرمي (ت ٢١٤هـ) فقد أثاره فقد بصره حتى ناء بذلك الفقد وأشتكى

ألمه بأبيات تفصح وتبين شدة معاناته إذ يقول:

من القرب إلا بالتكلف والجهد <sup>(١٠)</sup>	كفى حزناً أن لا أزور أحبتي
ليعدلني قبل الاجابة بالرد	وأني إذا ما حيتت ناجيت قائدي
بي النفس حتى ما أحيرو وما أبدي	إذا ما أفاضوا بالحديث تقاصرت
فأن لم يحولوا عن رخاء وعن عهد	كأني غريب بينهم لست منهم
من الناسي إلا كل ذي مرة جلد <sup>(١١)</sup>	أفاسي خطوباً لا يقوم بثقلها

ويتضح لنا من الأبيات المذكورة أنفاً شدة وجسامة معاناة الشاعر الذي كلفه فقده بصره مشاقاً وصعوبات جمّة إذ هو محتاج لمن يعينه على زيارة من يريد رؤيتهم من أحبته وهو يحتاج مساعدة لرد السلام، فضلاً عن إحساسه بالعربة وهو بين خلّاته وأهله، وتلك المعاناة صورها أبو يعقوب الخرمي بأنه لا يقوم بها إلا من كان جليداً صابراً ذا همّة عالية.

ولعل خير تصوير لمعاناة الشاعر الذاتية تبرز عند الخرمي حين أكثر من رثاء عينه، وقد كانت بمثابة تأوهات ذاتية حزينة صدرت عنه من مثل قوله:

إذا التقينا عمّن يخيبيني	أصغي الى قائدي ليخبرني
أفصل بين الشريف والدون	أريد أن أعدل السلام وأن
أخطيء والسمع غير مأمون <sup>(١٢)</sup>	أسمع ما لا أرى فأكره أن

لقد صور الشاعر ذاته الحزينة خير تصوير، ولقد أحسن الخرمي في طباقه في قطعه هذه بين (لفظتي الشريف والدون) ذلك أنها أضافت دفقة معنوية للقطعة فضلاً عن اشارته لرموز تاريخية معروفة مثل سيدنا نوح - عليه السلام - و(قارون) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم هذه الاشارات عززت من إحساسه بالألم والحزن لفقده عينه، إذ هو محتاج الى غيره، ليقوده وليخبره عمّن يسلم عليه، وهو يسمع ما لا يرى، فيخاف أن يخطيء سمعه لأن السمع غير مأمون، ويتمنى الشاعر أن تعود اليه عينه التي فجع بها فهو حينذاك سيستبدلها بعمر نوح وما عاش وملك قارون الذي أعطاه الله له فيقول:

لو أن دهرأ بها يواتيني	لله عيني التي فجعت بها
تعمير نوح في ملك قارون	لو كنت خيرت ما أخذت بها

١٠ - ديوان الخرمي : ٧٧.

١١ - ديوانه : ٧٧،

١٢ - ديوانه ٧٩.

حق أخلائي أن يعودوني وأن يعزّوا عني ويكُوني<sup>(١٣)</sup>

ويبدو الخريمي مكابراً يحاول أن يعيدَ التوازنَ النفسيَ الذاتيَ لروحه التي آذاها فقد البصر مبيناً إن كان الله سبحانه وتعالى قد أخذ منه بصره فقد عوضه بالعقل واللسان إذ يقول:

إن يأخذ الله من عيني نورهما قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخلٍ  
ففي لساني وقلبي منهما نورٌ وفي فمي صارم كالسيفِ مأثور<sup>(١٤)</sup>

ويدعو عينه إلى عدم الجزع وإلى التصبر فيقول:

عزاءك يا عين لا تجزعي عزاءً وصبراً فإن الأسى  
وضناً بمائك لا تدمعي كثير وإن حياتي معي<sup>(١٥)</sup>

وهكذا يتبين لنا المعاناة الذاتية التي عاناها الشعراء المكفوفون أو من فقد إحدى عينيه، وقد برز عندهم تصوير الذات ومعاناتها واضحاً من خلال بثّ الألم والحزن على ما فقدوا ومن خلال الدعوة إلى الصبر على هذا الفقد.

### سوء الحال والفقر:

إن الحالة الاقتصادية المترفة والبذخ والعطاء الذي عمّ المجتمع العباسي في هذا العصر، وما رافق ذلك من رخاء مادي واضح في كثير من مرافق الحياة الاجتماعية، كل هذا الترف الذي ذكرته كتب الأدب والتاريخ، والذي أشتهر به كثير من رجالات الدولة العباسية والحاشية، في الوقت الذي يعاني منه فقراء المجتمع والطبقة البائسة حالة من البؤس والحرمان والعوز المادي، كل ذلك كان مدعاة لبيان هذه المشكلة وصدائها لدى شعراء الدولة العباسية في هذا العصر.

فقد أسهب مؤرخو الأدب العباسي في بيان الحالة الاجتماعية المترفة التي كان عليها العصر العباسي، إذ أشار المؤرخون إلى أن: (خزائن الدولة هي المعين الغدق الذي هياً لكل هذا الترف، فقد كانت تحمل إليها حمول الذهب والفضة من أطراف الأرض<sup>(١٦)</sup>)، وأشاروا إلى أن كل هذه الأموال كانت تجري لحساب الخلفاء والوزراء والقواد والشعراء والمغنين<sup>(١٧)</sup>. ومن الطبيعي القول بأن الترف الذي عمّ أرجاء الحياة المختلفة للوزراء والخلفاء والقواد وكبار رجال الدولة كان على حساب الطبقة العامة المحرومة، فجمهور الناس يعيش على الضنك وشطف العيش ويعاني الحرمان<sup>(١٨)</sup>.

فقد ذهب د. شوقي ضيف إلى القول: (ومن المؤكد أن الطبقات البائسة في العصر، كانت أكثر طبقاته عدداً، وكانت تكدح وتشقى وتتصبب عرقاً لينعم الخلفاء والوزراء وعلية القوم وكبار

١٣- ديوانه: ٦١.

١٤- ديوانه: ٧٧.

١٥- م.ن: ٤٦.

١٦- العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ص ٤٥.

١٧- ينظر العصر العباسي الأول، ص ٤٥.

١٨- م.ن. ص ٥١.

التجار والأقطاعيون بالحياة الرغدة والعيش الناعم غير مفكرين في جوع جائع، ولا في عري عار، بينما تتجرع الطبقات الفقيرة آلاماً ثقالاً، وأهوالاً طوالاً، وكأنما عميت الأبصار وصمت الأسماع<sup>(١٩)</sup>.

لذا وبناءً على ما تقدم تجدرُ بنا ملاحظة أن: (مشكلة الفقر أو مأساته مصدر الهام لبعض الشعراء الذين يعيشون فيها، ويعانون منها)<sup>(٢٠)</sup>.

وهذه العبارة تستدعي الوقوف عندها، والنظر فيها مرة بعد مرة، إذ نجد شعراء عانوا من الفقر والعوز وسوء الحال وأكثروا من تصوير ذلك في أشعارهم.

وقد أشار د. حسين عطوان الى منحة هؤلاء الشعراء مؤكداً أنهم (اعتمدوا النقد اللاذع والتشهير والتعريض والهجاء المقذع لأكراه الوزراء والعمال والتجار والشعراء الميسورين على إجراء الصلات القليلة عليهم حتى يكفلوا الحياة لأنفسهم ولأولادهم)<sup>(٢١)</sup>.

فهذا "أبو الشمقمق"<sup>(ت ١٨٠هـ)</sup> يعد غير منازع أكثر الشعراء تصويراً للفقر، وهو يبين سوء حالته الاجتماعية ذاكراً أن لا بيت له إذ منزله الفضاء وسقف بيته السماء.

فإذا أراد ضيفه دخول بيته فإنه يدخل ويسلم عليه على الفور، إذ لا باب عنده وليس لديه مصراع لذلك الباب:

برزت من المنازل والقباب	فلم يعسر على أحد مجابي
فمنزلي الفضاء وسقف بيتي	سماء الله أو قطع السحاب
فأنت إذا أردت دخلت بيتي	علي مسلماً من غير باب
لأنني لم أجد مصراع باب	يكون من السحاب إلى التراب
ولا أنشق الثرى عن عود تحت	أو مل أن أشار به بيابي <sup>(٢٢)</sup>

وهو لا يخشى هروب عبيده أو خروجهم عن طاعته ولا يخاف هلاك دوابه لأنه لا عبيد له ولا دواب، وهو يرى أن راحة باله آتية من أنه لا يملك شيئاً فليس لديه ما يمكن أن يحاسب بسببه قهرماناً أو غيره:

ولا خفت الأباقي على عبيدي	ولا خفت الهلاك على دوابي <sup>(٢٣)</sup>
ولا حاسبت يوماً قهرماني	محاسبة فاغلظ في حسابي
وفي ذا راحة وفراغ بال	فدأب الدهر ذا أبداً ودأبي <sup>(٢٤)</sup>

١٩- الشعر وطوابعه الشعبية، ص ٨٨.

٢٠- اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري، د. شوقي ضيف، ص ١٧٧.

٢١- الشعراء الصعاليك، د. حسن عطوان، ص ٩٣.

\* هو مروان بن محمد شاعر هجاء من أهل البصرة خراساني الأصل: ينظر: تاريخ بغداد ١٣/١٤٦.

٢٢- شعراء عباسيون، ق ٢، ص ١٣١.

٢٣- المصدر نفسه.

٢٤- المصدر نفسه.

وقد خاطب أبو الشمقمق المنصور سائلاً وصله وعطاءه بقصيدة ذكرها ابن المعتز في (طبقات الشعراء) مدح في أثنائها المنصور قائلاً:

يا أيها الملك الذي جمع الجلالة والوقارة  
ورث المكارم صالحاً وجمود منه والعمارة  
أنني رأيتك في المنا م وعدتني منك الزيارة  
فغدوت نحوك قاصداً وعليك تصديق العبارة<sup>(٢٥)</sup>

ثم مضى في قصيدته شاكياً حاله وحال عياله الذين أغياهم الفقر، وهم لا يملكون شيئاً من طعام أو شراب قائلاً:

إن العيال تـركتهم بالمصر خبزهم العصاره  
وشرابهم بول الحمارة مزاجه بول الحمارة<sup>(٢٦)</sup>

ولقد أشار الدكتور هدارة إلى أن هذا النوع من الشعر يعد شعراً ذاتياً، وسبب تسميته بالشعر الذاتي في رأبي أنه يصور بحق معاناة الشاعر النفسية وما يشعر به من أذى وحرمان وأنه يعبر عن تجربة خاصة ومعاناة شخصية فمن ذلك أن أبا الشمقمق يرجع حالته البائسة وما هو فيه من فقر الى سوء بخته، إذ يرى أنه لو ركب البحر لأنقلب ذلك البحر صحراء قاحلة، ولو وضع في يده جوهرة ثمينة لعادت زجاجاً رخيصاً ليس بذى قيمة قائلاً:

لا ترى في متونها أمواجاً لو ركبت البحار صارت فجاجاً  
راء في راحتي لصارت زجاجاً<sup>(٢٧)</sup> فلو أني وضعت ياقوتة حمـ

ويبلغ الأسى به ذروته في قوله: إنه لو ورد مياهاً عذبة لعادت ملحاً أجاجاً في قوله:  
عاد لا شك فيه ملحاً أجاجاً ولو أني وردت عذبا فواتا  
ل فقد أصبحت بزاتي دجاجاً<sup>(٢٨)</sup> فالى الله أشتكى وإلى الفضل

وفي نص آخر يستمر بالشكوى ذاكراً خلوّ بيته من الخبز واللحم والشراب وقد جاءهم العيد وليس عندهم تمر ولا خبز مييناً أن دهرهم قد عاداهم عداوة الصقر للوز قائلاً:

ما جمع الناس لديناهم أنفع في البيت من الخبز  
والخبز واللحم إذا نلتهم فانت في أمن من التمرز  
والقلز من بعد على أثره فأئما اللذات في القلـز  
زقد دنا الفطر وصبيانا ليسوا بذى تمر ولا أرز

٢٥- طبقات الشعراء، ص ١٢٧.

٢٦- المصدر نفسه.

٢٧- شعراء عباسيون، ق ٥، ص ١٣٢.

٢٨- م.ن.

وذاك أن الدهرَ عاداتهم عداوة الشاهين للوز<sup>(٢٩)</sup>

فهم إذا ما رأوا خبزاً على مكانٍ عالٍ أسرعوا إليه يقفزون ولكنهم لا يطيقون القفزَ لأنهم جائعون:

فلو رأوا خبزاً على شاهقٍ  
ولو أطاقوا القفزَ ما فاتهم  
لأسرعوا للخبز بالجمز  
وكيف للجائع بالقفز<sup>(٣٠)</sup>

ولم يكن تصوير سوء البخت مقصوداً على أبي الشمقمق فقد شاركه في شعراء بائسون لا يقلون عنه شأنًا في تصوير سوء حظهم وفقدهم مثل أبي فرعون الساسي، فقد ذكر ابن المعتز في طبقات: (أتى أبو فرعون الساسي أبا كهمس التاجر، فسأله، فأعطاه رغيفاً من الخبز الحواري كبيراً فصار إلى حلقة بني عدي، فوقف عليهم وهم مجتمعون، فأخرج الرغيف من جرابه، والقاه في وسط المجلس، وقال: يا بني عدي، أستفحلوا هذا الرغيف، فانه أنبل نتاج على وجه الأرض، قالوا: وما ذاك؟ فأخبرهم فاجتمعوا إلى أبي كهمس التاجر، فقالوا: عرضتنا لأبي فرعون وقد مزقنا كما ممزق<sup>(٣١)</sup>).

وأشار ابن المعتز إلى شاعريته وأجاده بقوله: (ومما يستملح له - وكان من أفصحهم وأجودهم شعراً - وأكثرًا نادة<sup>(٣٢)</sup>)، وأستدرك على ذكره بالقول: (ولكنه لا يصبر عن الكدية<sup>(٣٣)</sup>)، وقد ذكر له أبياتاً شعرية تصور شكواه من بخته فمن ذلك بقوله:

رأيت في النومٍ بختي  
أعمى أصم ضئيلاً  
فقلت: حيينت رزقي  
فكيف لي بدواءٍ  
في زي شيخٍ أرت  
أبا بنين وبناتٍ  
فقال: رزقك بأسستي  
يلين لي بطنٍ بختي؟<sup>(٣٤)</sup>

وفي الاتجاه ذاته يشير أبو فرعون الساسي إلى سوء حالة شاكيًا الفاقة والحرمان، مبيناً أن الله - ﷻ - يعلم ما وصل إليه حالة، إذ لا شيء عنده، فهو مهزول ضعيف البنية حتى أن الشمس قد محت خياله، وهو مفلس حتى حل أكله لعياله قائلاً:

أنا في حالٍ تعالي الله  
ليس لي شيءٌ إذا قي  
ولقد أهزلت حتى  
ولقد أفلست حتى  
ربي أي حال  
للمن ذا؟ قلت: ذا لي  
محمت الشمس خيالي  
حل أكلني لعيالي

٢٩- طبقات الشعراء لابن المعتز، ص ١٢٧.

٣٠- م.ن، وينظر شعراء عباسيون، ق ٢٥، ص ١٤٠.

٣١- طبقات الشعراء، ص ٣٧٦.

٣٢- م.ن.

٣٣- م.ن.

٣٤- طبقات الشعراء، ص ٣٧٦.

مَنْ رَأَى شَيْئاً مَحَالاً  
فَأَنَا عَيْنَ الْحَالِ  
فِي حَرَمِ اللَّهِ طَوْرًا  
مَنْ نَسَاءٍ وَرَجَالٍ  
لَوْ رَأَى فِي النَّاسِ حَرًا  
لَمْ أَكُنْ فِي ذَا الْمَثَالِ<sup>(٣٥)</sup>

والقارئ للأبيات المذكورة في أعلاه، ويستشعر قدرة هذا الشاعر وقابليته ومهارته في تجسيد الحالة التي وصل إليها وتصويرها، والبيت الثالث يؤكد مقدرته الشعرية إذ دُلَّ على هزالة حتى أن الشمس قد مَحَت خياله وفي ذلك مبالغة واضحة.

(وكان البؤس - على ما يبدو - ينهك حياته ويكلفه هو وأسرته من الجوع والعري في ليالي الشتاء الباردة، فلا يستطيعون أحتماله ولا منقذ ولا معين، وله تصور ذلك تصويراً دقيقاً)<sup>(٣٦)</sup>، وفي ذلك يقول:

وصبيرة مثل صغار الذر  
بغير قميص وبغير أزر  
حتى إذا لاح عمود الفجر  
وبعضهم ملتصق بصُدري  
أسبقهم إلى أصول الجدر  
فارحم عيالي وتول أمري  
جاءهم البرد وهم بشر  
تراهم بعد صلاة العصر  
وجاءني الصوت غدوت أسري  
وبعضهم منحجر بحجري  
هذا جميع قصتي وأمري  
كنت نفسي كنية شعري

أنا أبو الفقر وأم الفقر<sup>(٣٧)</sup>

وقد وصف د. شوقي ضيف القطعة الأنفة الذكر بأنها: (بديعة في تصوير بؤس أبي فرعون وبؤس عياله، فهم عراة في زمهرير الشتاء وهم يلتصقون بصدر أبيهم وظهره وحجره يطلبون الدفء، ويطلبون ويعلّهم بالصباح، حتى إذا لاح فرج على وجهه لا يليو، راجياً أن ييسر له ما يستطيع أن يرد به عنهم شيئاً من الجوع والعري، وهم في الحجرة متكومون بجانب جدرانها، وكأنهم خنافس متكومة في جحر فيالهلول، يالفقر ويالبؤس)<sup>(٣٨)</sup>. وتعبير أبي فرعون عن نفسه بأنه أبو الفقر وأم الفقر لهو خير دليل على ما وصلت إليه حال هذا الشاعر من شدة البؤس والفاقة. وفي قصيدة أثنى على حسنها وفصاحتها ابن المعتز يمدح أبو فرعون الحسن بن سهل ويشكو حاله مبيناً فقره قائلاً:

أشكو اليك صبيرةً وأمهم  
قد أكلوا اللحم ولم يشبعهم  
وأمتذقوا المذق فما أغناهم  
لا يشبعون وأبوهم مثلهم  
وشربوا الماء فطال شربهم  
والمضغ أن نالوه فهو عرسهم<sup>(٣٩)</sup>

٣٥- شعراء عباسيون، ق ٤٥، ص ١٤٩.

٣٦- الشعر وطوايعه الشعبية على مر العصور، د. شوقي ضيف، ص ٨٨.

٣٧- طبقات الشعراء، ص ٣٧٧.

٣٨- الشعر وطوايعه، ص ٨٩.

٣٩- طبقات الشعراء، ص ٣٧٨.

فهؤلاء الصبية لا يعرفون من الخبز إلا أسمه، وليس عندهم تمر، أما الفاكهة فلم يتمكنوا من رؤيتها في السوق وهم في حال مزرية من سوء التغذية قائلاً في ذلك:

لا يعرفون الخبز إلا بأسمه  
وما رأوا فاكهة في سوقها  
زعر الروس قرعت هاماتهم  
كأنهم جناب أرضٍ مجذبٍ  
بل لو تراهم لعلمت أنهم  
وجحشهم أجرب منقور القرى  
والتمر هيهات فليس عندهم  
وما رأوها وهي تنحو نحوهم  
من البلا وأستك منهم سمعهم  
محل فلو يعطون أوجى سمهم  
قوم قليل ريهم وشبعهم  
ومثل أعواد الشكاعي كلبهم<sup>(٤٠)</sup>

على أن أبرز ما يشكو منه الشعراء البائسون الفقراء هو هروب الفأر والذبان والسنور من بيوتهم لخلوها مما يمكن أن تقتات عليه من طعام ونحوه وقد ذكر ذلك أبو الشمقمق قائلاً:

ولقد قلت حين أفقر بيتي  
ولقد كان أهلاً غير قفر  
فأرى الفأر قد تجنبن بيتي  
ودعا بالرحيل ذبان بيتي  
وأقام السنور في البيت حولاً  
ينقض الرأس منه من شدة الجو  
من جراب الدقيق والفخاره  
مخصباً خيره كثير العمارة  
عائذات منه بدار الأمانة  
بين مقصوفة إلى طياره  
ما يرى في جوانب البيت فاره  
ع وعيش فيه أذى ومراره<sup>(٤١)</sup>

ويعقد أبو الشمقمق حواراً لطيفاً بينه وبين السنور داعياً إياه إلى الصبر إلا أن ذلك السنور يجيبه بعدم قدرته على الصبر في بيت مقفر من الأكل ثم يعود أبو الشمقمق ليرسم له بالخروج إلى حيث المكان المخضب المملوء بالقوت قائلاً:

قلت لما رأيته ناكس الرأس  
ويك صبراً فانت خير من سنو  
قال: لا صبر لي وكيف مقامي  
قلت: سر راشداً إلي بيت خان  
وإذا العنكبوت تغزل في دني  
وأصاب الجحام كلبى فأمسى  
س كثيراً وفي الجوف منه حراره  
رأته عيناى قط بحاره  
وسط بيت كجوف الحماره  
مخصب رحله كثير التجاره  
وحبي الكوز والقرقاره  
بين كلب وكلبة عياره<sup>(٤٢)</sup>

ومطية أبي الشمقمق هي رجلاه متمنياً أن تكون له مطية يوماً ما:  
أتراني أرى من الدهر يوماً  
كلما كنت في جميع فقالوا  
لي فيه مطية غير رجلي  
قربوا للرحيل قربت نعلي

٤٠- م.ن.  
٤١- شعراء عباسيون، ق ٢٣، ص ١٣٨.  
٤٢- م.ن.

حيثما كنت لا أخلف رحلاً من رأني فقد رأني ورحلي<sup>(٤٣)</sup>

ويوازن العماني\* الراجز بين عربي بالي الأظمار رث الثياب جائع البطن وبين شخص مترف، يمتلك مالاً وله من القيان والعبيد والجواري الشيء الكثير، والعماني الراجز في عقده هذه الموازنة يشرح سوء حالة العربي وفقره راسماً بذلك صورة شعرية بديعة إذ يقول:

لا يستوي مَنعِم بنِدارٍ	له قيان وله حِمَارٍ
مقَصص قصبه البيطارٍ	يطيف في السوق به التجارِ
وعربي برده أظمارٍ	يظل في الطرق له عِشارٍ <sup>(٤٤)</sup>
قد نصلت من رجله الأظفارِ	يأوي إلي حصن له أوارٍ
أحدب قد مال به الجدارِ	لا درهم فيه ولا دينارِ
يأكل هزلي الفار فيه الغازِ	في بلدة عال بها الغبارِ

ويصف العماني الراجز أهل هذه البلدة وما فيها من ترف ونعمة قائلاً في ذلك:

ليس على كهل بها وقارٍ	مثل الشياطين إذا أستشاروا
لهم دنان ولهم جرار	وفاشفارات لها قفار

في اليسر لا يطع فيه الجار<sup>(٤٥)</sup>

من خلال الأمثلة المذكورة يتبين أن الشعراء المذكورين أعتمدوا أسلوب السخرية والفكاهة للتعبير عن فقرهم، وهذه ظاهرة تستحق الالتفات، زيادة على أن هؤلاء الشعراء لم يتعرضوا لقضية الظلم الاجتماعي وسوء توزيع الثروات. وأن أشعارهم من النوع الذي يمكن أن يوصف بالآدب الجماهيري (الشعبي) الذي يعبر عن قضايا المجتمع وهمومه.

### السجن:

خلق الله سبحانه وتعالى بني البشر أحراراً فإذا ما قيدت حرياتهم شعروا عند ذلك بالضيق والأسى لذا عد السجن من الأماكن غير المستحبة أو المرغوب فيها، بل من الأماكن المرفوضة، فالإنسان لا يسعى إليه بإرادته وإنما يفرض عليه فرضاً، وهو تقييد لحرية الإنسان، فضلاً عن شعور السجنين بالوحدة والانفراد والعزلة.

ولقد عرفه أحمد محمد الزعبي فأشار إلى أنه ذلك المكان الذي تتحدد فيه إقامة الشخص المتهم وتقيده فيه حريته، وهو بغض النظر عن كونه قد خصص ليكون سجوناً أو هياً ليكون مكان احتجاز، أو كان تحديد إقامة للشخص مكان غير مألوف وغير محبوب<sup>(٤٦)</sup>.

٤٣- شعراء عباسيون، ق ٣٧، ص ١٤٥.

\* هو محمد بن ذؤيب بن محمد بن قدامة الحنظلي الدارمي راجز من بني تميم. ينظر: الأعلام للزركلي.

٤٤- طبقات الشعراء، ص ١١٣.

٤٥- طبقات الشعراء، ص ١١٣.

٤٦- ينظر أسس علم النفس الجنائي، ص ٢٨١، أحمد محمد الزعبي، دار زهران، عمان، ٢٠١٠.

ولما كان السجن تقيداً لحرية الإنسان ليعده عن مجتمعه ، ويفرض عليه قيوداً تأبأها نفسه ، لذا كان من يسجن من الشعراء يظل يشكو ويتأفق بأبيات تشعر بالمعاناة الذاتية التي يحسها الشاعر السجين ومدى الألم النفساني الذي يعيشه ، فهذا الألم وتلك التأوهات لا يستشعرها إلا من قد ذاقها بنفسه وأكتوت روحه بها ، فمن ذلك ما قاله صالح بن عبد القدوس (ت ١٦٧هـ) في قوله :

الى الله أشكو إنه موضع الشكوى      وفي يده كشف المضرة والبلوى  
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها      فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى  
إذا دخل السجن يوماً لحاجة      عجبنا وقلنا: جاء هذا من الدنيا<sup>(٤٧)</sup>

والرؤيا عند السجناء مهمة جداً فهي محور حديثهم وبها يخلو حديثهم فإن كانت رؤيا حسنة أبطأت وأن كانت قبيحة تعجلت بالجيء ، وفي هذا يقول صالح بن عبد القدوس .

ونفرح الرؤيا فجل حديثنا      إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا  
فإن حسنت لم تأت عجلي وأبطأت      وأن قبحت لم تحتبس وأتت عجلي<sup>(٤٨)</sup>

والأخبار عندهم مقطوعة إذ حيل بينهم وبينها بسجن منع الأسوار ، وهم مدفونون فيها ، أقاموا في هذه الدنيا ولكنهم فارقوها لسجنهم وابتعادهم عن مجتمعهم إذ يقول :

واما علي بن الجهم\* (ت ٢٤٩هـ) فإنه لما حبس كتب الى طاهر بن عبد الله قصيدة وهو في حبسه يقول فيها :

إن كان لي ذنب فلي حرمة      والحق لا يدفعه الباطل  
وحرمتي اعظم من زلتي      لو نالني من عدلكم نائل  
ولي حقوق غير مجهولة      يعرفها العاقل والجاهل

والقصيدة في حقيقتها استعطاف أكثر منها في تبيان حالته داخل السجن وذكر معاناته إلا أنني ذكرتها لأنه كتبها من سجنه ، وقد أحسن فيها الطباق بين (الحق والباطل) في البيت الأول وكذا بين (العاقل والجاهل في البيت الثالث) ويمضي الشاعر مصوراً حالته فيقول :

وكل أنسان له مذهب      وأهل ما يفعل له الفاعل  
وسيرة الأملاك منقولة      لا جائر يخفى ولا عادل  
وقد تعجلت الذي خفته      منك ولم يأت الذي أمل<sup>(٤٩)</sup>

إلا أن قصيدته التي تفصح عن شدة معاناته في سجنه هي تلك التي مدح بها جعفر المتوكل والتي أشار لها أبو الفرج الأصفهاني بقوله : (وأحسن شعر قاله في الحبس قصيدته التي أولها :

٤٧ - شعر صالح بن عبد القدوس ، ص ١٣٧ ، عبد الله الخطيب ، ط دار منشورات البصري ، بغداد ، ١٩٦٧ .

٤٨ - م.ن.

\* علي بن الجهم هو أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم... الشاعر المشهور أحد الشعراء المجيدين وله وقد حبس أبياته المشهورة التي أولها قالت : حبست وهي أبيات جيدة في هذا المعنى لم يعمل مثلها) وفيات الأعيان ٣/٣٥٥ .

٤٩ - ديوان علي بن الجهم ، ق ٧٨ ، ص ١٦٩ تحقيق خليل مردم بك .

قالت: حُبست<sup>(٥٠)</sup>.

وأشار الى سبب حبسه فقال: (أنه كان يسعى بالجلساء الى المتوكل فأبغضه وأمره ان يلزم بيته، ثم بلغه أنه هجاه فحبسه)<sup>(٥١)</sup>.

وهذه القصيدة تقع في ٢٨ بيتاً، وقد ذكرها ابن خلكان فقال: (وله وقد حبس أبياته المشهورة التي أولها قالوا: حُبست..... وهي أبيات جيدة في هذا المعنى ولم يعمل مثلها)<sup>(٥٢)</sup>، وقد بدأها مخاطباً امرأة لم يسمها بقوله:

قالت: حُبست فقلت: ليس بضائري أوما رأيت الليث يألف غيِّله والشمس لولاً أنها محجوبة عن والبدر يدركه السرار فتنجلي والغيث يحصره الغمام فما يري والنار في أحجارها مخبوءة	حُبسي وأي مهند لا يغمد كبراً وأوباش السباع تردد عن ناظرٍ لك لما أضاء الفرقد أياميه وكأنه متجدد الا وريقه يراح ويرعد لا تصطلي إن لم تثرها الأزند <sup>(٥٣)</sup>
---	--

فقد شبه نفسه بالمهند، وهو السيف في غمده، ثم راح يضرب الامثال ويأتي بتشبيهات مستحسنة ارتاح لها، فالليث يختبئ بالشجر الكثيف ترفعا بنفسه، والشمس تحتجب ولولا أنها متحجبة لما أضاءت النجوم، وكذا البدر الذي يدركه الظلام، والغيث الذي يحصره الغمام، والنار التي تختبئ في الأحجار، فلا توقد جذوتها إن لم تثر بالزناد، ويستمر ابن الجهم في تصوير نفسه في حبسه فيقول:

والزاعبية لا يقيم كعوبها غير الليالي بادئيات ولكل حال معقب ولربما لا يؤسنك تفرج كربة	إلا الثقياف وجذوة تتوقد والمال عارية يفاد وينفد أجلى لك المكروه عما يحمد <sup>(٥٤)</sup> خطب رماك به الزمان الأنكد <sup>(٥٥)</sup>
---	---

ويبدو علي بن الجهم في هذه القصيدة مستذكراً حكماً رائعة داعياً الى الصبر الذي تعقبه الراحة فيقول:

٥٠- الأغاني ٢١٣/١٠ تحقيق أحمد زكي العدوي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨.

٥١- م.ن.

٥٢- وفيات الأعيان ٣/٣٥٥، تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

\* الغيل:

\* الفرقد:

٥٣- ديوان علي بن الجهم: ٤١.

٥٤- م.ن.

٥٥- ديوان علي بن الجهم: ٤٢.

كم من عليلٍ قد تخطَّاه الردى  
صبراً فإن الصبر يعقب راحة  
فنجبا ومات طيبه والعود  
ويد الخليفة لا تطاولها يد<sup>(٥٦)</sup>

ثم يقول بأن هذا السجن لبيت وأنت إن لم تزره لمحالة تزري بصاحبها فإنه يزار فيه المرء ويكرم فيقول:

والحبس مالم تغشه لدنية  
بيت يجدد للكريم كرامة  
لو لم يكن في السجن إلا أنه  
(شنعاء نعم المنزل المتورد)  
ويزار فيه ولا يزور ويحفد  
لا يستذلك بالحجاب إلا عبد

ثم يستعطف ابن الجهم القاضي أحمد بن داوود لابلاغ الخليفة ان الذين وشوا به إنما سَعَوْا بالباطل وكان الأحرى بأمير المؤمنين التثبت من الأمر قبل الحكم إذ يقول:

يا أحمد بن دؤاد انما  
بلغ أمير المؤمنين ودونه  
أنتم بني عم النبي محمد  
ما كان من حسن فأنتم أهله  
أمن السوية يا ابن عم محمد  
إن الذين سعوا اليك بباطل  
تدعي لكل عزيمة يا أحمد  
خوض العدى ومخاوف لا تنفذ  
أولى بما شرع النبي محمد  
طابت مغاريسكم وطاب المجد  
خصم تقربه وآخر تبعه  
أعداء نعمتك التي لا تجحد<sup>(٥٧)</sup>

ويبين ابن الجهم أنه لم يجتمع الخصمان إذ كانوا حاضرين وهو غائب، ولو كان حاضراً لتبين للجميع الطريق الواضح المسلك، وأنه إن سُمح له يوماً بلقاء الخليفة والتقى بخصوصه لدحضهم بالحجة البينة والبراهين الساطعة فيقول:

شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا  
لو يجمع الخصمين عندك مشهد  
فلئن بقيت على الزمان وكان لي  
واحتج خصمي واحتججت بحجتي  
فيما وليس كغائب من يشهد  
يوماً لبان لك الطريق الأqvسد<sup>(٥٨)</sup>  
يوماً من الملك الخليفة مقعد<sup>(٥٩)</sup>  
لفلجت في حججي وخاب الأبعد<sup>(٥٩)</sup>

ثم يختم قصيدته بأن الله سبحانه تعالى بالغ أمره واليه الرجوع بعد الموت وان الكل لأبد صائر الى يوم يجتمع الناس فيه وهو يوم القيامة، متسائلاً في آخر الأمر عن الذنب الذي جعل الأعراض نهياً يتقاسمه اللؤماء فيقول:

والله بالغ أمره في خلقه  
ولئن مضيت لقلما يبقى الذي  
وإليه مصدرنا غداً والمورد  
قد كادني وليجمعنا الموعد

٥٦ - ديوانه : ٤٥ .

٥٧ - ديوانه : ٤٦ .

٥٨ - ديوان : ٤٦ .

٥٩ - م.ن .

## فبأيّ ذنبٍ أصبحت أعرأضنا نهباً يشيدُ بها الليثمُ الأوغد<sup>(٦٠)</sup>

والحقيقة أن ألم السجن قد أثر في نفوس هؤلاء الشعراء الذين وجدوا في هذا المكان تقييداً محضاً لحياتهم وسلباً ظالماً لآرادتهم وقد مثلت قصيدة ابن الجهم أنموذجاً رائعاً في هذا الموضوع لأن فيها مكابرةً وتحدياً ورؤية موضوعية جيدة.

### خاتمة البحث والنتائج:

وبعد الانتهاء من هذه الرحلة مع الشعر الذاتي الذي صدر عن شعراء العصر العباسي الأول الذين ابتلوا بمحن الحياة وآفاتهما يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

١. كان فقد البصر أشد المصائب إيلاماً، وأكثرها حزناً على نفوس أصحابها وقد كان ذاتياً مجتأً، ذلك أن الشاعر الكفيف يشعر بنقصٍ حادٍ في شخصيته، لأن فقد العين يفقد كل أملٍ لديه في هذه الدنيا كما رأينا وذلك عند صالح بن عبد القدوس، ثم إنه يحدد مسار شخصية الكفيف ويجعله محتاجاً إلى الآخرين حتى في رد السلام مثلما مر بنا عن الحديث عن أبي الشيبص الخزاعي والخريمي.
٢. صور الشعراء البائسون سوء حالتهم المادية بأساليب فكاهية تحمل في طياتها شيئاً غير قليل من المرارة، ولم يصور الشاعر البائس الفقير نفسه فحسب بل صور عائلته ومعاناتها.
٣. وأما شعر السجن فقد كان ذاتياً كله إلا قصيدة صالح بن عبد القدوس التي أشار فيها إلى أصحابه من المسجونين ومعاناتهم فجاء هذا الشعر معبراً أصدق تعبير عن ذات الشاعر وما يحسُّ به من آلام لا يدرك حجمها إلا من ذاق مرارتها وأكتوى بنيرانها.

### المصادر والمراجع

- ١- اتجاهات الشعر العربي، د. محمد مصطفى هدارة، ط، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣.
- ٢- اسس علم النفس الجنائي، د. أحمد محمد الزعبي، ط دار زهران، عمان، ٢٠١٠.
- ٣- أشعار أبي الشيبص الخزاعي وأخباره، جمع وتحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٧.
- ٤- أمالي المرتضى تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط، البابي الحلبي، ١٩٥٤.
- ٥- الاعلام: خير الدين الزركلي، ط / دار العلم للملايين، ١٩٩٩.
- ٦- الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني تحقيق أحمد زكي العدوي، ط القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣٨.
- ٧- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ط دار المعارف، مصر، د.ت.

- ٨- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ت(٤٦٣هـ)، ط، دار الفكر للطباعة، (د.ت).
- ٩- تجديد ذكرى أبي العلاء، د. طه حسين، ط ٩، ط، دار المعارف، مصر. د.ت.
- ١٠- ديوان الحرّمي لأبي يعقوب اسحاق بن حسان ٢١٤، جمعه وحققه علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيد، بيروت- لبنان، ١٩٧١.
- ١١- ديوان علي بن الجهم، عني بتحقيقه خليل مردم بك، ط، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٩.
- ١٢- شعر المكفوفين، د. عدنان عبد العلي، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان- الاردن، ١٩٩٩.
- ١٣- شعر صالح بن عبد القدوس، تحقيق عبد الله الخطيب، ط / دار منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٧.
- ١٤- شعراء عباسيون، مطيع بن الياس، مسلم الخامس، أبو الشمقمق، غوستاف لوجون، غروناوم، تحقيق محمد يوسف نجم، ط / دار الحياة، بيروت، ١٩٥٩.
- ١٥- الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، د. شوقي ضيف، ط دار المعارف، مصر، ١٩٧٧.
- ١٦- الشعراء الصعاليك: حسين عطوان، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٢.
- ١٧- طبقات الشعراء لابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط دار المعارف، مصر، ١٩٥٦.
- ١٨- فوات الوفيات، أحمد بن عبد الرحمن الكتبي (ت ٤١٦هـ)، تحقيق الشيخ علي معوض، والشيخ أحمد عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.
- ١٩- الورقة لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح، تحقيق عبد الوهاب عزام، وعبد الستار أحمد فراج، ط دار المعارف، مصر، د.ت.
- ٢٠- وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

## صورة البطل التموزي في الشعر العراقي الحديث

### يوسف الصائغ نموذجاً

#### The image of tamuz hero in the modern iraqi poetry yousif al-saigh as a sample

م.د. عباس عبيد علوي العامري<sup>(1)</sup>

Dr. Abbas Ubaid

#### ملخص البحث

يشكل حضور البطل في الشعر العراقي الحديث ظاهرة متميزة، وتبعاً لأسباب سياسية واجتماعية وثقافية تنوعت نماذج صورة البطل فظهر بطل قومي وآخر إنساني وثالث أسطوري، لكن هذه النماذج تشترك في خصائص متشابهة شكلت ما أسميناه بـ(البطل التموزي) الذي ظهر لنا انه يستمد كثيراً من ملامحه من شخصيات شهيرة بعضها أسطوري وبعضها تاريخي، مثل (أدونيس والسيد المسيح ﷺ والإمام الحسين ﷺ). ونجد في شعر يوسف الصائغ حضوراً واسعاً لظاهرة البطل التموزي، وسبب ذلك يرجع لمؤثرين: أولهما ثقافي عام، وثانيهما سايكولوجي خاص بالشاعر.

وقد تناول البحث بالدراسة سمات جديدة للبطل في شعر الصائغ أبرزها الاغتراب، وخلص الى تميز الشاعر في التأسيس لأنموذج بطولي واضح المعالم.

#### Abstract:

The presence of the hero in the modern Iraqi poetry forms excellent phenomenon follows to political, social and cultural causes indifferent types of image of the hero, appeared as national hero another human hero and the third one is myth hero, but these types incorporate in similar characteristics formed what we called (A:-Tammozy Hero) that he appeared to us takes more of his features of famous historical persons

١ جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

(Adounis, the Christen master and Imam AL-HUSSEIN) we find in poetry of Yousif Al-Saegh he lost large presence for the phenomenon of the Al-Tammozy hero, that cause back to two effects, the first one cultural, second is psychology specified to the poet.

The research studied new features for the hero in poetry of AL-Saegh the most prominent is the strangeness, end to the poet distinguishing to found the certain heroism.

### تقديم

ليس المراد من مفهوم البطل الذي سيسعى هذا البحث للكشف عن بعض من ملامحه ما أصبح شائعاً في لغة النقد الحديث، من وصف للشخصية الرئيسية في النص الأدبي (بطل الرواية، بطل المسرحية)، وإنما المراد هو البطل بما يعنيه في وجدان أمة، أو شعب أو جماعة، من تجسيد لنموذج الإنسان الكامل، أو المخلص<sup>(٢)</sup>.

ولعل مما يؤسف له حقا خلو المكتبة النقدية العربية من أية دراسة جادة، تضع نصب عينيها ضرورة الكشف عن صور البطولة التي يزر بها الشعر العربي الحديث، وظل الموضوع بكرة، يمسه عرضاً بعض الباحثين في تناولهم لموضوعات كقصيدة القناع والأسطورة، في حين يفترض بالنقد النموذجي أن لا يركز على الأسطورة لذاتها، وإنما بالقدر الذي ((يكشف أنماطاً حضارية أساسية تتسم بالأسطورية، بحضورها المهم في حضارة معينة))<sup>(٣)</sup>.

ولعل سعة الموضوع هي التي جعلت دارسي الأدب يتهيبون منه، فالأسئلة التي تطرح نفسها على من يتصدى له كثيرة ومتنوعة، وهي من قبيل: ما هي صور البطولة التي عرفها الشعر العربي الحديث؟ ما مصادرها؟ هل بقيت ثابتة أم تغيرت؟ ما أسباب التغيير؟ وهل يتأثر أنموذج البطولة بالتحويلات التي تطرأ على مصادر المعرفة، ونمط الانتاج والاستهلاك والأوضاع السياسية والاجتماعية؟.

إن مقارنة هذا البحث لمفهوم البطولة في الشعر العراقي الحديث ستكون على مبحثين، يوقفنا الأول منهما على أسباب تشكل صورة ما أسميناه بـ(البطل التموزي) بالهيئة التي ظهر عليها، مع تبيان مرجعية تشكل ذلك الأنموذج البطولي، وتأثيرها في نتاج شعراء متباينين في الثقافة والتجربة والجيل، في حين سيركز المبحث الثاني على استجلاء صورة البطل التموزي في نتاج الشاعر (يوسف الصائغ) بتقص لكونها تشكل إحدى أهم معالم نتاجه الشعري، مما يجعل من شعره عينة مثالية لاختبار صدقية الطروحات التي يفترضها البحث في مبحثه الأول، تلي ذلك خاتمة بأهم النتائج.

٢ - ينظر: عن مفهوم البطل كتاب الدكتور شكري عياد: (البطل في الأدب والأساطير)، وكتاب بليخانوف: (دور الفرد في التاريخ).

٣ - خمسة مداخل إلى النقد الأدبي: ويلبرس. سكوت، ترجمة: د. عناد غزوان وجعفر صادق الخليلي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٢٦٨.

### المبحث الأول: البطل التموزي (أسباب الظاهرة ومرجعيات التشكل)

ليس في وسع هذه الوقفة تلمس بدايات تشكل صورة البطل، أو مراحل تطورها بالعرض والتحليل على نحو تفصيلي، لكن في مقدورها أن تثير العديد من الأسئلة التي ربما كان الانطلاق منها كفيلاً بوضع اليد على تصور عام لجذور صورة البطل، كما عرفها الشعر العراقي الحديث. فهل يمكن سحب ما قاله شاعر مثل السيد حيدر الحلبي في الإمامين الحسين بن علي والمهدي المنتظر عليه السلام إلى خانة البحث في موضوع كهذا؟ أكان في ذهن شعراء كمعروف الرصافي ومحمد مهدي الجواهري وعلي الشرقي أنموذج للبطولة وهم ينظمون قصائد رثاء في شخصيات وطنية كعبد المحسن السعدون ومحمد جعفر أبو التمن؟ وهل كان في وسع الشاعر التقليدي رسم ملامح خاصة لأنموذج بطولي - فيما لو قصد ذلك - وهو في الأساس ينجح لـ (عمومية الوصف) ويشكو من (ضعف الخيال)<sup>(٤)</sup>؟

ومهما يكن من أمر، فقد جاءت حركة الشعر الجديد (الحر) بعد نهاية حرب عالمية خلقت تأثيراتها مناخاً موضوعياً ملائماً للتجديد، فكان أن رحنا نشهد نضجاً في تجارب ممثليها على أصعدة عديدة، وبدأت صورة البطل بالتطور كما سنرى، لتكتسب فيما بعد عمقاً وسعة، وتشهد تنوعاً وغنى مدهشين حقاً، كل ذلك جعل منظرها (فيسفائياً)، وأن كانت ملامحها واضحة، وبسمات تكاد أن تكون متشابهة إلى حد بعيد.

وهكذا، ولانتماء السياسي الملتزم - يساري في الغالب - لممثلي حركة الشعر الجديد، ولتنوع مصادرهم الثقافية، أصبح في الإمكان الحديث عن بطل (إيجابي ثوري) سيتلقفه منهم العديد من شعراء القصيدة الجديدة، ويشرعون بتنويع صورته، أو لنقل تفريعها، وفي الوسع مثلاً الإشارة إلى بطل تاريخي ديني (محمد، المسيح، يوسف، الحسين، أبي ذر الغفاري، الحسين بن منصور الحلاج ... ) وبطل تاريخي قومي (طارق بن زياد، خالد بن الوليد، صلاح الدين الأيوبي...) وبطل ثالث أسطوري (تموز، عوليس، بروميثيوس ...) وبطل رابع إنساني - إذا صح التعبير - (لوركا، جيفارا، تروتسكي، لولومبا ...)، وقد لا نعدم العثور على بطل من عامة الناس، هو الشاعر في أحيان كثيرة كما سيرى البحث.

إن هذا التقسيم هو تصنيف أولي لتقديم تصور عن الموضوع، والا فأن تلك الصور تتداخل في القصيدة الجديدة تداخلاً كبيراً، إلى الحد الذي يجعل من (لوركا) مثلاً بطلاً أسطورياً، في حين يغدو (الحلاج) بطلاً إنسانياً.

ومن دون شك فأن نسب النجاح في الوصول إلى صيغة مثلى، تعالج فيها صيرورة البطل وعلاقته بالأمة، وفق فهم منفتح، مع سمو في الأداة الفنية بقيت متفاوتة بين شاعر وآخر، كل

٤ - ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د. علي عباس علوان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د. ت)، ص ١٥٠ - ١٥١.

بحسب موهبته ورؤيته.

وحتى مع الشعر الجديد، كان علينا ان ننتظر مرور حقبة طويلة حتى تنضح الملامح الجديدة لصور البطولة، لتستقر على ما استقرت عليه على يد السياب والبياتي،<sup>(٥)</sup> في حين تخلفت نازك الملائكة عن الريادة في هذا الجانب لعدم صلتها المباشرة بالأحزاب السياسية<sup>(٦)</sup>.

وبسبب انتماء بعض هؤلاء الرواد إلى احزاب سياسية قارعت النظام الملكي في العراق، وظلت تبشر بالنضال والاستشهاد من أجل الخلاص، ولانفتاحهم على نمط جديد من المؤثرات الثقافية التي تركت بصمتها على نتاجهم كما سنرى، وجد هؤلاء الرواد في اسطورة تموز صالتهم المنشودة، ليشيروا بها إلى وجود فسحة واسعة من الآمال بنهضة العرب من رقتهم الطويلة، مثلما ينهض إله الخصب (تموز)<sup>(٧)</sup> من موته في فصل الربيع من كل عام. تموز الذي هو روح النبات (الكروم والحنطة) البطل المأساوي الذي يدفع حياته ثمناً للخلاص (عشتار) حبيبته التي ستغدو رمزاً للوطن في كثير من القصائد الجديدة. ولعل شهرة هذا الجانب في نتاج الرواد تغنينا عن التوسع الا بالقدر الذي يمكن أن يشكل اضافة.

لقد كان لجهود علماء (الانثروبولوجيا) وعلم النفس الفضل الكبير في توجيه الأنظار نحو ما يمكن عده عنصراً جوهرياً ثابتاً في تصورات النفس الإنسانية، عن كل ما يتصل بالكون والحياة، نخص بالذكر هنا جهود عالم النفس الشهير (كارل غوستاف يونغ) فيما سماه بالنماذج الأصلية والصور البدائية العليا<sup>(٨)</sup>، وهي عنده (أشكال رمزية متساوية موجودة على نطاق كوني في الحياة النفسية للإنسان، متجسدة باللاوعي الجمعي الذي تشترك به ذات الفرد بصورة لا إرادية)<sup>(٩)</sup>.

ولكي نتوغل في صلب الموضوع من المفيد الاستعانة بنص للدكتور شكري عياد الذي يذهب إلى أن الشكل القديم للبطولة ما يزال قائماً (الحياة التي تنبعث من الموت، البطل الذي يموت ليعث في عالم أرحب، المجتمع الذي يتخلص من بطله الفاني ليجدد حياته روح الخير التي تمزق أو تدفن لتظل حية تؤتي ثمارها الطيبة، ولكن في داخل هذا الشكل المستقر المحافظ، كان المضمون يثور ويتجدد)<sup>(١٠)</sup>.

٥ - يقول عبد الوهاب البياتي واصفاً طبيعة تعامله مع ابطاله: (حاولت أن أقدم البطل النموذجي في عصرنا هذا، وفي كل العصور في موقفه النهائي، وأن استبطن مشاعر هذه الشخصيات النموذجية في أعماق حالات وجودها) تجرّبي الشعرية، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢، ص ٤١.

٦ - سترد في البحث صورة من صور البطولة عند بلند الحيدري، رابع رواد الشعر الجديد.

٧ - ينظر للوقوف على اسطورة تموز كتاب جيمس فريزر: (أدونيس أو تموز) وكتاب س. كريم: (إينانا ودوموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين) وكتاب د. فاضل عبد الواحد علي: (عشتار ومأساة تموز).

٨ - عن مفهوم (يونغ) للنماذج الأصلية ينظر: خمسة مداخل إلى النقد الأدبي، ص ٢٦٨، وكتاب الدكتور شكري عياد: البطل في الأدب والأساطير، ط ٢، مطبعة المعرفة، القاهرة، ١٩٧١، ص ٥١، وكتاب ريتا عوض: أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٨، ص ٢٨ - ٣١.

٩ - الأسطورة والأدب: وليم رايتز، ترجمة: صبار سعدون السعدون، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص ٣٦.

١٠ - البطل في الأدب والأساطير، ص ١٤٠.

إن نص الدكتور شكري عياد يفيدنا في الحديث عن البطل ذي الملامح التموزية بالمعنى الواسع لصورة تموز، فقد رأت الناقدة ريتا عوض أن شخصيات بطولية تحضر في القصيدة العربية الجديدة بملامح تموزية، كالسيح والحسين والخضر<sup>(١١)</sup>.

وسنكتفي هنا بذكر أوجه الشبه بين النموذج البطولي في شخصيتي المسيح والحسين بن علي (ع) وشخصية تموز، لما لذلك من انعكاس مباشر على موضوع البحث، كما سيظهر في البحث الثاني، موجزين أوجه الشبه بنقاط:

١. بطل نبيل يتمتع بسمو الأصل: ((تموز إله، المسيح نبي ولد بمعجزة من دون أب "روح الله" والحسين حفيد لآخر الأنبياء "ص")) .

٢. البطل يتحسس الآم الناس، رافضاً هيمنة قوى الشر التي تستلب ذواتهم، محرصاً إياهم على الثورة .

٣. البطل يختار المواجهة حتى آخر الشوط، مهما كانت العواقب<sup>(١٢)</sup>.

٤. شخصية مقربة من البطل تقوم بحياته: ((عشتار تضحي بتموز ثناً لخروجها من العالم الأسفل، يهوذا يغدر بنييه المسيح، أهل العراق يتصلون عن وعودهم بنصرة الحسين ساعة المعركة)).

٥. عذابات هائلة يواجهها البطل قبيل استشهاده بنبل وشمم: ((ما لقيه تموز على يد الـ(كالا) في العالم السفلي<sup>(١٣)</sup>، تسمير المسيح على الصليب، العطش الشديد والقتل الجماعي المرعب للحسين وأهل بيته "ع")) .

٦. حزن جماعي يعقب موت البطل: كان يجري تشخيص لوقائع استشهاد هؤلاء الأبطال، تصاحبه مناحات، وإيذاء للنفس أحياناً، عند السومريين والمسيحيين والمسلمين الشيعة<sup>(١٤)</sup>

١١ - ينظر: أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، ص ٣٩ وما بعدها، وقد سبق للناقد عبد الجبار عباس أن أشار إلى الجذور الأولى لصورة البطل في ذهن السياب، وأرجعها إلى أبطال المسلمين الشيعة (علي والحسين) ينظر كتابه: (السياب) مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٧٢، ص ١٠٥، كما سبق لأدم متز أن لاحظ أوجه شبه في صفات شخصيتي المسيح وعلي بن أبي طالب "ع" مرده - كما يرى - إلى الشيعة الغلاة، كما وجد أن الحزن الجماعي على مقتل الحسين يوم عاشوراء متأثر بما كان يحصل من طقوس مثيرة للعواطف عند المسيحيين في يوم جمعة الآلام، ينظر: (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري)، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده، ط ٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م، ج ١، ص ٨٢.

١٢ - يقول صدقي اسماعيل: ((إن طابع الالتزام الخلقي تجاه القيم المقدسة، كان العنصر البارز في جميع المواقف الإنسانية التي تهيمن عليها روح المأساة... إن الانهيار يتناول الجميع، وأن الإنسان يستطيع أن يلتزم مصير "الكل" ومن ثم فهو الوسيلة الوحيدة لحماية المصير))، ينظر: كتابه: العرب وتجربة المأساة، ط ١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٣، ص ٧٦.

١٣ - ينظر: عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، نائل حنون، ط ١، مطبعة دار السلام، بغداد/ ١٩٧٨، ص ٥٩ - ٦٠.

١٤ - يبدو أن هذا السلوك كان معروفاً في حضارات العالم القديم، ومن المفيد في هذا الصدد مراجعة كتاب جيمس فريرز: (الفولكلور في العهد القديم)، ترجمة: د. نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤، ج ٢، ص ١٧٥ وما بعدها.

٧. عودة البطل إلى الحياة مرة ثانية : ((بعث تموز مع كل موسم ربيع، قيامة المسيح من قبره، الحسين "ع" شهيد "سيد الشهداء" والشهداء أحياء في المفهوم الإسلامي))<sup>(١٥)</sup> وتأسيساً على ما تقدم، فقد جانب الدكتور إحسان عباس الصواب حين وصف بدر شاكر السياب بأن فيه (نزعة مرضاة) للآخرين، و(تلوناً) فيما يمس صميم الفكر والعقيدة<sup>(١٦)</sup>، لأنه وجد الشاعر عند اتصاله بمجلة (شعر) قد راح يقترب من رمز السيد المسيح، بعد أن كان يتلمس رمز تموز، إنما هنا لا تناقش أصل الاتهام، فتلك قضية أخرى خارج نطاق هذا الموضوع، وإنما نسعى لتقييم الدليل الذي قدمه، لأن له مساساً بجوهر بحثنا.

إن الدكتور إحسان عباس يدرك من دون شك أن شخصية السيد المسيح كما استقرت فيما بعد، قد أخذت كثيراً من ملامحها العامة من أسطورة تموز، إذ مارست التأثيرات التمزوية سطوتها على شعوب الشرق الأدنى، وعلى دياناتها اليهودية والمسيحية والصابئية<sup>(١٧)</sup>، هذا إذا تركنا جانباً وقوفه على التجارب العالمية التي تركت آثاراً واضحة في شعر السياب، نخص بالذكر تأثيرات كل من (أيديث ستويل) و(إليوت) اللذين (تتردد في قصائدهما فكرة التضحية مقترنة بالأساطير، وبالصور المسيحية)<sup>(١٨)</sup>.

ولا يتبقى أدنى شك في تهافت الدليل الذي ساقه الدكتور إحسان عباس، إذا علمنا أن السياب سبق له أن تعرف على (الأرض البيضاء) قصيدة إليوت الشهيرة منذ أواخر أربعينيات القرن الماضي<sup>(١٩)</sup>، وقد أصبح واضحاً للجميع أنها قصيدة ((تدور حول أسطورة الموت قرباني، التي اكتشفها إليوت في الطقوس القديمة))<sup>(٢٠)</sup>، أو بعبارة أدق تعرف عليها بوساطة كتاب أثر في جيله تأثيراً عميقاً كما يعترف إليوت نفسه<sup>(٢١)</sup>، وذلك هو كتاب الغصن الذهبي.

وفضلاً عن كل ما تقدم فإن كتاب الغصن الذهبي الذي قدم جبرا إبراهيم جبرا ترجمة عن الانكليزية للجزء الخاص منه بأسطورة تموز لم يكن بعيداً عن الشعراء في العراق، ومنهم السياب

- ١٥ - ينظر: أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، ص ٦٤ - ٦٥ .  
 ١٦ - ينظر: بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩، ص ٣٠٦.  
 ١٧ - ينظر: عن تلك التأثيرات كتاب س. كريم: (ابنانا ودوموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين) ترجمة: نهاد خياطة، ط ٢، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٣، ص ١٩١ - ١٩٢.  
 ١٨ - السياب، ص ١٠٨، وينظر: دير الملاك، د. محسن اطميش، ط ٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٤٦، ١١٠.  
 ١٩ - ينظر: الأسطورة في شعر السياب، عبد الرضا علي، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية، (د. ت)، ص ٤٩.  
 ٢٠ - الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث: د. سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١، ص ٧٩٧.  
 ٢١ - ينظر: خمسة مداخل إلى النقد الأدبي، ص ٢٦٧.

تحديداً منذ مطلع خمسينيات القرن الماضي<sup>(٢٢)</sup>، كما أن ثمة إشارات تدل على معرفتهم بأسطورة تومز قبل قدوم جبرا ابراهيم جبرا للعراق عام ١٩٤٨، إذ كانت هناك جهود لباحثين تناولوها بالعرض والتحليل منذ فترة مبكرة تسبق بمدة طويلة<sup>(٢٣)</sup>، مجلة (شعر) اللبنانية التي لم تبصر النور إلا عام ١٩٥٧ كما هو معلوم.

إن مقارنة نقدية لانعكاس صور البطولة في الشعر الحديث ستضيء جوانب منه ظلت مهملة، أو لم تنل في أحسن الأحوال نصيباً من الدرس، ففي ظل المتابعة الحرفية لاستعمالات الأسطورة عند غير واحد من الدارسين، ضاعت روح الشعر، وغيب مضمون الأسطورة، فقصيدته كقصيدة (المناضل المجهول) للشاعر بلند الحيدري لن تقع بالتأكيد ضمن دائرة اهتمام متتبعي الأسطورة، ما دام الشاعر لم يشر إلى أسطورة بعينها، مع أن النظرة الفاحصة تكشف لنا عن استفادته من أجواء الأسطورة، وتمثله لها تمثلاً حياً فاعلاً، بتقديمه لنا أنموذجاً بطولياً فذاً عن المناضل المجهول (لاحظ دلالة العنوان)، بطل يمر من أمامنا وهو جريح يعاني آلاماً عظيمة، لكن جراحه هي التي ستفجر الأرض بالسنا (للناس - للنديا، لنا) فقد أينعت بموته (الثمار والكروم) وأنساب النور في القرية<sup>(٢٤)</sup>، ولنتذكر هنا ارتباط تومز بالخصب والربيع، أنها صورة رائعة لبطل جديد، تومزي الملامح، لكنه بسيط ومألوف، يكاد يكون جندياً مجهولاً، ولذلك ظل اسمه لغزاً في القصيدة.

إن حضور بطل بهذا النوع يمكن تأشيرته باللامح نفسها في نصوص شعرية كثيرة، حتى في حقب لاحقة لمرحلة الريادة، وفي نتاج شعراء مختلفين عن بعضهم في العمر والثقافة والموهبة والتوجهات، ففي قصيدة (ثامن أيام الأسبوع) يتجلى البطل نبياً مغترباً<sup>(٢٥)</sup> عند عمران القيسي، والبلاد تنتظر من يموت كي يعود ليجدد الحياة، ثم يستشهد من جديد، فتفتقأ العيون في انتظار ظهوره مرة أخرى<sup>(٢٦)</sup>، أنه الفارس ذاته عند عيسى حسن الياسري في قصيدة (مملكة الفقراء)، فهو يأتينا حاملاً جرحاً وكتاباً، وله صوت كأحزان الوطن<sup>(٢٧)</sup>، ويعود للظهور من جديد عند الشاعر في نص آخر، وهو يتحدث بعد موته عن كونه (الشهيد الوحيد الذي وضعت رأسه فوق سارية الصليب) لكن الأرض عامرة، وعودته للحياة وشيكة<sup>(٢٨)</sup>.

- ٢٢ - يذكر جبرا ابراهيم جبرا أنه عندما حضر إلى العراق عام ١٩٤٨ كان قد أتم ترجمة للكتاب ظلت مخطوطة، وأنه اطلع عليها بعض الشعراء، ومنهم السياب وبلند الحيدري وحسين مردان، ينظر: أدونيس أو تومز، جيمس فريزر، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص ٩- ١١ (مقدمة المترجم).
- ٢٣ - ينظر عن تلك الاشارات كتاب سامي مهدي، (وعي التجديد والريادة الشعرية في العراق) سلسلة الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٣، ص ١٠٧- ١٠٩.
- ٢٤ - ينظر: جتتم مع الفجر، بلند الحيدري، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٦٠، ص ٣٥- ٣٩.
- ٢٥ - سنجد أحد أبطال الصائغ له ملامح نبي مغترب أيضاً، ينظر: ص ١٠، من هذا البحث.
- ٢٦ - ينظر: الصمت لا يتعب الموتى، عمران القيسي، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٦٦، ص ١، وما بعدها.
- ٢٧ - ينظر: العبور إلى مدن الفرح، عيسى حسن الياسري، ط ١، مطبعة الغري، النجف، ١٩٧٣، ص ٢٠، وما بعدها.
- ٢٨ - ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٨.

ويظهر البطل في قصيدة (الواقعة) لخالد علي مصطفى محملاً بالدم والدفء وهو ياتينا قبل بداية الشتاء، وكل اصبع منه يرشح نهراً يسقي الأرض، أنه عريس تنتظره عروسه، وإذا كان قد غادرنا فلا شك أنه سيعود في العام القادم<sup>(٢٩)</sup>، أنه (مسيح المسلمين) كما يسميه كاظم الحجاج في قصيدة (أصوات حول صليب الحلاج) وهاهو يعدنا بأنه لن نموت، بل سيبقى حياً على صليبه<sup>(٣٠)</sup>.  
ومن جديد يأتي البطل المنتظر شلالاً يغني عطش الصحراء، وسيضحى، لتظل الأصوات تناديه مترقبة ظهوره الجديد (آه لو يأتي حبيبي) كما في قصيدة الفارس القليل (لاحظ دلالة العنوان) لكامل العامري<sup>(٣١)</sup>، ولا بأس من تقديم مقتطفات من قصيدة (مرج الدم) للشاعر نبيل ياسين، من دون حاجة للتعليق عليها:

الفارس الآتي ...

يا ريح رديه

للوطن العاني ...

رايته يلبس من جراحه عمامة ...

وكان صدره المدمى مزرعة ...

وكانت الدموع في عيونه قمحاً، وكان هدبه سنابلاً ...

أتى إلى حارتنا ...

يلفها فتستحيل من تدفق الدماء

أرضاً تطال نطفة الخصب ...<sup>(٣٢)</sup>

وغالباً ما يتماهى البطل التموزي مع الإمام الحسين "ع" في نتاج العديد من الشعراء، كما في مجموعة (لم يأت أمس سآقبله الليلة) لمحمد علي الخفاجي، و(الخيمة الثانية) لعبد الرزاق عبد الواحد، و(البصرة - حيفا) لخالد علي مصطفى، فضلاً عن شعراء آخرين.  
ومما هو جدير بالذكر أن حضور صورة البطل التموزي تلك، لم تكن تقتصر على النصوص الشعرية، بل تغلغت في نصوص المسرح الشعري العربي الجديد، ومنها المسرحيات الشعرية العراقية، آخذة صورة الحسين أحياناً، مثلما هو الحال في مسرحية (ثانية يبيء الحسين) (لاحظ دلالة العنوان) لمحمد علي الخفاجي، ومسرحية (الحر الرياحي) لعبد الرزاق عبد الواحد التي تلعب فيها شخصيتا الحسين والمسيح دوراً مهماً<sup>(٣٣)</sup>.

٢٩ - ينظر: البصرة - حيفا، خالد علي مصطفى، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥، ص ١٢٥ وما بعدها.

٣٠ - ينظر: اخيراً تحدث شهریار، كاظم الحجاج، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٣، ص ٦٣ - ٦٤.

٣١ - ينظر: مجلة (الثقافة الجديدة) العراقية، العدد ٢٤، أيار ١٩٧١، ص ١٢٩ - ١٣٠.

٣٢ - ينظر: المصدر نفسه، العدد ٩، كانون الأول ١٩٦٩، ص ١٦٥ - ١٦٦.

٣٣ - ينظر: المسرحية الشعرية في العراق منذ النشأة حتى عام ١٩٩٥ دراسة نقدية، رسالة ماجستير غير منشورة تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٩٩٨، ص ١٤٧ - ١٤٨، و ص ١٩٦ وما بعدها.

## المبحث الثاني: البطل التمزوي في شعر يوسف الصائغ

تتجلى تجربة يوسف الصائغ الخصبة فيما أبدعه شعراً ونثراً، وتنهل ثقافته المعمقة من معين الأديان والأساطير والتراث الشعبي، مما يحتم على دارس نتاجه أن يمتلك تصورات كافية عن تلك المصادر المعرفية المتنوعة، ولعل فيما سجله الشاعر عن حياته خير وسيلة تسهم في كشف كثير من معالم نتاجه.

يقرر الصائغ في سيرته الذاتية وقوعه وهو طفل تحت تأثير الخوف من سطوة الموت من جانب، والإعجاب بسحر البطولة من جانب آخر، لقد بقيت صورة القبر المفتوح ويد حفار القبور محفورة في ذهنه، وهو ما كان قد شاهده في فترة طفولته، كما ترك موت والده أيامها، ورحيل عمته الساكنة معهم في الدار ذاتها قلقاً مرعباً في نفسه، يقول عنه: إن ذلك أعطاني (الخوف مبكراً من أن أفقد الذين أحبهم فصار موتهم الموشك هما ملحاً...) (٣٤).

غير أن الشاعر يعثر في الحقبة ذاتها على مية تقهر مجانية الموت، هكذا هداه خياله وهو يقرب في صندوق تركه العائلة، إذ يجد وصية جده الراحل، التي يقول عنها أنها كانت (تستدر في ذهني معنى الموت الرجولي الذي يواجهه أناس مثل جدي) (٣٥).

إن صور الفداء والموت البطولي كانت لصيقة بالشاعر، فهو مولود لعائلة دينية مسيحية، تتعاش يومياً مع صورة السيد المسيح (الشهيد الحي)، كما استهوته صور بطولات القديسين، تلك التي كانت تزين البيوت والكنائس العديدة في الموصل، فهذا (مارجرجس) يطعن التنين برمح من فوق صهوة جواد أبيض، وذاك قديس يواصل صلاته بخشوع مذهل، غير عابئاً بخناجر اللصوص من خلفه، ومن خلال صندوق الموتى الأحياء ذاته، عرف ما كانت عائلته تبقيه سراً، قصة رحيل عمه الشاب (عبد الأحد)، إذ يقف على قصاصات جرائد تصفه بشهيد الكرامة والمروءة، الذي ألقى بنفسه في نهر دجلة، ليهب الحياة لطفلين شارفاً على الغرق، وينجح في مسعاه فعلاً، لكن بعد أن تكون حياته هي الثمن، يقول الصائغ: ((أما أنا فتعلق في ذهني كلمة "شهير" (٣٦)، وعلى غير إرادة مني أتمثل صورة الراهب المعلقة، ... وقد تجمع حوله قطاع الطرق، يقتلونه بخناجرهم وهو يصلي، صار في ذهني الآن شهيدان، ذلك الراهب العجيب، وعمي الذي كان أصغر أخوته، فأبي المصيرين اختار؟؟) (٣٧).

على إن حدثاً كبيراً سيغير حياة الشاعر، وإلى الأبد، وهو موت زوجته بطريقة مأساوية، مما ترك آثاراً حادة في نفسية الشاعر وفي نتاجه الأدبي اللاحق. هنا يكمن في تصورنا مفتاح فهم قصائد يوسف الصائغ الطويلة، ذات النفس الدرامي، والتي يؤسس فيها جميعاً لأنموذج بطولي ذي

٣٤ - الاعتراف الأخير للملك بن الربيع، يوسف الصائغ، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٨٥، ج ١، ص ٣٦ - ٣٧.

٣٥ - المصدر نفسه، ص ١٣٣.

٣٦ - الأقواس في أصل النص.

٣٧ - الاعتراف الأخير للملك بن الربيع، ص ١٣٨.

ملامح تموزية أصيلة، كما في ((اعترافات مالك بن الربيع ورياح بني مازن وانتظريني عند تخوم البحر وسفر الرؤيا وخواطر بطل عادي جداً)) إن هذه القصائد هي من أروع ما أبدعه الصائغ، التي يلحظ منها إطلالة الموت بوجهه البشع<sup>(٣٨)</sup> ثم رحى موت جماعي لا تكف عن الدوران، ودائماً ما نجد قطبين متصارعين أحدهما له صورة (بيلاطس) سواء أكان فرداً أم مؤسسة، والآخر له وجه البطل المخلص المنتظر الذي لا بد أن يجيء:

سيأتي تقول النبوءة في ساعة،  
سيأتي ضحى، تلتقون به ...  
سيأتي ... سيأتي تقول المخاوف في غفلة،  
فاسمعوه، أكاد أحس على منكبي  
ديب الخطى<sup>(٣٩)</sup>.

ولا نجد ما يشير إلى انحلال زوايا المثلث الذهبي (تموز، المسيح، الحسين) التي تقدمت الإشارة إلى أنها تشكل أهم مرجعيات صورة البطل في الشعر الجديد، وإن ظهر البطل أحياناً عند الصائغ إنساناً غير خارق، كما في قصيدته خواطر بطل عادي جداً، فالبطل فيها فدائي فلسطيني يخوض معركة، وعبارة اشارات إلى أمكنة بعينها (مخيم الوحدات، الحسين)<sup>(٤٠)</sup>، نعرف أن معركة الفدائي هي مع أبناء جلدته هذه المرة، وليس مع عدو خارجي، وفي (اعترافات مالك بن الربيع)، كما في (رياح بني مازن)، و(انتظريني عند تخوم البحر) تقوم ذات الشاعر بتجسيد الأتمودج البطولي، الشاعر بمعناه العام، بما هو صوت انساني صاحب رؤية وضمير حي وعقل متفاعل مع روح الزمن، وهكذا اختفت ذات الشاعر بهذا المفهوم خلف قناع تاريخي في اعترافات مالك بن الربيع في حين ظهرت في انتظريني عند تخوم البحر، إذ كان بطلها شاعراً أيضاً يحاول التماهي مع مالك بن الربيع وبدر شاكر السياب، ربما لأن هذين الشاعرين جسداً خيراً تجسيد التوترات النفسية التي تدفع بنا للتشبث بالحياة كما هو معروف، فلماذا لا يكون الشاعر بطلاً إذا؟ (إن دماء الشاعر لا تبرد)<sup>(٤١)</sup>.

في سفر الرؤيا نكتشف أن البطل مقتول منذ البداية، وقد عاد ليحدث حبيته التي ترمز للوطن عما شاهده في مماته. لقد خاف ساعتها!! ولكن هل يخاف الأبطال؟ لماذا لا يخافون؟ أليس الموت مفزعة حقاً، وقد عرفنا ما الذي يشكله بالنسبة للصائغ؟ كيف يكون البطل تموزياً إذا؟ إن الأمر مختلف مع يوسف الصائغ، فيما يتصل بالرؤية لا بالملامح، فالملامح هي هي، غاية ما في الأمر أنه

٣٨ - صورة الموت هذه حاضرة عند الشاعر منذ أولى نصوصه الشعرية المنشورة، تنظر قصيدته (ثم ماذا؟) ضمن مجموعة قصائد ومقالات نقدية لعدد من الشعراء، منهم يوسف الصائغ، ينظر: (قصائد غير صالحة للنشر)، دار طباعة الهدف، الموصل، ١٩٥٦، ص ١٠٧ - ١٠٩.  
٣٩ - ينظر: قصائد: يوسف الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢، ص ٧٦، ٨٤.  
٤٠ - ينظر: قصائد، ص ١٤١، ١٤٦، ١٤٧.  
٤١ - ينظر: المصدر نفسه، ص ١١١.

يحاول أن يقدم بطلاً واقعياً، بطلاً يحب ويكره، يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق، وقد لا يحمل مؤهلات خاصة، لكن بإيمانه الصادق وبإحساسه بالمسؤولية تتعمق رؤيته، وتصقله التجارب، إذ (إن الميدان الواسع للعمل لا ينفسح أمام "المحركين" والرجال "العظام" <sup>(٤٢)</sup> وحدهم، وإنما ينفسح أمام جميع الذين يملكون عيوناً للنظر، وآذاناً للسمع وقلوباً لمحبة القريب) <sup>(٤٣)</sup>، من هنا جاءت دلالة العنوان المميز (خواطر بطل عادي جداً).

إن كل أبطال الصائغ مثقلون بجراح تظل نازفة، ويعانون من وطأة اغتراب، وغربة أحياناً، فمالك بن الرب (غريب غربة يوسف) <sup>(٤٤)</sup>، والبطل في رياح بني مازن (غريب وحيد) وهو يختار المنفى بعد أن يتقاطع مع الحاكم في انتظريني عند تخوم البحر <sup>(٤٥)</sup>، ونجده يشبه نبياً مغترباً في سفر الرؤيا <sup>(٤٦)</sup>، ولا يشير ذلك كله إلى فعل انهزامي عند البطل بالضرورة حتى بالنسبة للمستوى النفسي، يبدو أن قوانين عصرنا هي التي لا تقبل بمعايير البطولة، بل أنها تحكم على البطولة بالتلاشي، فلا عجب في أن يتنكر الناس أحياناً لبطلهم: هذا العصر يلاحق حتى القتلى

ويشكك بالشهداء

ماذا يملك أن يفعل الشعراء ؟

لقد سقط الشعر

فعد للبحر، شرور مدينتنا تكفي <sup>(٤٧)</sup>...

إن هذا التنكر للبطل يمكن للمتابع أن يجده في دواوين طائفة كبيرة من الشعراء، حتى أن سعيهم لكشف العالم الداخلي للبطل، وانفعالاته، وطبيعة علاقته بالناس يكاد يكون متطابقاً، من دون اختلافات، أو تمايز ملحوظ، وإذا ذهبنا أبعد من ذلك فسنجد أوجه شبه عديدة تتصل ببناء قصائدهم، وتفصيلها الجزئية، بما لا يسع المقام تفصيله، إذ يتطلب الأمر في اعتقادنا وقفة طويلة خاصة، ولكن ما يمكن تأكيده هنا أن تلك القصائد المكتوبة بعد عام ١٩٦٧ قد جاءت متأثرة إلى حد بعيد بإفرازات ما سمي بنكسة حزيران، وما تلاها من أحداث دراماتيكية <sup>(٤٨)</sup>.

هل إن عصرنا لا يحتل البطولة حقاً؟ أم أن وهجها وسموها يفضحان الجميع؛ فينفضح كل

٤٢ - الأوقاس في أصل النص .

٤٣ - دور الفرد في التاريخ: بليخانوف، ترجمة: إحسان سركييس، دار ابن الوليد، حمص، د.ت، ص ١٠٤.

٤٤ - ينظر: قصائد: ص ٥٣ .

٤٥ - ينظر: المصدر نفسه، ص ٩١ .

٤٦ - ينظر: المصدر نفسه، ص ١١٧ .

٤٧ - ينظر: المصدر نفسه، ص ١١٥ .

٤٨ - من تلك القصائد على سبيل المثال (مقاضاة رجل أضع ذاكرته) و(مصادرة منشور سري) و(الصوت) في مجموعة (الخيمة الثانية) لعبد الرزاق عبد الواحد، وقصيدة (المراثي) و(الواقعة) في مجموعة (البصرة - حيفا) لخالد علي مصطفى، إذ يجري في هذه القصائد الحديث على لسان بطل مغترب يمثل جندي عربي عائد من ساحة الحرب مع إسرائيل، يتنكر له قومه، رغم أنه قاتل ببسالة وجراحة تشهد، ويكابد البطل عذابات نفسية هائلة كي يثبت بطولته لكنه يخفق في مسعاه، صورة الرأس المقطوع المعلق فوق رمح تكاد تكون مشتركة فيها، وكذا الصلبان والحث، هذا كله فضلاً عن إنها تستفيد من فن المسرح، بتوظيف أكثر من شخصية، واعتماد الحوار الداخلي، فكان أن جاءت تلك القصائد كلها متمسة بالطول.

من يبلاطس ويهوذا وهما يسمران السيد المسيح ، وينفضح يزيد واتباعه وهم يعلقون رأس الحسين "ع" على رمح ، إلى الكثير من الأنظمة السياسية العربية ، التي أضافت قائمة جديدة طويلة ، إلى قوائم تصفية رموز الإنسان العربي ، وغامرت بمصيره في معارك خاسرة :  
أبرق للأردن ... أبرق للمغرب ... أبرق للسودان  
أبرق ثانية لمطارات حزيران<sup>(٤٩)</sup> ..

الأكثر من ذلك ، أن السمو في شخص البطل يفضح عرينا نحن ، مثلما يفضح عري الأنظمة ، لا استثناء عنده ل(بني مازن) الجدد ، أولئك الذين قد لا يكتفون بالأحجام عن نصره أخيهم عندما تستباح إبله ، بل يكونون هم السبب المباشر في هلاكه ، ألم يصرخ أحد أبطال الصائغ : (خانني أهل بيتي)<sup>(٥٠)</sup> تماماً مثلما صرخ البطل الفدائي في قصيدة أخرى : (الليلة يسلمني أحد منكم للموت)<sup>(٥١)</sup> ، والموعود سيكون قبل صياح الديك<sup>(٥٢)</sup> بالتأكيد (يهوذا مرة أخرى) :

ودافعت فيكم قيودي وسجني  
وحاصرني في العريش الجنود  
فثبّت في الأرض جذري ... تشبثتُ  
ما زحزحوني ...  
وكدت ...  
وصبرني أفق مشرق  
ولاح كأن (بني مازن) يقبلون<sup>(٥٣)</sup> ...

ولن يطير لنجدته أحد من (بني مازن) ، قدر البطل أن يبقى وحيداً في صراعه مع عالم الشر المتحكم بالمصائر ، قدره أن يستشهد بنبل لبيني بما تبقى من جسده عواصم للنازحين<sup>(٥٤)</sup> ، فهو وطن المتعبين الذين يحسون وطأة هذا الزمان<sup>(٥٥)</sup> ، ليست تلك بالمشكلة الكبيرة ، رغم أن موت البطل يعني بالتالي موت الحياة ، موت العالم<sup>(٥٦)</sup> ، ألسنا نوقن ببعثه من جديد؟ سينبت لنا جسده الأسل الغض ، سيورق كما تورق الداليات حتى لو منع عنه الماء ، بدمه الكرم سوف يرتوي ، وبشبابه يلحق نخل البصرة ليساقط دوننا رطباً<sup>(٥٧)</sup> ، هل كل هذه الاشارات إلى النبات هوامش لتزيين القصيدة عند الصائغ؟ إنها في الحقيقة دلالات جاءت عبر رموز توحى بالخصب ، بالأمل بالنماء ، وتجاوز

- ٤٩ - قصائد ، ص ١٢٧ .  
٥٠ - ينظر : المصدر نفسه ، ص ٨٥ .  
٥١ - ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .  
٥٢ - ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .  
٥٣ - المصدر نفسه ، ص ٧٨ .  
٥٤ - ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .  
٥٥ - ينظر : المصدر نفسه ، ص ٩٨ ، ١٠ .  
٥٦ - ينظر : المصدر نفسه ، ص ٥٣ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٢٥ .  
٥٧ - ينظر : المصدر نفسه ، ص ٥٧ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١٣٣ .

تصحرات الروح، وموت الواقع بعد هزيمة حزيران، وهي في مجملها رموز مرتبطة بإله الخصب، وروح النبات، البطل القتيل تموز وتغدو الصورة واضحة للعيان على لسان تلك الفتاة البصرية الجميلة، رمز الوطن، مثلما كانت حبيبة البطل الفدائي في (خاطر بطل عادي جداً)، إنها عشتار من دون شك، وليست (شلوميت) كما رأى الدكتور محسن اطيماش<sup>(٥٨)</sup>، وهاهي تهبط - كما عشتار في الأساطير - إلى العالم الأسفل باحثة عن حبيبها الشاعر الذي وعدّها بالعودة وطالبها بانتظاره كما يشير إلى ذلك عنوان القصيدة (انتظريني عند تخوم البحر):

هذا اسمي يا حارس بيت الموتى  
فافتح لي  
صوت حبيبي وجع  
فاتركني، أقسمت عليك  
أمس سعاله  
علّ دماً ينفته،  
يلقح في جسدي عقم امرأة  
عاشرها الشعراء  
فما ولدت<sup>(٥٩)</sup>

ما الذي يدفع بعشتار أو الحبيبة للرقص عارية أمام الناس فيما لو عاد حبيبها الغائب ما دام الجميع متأكداً من رجوع البطل ثانية، لماذا تحتاج عودته إلى تقديم اغراء (نسكنه أعز منازلنا)<sup>(٦٠)</sup>؟ هل كف البطل عن المجيء ياساً منا فرحنا نغريه: (زينا من أجلك أبواب البيت، تعال ولا تأت)<sup>(٦١)</sup> إن تأخر البطل عن المجيء سببه لعنة تحبسه ولا شك، وعلينا أن نقنع أنفسنا بهذا التفسير. أو نخدعها به - فقد يمنحنا ذلك راحة للضمير، راحة مهما كانت طبيعتها، فلم تعد الفوارق تعني الكثير وسط عالم متأرجح من أساسه:

يا عراف البصرة .  
أقسمت عليك ثلاثاً :  
بالمنفى ...  
بجنين الموتى  
وبأمواج بويب

٥٨ - ينظر : دبر الملاك، ص ٧٨ .

٥٩ - قصائد، ص ٧٨ .

٦٠ - ينظر : المصدر نفسه، ص ١١٤ .

٦١ - ينظر : المصدر نفسه، ص ٦٥ .

نبئنا بالغيب  
فك اللعنة عنا ...  
لقد هزل الصلب العربي  
فما يولد في هذا البيت نبي  
كذبوا  
إنا علقنا فوق نخيل الكوفة  
الف نبي  
وغسلنا أيدينا  
وقعدنا للموسم  
نبيكي (٦٢)

ومن دون شك فإن الحسين عليه السلام أشهر الأبطال الذين ما زلنا نبيهم بعد أن علقناهم فوق نخيل الكوفة، وهو الفارس الذي يحمل رأسه بين كفيه ماشياً فوق مياه نهر الأردن، لأنه النهر الذي تم تعميد السيد المسيح (ع) في مياهه (٦٣)، ولتتابع في نص ثالث للشاعر كيف تتعاقد زوايا المثلث البطولي (تموز، المسيح، الحسين) في صورة البطل المعاصر، إن التسميات لا ترد هنا، لكن القرائن كثيرة:

وجئت إليكم - يا أهل الكوفة - بالأحزان

رأس حبيبي الظامئ فوق الرمح ... وصمت ابن الإنسان (٦٤)

موت وولادة، جذب ونماء، وأحلام تولد فيجهدوها الواقع العربي المأزوم، ورغبة عند يوسف الصائغ في إيصال صوته لحل تلك الثنائية القاتلة، فكان أن تأطر بطله بملامح تموزية، فتمظهر بصورة تموز والمسيح والحسين مرات عديدة، وسواء قصد الشاعر ذلك عمداً، أم تسربت تلك الملامح إلى أبطاله من خزين اللاوعي، فهو في كل ما قدمه لم يتحدث عن أسطورة، بل رسم حدود أنموذج بطولي لا يحمل صفات خارقة، معجزته كونه دون معجزة، بطل واقعي بسيط ملتزم، صادق مع نفسه، ومهما يكن من أمر، فرمما أراد الصائغ بذلك استنهاض الناس ليقنطروا

٦٢ - المصدر نفسه، ص ١١٦ .

٦٣ - بعد عام واحد على هزيمة حزيران، أي في سنة ١٩٦٨، ظهرت مجموعة الشاعر أدونيس (المسرح والمرايا) وفيها استثمار لشخصية الحسين "ع"، وصورة رأسه المقطوع، لا سيما في قصيدة (الرأس والنهر) كما يتوحد فيها الحسين بالسيد المسيح، ثم يتحقق انبعاثه بعد موته، بما يوحي بالخصب وتجدد الحياة، والقصيدة طويلة تقترب كثيراً من الشكل المسرحي، وأغلب تفصيلات القصيدة، فضلاً عن تقنياتها حاضرة عند يوسف الصائغ، في قصائده المتناولة هنا، كما هي حاضرة عند عبد الرزاق عبد الواحد وخالد علي مصطفى في قصائدهما المشار إليها في هامش رقم (٦) الصفحة (١٠) من هذا البحث ينظر عرضاً لقصيدة (الرأس والنهر) في (أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث) ص ١٤٠ وما بعدها، ونعتقد أن التأثر بهذه القصيدة أصبح سمة بارزة في نتاج شعراء عديدين، مما يستوجب الوقوف عند هذا الموضوع ودراسته بالتفصيل.

٦٤ - قصائد، ص ١٢٣ .

خوفهم، فراح يزرع فيهم بذور الرفض تجاه شيخوخة الأنظمة، أو لنقل يبعث فيهم الإحساس بالمسؤولية في الأقل، ولنتذكر مرة ثانية، أن تلك النصوص كتبت بعد هزيمة عام ١٩٦٧.

### الخاتمة

تيسيراً للفائدة يمكن إجمال أهم النتائج التي توصل إليها البحث على النحو الآتي :

١. كشف الأهمية المتزايدة لموضوعه البطل في الشعر العراقي الحديث، وتقديم تصنيف أولي لصور البطولة.
٢. امتازت صورة البطل بثبات الشكل وتغير المضمون في نتاج شعراء متباينين في العمر والموهبة والجيل، وسبب ذلك يتمثل في الأنموذج البطولي المستقر في اللاوعي الجمعي.
٣. تبيان المرجعيات التي أسهمت بتشكيل صورة البطل التموزي، وهي في مجملها روافد ثقافية متنوعة، منها ما هو محلي، ومنها ما هو عالمي، اطلع عليه الشعراء منذ أربعينيات القرن الماضي.
٤. تتلخص أهم ملامح صورة البطل التموزي في الفداء، والاستشهاد في سبيل المجموع، ومن ثم العودة إلى الحياة من جديد، بالتماهي مع شخصيتين رئيسيتين هما السيد المسيح والإمام الحسين "ع".
٥. لعبت الظروف السياسية والاجتماعية المتأخرة للبلدان العربية، فضلاً عن الانتماء السياسي لبعض الشعراء دوراً بارزاً في دفعهم للتطلع إلى أنموذج البطل التموزي المخلص.
٦. يشكل حضور البطل التموزي معلماً أساسياً في تجربة الشاعر يوسف الصائغ، لأسباب سايكولوجية ذاتية، وأخرى ثقافية.
٧. تقوم ذات الشاعر أحياناً بلعب دور البطولة، عند يوسف الصائغ، وعند غيره من الشعراء، الشاعر بمعناه العام، بما هو صوت إنساني متطلع، ومتفاعل مع روح الزمن، ولا يمتلك البطل هنا صفات خارقة.
٨. ظهور سمات جديدة للبطل التموزي أهمها الاغتراب، وتنكر الناس له، وهو ما يمكن تأشيريه في نتاج الصائغ، ونتاج شعراء عديدين، ويبدو أن أسباب ذلك راجعة إلى تأثيرات ما سمي بنكسة حزيران عام ١٩٦٧.

### المصادر والمراجع

#### أولاً : الكتب :

- د. إحسان عباس: بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨.
- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده، ط ٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

- بليخانوف: دور الفرد في التاريخ، ترجمة: إحسان سركييس، دار ابن الوليد، حمص، (د.ت).
- جيمس فريزر: ادونيس أو تموز، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩.
- ريتا عوض: أسطورة الموت والانبعث في الشعر العربي الحديث، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٨.
- سامي مهدي: وعي التجديد والريادة الشعرية في العراق، سلسلة الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٣.
- س. كريم: إينانا ودوموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة: نهاد خياطة، ط ٢، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٣.
- د. سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ٢٠٠١.
- د. شكري محمد عياد: البطل في الأدب والأساطير، ط ٢، مطبعة المعرفة، القاهرة، ١٩٧١.
- صدقي اسماعيل: العرب وتجربة المأساة، ط ١، دار الطليعة، بيروت - لبنان، ١٩٦٣.
- عبد الجبار عباس: السياب، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٧٢.
- عبد الرضا علي: الأسطورة في شعر السياب، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية (د.ت).
- عبد الوهاب البياتي: تجرّبي الشعرية، دار العودة، بيروت - لبنان، ١٩٧٢.
- د. علي عباس علوان: تطور الشعر العربي الحديث في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، (د.ت).
- د. فاضل عبد الواحد علي: عشتار ومأساة تموز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.
- د. محسن اطميش: دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، ط ٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.
- وليم رايت: الأسطورة والأدب، ترجمة: صبار سعدون السعدون، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ويلبرس سكوت: خمسة مداخل إلى النقد الأدبي، ترجمة: د. عناد غزوان اسماعيل وجعفر صادق الخليلي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- يوسف الصائغ: الاعتراف الأخير لمالك بن الربيع، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٨٥.
- : قصائد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢.

#### ثانياً: الدوريات :

- مجلة (الثقافة الجديدة)، العدد ٩، كانون الأول، ١٩٦٩.

## شعر الشكوى عند أبي العتاهية وناصر خسرو القبادياني

### (دراسة موضوعية مقارنة)

Complaint in the Poems of Abu Al-Atahiya  
and NasirKhosrow Ghobadiani

د. عباس يداللهي<sup>(١)</sup>

زينب رضاپور<sup>(٢)</sup>

Abbas Yadollahi<sup>(3)</sup>

Zeinab Rezapour<sup>(4)</sup>

### ملخص

يتناول البحث دراسة شعر الشكوى، بواعثها، وأصداءها في شعر أبي العتاهية وناصر خسرو القبادياني في إطار الأدب المقارن. ظهر شعر الشكوى عند هذين الشاعرين نتيجة البواعث المختلفة، فمنها ما تعود إلى البواعث الخارجية كالدين والسياسة والاجتماع، ومنها ما تعود إلى البواعث الشخصية كالمشيب وفراق الأحباء والأقرباء والشعور بالوحدة والغربة. تسبب معظم الشكاوى في شعر أبي العتاهية عن ذم الدهر والخوف من الموت بينما تنتج معظم الشكاوى عند ناصر خسرو عن التدهور في الظروف الاجتماعية والدينية نتيجة ما راجع في المجتمع من التدهور الخلقي ومظاهر الحرمان والاعتداء على الحقوق.

الكلمات المفتاحية: الشكوى، أبو العتاهية، ناصر خسرو، الأدب المقارن.

١ - جامعة شهرکرد / قسم المعارف.

٢ - جامعة أصفهان / قسم اللغة الفارسية وآدابها

3 - University of Shahrekord

4 - Ph.D student of Persian Language and Literature- University of Isfahan

## (A Comparative Case Study)

### Abstract

The current research aims to investigate complaint, its factors and reflections in the poems of Abu Al-Atahiya and NasirKhosrow Ghobadiani in the framework of comparative literature. Complaint in the poems of these two poets has been formed in the result of different factors, some of which are external ones such as religion, politics and society and the others are personal and internal ones such as senility, separation from dears, loneliness and nostalgia. Most complaints result from reproaching time and fear from death in the poems of Abu Al-Atahiya whereas in NasirKhosrow's poems, most complaints root in unorganized social and religious conditions which in turn result from moral disorders, depravity and offence to rights.

**Key Words:** Complaint, Abu Al-Atahiya, NasirKhosrow, Comparative Literature.

### تمهيد

يعتبر الأدب المقارن (Comparative Literature) منهجاً يحاول الكشف عن علاقات التقارب والتشابه بين الأدبين طلباً لتقريب الآداب العالمية من مجالات المشاعر المشتركة ليخلد الأدب كتراث حي بين الشعوب. الأمر الذي لا ريب فيه أن الدراسات المقارنة تنجر إلى تنمية الآفاق الأدبية والأحاسيس المشتركة، تمكيناً للعلاقات الأدبية وتوطيدها بين الأمم المختلفة للحصول على أوجه التشابه والاختلاف بينها. انطلاقاً من هذا الموقف، يعدّ الأدب المقارن «علماً يزود القارئ بوسيلة تمكنه من النظر إلى الأعمال الأدبية المنفصلة في الزمان والمكان دون اعتبار لحدود الإقليمية... محيطاً وملماً بالظواهر الأدبية بغض النظر عن فضاءاتها ومناهجها المختلفة»<sup>(٥)</sup>.

إذا أمعنا النظر في مطاوي الشعر العربي نجد أنّ ظاهرة الشكوى ضربت جذورها في القدم وافتترشت مساحة واسعة من الشعر وحظي منها بنصيب وافر، فيعد الشعراء الصعاليك من أبرز الشعراء الجاهليين الذين امتلأ شعرهم بصرخات الجوع وسوء الحال والفاقة، ولذلك نجد الشاعر الجاهلي يقول:

٥ - علوش، سعيد: الأدب المقارن في العالم العربي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٧م، ص ١٣.

## وَمَا كَثْرَةُ الشُّكْوَى بِأَمْرِ حَزَامَةٍ وَلَا بَدَأَ مِنْ شُكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرًا<sup>(٦)</sup>

تعتبر الشكوى صرخة عارمة تجاه المشاعر والأحاسيس المكبوتة والخائبة وتُفصح عن فقدان الصبر وانعدام القوّات الداخلية أمام النوائب والكوارث واستجابة للنفس المثقلة بالأحزان والمآسي، وهي تعدّ حالة شعورية تنبني على وجع وألم داخليّ يلمّ بالإنسان نتيجة أمر يستلزم الإبانة عن الصراخ والتعب والبكاء.

في الحقيقة يصوّر المتوجع نفسه مصاباً بعذاب أو جراح أو تعسّف لا يرى لديه من الإمكانيات سوى الكلام الحزين أو الصارخ، فيسلك مسلكها للتعبير عن مكوناته النفسية ودواخله. فالحزن والشكوى من حالات الإنسان النفسية التي تنشأ إثر الأسباب الداخلية والخارجية لتتم عن ضعفه أو انكساره، فمن ثمّ تلمّ بساحته القلاقل.

### الدراسات السابقة

اهتمّ الباحثون بشعر أبي العتاهية وناصر خسرو من جوانب مختلفة، غير أنهم لم يدرسوا شعر الشكوى عندهما خاصة في إطار الأدب المقارن، فلم تجر دراسة مستقلة قائمة بذاتها حتى الآن في شعر هذين الشاعرين من منظور الشكوى. تطرّق أحد الباحثين إلى دراسة شعر أبي العتاهية من منظور تأثير القرآن وموضوعاته في شعره ونشر بحثاً تحت عنوان «المضامين القرآنية في شعر أبي العتاهية» في مجلّة الدراسات الدينية في إيران. نشر بحث آخر حول شعر ناصر خسرو تحت عنوان «التأويل القرآني من منظور ناصر خسرو» وكذلك بحث آخر في مجلّة الأدب الغنائي (سنة ١٣٨٩هـ).

لم يتطرق الدارسون في بحوثهم هذه إلى موضوع الشكوى، بواعثها وأمطها في شعر هذين الشاعرين. فمن ثمّ يحاول البحث تسليط الضوء على شعر الشكوى وأمطها وحوافزها عند أبي العتاهية وناصر خسرو معتمداً على المصادر الأدبية خاصة ديوانيهما الشعريين والمصادر التاريخية وكتب السير والتراجم حتى يحصل على أصداء الشكوى عندهما عثوراً على أفضل نتيجة في شعر الشكوى لديهما، فهما لمصادر الشكوى وما ساقهما مساق التعبير عن الشكوى في الشعر.

### سبب اختيار أبي العتاهية وناصر خسرو للبحث

بما أن أبا العتاهية وناصر خسرو يعتبران في الأدب العربيّ والفارسيّ من الذين اهتموا بقضايا المجتمع في عصرهم، فحاولنا في هذا البحث أن نتطرق إلى دراسة الشكوى عندهما، مع أننا نعلم أن موضوع الشكوى تمتّ بصلة وثيقة إلى موقف الشعراء تجاه ما ساد المجتمع من الأعراف والرسوم وهذا مما يجعلهم يعبرون عن مواقفهم تجاه القضايا المختلفة فيه. لقد أطال أبو العتاهية وناصر خسرو الكلام عن الحياة النموذجية المثالية التي طالما توقّعا أن تحدث في المجتمع خاصة عند ناصر خسرو

٦ - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين (مج ٣)، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، بيروت، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٩٧٩م، ص ٦٣.

الذي ملأ أدبه عامة وشعره خاصة بالمضامين الدينية والحكمية وأدرج فيها انتقاداته ابتغاء الإصلاح في مختلف المجالات كالدين والسياسة حيث عدّه أحد الأدباء «أشجع ممثل لفكرة الاحتجاج في الأدب الفارسي»<sup>(٧)</sup>.

### أهداف البحث

تشكل هذه الدراسة محاولة للوقوف على ظاهرة الشكوى وأماطها من خلال أشعار أبي العتاهية وناصرخسرو وكيفية تطرّقهما إلى هذا الموضوع لفهم هل كان هذا الموضوع مجرد فكرة عابرة خطرت بذهنهما، أم كان تدعمها الأسس الفكرية أو الاجتماعية أو الشخصية أو غيرها، وكذلك الكشف عن مدى تأثير البواعث الخارجية كالدين والسياسة والشعور بالوحدة والأسباب الداخلية في تكوين شعر الشكوى عندهما. يعتمد البحث على المدرسة الأمريكية من مدارس الأدب المقارن للعثور على أوجه الاختلاف والاشترك في موضوع الشكوى عند أبي العتاهية وناصرخسرو القبادياني.

### ١- مفهوم الشكوى

الشكوى مفردة تعبر عن الحزن والتوجع، فذكر صاحب «لسان العرب» أنّ الاشتكاء إظهار ما بك من مكروه أو مرض ونحوه وقال: الشكاية والشكية إظهار ما يصفك به غيرك من مكروه واشتكتيت فلاناً إذا فعلت به فعلاً أحوجه إلى أن يشكوك<sup>(٨)</sup>.

والمراد منها من منظور المصطلح «التوجع من شئ تنوء به النفس، كالمرض، والشيوخوخة، والموت، والدهر وغير ذلك من المظاهر والحالات التي قد تعرض للشخص فتكدر عليه صفو الحياة ويشعر إزاءها بالهموم وشدة اليأس»<sup>(٩)</sup>.

الأمر الذي لا ريب فيه أنّ الإنسان في حياته اليومية لا يكون على حالة واحدة من الثبات والاستقرار، بل تتناهب الأمراض والمتاعب طوال الحياة، فيختار الشكوى بمثابة قالب يفرغ فيه مكنوناته وهواجسه الداخلية. فمن ثمّ تنبعث الشكوى من الشعور بالتعسف أو الحرمان نتيجة ما شاع في المجتمع الإنساني من الفوضى والاعتداء على الحقوق وعدم الاهتمام بالمبادئ الإنسانية، فكلمًا راج الحرمان والظلم ضدّ الإنسان زاده حسرة وشكوى «نتيجة لما أحدثته الأيام، فما عاد للسعادة طعم عند الناس حتى وإن عرفوا الاستقرار في يوم من الأيام»<sup>(١٠)</sup>. انطلاقاً من هذا

٧ - اسلامی ندوشن، محمد علي: بيوند فكر و شعر در نزد ناصر خسرو، مشهد، دانشگاه فردوسی، ۱۳۵۵ هـ، ص ۵۰.

٨ - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن محمد: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ۱۴۱۰ هـ، مادة شكاء.

٩ - الشهري، ظافر عبدالله: الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط ١، السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢ م، ص ١١.

١٠ - ثقفان، عبدالله بن علي: الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين، ط ١، الرياض، مكتبة لتوبة، ١٤١٧ هـ، ص ٦٠.

الموقف، تعتبر الشكوى من أصدق الموضوعات الشعرية التي ترسم حالة الإنسان أصدق ترسيم وتكشف عن واقع المرء ومعاشه وهي أفضل وسيلة للإبانة عن أشجانه وآلامه التي يواجهها طيلة الحياة.

تنشأ الشكوى من مصادر مختلفة، فمنها ما تعود إلى عدم تحقيق الطموحات والإحساس بالإحباط والفشل فيها، ومنها ما تنبعث من الظروف السائدة على المجتمع من الأخلاقية والسياسية والدينية، ومنها ما تنشأ عن خصائص الشخص النفسية وما جبل عليها. فمن هذا المنطلق، تعتبر الشكوى ذلك الطريق الوحيد للإبانة عن الوجد الداخلي الذي يعانيه الإنسان إزالة للهموم والآلام.

تتميز الشكوى عن بقية الموضوعات الشعرية بفقدان التصنع وتفيض بالمكابدة والوجد والصدقة في الإفصاح عن المكونات المليئة بالألم والهم.

## ٢- الشكوى قبل أبي العتاهية

لم تكن الشكوى في الشعر العباسي خاصة عند أبي العتاهية ظاهرة حديثة ظهرت إثر الأسباب السياسية أو الاجتماعية أو غيرها، بل كانت ظاهرة قديمة قدم الأدب نفسه واختلطت بسائر الموضوعات الشعرية ضمن القصيدة، فإذا أمعنا النظر في الشعر الجاهلي نرى الملك الضليل، إمرئ القيس، يعبر عن نفس المعنى قائلاً:

عوجا على الطلل المحيل نبيكي الديار كما بكى ابن حذام<sup>(١١)</sup>

عندما وجد الشاعر الجاهلي نفسه أمام مصائب الحياة وما ألم به من العجز والحرمان لم يرتجأه طريقاً سوى التعبير عن المشاعر الدفينة وبث الشكوى «فإنه قد تظلم حينما شعر بالظلم وشكا حينما أحس بالحيف»<sup>(١٢)</sup>.

عندما بزغت شمس الإسلام ونورت المجتمعات الإنسانية بالمكارم الأخلاقية والمثل الدينية السامية اكتظت الحياة في جميع مجالاتها بمعالم الإصلاح والأسس الفكرية النبيلة، فالإسلام لم يهتم بالمبادئ العقيدية للمسلمين فحسب، بل «رسم لهم أيضاً طريق الفضيلة وما ينبغي أن يتحلوا به في سلوكهم وأخلاقهم حتى ينالوا رضا الله ومحبه»<sup>(١٣)</sup>.

إن المعنى في شعر الشكوى في هذا العصر (العصر الإسلامي) يجد أن الإسلام وتعاليمه السمحة أضفى عليها نوعاً جديداً من الشكوى التي تختلف عما نجده عند الجاهليين. اتجه عدد من الشعراء في

١١ - بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم نجار، مج ١، ط ٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، ص ٦٠.  
١٢ - التميمي، قحطان رشيد: "الشكوى في الشعر الجاهلي"، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، المجلد الثاني، العدد ١٣، ١٩٧٠م، ص ١٤٠.  
١٣ - ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، ط ٧، مصر، دار المعارف، د.ت، ص ١٤.

العصر الإسلاميّ في التعبير عن شكواهم إلى الله تعالى، فتكوّن هذا الأمر من خلال التعاليم الدينية السمحة، ومن ثم وجه جميل بثينة شكواه إلى الله تعالى إثر صيدود حبيته قائلاً:

إلى الله أشكو، لا إلى الناس  
فأَمسي إليكم خاشعاً يتضرع<sup>(١٤)</sup>  
ولا بد من شكوى حبيبٍ يروغ

تأثر الشعراء والأدباء في هذا العصر بالمعطيات والموضوعات الدينية والإسلامية، فنشأت الشكوى لديهم في محاور جديدة لم يسبق عهد بها عندهم، كالحنين إلى الديار والمواطن، نزوح المناضلين عن الوطن مجاهدةً في سبيل الله تعالى، والشكوى من الحكام وتعسفهم، والشكوى من الفاقة والفقر المدقع، فنلاحظ من خلال هذا الأمر أنّ الشعر جاء استجابةً للمؤثرات الجديدة التي تنطبق مع ما كان عليه المجتمعات من الظروف الحديثة، فتنوّعت موضوعاته وتشعبت واستقلّت قصائد الشكوى.

## ٢-١- الشكوى قبل ناصر خسرو

ظهر شعر الشكوى في الأدب الفارسيّ في القرن الثالث الهجريّ وتنقسم حسب الموضوع إلى خمسة أقسام: الشكوى الفلسفية، العرفانية، الاجتماعية، السياسية والشخصية. إذا أمعنا النظر في ثنايا الشعر الفارسيّ نجد أنّ الشكوى عند القدامى أي قبل ناصر خسرو، جاءت بصورة غير مستقلة ومبعثرة في تضاعيف القصائد، لكنها صارت بمثابة فنّ مستقلّ قائم بذاتها بعد عصر النهضة الدستورية<sup>(١٥)</sup>.

ظهرت الشكوى في العصر السلجوقيّ بصورة واضحة في الشعر الفارسيّ نتيجة ما ألمّ بالمجتمع من التدهورات الاجتماعية والسياسية وما ترك من بصمات واضحة ومؤثرة في نفسية الشعراء حيث نستطيع أن نعدّ الشكوى في القرن السادس فرعاً من فروع الأدب الغنائيّ وأُستبدلت الشكوى في هذا العصر بالتشبيب والتغزل الذي راج في العصر السامانيّ، ويعود السبب إلى التدهور وشيوع الفوضى في الظروف السياسية والاجتماعية<sup>(١٦)</sup>، فجعلت هذه الظروف المتدهورة الشعراء يطلقون اللسان في الشكوى من الدهر وأبنائه والتنفير منه والشكوى من كساد سوق الفضل وطموس معالم المروءة<sup>(١٧)</sup>.

- ١٤ - بثينه، جميل: ديوان، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ، ص ٢٥.
- ١٥ - دادبه، اصغر: دائرة المعارف بزرگ اسلامی، ج ١١، تهران، سخن، ١٣٨١هـ، ذيل بث الشكوى، ص ٣٢٠.
- ١٦ - صفا، ذبيح الله: تاريخ ادبيات در ايران، ج ٢، تهران، فردوس، جاب هشتم، ١٣٦٦هـ، ص ٣٦٦.
- ١٧ - شميسا، سيروس: سبک شناسی شعر، جاب دوم، تهران، فردوس، ١٣٧٥هـ، ص ١٨٠ - ١٧٩.

### ٣- نظرة موجزة إلى حياة أبي العتاهية وناصر خسرو

يعتبر أبو العتاهية من أبرز وأهم الشعراء العراقيين الذي ولد وترعرع في حضن الأدب في العراق. ولد إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان الملقب بـ «أبي العتاهية» سنة ١٣٠ هـ، وكنى بـ «أبي - العتاهية»، لأنه كان يحب المجون والتعته والشهرة<sup>(١٨)</sup>. عاش عصراً امتاز بكثرة الأزمات الروحية والفكرية، وتكون موجات الشك والحيرة في تعاليم الدين الحنيف، وهذا ناتج عن كثرة الفرق والنحل والأقوام<sup>(١٩)</sup>. شاهد طوال حياته تعسف العباسيين وتقلباتهم السياسية، وما يلحق العلويين من أذى وتقتيل وتشريد<sup>(٢٠)</sup>. لا ريب أن العصر العباسي من العصور التي تجلت فيه المتناقضات الفكرية والعقيدية، فمن جانب ظهرت طبقة من الشعراء الذين أسرفوا في حياة العبث والمجون وعبوا من كوؤسها، كأبي نواس وبشار بن برد، ومن جانب آخر ظهر آخرون ملأوا حياتهم بالتقوى والنسك والزهد، كإبراهيم بن أدهم، ورابعة العدوية. نشأ أبو العتاهية في مثل هذه البيئة فلا غرو إن تأثر بها، ومن ثم نستطيع أن نعد شكواه ردة فعل ضد الشذوذ الخلقى والديني الذين سادا عصره. ولد الحكيم ناصر بن خسرو بن حارث القبادياني المروزي المكنى بـ «أبي معين» سنة ٣٩٤ هـ في «قباديان» من أعمال «بلخ»، وفي النهاية توفي سنة ٤٨١ هـ في «قباديان» بـ «بدخشان»<sup>(٢١)</sup>.

عاش ناصر خسرو في عصر كثر فيه الجدل بين الملل والنحل الفكرية، وعانى الوطن ظلم عدد من الحكام الغزنويين والسلاجقة، فتسربت أصداء هذا الجدل في شؤون الناس وحدثت أحياناً الفتن والثورات. نشأ في فترة شاع فيها التعصب في العقائد والآراء الدينية ولم يكثرث بحرية الفكر والقول وتدخل بعض الحكام في شؤون الناس لاسيما العقائد الفردية. فاشتغل عدد غير قليل من الأدباء والشعراء بمدح الملوك بدل الإقبال على المضامين والمعارف الدينية السامية<sup>(٢٢)</sup>.

### ٤- أنماط الشكوى عند أبي العتاهية وناصر خسرو

#### ٤-١- أنماط الشكوى عند أبي العتاهية

تطرق أبو العتاهية في ديوانه الشعري إلى أنماط مختلفة من الشكوى نتيجة الأسباب المختلفة التي يعود بعضها إلى الظروف الاجتماعية والسياسية ويعود بعضها الآخر إلى الأسباب الشخصية والمواقف الفلسفية وما أحاط به من الهواجس الدفينة.

- ١٨ - الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، شرحه سمير جابر، مج ٤، ط ١، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، ص ٥.
- ١٩ - الفاخوري، حنا: الموجز في الأدب العربي وتاريخه (الأدب المولّد)، مج ٢، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١م، ص ٣١٤.
- ٢٠ - نوفل، محمد محمود قاسم: المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط ١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٧م، ص ١٨١.
- ٢١ - صفا، المصدر السابق، مج ٢، ص ٤٥٢.
- ٢٢ - نفس المصدر، ص ٢٣٥.

تنقسم الشكوى عند أبي العتاهية بصورة عامة إلى أربعة أقسام: ١- الشكوى من الشيب وما حل به من الضر والمرض والفتور، وقد أدرج الشاعر فيها الشكوى من الدهر، الناس، والشكوى من الأيام التي قضاها الشاعر في حياة العث خاصة عهد الشباب ٢- الشكوى الفلسفية وهي تشمل على الشكوى من لغز الموت وتمني الخلود في الحياة الدنيا ٣- الشكوى الذاتية وهي تشمل على الشكوى من ضعة النسب، والشكوى من فراق الحبيبة وهجرها ٤- الشكوى الاجتماعية.

#### ٤ - ١ - ١ - الشكوى من الشيب

تعد الشيخوخة من مراحل الحياة الإنسانية التي يكثر فيها الشكوى والتذمر لما فيها من التأثير البالغ في الاهتمام بذكر الموت والاستعداد للرحيل الأكبر، فهي رسول الموت الذي يكشف عن زوال الشباب وأيام الدعة والتنعم وتسرب الضعف في كيان الإنسان وينم عن ضعف القوة وكلال البصر ودنو الموت ونهاية الأمر.

يعتبر الشيب والشباب وما يرافقهما طيلة الحياة حتى الموت من الموضوعات التي شغلت ذهن أبي العتاهية وأثارت زوبعة في كيانه، فلا نغلو إن قلنا إن المشيب يعد بعد فكرة الموت ومصير الإنسان من الموضوعات الرئيسية التي شغلت باله في الحياة الدنيا. فهو فضلاً عن تحسره عقب فقدان الشباب وما تتمتع به من الملهيات، نجده يسأل عن نهاية الإنسان في الحياة الأخرى وصلة الشيب والإنابة بتلك الحياة وما اقترب في الحياة الدنيا من الآثام والذنوب التي أثقلت كاهله.

إن المتأمل في شعر أبي العتاهية يجد أن الشاعر برمته يخاف من الشيب إثر ما ارتكب في الحياة من المنهيات ويخاف من مصيره في تلك الحياة الخالدة، وتصل كراهية الشاعر للشيب مرتبة يجعله مساوياً للموت فيعتبره إحدى الميتين، لأنه يحرم وانقطعت أيديه مما تتمتع به من الملهيات في أيام الشباب ومن أجل ذلك يتحسر أشد التحسّر على انعدام الشباب، فيقول:

الليل شيب والنهار كلاهما	رأسني بكثرة ما تدور رحاهما
يتناهبان لحومنا ودمائنا	ونفوسنا جهراً ونحن نراهما
الشيب إحدى الميتين تقدمت	إحداهما وتأخرت إحداهما
فكأن من نزلت به أولاهما	يوماً فقد نزلت به أخراهما (٢٣)

تعد الشعرات البيض في رأسه وما رافقها من الضعف والآلام من أهم البواعث التي ساقته الشاعر مساق التعبير عن الشكوى في زمن الشيخوخة وهي من الملامح التي تشير إلى دنو الموت وذهاب النشاط وقدم الهرم. وقف أبو العتاهية من الشيخوخة موقف الغاضب والمشائم الشاكي من اقترانها به، فوجد نفسه عاجزاً عن مواجهة الزمن، فيبكي زماناً قضاها في عنفوان الشباب أو

٢٣ - أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان: أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، دمشق، دار الملاح للطباعة والنشر، ١٩٦٥م، ص ٣٥٣.

زماناً تتمّع فيه بالملهيات الدنيا، ويذرف الدموع لأيام لم تثقل كاهله فيها سوى أعباء الشيخوخة وسقمها، فتحقق له البكاء والعيول على ما فقد وشعر بالخوف مما هو آتٍ.

الشكوى من ذهاب الشباب وحلول المشيب من الموضوعات التي شغلت بال الشاعر في زمن الشيخوخة، فنراه دائماً متحسراً متألماً على ما فات من فرص الشباب وما ألمّ به في الشيخوخة من الضعف والوهن والانكسار، فيقول باكياً على الشباب الذاهب:

لَهْفِي عَلَى وَرِقِ الشَّيَابِ	وَعَصُونِهِ الخَضِرِ الرَّطَابِ
ذَهَبَ الشَّيَابِ وَبَانَ عَنِي	غَيْرِ مُنْتَظَرِ الأَيَّامِ
فَلَأَبْكِينَ عَلَيَّ الشَّبَابَ	بِ وَطَيْبِ أَيَّامِ التَّصَابِ
وَلَأَبْكِينَ مِنَ البَلْبِي	وَلَأَبْكِينَ مِنَ الخَضَابِ <sup>(٢٤)</sup>

يتّضح لنا من خلال هذه المقطوعة أنّ الشاعر قد بلغ من الطعن في السنّ ما جعله يتحسّر على أيام الشباب التي عاشها في سرور ودعة، فهو يرقب الموت بما يمثله من الضعف وما يصاحبه من مشاعر الاستسلام لقدر المشيب والخور والعجز الجسماني بزمن القوة والشباب وربما كان هذا العجز وخيبة الآمال من أهمّ دواعي التوجع والشعور بالأسى والانكسار لديه. فتتسم نظرتّه هنا بنظرة الإنسان المتأمل الذي كاد يغصّ بذرف الدموع السخينة خوفاً من الفناء وأصابته همومه الفادحة وجدانه بالعضون في زمن الشيخوخة، فيحن من وطأة الشيب وفداحة موقفه.

#### ٤ - ١ - ١ - ١ - ١ - الشكوى من الزمان

اكتظت العصور المختلفة في الأدب بالشكوى من الزمان، لأنّه يرفع الجهلاء والأراذل ويضع الفضلاء والعلماء. حفل العصر العباسي خاصة أيام أبي العتاهية بشكوى الزمان ومعابته للدهر ويعتبر هذا النوع من الشكوى آهات طبيعية لقساوة الدهر وتدهور الظروف العامة في الحياة. إذا أمعنا النظر في مثل هذه الشكوى نجد أنّها لم تصدر من فلسفة ذات أبعاد محددة تدعّمها المواقف الفكرية أو الفلسفية تجاه لغز الحياة والناس، بل كانت أصداً نفسية مليئة بالحوادث والوقائع التي جرّعت نغب التّهمام والأسى.

تصوّر مواجهة أبي العتاهية لشكوى الزمان في أوضح صورها أصداً واسعة لما تركته الظروف المتدهورة من بسمات واضحة في حياة العامّة، فعلى سبيل المثال عندما نراه متشاكياً من الواقع المعاش معبراً عن السخط، لم يستطع أن يعبر عن صريح الكلام في مواجهة الظالمين خوفاً من التنكيل والعقاب. فمن هذا المنطلق، تجاهل مصادر الفساد الحقيقي وكنى عنه بالزمان أو الدنيا والدهر وأبنائه.

افترشت الشكوى من الزمن مساحة واسعة من شعر أبي العتاهية حتى صار الزمان رمزاً لمحنة الشاعر وقالباً لبث مصائبه وآلامه، فاتخذ من الزمان ما يساعده على التعبير عن آلامه وأشجانه،

بينما نجد وراء هذا الأمر بواعث مختلفة أخرى كالسياسية والاجتماعية التي كانت من البواعث الخفية التي تكمنت في نفسيته الكئيبة.

نشأت الشكوى في القرنين الثاني والثالث نتيجة اتساع الفقر والبؤس في المجتمعات البشرية، فمن ثم اتجه عدد غير قليل من الشعراء في شعرهم نحو التعبير عن الشكوى إثر المتغيرات السياسية والاجتماعية التي آلت بالحياة، فأرادوا التعبير عن مدى أشجانهم وآلامهم للإفصاح عن سخطهم إزاء تلك الأحداث متجاهلين مصدر الاضطراب الحقيقي للقلق، فكنوا عن قلقهم وأسبابه بالزمان والدهر والدينا<sup>(٢٥)</sup>.

اختلف الخطاب عند أبي العتاهية للزمان حيث اختار له صوراً ومسميات مختلفة، منها الزمان، الأيام، الدنيا والليالي وقد اهتم بالليل والنهار اهتماماً خاصاً لما ينمّان عن شدة وجدانه وولفه في هذه الأوقات. الواقع الذي لا شك فيه أن الزمان في شعره يعدّ رمزاً للإفصاح عن طموحاته وآماله الضائعة، فاتخذ الزمان للدلالة على رفض الواقع العام حين يصف الليل والنهار يقضيان على كل شئ ويأخذان كل ما يعطيان، فيقول:

لَو عَقَلْنَا إِذِ النَّهَارِ يَسُوقُ الْـ  
لِرَأْيَانَاهُمَا بِمَرِّ حَيْثُ  
لَيْلٍ وَاللَّيْلِ إِذِ يَسُوقُ النَّهَارَا  
يَطْوِيَانِ الْأَعْمَارَ وَالْأَنَارَا<sup>(٢٦)</sup>

يأخذ الزمان مسمى آخر عند أبي العتاهية حيث يخلق دلالة جديدة للإطار الزمني الذي عاشه، فمن ثم حضرت كلمة «الدهر» في ديوانه الضخم حضوراً فعالاً، فاختلفت همومه النفسية بمعطيات الدهر وأبنائه وحينما تصيبه كارثة يعزوها إلى الدهر، ويقول:

أَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ لَا يَلِ لِرَبِّهِ  
وَمَزَقَ رَيْبَ الدَّهْرِ كُلَّ جَمَاعَةٍ  
لَمْ يَكْسِنِي الدَّهْرُ يَوْمًا مِنْ مَسْرَتِهِ  
جَزَعْتُ وَلَكِنْ مَا يَرِدُ لِي الْجَزَعُ  
أَيَا دَهْرٍ قَدْ قَلَّلْتَنِي بَعْدَ كَثْرَةٍ  
تَخَرَّمَ رَيْبَ الدَّهْرِ كُلَّ إِخَاءِ  
وَكَدَّرَ رَيْبَ الدَّهْرِ كُلَّ صَفَاءِ<sup>(٢٧)</sup>  
إِلَّا جَرِي مِنْهُ مَكْرُوهٌ بِتَجْرِيدِ<sup>(٢٨)</sup>  
وَأَعْوَلْتُ لَوْ أَغْنَى الْعَوِيلَ وَلَوْ نَفَعَ<sup>(٢٩)</sup>  
وَأَوْحَشْتَنِي مِنْ بَعْدِ أَنْسٍ وَمَجْتَمَعِ

تطرق أبو العتاهية إلى فكرة الزمن الذي يقربه من الشعراء المحدثين في عصره، فأرجوزته «ذات الأمثال» يمكن أن نسميها «لوحة الزمان والزوال»، لأن الشاعر صور فيها ديبب الزمن على نفسه كما صور فيها سرعة مرور الأيام، فجعل الزمان بمثابة كيان مستقل وعبر من خلاله عن الهموم

٢٥ - الزهيري، محمد: الأدب في ظل بني بويه، مصر، الأمانة، ١٩٤٩م، ص ٢٤٣.

٢٦ - أبو العتاهية، المصدر السابق، ص ١٤٦.

٢٧ - نفس المصدر، ص ٣.

٢٨ - نفس المصدر، ص ١٢٣.

٢٩ - نفس المصدر، ص ٢٢٦.

والمتابع التي خلقتها كثرة الذنوب والمعاصي في الحياة خاصة عنفوان الشباب. نلاحظ من خلال هذه المقطوعة شعوره العميق بالخوف من مغبات الحياة المثقلة بالذنوب والكبائر ومستقبلها في تلك الحياة الخالدة، فنراه مصارعاً مع آلامه النفسية.

#### ٤ - ١ - ١ - ١ - ١ - الشكوى من الناس

أدرج الشاعر في ثنايا القصائد التي تتعلق إلى شكوى الزمان، شكوى الناس وما كانوا عليه من القبائح والذمائم. يستنتج من شكوى أبي العتاهية من الدهر وأهله أن هذه الشكوى ربما تصدر من عدة مصادر: التجربة الشخصية التي اكتسبها الشاعر بين أبناء الدهر وما أصابه خلالها من الحرمان والقنوط وسوء التصرف به، شعوره بضعة النفس والنقص، التدهور في الظروف الاجتماعية خاصة الدينية والخلقية، استعداده الفطري للذم والأخذ على الآخرين بدل المدح. فهو حيناً ينسب البخل إلى الناس وحيناً آخر ينسب إليهم فساد الأخلاق وأخيراً بقلّة جدواهم وزوال الوفاء بينهم ويتصفهم بالعدر والشماتة، فيقول:

فَصِيرتَ أَسْتَأْسِ بِالْوَحِيدَةِ  
أَقْلَهُمْ فِي حَاصِلِ الْعَدَةِ<sup>(٣٠)</sup>

بَرَمَتِ بِالنَّاسِ وَأَخْلَافَهُمْ  
مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لِعَمْرِي وَمَا

تكشف هذه الشكوى عن نفس خائبة محبطة لم تثق أحداً من الناس وصارت ترقب أبناء البشر على أن أهم ما يميزهم الخيانة والعدر قائلاً:

وَكَيْفَ وَكَيْفَ وَكَيْفَ أَنْصَفْتَهُمْ ظَلَمُونِي  
وَإِنْ جِئْتَ أَبْغِي شَيْئَهُمْ مَنَعُونِي  
وَإِنْ صَحَبْتَنِي نِعْمَةً حَسَدُونِي  
وَإِنْ نَزَلْتُ بِي شِدَّةً خَذَلُونِي  
وَأَحْجَبَ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَعَيْونِي  
وَمَا نَلْتَهُ فِي عَفْوَةٍ وَسُكُونٍ<sup>(٣١)</sup>

فِيَارِبِ إِنَّ النَّاسَ لَا يَنْصِفُونِي  
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّوْا لِأَخْذِهِ  
وَإِنْ طَرَقْتَنِي نَكْبَةً فَكَهَوْا بِهَا  
وَإِنْ وَجِدُوا عِنْدِي رِخَاءً تَقْرَبُوا  
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَحْنَ إِلَيْهِمْ  
أَلَا إِنَّ أَصْفَى الْعَيْشِ مَا طَابَ غَبَهُ

لقد أدرج الشاعر في تضاعيف قصائده الشكوى من قلّة الأصدقاء المخلصين والذين يتمنى الشاعر الاتكاء عليهم في أيام الشدة أو الرخاء، فيشتكي من قلّة الأصدقاء الأوفياء في زمن تكالب الناس فيها على ملهيات الدنيا ومغرياتِها، فيقول:

وَمِنْ يَضُرُّ نَفْسَكَ لِيَنْفَعَكَ  
شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَنْفَعَكَ<sup>(٣٢)</sup>

إِنَّ أَخَاكَ الصَّدِيقَ مَنْ كَانَ مَعَكَ  
وَمَنْ إِذَا رَيْبَ الزَّمَانِ صَدَعَكَ

٣٠ - نفس المصدر، ص ١٣٤.

٣١ - نفس المصدر، ص ٣٦٥.

٣٢ - نفس المصدر، ص ٢٧٤.

يتضح لنا من خلال هذه المقطوعة أن الشاعر «يعاني قلة الأصدقاء ويشتهي توافر الصداقة الحقّة فيمن يصادقهم»<sup>(٣٣)</sup>، فمن ثم ذهب أحد النقاد إلى أنه «لو لم يكن لأبي العتاهية إلا هذه الأبيات التي أبان فيها صدق الإخاء ومحض الوفاء لكان مبرزاً على غيره ممن كان في عصره»<sup>(٣٤)</sup>.

#### ٤-٢- الشكوى الفلسفية

تتضمن الشكوى الفلسفية على لغز الموت وما أثار في نفسية أبي العتاهية من المخاوف تجاه هذا الموضوع في الحياة، فهو دائماً يشعر بخوف شديد من الموت وكان موت الأقرباء والأصدقاء يمر على قلبه ويبيكه، فضلاً عن أن الموت نفسه دليل على الحزن ومبعث الشكوى. اتخذ أبو العتاهية الموت أداة طيعة للتخويف والتحذير خاصة في العصر الذي يعج بالظروف القاسية خاصة من الجانب السياسي التي تهدد استقرار الإنسان وحياته بأسباب الموت، فكل هذا جعل من الرثاء والنصح والموعظة شكوى، وصار التناقض العقيدي وكثرة الملل والنحل الفكرية والجوع والبؤس مؤشرات تدفع إلى القلق والخوف من المصير.

تنوعت أسباب خوف الشاعر من الموت، فمنها ما تعود إلى ما تحمّل طيلة حياته من عقدة النقص والتعير وضعة النسب، ثم ما عانى الضعف الجسماني إضافة إلى رؤيته لما أريق في الكوفة من دماء أثناء طفولته الأولى بسبب مقاومتها للعباسيين، فكل ذلك انجر إلى تهيئة أرضية مناسبة لنمو بذرة الخوف الشديد من الموت، أي إنه قبل أن يهدد الناس بالموت ويتمناه لهم قد ظل يرتعش ساعات وأياماً طويلاً أمام شبح غوله المخيف<sup>(٣٥)</sup>، فللموت قوة مسيطرة ومهيمنة لا تستطيع أي قوة مواجهته، فلهذا أقام صلوات وطيدة بين الموت والزمن.

اتخذ الشاعر القبور من أهم المظاهر في الحياة التي تثير الأشجان في نفس الإنسان ويعدّ الأحداث هي المصير النهائي للإنسان. فالشاعر رغم إقباله الشديد على الدنيا والتهاوت على مغرباتها يحاول أن يقلل من شأن الحياة والدنيا حين يقبح التفجع والتحسر على ذهابها الحثيث ويعدّ تجربة الموت بين الأنام بمثابة مصدرٍ ثرٍ للتعزية والهدوء ويقول:

الموت بين الخلق مشترك  
لا سوقة يبقي ولا ملك<sup>(٣٦)</sup>

#### ٤-٣- الشكوى الذاتية

يشتمل هذا النوع من الشكوى على الشكوى من ضعة النسب ومحاولة الهروب من واقعه المؤلم، والشكوى من فراق الحبيبة وصدودها خاصة من قبل «عتبة» التي هام أبو العتاهية بها وقاسى

٣٣ - ضيف، د.ت، السابق، ص ٢٥١.

٣٤ - المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج ٣، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر. د.ت، ص ٣١٩.

٣٥ - الكفراوي، محمد عبدالعزيز: أسطورة الزهد عند أبي العتاهية، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٧٢م، ص ٦٦.

٣٦ - أبو العتاهية، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

من حبها صنوف العذاب والألم، لكنّه خاب وأحبط في ذلك الحبّ وهذا الأمر من البواعث التي ساقَت الشاعر مساق التزهّد والتنسك.

هرب أبو العتاهية طيلة حياته من الأصالة النبطية، لأنها كانت من الطبقات الحقيرة في الحيرة، فساقه هذا مساق التعويض للإحساس بهذا النقص والهوان. إن ضعة الشاعر لم تنشأ من خلال اضطراب الشاعر في أصالته فقط، بل تعود إلى مهنة أبيه الذي كان حجّاماً زمن حياته ويشير الشاعر إلى نفس الموضوع في شعره ليزيل عن نفسه عار هذه المهنة قائلاً:

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هُوَ الْعِزُّ وَالْكَرِيمُ      وَحَبِّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الدَّلُّ وَالْعَدَمُ  
وَلَيْسَ عَلَيَّ عَبْدٌ تَقِي نَقِيصَةَ      إِذَا صَحَّ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمُ<sup>(٣٧)</sup>

أفصحت هذه الشكوى النفسية عن حسرة وألم دفين في نفس الشاعر وكانت شكواه ناتجة عن نفس متعبة ومثقلة بالهموم وما ألمّ بها من المصائب والكوارث. انطلاقاً من هذا الموقف، نرى الشاعر يحنّ إلى حبّ «عتبة» في شعره ونبض قلبه بحبها وهام بها وأحبها بكل عواطفه، وحينما قنط من العثور عليها أذرت عيناه الدموع السخينة ووجف فؤاده وعبر عن شكواه تجاه الحبيبة أملاً ودّها ووصولها، فيقول:

يَا عَتْبَ هَجْرِكَ مَوْرَثَ الْأَدَاوِ      وَالْهَجْرَ لَيْسَ لِدُونِنَا بِجِزَاءِ  
يَا صَاحِبِي لَقَدْ لَقَيْتَ مِنَ الْهَوَى      جِهْدًا وَكُلَّ مِذْلَةٍ وَعِنَاءِ  
عَلِقَ الْفُؤَادَ بِحَبِّهَا مِنْ شَقْوَتِي      وَالْحَبِّ دَاعِيَةً لِكُلِّ بِلَاءِ  
إِنِّي لَأَرْجُوهَا وَأَحْذَرُهَا فَقَدْ      أَصْبَحْتُ بَيْنَ مَخَافَةٍ وَرَجَاءِ<sup>(٣٨)</sup>

لقد تراكم جمّ غفير من مقطوعاته بالشكوى من الحبيبة المجافية التي صدّت عن الشاعر المتيم، فهزّت النفس من أعماقها ويلقي الشاعر من صدودها ما لقي، ومن أجل ذلك وردت أصداء هذا الأمر في شعره مما تمثل مدى معاناته ومكابدته صارخاً شاكياً باكياً مصرحاً بما يعانيه من الوجد والألم الفراق.

سالت دموعه الغزيرة على فقدانها وأصيب بالنكد والحزن إثر صدودها، فصارت «عتبة» جزءاً لا يتجزأ من عقدة النقص التي يعانيها الشاعر، ومن الثورة العارمة على الأوضاع الاجتماعية، وفي هاتين الأخيرتين تكمن الأسباب الحقيقية والعميقة لتحوّله إلى الزهد الظاهري<sup>(٣٩)</sup>، فالهم وعدم تحقّق الرجاء يعصران قلبه بعد أن تبين له هذا الهجر الأبدي.

٣٧ - نفس المصدر، صص ٣٤٩ - ٣٤٨.

٣٨ - نفس المصدر، ص ٤٧٦.

٣٩ - الكفراوي، المصدر السابق، ص ٣٨.

نجد في ثنايا ديوانه الشعري أنّ الشكوى لديه ناجمة عن قلب أحرقه الفراق والأسى وكوته معالم الحب واصطلى بنار الفراق والصدود، فزال التلام والالتحام بين قلبه وعقله نتيجة ما انتابه من الحب الخائب وسيطرة الهوى الذي أفقده السلوان والصبر، وهذا مما ساقه مساق الشكوى من استحواذ الحب عليه ومرارة العشق، فانفطر قلبه حباً، فأصيب بالإحباط النفسي الكبير الذي جاءت أصداؤه في مثل هذه الشكوى عنده.

#### ٤-٤- الشكوى الاجتماعية

تصدر الشكوى الاجتماعية عند أبي العتاهية إثر التدهور في الظروف الأخلاقية والفكرية والسياسية والاقتصادية السائدة على المجتمع العباسي. ذهب شوقي ضيف إلى أنّ الطبقات البائسة في هذا العصر كانت أكثر الطبقات عدداً وكانت تكدح وتشقى وتتصب عرقاً لينعم الخلفاء والوزراء وعلية القوم وكبار التجار والأقطاعيون بالحياة الرغدة والعيش الناعم غير مفكرين في جوع جائع ولا في عرى عار، بينما تتجرع الطبقات الفقيرة آلاماً ثقالاً وأهوالاً طوالاً وكأنما عميت الأبصار وصمت الأسماع<sup>(٤٠)</sup>.

ظهرت أصداؤه هذا التدهور في شعر أبي العتاهية، فيقدم للمتلقى أفضل صورة عما يعانيه جمهور الشعب من التعب والعناء والتفاوت الطبقي الهائل بين الشرائح المختلفة، فيقول:

طَغَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَارَتْ بَطُونُ الْمَرْمَلَاتِ خَمِيصَةً وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ	فَقَدِ دَرَسَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ الشَّرَائِعَ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ وَأَيَّامُهَا مِنْهُمْ طَرِيدٌ وَجَائِعٌ
---	--

#### ٥- شعر الشكوى عند ناصر خسرو

يتضمن شعر ناصر خسرو على أنماط مختلفة من شعر الشكوى، فمن جراً ذلك نستطيع أن نعدّ أهم مظاهرها عنده فيما يلي:

- ١- الشكوى من الزمان وأبنائه ٢- الشكوى من الشعراء ٣- الشكوى من الهجر والغربة
- ٤- الشكوى من الأصدقاء ٥- الشكوى من الشيب ٦- الشكوى من السجن.

#### ٥-١- الشكوى من الزمان وأبنائه

تعتبر الشكوى من الزمان (الدهريات) وأهله من أهم صور الشكوى عند ناصر خسرو، فالذي لا شك فيه أنّ معظم هذه الشكاوى تعود إلى عاملين هاميين: الأول منهما تغيير المذهب الفكري من

٤٠ - ضيف، شوقي: الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور، مصر، دار المعارف، ١٩٧٧م، ص ٨٨.  
٤١ - أبو العتاهية، المصدر السابق، ص ٢١٧.

قَبِلَ الشاعر واعتناق الإسماعيلية واتهامه إثر ذلك بالزندقة والإلحاد، والثاني تهجير الوطن واختيار التنحي والإقامة بين الجبال الشاهقة في منطقة «يمكان». حظيت الشكوى من قِبَل ناصر خسرو بالقدح المعلى وكان الشاعر في هذا الفن يعبر عن غضبه وسخطه لما ساد المجتمع من الأعراف البالية، فمن أجل ذلك اتّسمت شكواه بصدق العاطفة وشدة الحرارة ويقدم للمخاطب في تضاعيف أشعاره تلك البيئة التي عاشها بجميع جوانبها المختلفة.

إذا أجلنا النظر في ثنايا قصائده نجد أنّ الشكوى منبثّة في طبائنها وتتمحور أحياناً حول أشخاص معينين ينتمون إلى أصحاب السلطة في المجتمع كالملوك الأتراك من الغزنويين والسلاجقة، فتشبه الشكوى في هذا المجال بالانتقادات اللاذغة منهم، فضلاً عن أنّ ناصر خسرو كان أكثر إحساساً من الآخرين خاصّة الشعراء المعاصرين له بما يجري في البلدان ومسقط رأسه من ظلم واعتداء على الحقوق ودمار، فنجد أنّ الشكوى مبنوثة في تضاعيف مقطوعاته المختلفة ولم تكن عنده غرضاً مستقلاً بذاتها.

تصدر شكواه من خلال إحساسه بفداحة الظروف القاسية السائدة على «الخراسان» خاصّة الظروف الدينية وكثرة التلاعب بالدين والمعتقدات الإسلامية التي جلبها الاحتلال الغزنوي والسلجوقي، فراح يحمل على عاتقه تبليغ الأسس والمبادئ الدينية في المجتمع، ومن ثمّ أعطي أدبه عامّة وشعره خاصّة مهمة دينية، وحاول أن يصور صراعه النفسي بين احتماله لوضعه المؤلم وبين كيانه الأدبي الذي ربما فقد في مثل هذا المجتمع.

رغم كثرة الشكوى في شعره فإنّ الشاعر لم تتح له الفرصة كثيراً ولم ينشد القصائد الطويلة في هذا المجال مع ما رأى في المجتمع من شيوع الرياء والنفاق والحرمان والتعسف وكساد بضاعة الشعر، فلعلّ السبب يعود إلى أنّ الشاعر تطرق في شكواه إلى القضايا والموضوعات التي تخصّ المجتمع، ومن أمثلة أبياته ما يقول:

شادي و عزّ مرا بدل به غم وذلّ	شاد مبادا جهان هكرز كه او كرد
كوه شد آن نال و نال كه به تيدل <sup>(٤٢)</sup>	نفسم جونال بود و جسمم جون كوه
با قامت فرتوتي و با قوت برنا	اي قبه كردنده بي روزن خضراء
اي مادر ما چونكه همي كين كشي از ما؟ <sup>(٤٣)</sup>	فرزند توائيم اي فلك، اي مادر بد مهر

أي: لا جعلت الدنيا مسرورة، فإنّها بدلت سروري حزناً وعزّي ذللاً. كانت نفسي كالقصب النحيف وجسمي كالجبل، فقد جعل العالم تلك النفس قويّة كالجبل، والجسم كالقصب. أيها الفلك الدوار الأخضر بما فيك من الضعف والقوّة، أيها الفلك، أيّها الأمّ الغاشمة، أيّها الأمّ، لماذا تظلميننا هكذا؟.

٤٢ - قبادياني، ناصر خسرو: ديوان اشعار، جاب هفتم، تصحيح مجتبي مینوی ومهدی محقق، تهران، دانشگاه تهران، ١٣٧٨ هـ، ص ٣٤١.  
٤٣ - نفس المصدر، ص ٤.

يستنتج من خلال هذه المقطوعة أنّ دلالة الزمن في شعره ناجمة عن نوع من هاجس نفسيّ وتعتبر لونا من التمرد عن الزمن الفيزيائي. ولربما يعود السبب إلى كثرة الصراعات الفكرية والدينية وعدم الاستقرار والموت المتواصل بين الثورات التي نشأت بين الناس والسلطات الحاكمة إثر إهراق دماء الأبرياء والاعتداء على الحقوق.

لاحظنا أنّ الشاعر رأى نفسه أمام قساوة الزمن وشدته، فجعل نفسه رهين الخطوب والكوارث الواقعة، ونرى من خلال شكواه نفسية قلقمة متناسية تتنّ من جراء ما أحاطت به من مؤديات الدهر وغوائله، فكانت شكواه من الزمان وتقلباته شكوى تكونت من واقعه المؤلم الذي أدركه وأراد بشكواه التعبير عن السخط والتذمّر من الأوضاع التعسّة والمرتدية التي شهدتها مجتمعه آنذاك.

لقد اشتكى الشاعر كثيراً في شعره من أبناء الدهر الذين رموه بالزندقة رغم علمهم بكثرة فضله وأدبه ومكانته المرموقة بين معاصريه، فالشاعر يشتكى من ثلاث طبقات من الشعب في شعره، فالأولى منها الذين اتخذوا الدين أداة للعثور على المناصب والاتصال الوثيق ببلاط الحكام وذوي الثروات وهم الفقهاء، والثانية منها الغفلة والجهلة الذين يزدرون الشاعر ويقللون من شأنه من دون علم ولا بصيرة، وأخيراً الثالثة وهي الحكام والمتنفذون الذين أخذوا بزمام الحكم وكتبوا صوت حرية الفكر والقول، فيقول:

جون حكم فقيهان نبود جز كه به رشوت	بي رشوت هريك ز شما خود فقهايد
جون خصم سر كيسه رشوت بكشايد	در وقت شما بند شريعت بكشايد <sup>(٤٤)</sup>
عامه بر من تهمت ديني ز فضل من برند	بر سرم فضل من آورد اين همه شور و جلب <sup>(٤٥)</sup>
دل ز افتعال اهل زمانه ملا شدم	ز ايشان به قول و فعل ازيرا جدا شدم
تا همجو زيد و عمرو مرا كور بود دل	عيبم نكرد هيچ كسي هر كجا شدم <sup>(٤٦)</sup>
حاكم در خلوت خويان به روز	نيم شبان محتسب اندر شراب <sup>(٤٧)</sup>

أي: يصدر حكم الفقهاء من أجل الرشوة، فكلّ أحد منكم فقيه من دون الرشوة. عندما يرتشي العدو فإنكم تصدرون الأحكام طلباً للرشوة. يتهمني عامة الناس بالزندقة والإلحاد حسادة على فضلي. إن فضلي جلب لي كل هذه الفتن والفوضى. لقد سئمت من أبناء الدهر وابتعدت عنهم قولاً وفعلاً. عندما كنت أعمى كالآخرين لم يأخذوا عليّ أينما ذهبت. إنّ الحاكم في الخلوة مع الغواني نهراً، والمحتسب في معاقرّة الحمرة ليلاً.

٤٤ - نفس المصدر، ص ٤٤٧.  
٤٥ - نفس المصدر، ص ٩٧.  
٤٦ - نفس المصدر، ص ١٣٨.  
٤٧ - نفس المصدر، ص ١٤١.

### ٥-٢- الشكوى من الشعراء

تمت هذه الشكوى بصلة وثيقة إلى مكانة الشعر وتوظيفه في عصر ناصرخسرو، فقد استخدم معاصروه الشعر أداةً للعثور على الصلات الهائلة بغية التزلف إلى الحكام والمنتفذين، فمن ثم صار الشعر أداةً للتكسب في أيدي شعراء البلاط لمدح الحكام والإشادة بهم. كانت نظرة ناصرخسرو إلى الغزل والتشبيب سلبية، وكان يضيق بأسلوب الشعراء الذين يبدئون القصائد بالتشبيب مع أنه كان في بداياته من أهل التشبيب ووصف المعشوق<sup>(٤٨)</sup> وبعد المدح كذباً ويضيق بمن يمدح الأمراء والسلاطين من الشعراء<sup>(٤٩)</sup>. انطلاقاً من هذا الموقف، فقد نهى نفسه عن وصف الذؤابة والعيون الزرق في الشعر معتقداً بأن هذا الأمر يحقر مهمة الأدب ويزدرهه، فاتخذ الشعر أداةً للتعبير عن المثالي الدينية السامية والدعوة إلى الديانة الإسماعيلية وبث معالمها الدينية والعقيدية. فيقول في ذم التشبيب والغزل:

با بشت جو حلقه جند كوئی      وصف سر زلفك معلّق؟  
يك جند به زرق شعر كفتی      بر شعر سیاہ و چشم ازرق<sup>(٥٠)</sup>  
ای شعر فروشان خراسان بشناسید      این زرف سخنهاى مرا كر شعراييد  
بر حكمت میری ز جه یا بید جواز حرص      فتنه ی غزل و عاشق مدح امراييد؟<sup>(٥١)</sup>

أي: كم تحدثت عن وصف الذؤابة المعلقة التي يداعبها الهواء؟ لقد أنشدت فترة من الزمن حول الشعر الأسود والعيون الزرق. يا من تتكسبون بالشعر في «الخراسان»، استمعوا إلى كلامي العميق إن كنتم شعراء. كيف تريدون العثور على الحكمة مع أنكم تغترون بالتشبيب ومدح الأمراء حرصاً واستزادة.

الشعر عند الشاعر أرقى وأكثر قيمة من توظيفه للتعبير عن المدح الكاذب أو الثناء، فيعطي اهتماماً بالغاً بألفاظه وكلماته ويقول:

من آتم كه در باى خوكان نريزم      مرا اين قيمتى در لفظ درى را<sup>(٥٢)</sup>  
أي: أنا الذي لا يطرح تحت أرجل الخنازير ثمين الجوهر في لفظ دري.

### ٥-٣- الشكوى من الهجر والغربة

عجّت حياة ناصرخسرو بالاضطرابات السياسية المختلفة مما دفعته إلى تهجير الوطن والابتعاد عن الوطن، إلا أنه يستمر في ذكر موطنه متعلقاً بترابه مهما ابتعد عنه وارتحل متناسياً بذلك شظف

٤٨ - شميسا، سيروس: سبك شناسى ٢، جاب اول، تهران، دانشكاه بيايم نور، ١٣٧٢ هـ، ص ٣٦.  
٤٩ - زرین كوب، عبدالحسين: از كذشته ادبى ايران، جاب اول، تهران، انتشارات بين المللى الهدى، ١٣٧٥، ص ٢٧٨.  
٥٠ - قبادياني، المصدر السابق، ص ٤٥١.  
٥١ - نفس المصدر، ص ٤٤٧.  
٥٢ - نفس المصدر، ص ١٤٣.

الحياة وتقلب الأيام. إذا أمعنا النظر في شعر ناصر خسرو نجد أنواعاً مختلفة من الشعور بالغربة لديه، فمنها الغربة السياسية، الاجتماعية، الدينية، الروحية، المكانية والزمانية، فليس لدينا متسع من المجال في بحثنا هذا للتطرق إلى جميع هذه الأنماط، بل نكتفي من بينها بالغربة المكانية والدينية لما فيهما من أثر عظيم وبالغ التأثير في نزوع الشاعر نحو إنشاد الشكوى.

الغربة المكانية ناتجة عن ابتعاد الشاعر من مسقط الرأس والإقامة لفترة طويلة بين الجبال الراقية في «يكان» والغربة الدينية ناجمة عن التلاعب بالدين والمعتقدات الدينية من قبل الأدخلاء والأغرباء الذين يتحكمون في المجتمع، فتحوّلت قصائده في هذا المجال إلى آلام وأنات تفوح بالشكوى الصارخة وتتسم باللوعة والأسى.

تتجلى الغربة المكانية عند الشاعر إثر تهجير الشاعر عن موطنه ومسقط رأسه، لهذا نجد منطلقاً في الحنين إلى الوطن واشتكى من الغربة وظهرت عنده في قالب الصور والمعاني التي طفحت بالشكوى المفعمة بصدق العاطفة ويتسم شعوره في هذا النوع من الشكوى بالتميز الناجم عن معطيات الإحساس بالغربة، فكان اغترابه عن الموطن إحدى وسائله في التعبير عن ذاتيته، فيقول:

بأنزده سال برآمد كه به يكانم      جون و از بهر جه؟ زيرا كه به زندانم<sup>(٥٣)</sup>  
مانده به يكان به ميان جبال      نيستم از عجز و نه نيز از كلال  
يكسره عشاق مقال منند      در كه و بيكه به خراسان رجال  
كر شنوندى همى اشعار من      كنك شدى رؤبه و عجاج لال<sup>(٥٤)</sup>

أي: لقد مضت علي خمسة عشر عاماً في «يكان». لماذا؟ لأنني سجين. أقيمتُ بـ «يكان» بين الجبال الشاهقة وليس حلولي هنا من العجز والضعف. بين أونة وأخرى هام رجال «الخراسان» بكلامي. إن يسمع رؤية والعجاج أشعاري يعترهما الصمم.

نشأت الغربة الدينية من خلال التلاعب بالدين والاستبداد السائد من قبل الدولتين الغزنوية والسلجوقية وشيوع ظاهرة الارتشاء من قبل الفقهاء الذين انتموا إلى البلاط. ومن هنا انتشر البذخ والترف في عصر الشاعر وشاعت المذاهب الفكرية المنحرفة من قبل النظام السائد، واتخذت الحكومة الأسس الدينية كأداة للقتل والنفي وتعقيب المخالفين والتنكيل بهم.

سكنت سوق الحكمة والعلوم العقلية في عصر ناصر خسرو خاصة في «غزنة» و«الخراسان»، وعلى خلاف ذلك شاعت سوق المناقشات العقيدية والصراعات الدينية في هاتين البلديتين<sup>(٥٥)</sup>.

يصف الشاعر الظروف الدينية والعقيدية السائدة على المجتمع ويقول:

همجو شب دنيا دين را شبست      ظلمت از جهل و ز عصيان سحاب  
خلق نينى همه خفته ز علم      عدل نهان كشته و فاش اضطراب

٥٣ - نفس المصدر، ص ١٩٥.

٥٤ - نفس المصدر، ص ٣٤٧.

٥٥ - زرین کوب، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

خانـه خـمـار جـو قـصـر مـشـيـد  
مـنـبـر وـيـرـان و مـسـاجـد خـراب  
ايـن شـب دـيـنـسـت ، نـبـاشـد شـكـفـت  
نـيـم شـبـان بـانـك و فـغان كـلاب<sup>(٥٦)</sup>

أي : اسودَّ ليل الدين كليا لي الدنيا من أجل ظلمة الجهل وسحب العصيان. ألم تر أن الناس انصرفوا عن العلم ، فنسي العدل وراجت الفوضى. صار بيت الخمار كالقصر المشيد والمنبر مهدم والمساجد خربة. هذه ليلة الدين فلا تعجب.

#### ٤-٥- الشكوى من الأحباب والأصدقاء.

تعتبر الصداقة من المؤشرات التي تؤدي إلى ديمومة الحياة واستمرارها ، فيبحث ناصر خسرو في شعره عن الذين يحبون الفضائل الأخلاقية والدينية ويدخلون السرور على نفسه الكئيبة ، وصار هذا الموضوع جزءاً من معاناته من الناس ، فلربما هذه النظرة ناجمة عن فقدان الصديق المخلص والوفى طيلة الحياة خاصة في زمن الغربة.

يصور الشاعر الوحيد الكئيب في ثنايا أشعاره أياماً تمتع فيها بالأصدقاء الأوفياء لكنهم بعد مدة انقلبوا أعداء لدا يغتمون كل فرصة عليه. اشتدت أحاسيس الشعور بالوحدة من الأصدقاء حينما خلا بنفسه بين الجبال العالية في «يكان» وعبر هناك عن خلجاته النفسية مشتكياً من ابتعاد الأصدقاء حتى الأقرباء منه ، فيقول :

من به يـكـانـم دـر بـه زـنـدـانـم از ايـن ديـوانـكـان  
عـالـم الـسـرى تـو فـريـاد از تـو خـواهم ، آي رـب  
جـمـلـه كـشـتـنـه سـتـنـد بـيـزار و نـفـور از صـحـبـتـم  
هـم زـبان و هـم نـشـين و هـم زـمـين و هـم نـسـب  
كـس نـخـوانـد نـامـه مـن كـس نـكـويد نـام مـن  
جـاهـل از تـقـصـير خـويـش و عـالـم از يـيـم شـغـب<sup>(٥٧)</sup>  
تـا بـر خـمـار بـودـم سـرم يـكـسـر  
مـشـفـق بـدـنـد بـر مـن و غـمـخـوار  
و اـكـنـون كـه هـوشـيار شـدم ، بـر مـن  
كـشـتـنـد مـار و كـزـدم و جـرّـاره<sup>(٥٨)</sup>  
وـى بـر تـافـتـه زـو خـويـش جـو بـيـكـانـه  
دـسـتـكـيريش نـه جـز رـحـمـت رـحـمـت يـزـدانـي<sup>(٥٩)</sup>

أي : سجنتُ في «يكان» من أجل هؤلاء المجانين ، اللهم أنت عالم الغيب والسر فأغثنني. اشمأز ونفر مني كل مصاحب وذو الأرحام والأقرباء. لا يقرأ أحد كتابتي ولا يبوح باسمي ، فانصرف الجاهل عني تقصيراً منه والعالم خوفاً من الوقوع في الفتنة. حينما كنت سكران تفقد كلهم علي وأما الآن فصحوت وصاروا علي كالحية والعقرب والجراد. ابتعد عنه الأقرباء كالأغرباء فلا يغيثه أحد إلا الله تعالى.

٥٦ - قبادياني ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .

٥٧ - نفس المصدر ، ص ٩٦ .

٥٨ - نفس المصدر ، ص ٢٩٧ .

٥٩ - نفس المصدر ، ص ٤٣٥ .

٥-٥- الشكوى من الشيب

تميز هذا النوع من الشكوى عند ناصر خسرو بالذي نجد عند أبي العتاهية من عدة جوانب، منها أننا لا نجد ناصر خسرو باكياً على ما مضى في الحياة من عهد الشباب والمرح، بل نراه متحسراً عليه لما قضاه في اللهو والمجون والغي، فاتخذ تلك الأيام بمثابة ذخر لأيام المشيب، فمن ثم حاول أن يبحث عما يعوض تلك الأيام، فوجد ذلك في الدين والعقل، ولا يزال يتخذ الشباب والمشيب تمهيداً للتعبير عن هذا الموضوع ويتمحور معظم مقطوعاته في الشباب والمشيب حول هذه المسألة. إن المتأمل في موضوع الشيب عند ناصر خسرو يجد أنه يدور حول المحاور التالية: استرجاع أيام الشباب وما كان فيه من المرح واللهو - التحسر على مرور تلك الأيام وما حل به من الضعف والفتور في الأيام الباقية - التأمل وتدقيق النظر فيما سيؤول به الأمر إلى الحياة الأخرى - التعبير عن الموعدة والنصح لتنبه المتلقي بعدم الاغترار بالدنيا ونعيمها الزائل والاعتصام بالمثل الدينية - رجاء الغفران في أيام الشيخوخة والاعتبار بمن مضوا في القرون الخالية.

يقول الشاعر في التعبير عن الضعف والنصب أيام الشيخوخة:

لشكر بيري فكنند و قافله ذل	ناكه بر ساعدين و كردن من غل
غلغل باشد به هر كجا سبه آيد	وين سبه از من ببرد يكسر غلغل
شاد مبادا جهان هكرز كه او كرد	شادي و عز مرا بدل به غم و ذل
نقسم جو نال بود و جسمم جون كوه	كوه شد آن نال و نال كه به تبديل
نيك نكه كين كه كر استوار نداري	شخص جو نالم كه بود جون كه بريل
سى و دو درم كه سست كرد زمانه	سخت كجا كردد از هليله كابل؟ <sup>(٦٠)</sup>

أي: لقد جعلني جيش الشيخوخة وقافلة الذل مغلولاً. إذا حل جيشٌ بمكان يسمع فيه الجلب والأصوات، أما جيش المشيب فقد أفحمني. لا جعلت الدنيا مسرورة، فإنها بدلت سروري حزناً وعزتي ذلاً. كانت نفسي كالقصب النحيف وجسمي كالجبل، فقد جعل العالم تلك النفس قوية كالجبل، والجسم كالقصب. فدقق النظر إن لم تثق، فإن الدهر جعل جسمي كالقصب. قد أفسد الدهر أسناني كلها وصرت أدرد.

٥-٦- الشكوى من السجن

أسهمت الأسباب المحيطة بالمجتمع الإنساني التي شهدها ناصر خسرو على بروز ظاهرة السجن كعقوبة فرضها الجهال والمتزمتون عليه فضحى الشاعر بنفسه وجعل ذاته في بجموحة الأحداث من أجل مقاومة المحاكاة العمياء خاصة في القضايا الدينية والوقوف من وجه التعسف والاعتداء على الحقوق ورفض امتهان مصائر المجتمع الذي عاشه.

٦٠ - نفس المصدر، ص ٣٤١.

إذا أمعنا النظر في ظاهرة السجن وكثرة تراددها في شعر ناصر خسرو نجد لديه ثلاثة أنواع منها، النوع الأول السجن المكاني وهو الذي نسج من نوع الجبال الشامخة والراسية التي تستطيع أن تحصر كل إنسان وهي منطقة «يمكان» التي قضى الشاعر فيها خمسة عشر عاماً وأكثر من ترادد ذكرها في ديوانه الشعري وأشاد بها لما فيها من علو شأنه وفخره بها، والنوع الثاني نشأ من خلال آرائه ونظرياته الفلسفية التي نستطيع أن نسميه «السجن الفلسفي» وهو السجن الذي حصر فيه الشاعر الروح في سجن الجسم، واعتبر الجسم بمثابة سجن للروح، والنوع الثالث هو سجن العالم وحصر الشاعر أبناء البشر في سجن الدنيا، فمن ثم نستطيع القول إن الشاعر سمى نفسه «رهين المحابس الثلاثة».

إن صورة الإباء والمنعة لازمتها طوال هذه السنوات المديدة، فأظهر تحمّله على مفض الأيام غير أن هذا السجن طال ورق قلبه فعمه الذل والشعور بالوحدة وغلب عليه الألم والشكوى ووجد في الشكوى طريقاً للنجاة من هذا السجن بعدما دب اليأس في كيانه وانقطع رجاءه:

بكدن اي باد دل افروز خراساني	بريكي مانده به يمكان دره زنداني
اندر اين تنكي بي راحت بنشسته	خالي از نعمت وز ضيعت ودهقاني
برده اين جرخ جفايشه بييدادي	از دلش راحت وز تنش تن آساني
دل بر اندوه تر از نار بر از دانه	تن كدازنده تر از نال زمستاني <sup>(٦١)</sup>

أي: أيتها الريح الخراسانية، مُرِّي على السجين بـ «يمكان» الذي أقام فيه حزيناً محروماً من النعمة والضيعة والتمليك. سلبه الدهر الجائر الراحة والرفاهية. قلبه أحرق وأحزن من نار مليئة بالحبات والجسم أكثر احتراقاً من القصب اليابس.

يعتبر السجن الفلسفي نوعاً آخر من السجن الذي ذكره ناصر خسرو في تضاعيف أشعاره، وهو يعبر عنه باغتراب الروح في الجسم، فيطمع إلى عالم روحي مثالي وراء هذا العالم الأرضي فتطلع إلى الانعتاق من العالم المحيط به إلى عالم صناعي من عند نفسه. هذه الفكرة تذكرنا بعقيدة أبي العلاء المعري الذي سمى نفسه «رهين المحبس» أو «رهين المحابس الثلاثة» حيث قال في ديوانه «اللزوميات»:

أرانسي في الثلاثة من ساجوني	فلا تسأل عن الخبر النيث
لفقدي ناظري، ولزوم بيتي،	وكون النفس في الجسد الحثيث <sup>(٦٢)</sup>

انطلاقاً من هذا الموقف، اعتبر ناصر خسرو الجسم بمثابة سجن للروح بمنعها من التحليق في فضاء الحكمة والمعرفة الحقيقيتين، ويقول:

زندان جان تست تن اي نادان	تيمار كار او جه خوري جندين؟
تنين تست نت حذر كن زو	زيرا بخورد خواهدت اين تنين

٦١ - نفس المصدر، ص ٤٣٥.

٦٢ - المعري، أحمد بن عبدالله: اللزوميات، مج ١، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م، ص ٢٤٩.

بنكر كه جيست بسته در اين زندان زنده و روان به جيست جنين اين طين (٦٣)

أي: أيها الجاهل، إنَّ جسمك سجن روحك، فلماذا تمرّضه هكذا؟ الجسم تنيك فاحذر منه، لأنّه سيقضي عليك. أنظر إلى ما رُبط في هذا السجن وبأيّ شيءٍ يحيى هذا الجسم؟! .  
اختلط الدين وما يتصل به من المفاهيم في كيان الشعراء المغتربين خاصة عند الزهاد والنسّاك الذين تركوا الدنيا ومتاعها الزائل وانكبوا على الورع والتقوى، ومن هذا الموقف يقترب الزهاد من المتصوفين و«لا شك أن الوصول إلى هذا الفهم مرّ بمراحل وصل فيها مفهوم الزهد بصورته البسيطة إلى هذا المعنى الخاصّ لدى الصوفية عن غربة الروح في الجسد بل في هذا العالم»<sup>(٦٤)</sup>. من هنا يشكل انجاس الروح رافداً من روافد الشكوى عند ناصر خسرو ليضيف إلى أحزانه ومآسيه نوعاً آخر من الحزن الفلسفي الذي يعمق الحسرة والشكوى للحدّ من تطلعاته، وجعلت هذه الشكوى حياته مزوجة بالشعور من الكبر والخضوع والانتصار.

### النتيجة

اتّضح لنا من خلال ما سبق عن الشكوى في شعر أبي العتاهية وناصر خسرو أن شعريهما يمثل صورة صادقة من الفرح أو الترح والحب والكراهة والشحنات النفسية للقارئ وتعطي صورة واضحة لحالاتهما الشعورية وكذلك الظروف بمختلف أنواعها التي عاشها الشاعران.  
إذا دققنا النظر في شعر الشكوى عند هذين الشعارين نجد أن الشكوى لم تأت في تضاعيف قصائدهما بصورة مستقلة، فانتشرت ضمن مقطوعاتهما مما يؤكد على تفاعل الشكوى مع الأغراض الأخرى في شعريهما. لقد حاول كلا الشعارين أن يعبراً عن الشكوى العامة والخاصة في شعريهما، فمنها ما يتعلّق بذاتهما ومنها ما يتعلّق بقضايا العصر والظروف السائدة على المجتمع.  
يوجد في شعريهما تداخل كبير بين الشكوى والرفض العام للواقع، فاستغلّ أبو العتاهية من خلالها لتمرير أمانيه والتعبير عن تطلعاته والصراخ واتخذ الندب أداة للتعبير عن سوء حاله وما حل به من المصائب والغوائل. تلقى الشكوى ظلّالها على شعر أبي العتاهية وناصر خسرو فتكسب شعريهما طابعاً حزيناً ونوعاً من التمرد والرفض العام الذي يتميز بجماله الفني الذي يؤثّر على نفسية الإنسان، وحاول كلا الشعارين أن يزيلا المسافة الموجودة بين العالم الواقع الذي يعيشانه والطموحات والتطلعات التي يرسمانها نصب أعينهما، فاشتكا من الواقع المتناقض الذي أحاط بهما.

٦٣ - قيادياني، المصدر السابق، ص ١٤٤.

٦٤ - أشرف علي، الدعور: الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، ط ١، القاهرة، دار نهضة الشرق، ٢٠٠٢م، ص ٤٥.

اتّسمت الشكوى عندهما بصدق العاطفة وقوّة التأثير والابتعاد عن التكلّف والتنميق اللفظيّ، فمن ثمّ تمسّ شغاف القلوب وتعالج الشؤون الإنسانية التي تتعلّق بالفرد والمجتمع لما تكشف عن التدهور الاجتماعيّ والسياسيّ والخلقيّ سعياً للعثور على الحلول المناسبة لمشاكل الإنسان وتذليلها. يستنتج أنّ شعر الشكوى لديهما وليدة المعاناة وفاضت نفسيهما أسي ولوعة، فجاءت الشكوى عندهما في كثير من محاورها تقريرية مباشرة.

### المصادر والمراجع العربية

- ١- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، دمشق، دار الملاح للطباعة والنشر، ١٩٦٥م.
- ٢- أشرف علي، الدعور، الغربية في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، ط١، القاهرة، دار نهضة الشرق، ٢٠٠٢م.
- ٣- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، شرحه سمير جابر، مج٤، ط١، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.
- ٤- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن محمد بن محمد: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٠ هـ، مادة شكّا.
- ٥- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم نجار، مج١، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م.
- ٦- بشينه، جميل، ديوان، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ هـ.
- ٧- التميمي، قحطان رشيد، «الشكوى في الشعر الجاهلي»، مجلة كآية الآداب، جامعة بغداد، مج٢، العدد ١٣، ١٩٧٠م.
- ٨- ثقفان، عبدالله بن علي، الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين، ط١، الرياض، مكتبة لتوبة، ١٤١٧ هـ.
- ٩- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين (مج٣)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، بيروت، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٩٧٩م.
- ١٠- الزهيري، محمد، الأدب في ظل بني بويه، مصر، الأمانة، ١٩٤٩م.
- ١١- الشهري، ظافر عبدالله، الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط١، السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢م.
- ١٢- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، ط٧، مصر، دار المعارف، د.ت.

- ١٣ - - - - - ب. الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور، مصر، دار المعارف، ١٩٧٧ م.
- ١٤ - علوش، سعيد، الأدب المقارن في العالم العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧ م.
- ١٥ - الفاخوري، حنا، الموجز في الأدب العربي وتاريخه (الأدب المولّد)، مج ٢، بيروت، دارالجيل، ١٩٩١ م.
- ١٦ - الكفراوي، محمد عبدالعزيز، أسطورة الزهد عند أبي العتاهية، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٧٢ م.
- ١٧ - المعري، أحمد بن عبدالله، اللزوميات، مج ١، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣ م.
- ١٨ - المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج ٣، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر. د.ت.
- ١٩ - نوفل، محمد محمود قاسم، المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط ١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٧ م.

#### المصادر والمراجع الفارسية

- ٢٠ - اسلامي ندوشن، محمد علي، بيوند فكر و شعر در نزد ناصر خسرو، مشهد، دانشگاه فردوسی، ١٣٥٥ هـ.
- ٢١ - دادبه، اصغر، دائرة المعارف بزرگ اسلامي، ج ١١، تهران، ١٣٨١ هـ.
- ٢٢ - زرین کوب، عبدالحسين، از گذشته ادبی ایران، جاب اول، تهران، انتشارات بین المللی الهدی، ١٣٧٥.
- ٢٣ - شمیسا، سیروس، سبک شناسی شعر، جاب دوم، تهران، فردوس، ١٣٧٥ هـ.
- ٢٤ - - - - - ، سبک شناسی ٢، جاب اول، تهران، دانشگاه پیام نور، ١٣٧٢ هـ.
- ٢٥ - صفا، ذبیح الله، تاریخ ادبیات در ایران، ج ٢، تهران، فردوس، جاب هشتم، ١٣٦٦ هـ.
- ٢٦ - قبادیانی، ناصر خسرو، دیوان اشعار، جاب هفتم، تصحیح مجتبی مینوی ومهدی محقق، تهران، دانشگاه تهران، ١٣٧٨ هـ.

## نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة

### نظرة تحليلية

## UN Internal Justice System

أ.م.د. الدكتور عبدالله علي عبو<sup>(١)</sup>

Ass. Prof. Dr. Abd-Allah Ali Aboo

### المخلص

نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة هو نظام جديد قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة بمناقشة فكرة إستحداثه منذ عام ٢٠٠٦، ليكون هذا النظام بديلاً عن النظام القديم للعدل الداخلي للمنازعات الإدارية بين الموظفين الدوليين والإدارة في منظمة الأمم المتحدة المتمثل بالمحكمة الإدارية للأمم المتحدة، حيث قامت الجمعية العامة بموجب قرارها ٦٣/٢٥٣ عام ٢٠٠٨ بوضع هذا النظام وحددت الأول من تموز عام ٢٠٠٩ لتطبيقه والبدء بالعمل به.

يتكون النظام الجديد للعدل الداخلي من مرحلتين، المرحلة الأولى يطلق عليه النظام غير الرسمي للعدل الداخلي والذي يعني إمكانية حل النزاع القانوني الإداري بين الموظف الدولي والإدارة في الأمم المتحدة من خلال السبل غير القضائية، عن طريق إتفاق أطراف النزاع على عرضه على مكتب أمين المظالم وخدمات الوساطة للتوسط بين الطرفين والوصول لحل يرضي الطرفين، أما المرحلة الثانية فهو النظام الرسمي للعدل الداخلي حيث أنه عند فشل أطراف النزاع في اللجوء إلى النظام غير الرسمي لحله بالوساطة أو فشل الوساطة في حل النزاع، عند ذلك يصبح الحل القضائي هو المتاح لحل هذا النزاع ويكون ذلك من خلال عرض النزاع على محكمة الأمم المتحدة للمنازعات كمحكمة درجة أولى، مع إمكانية إستئناف أحكام هذه المحكمة أمام محكمة

١ - جامعة دهوك / كلية القانون والإدارة

الأمم المتحدة للإستئناف باعتبارها محكمة درجة ثانية ضمن نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة بعد إتباع الإجراءات الخاصة بتحريك الدعوى القضائية أماهاتين المحكمتين كما وردت في النظام الأساسي الخاص بكل محكمة، وكل ما تقدم كان موضوعاً لهذا البحث الذي يتكون من مبحثين، المبحث الأول للتعريف بنظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة، والمبحث الثاني لإجراءات تطبيق نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة.

الكلمات المفتاحية: نظام العدل الداخلي - مكتب أمين المظالم - الوساطة - محكمة المنازعات - محكمة الإستئناف.

### Abstract

Establishing a system of administration of justice at the United Nations is considered a new system discussed by the General Assembly since 2006 to be an alternative to the old system of internal administration of justice to resolve administrative disputes among the international staff and management in the United Nations represented by the UN administrative tribunal. The General Assembly under resolution 253/63 in 2008 issued this system and identified the first of July as a valid date to apply it .

The new internal administration justice system consists of two phases. The first phase is called the informal system of internal administration justice which means the possibility of resolving the legal administrative disputes between the international staff and management in the United Nations through non-judicial means by seeking dispute resolution to submit disputes to mediation under the auspices of the Office of the Ombudsman. The second phase is the formal system of internal administration justice, when the parties to the conflict resorting to the informal system fail to resolve the dispute through the mediation, then the judicial resolution becomes the right option to resolve the dispute in front of the United Nations Dispute Tribunal as the first instance tribunal. With the possibility to appeal the provisions of this tribunal before the United Nations Appeal Tribunal as the second instance tribunal within the United Nations internal administration justice system after following the special procedures to move the lawsuit before these tribunals as mentioned in the statute of the United Nations for each tribunal.

All of the above was the subject of this research, which consists of two sections; the first section is dedicated to the definition of the United Nations internal administration justice system, and the second section is dealt with

the procedures of implementing the United Nations internal administration justice.

Keywords: internal administration justice system - the Office of the Ombudsman - mediation - Dispute Tribunal – Appeals Tribunal.

### المقدمة:

منذ نشأتها سعت منظمة الأمم المتحدة إلى إيجاد آلية قضائية للنظر في المنازعات التي قد تنشور بينها كمنظمة دولية لها كيانها الخاص وشخصيتها الدولية المستقلة وبين الأشخاص الطبيعيين العاملين فيها والذي يطلق عليهم تسمية الموظفين الدوليين، وبالفعل سارعت الجمعية العامة والذي تمثل الجهاز العام في هذه المنظمة والتي لها الولاية العامة للنظر في كافة المسائل الداخلة في نطاق ميثاق الأمم المتحدة والمتعلقة بالشؤون المختلفة بموجب المادة (١٠) من الميثاق بإنشاء المحكمة الإدارية بموجب قرارها المرقم ٣٥١ في الدورة الرابعة عام ١٩٤٩، وهذه المحكمة أستمريت في العمل كآلية قضائية للنظر في المنازعات القانونية المتعلقة بالوظيفة الدولية بين منظمة الأمم المتحدة والموظفين الدوليين التابعين لها، وبعد مرور نصف قرن على عمل المحكمة المذكورة قررت الجمعية العامة إنهاء أعمالها وإستبدالها بنظام أكثر تطوراً لحل المنازعات الإدارية أطلقت عليه أسم (نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة) وبالفعل تداولت الجمعية العامة فكرة إنشاء هذا النظام منذ عام ٢٠٠٦ ومن ثم تم وضعه من قبلها بموجب قرارها المرقم ٦٣/٢٥٣ في عام ٢٠٠٨ والذي بدأ بالتنفيذ منذ ٣١ كانون الأول من عام ٢٠٠٩ بموجب القرار المذكور، وهكذا تم إستبدال المحكمة الإدارية بنظام إقامة العدل في الأمم المتحدة.

يتناول البحث نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة بإعتباره نمطاً جديداً لحل المنازعات القانونية الإدارية التي تنشأ بين الموظفين الدوليين والأمم المتحدة، من حيث التعريف بهذا النظام وأسباب إستحداثه والأليات القضائية الموجودة فيه والتي تتكفل بإقامة العدل المنشود. ويجب الإشارة قبل كل شيء إلى أهمية البحث، كونه حسب تصورنا الدراسة الأولى التي تتناول هذا الموضوع، تعد من المواضيع الحديثة جداً والمهمة في نفس الوقت والتي لم تنل الحظ الكافي من البحث والتحليل وهذا ما سيبدو واضحاً من خلال صفحات البحث حيث قلة المصادر المتعلقة بالموضوع حيث أعتمدنا بشكل أساسي على الوثائق والقرارات الخاصة بإنشاء هذا النظام وأنظمة المحاكم المعنية بتطبيق هذا النظام والمعلومات المنشورة على الشبكة العالمية للمعلوماتية من موقع منظمة الأمم المتحدة.

كما أن أهمية الموضوع تتمثل في أن أنه إذا كانت كل منظمة دولية بحاجة إلى نظام إداري يتم بموجبه وضع تسويات عادلة لأي نزاع قانوني تتعلق بأحكام الوظيفة الدولية داخل تلك المنظمة، وإذا كانت الأمم المتحدة هي من تلك المنظمات التي راعت هذه المسألة كما قنا بإنشائها للمحكمة الإدارية، إلا أن الغاء هذه المحكمة من قبل الجمعية العامة منذ عام ٢٠٠٩ وإحلال نظام إقامة العدل

الداخلي محلها يمثل تطوراً مهماً وتعد من المواضيع الجديرة بالبحث والتحليل ، وذلك بهدف بيان أسباب هذا الإجراء وفوائده بالنسبة للموظفين الدوليين بغية تمكينهم من الحصول على حقوقهم أو الدفاع عنها في حال إنتهاكها من قبل المنظمة الدولية.

ويبدو واضحاً من خلال ما تقدم أن للبحث هدف رئيسي وهو بيان المقصود بنظام إقامة العدل الداخلي في منظمة الأمم المتحدة، من خلال إستعراض خلفية نشأة هذا النظام والآلية التي تم رسمها في القرار ٦٣/٢٥٣ الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة لتطبيق هذا النظام والعمل به في هذه المنظمة ، والوصول إلى هذا الهدف يقتضي التطرق إلى المسائل الأخرى المتعلقة بالموضوع كأسباب وضع هذا النظام والأجهزة الموجودة فيه.

أما عن نطاق البحث فإنه يتحدد كما هو واضح بالتعريف بنظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة دون الخوض في تفاصيل أخرى قد نخرجنا عن نطاق الموضوع كالتطرق مثلاً إلى الوظيفة الدولية وأحكامها ، أو المحكمة الإدارية التي سبقت نظام إقامة العدل في الامم المتحدة ، لأن هذه المسائل قد تم معالجتها في بحوث ودراسات أخرى.

وفي تناولنا لموضوع البحث أعتمدنا على المنهج التحليلي ، حيث أستعنا بهذا المنهج من أجل تحليل القرار الصادر من الجمعية العامة بإلغاء المحكمة الإدارية وإحلال نظام إقامة العدل مكانها ، ومن خلال هذا التحليل يتوضح لنا ماهي المبررات التي ساقتها الجمعية العامة للقيام بهذه الخطوة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى سيمكنا هذا التحليل من بيان الآليات القضائية المستحدثة في إطار نظام إقامة العدل الداخلي لتسوية المنازعات القانونية الإدارية داخل الأمم المتحدة.

وحتى يتحقق الهدف المرجو من البحث أرتأينا تقسيمه إلى مبحثين وعلى النحو الآتي :

#### المبحث الأول: التعريف بنظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة

#### المبحث الثاني: إجراءات تطبيق نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة

#### المبحث الأول: التعريف بنظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة

في البداية يجب القول أن نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة هو إمتداد لنظام القضاء الدولي الإداري التي عرفته المنظمات الدولية منذ بدايات نشأتها ، حيث أن المنظمات الدولية العالمية الشاملة منها والمتخصصة وكذلك الإقليمية أسست ضمن هيكلتها نظاماً قضائياً إدارياً للنظر في المنازعات القانونية الإدارية التي تنشأ بين موظفيها وأجهزتها ، وأطلق على هذا النظام القضائي مصطلح المحاكم الدولية الإدارية ، وقد كانت الأمم المتحدة من بين هذه المنظمات التي كما سبق قوله حيث أنشأت محكمة إدارية خاصة بها في عام ١٩٤٩.<sup>(٢)</sup>

٢ - للمزيد من التفصيل عن نشأة القضاء الدولي الإداري وتطوره في المنظمات الدولية ، ينظر كل من د. احمد محمد رفعت ، القانون الدولي الإداري ، دون دار نشر ، دون تاريخ نشر ، ص ٢٨٢ - ٢٨٨ . ود. رياض صالح أبو العطا ، المنظمات الدولية ، ط ١ ، دار إشراف للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٠ ، ص ١٣٦ . ود. محمد المجذوب ، التنظيم الدولي ، النظرية العامة والمنظمات الدولية والإقليمية ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت ، ص ٩٠ .

والمحكمة الإدارية في الأمم المتحدة كانت تعد في وقت إنشائها من أهم هذه المحاكم في إطار المنظمات الدولية، حيث جاءت لتكون آلية للنظر في المنازعات التي تثور بين المنظمة وموظفيها، بل أن اختصاصها كان من الممكن أن يسري على أي نزاع إداري في إطار الوكالات المتخصصة المرتبطة بالأمم المتحدة والتي ليس لها محكمة إدارية خاصة بها وتقبل إختصاص المحكمة الإدارية للأمم المتحدة.<sup>(٣)</sup>

ونظام إقامة العدل الداخلي هو بديل عن هذه المحكمة وتطوير للنظام القضائي الإداري في الأمم المتحدة، ويقتضي التعريف بهذا النظام الجديد في الأمم المتحدة تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين، المطلب الأول نتناول فيه أسباب إنشاء نظام إقامة العدل في الأمم المتحدة، وفي المطلب الثاني تكوين نظام إقامة العدل في الأمم المتحدة.

### **المطلب الأول: أسباب إنشاء نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة**

بما أن نظام إقامة العدل في الأمم المتحدة نظام حديث تم إنشائه في الأمم المتحدة، ونظراً لعدم وجود دراسات تناولت الموضوع بالبحث والتحليل، فإن ذلك يتحتم علينا الرجوع إلى السند القانوني لإنشاء هذه النظام، وهو القرار ٦٣/٢٥٣ الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة لإستخلاص الأسباب والمبررات وراء إستحداث هذا النظام.

حيث ذكرت الجمعية العامة جاء في مقدمة قرارها ٦٣/٢٥٣ الأسباب التي دعته إلى وضع هذا النظام في الأمم المتحدة.<sup>(٤)</sup>

وهذه الأسباب حسب ما وردت في القرار ٦٣/٢٥٣ والقرارات التي سبقتها (٦١/٢٦١ و ٦٢٨/٦٢) هي على النحو الآتي:

١. أن وجود نظام لإقامة العدل يتسم بالشفافية والحياد والاستقلال والفعالية شرط ضروري لكفالة العدل والإنصاف في معاملة موظفي الأمم المتحدة، وأمر هام لنجاح عملية إصلاح الموارد البشرية في المنظمة.
٢. أن تكون الأمم المتحدة قدوة لأرباب العمل، وضرورة القضاء على أي تضارب في المصالح في نظام إقامة العدل داخل المنظمة.

٣- ينظر د. عبدالله علي عبو، المنظمات الدولية- الأحكام العامة وأهم المنظمات العالمية والإقليمية والمتخصصة، ط ١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١، ص ٣٠٥- ٣٠٦. وأيضاً د. عبدالله علي عبو، القضاء الدولي الإداري في إطار المنظمات الدولية، بحث منشور في مجلة الرافدين للحقوق، تصدر عن كلية الحقوق، جامعة الموصل، المجلد (٧) العدد (٢٦) السنة العاشرة ٢٠٠٦، ص ٣٢٢.

٤- تجدر الإشارة إلى أن الجمعية العامة كانت قد أشارت إلى فكرة إنشاء نظام إقامة العدل في الأمم المتحدة والأسباب الموجبة لذلك قبل هذا القرار بالقرارين ٦١/٢٦١ - ٢٠٠٦ و ٦٢/٢٢٨ - ٢٠٠٧. للمزيد عن هذين القرارين ينظر الموقع الإلكتروني التالي:

<http://www.un.org/arabic/documents/gares.htm> تاريخ الزيارة ١٦- ٧- ٢٠١٣.

٣. أن النظام الحالي لإقامة العدل في الأمم المتحدة يتسم بالبطء وانعدام السلاسة والفعالية ويفتقر إلى المهنية، وأن هناك عيوباً في النظام الحالي للمراجعة الإدارية.
٤. أهمية وجود نظام لإقامة العدل لدى الأمم المتحدة يتسم بالكفاءة والفعالية وذلك لضمان مساءلة الأفراد عن أعمالهم ومساءلة المنظمة عن أعمالها وفقاً للقرارات والأنظمة ذات الصلة.
٥. إن إنشاء النظام الجديد لإقامة العدل سيكون له، إلى جانب فوائد أخرى، أثر إيجابي على العلاقات بين الموظفين والإدارة وسيؤدي إلى تحسن أداء الموظفين والمديرين على السواء.
٦. أهمية زيادة الشفافية في اتخاذ القرار وزيادة مساءلة المديرين عن النظام الإداري في المنظمة. وبعد كل ما تقدم من أسباب دعت الجمعية العامة لإنشاء النظام الجديد أكدت الأخيرة في مطلع قرارها ٦٣/٢٥٣ على ما يلي (ضرورة إنشاء نظام جديد لإقامة العدل يتسم بالاستقلالية والشفافية والمهنية وكفاية الموارد واللامركزية ويتسق مع قواعد القانون الدولي ذات الصلة ومبادئ سيادة القانون ومع الأصول القانونية لضمان احترام حقوق والتزامات الموظفين ومساءلة المديرين والموظفين على حد سواء).<sup>(٥)</sup>
- ويبدو جلياً لنا من خلال تحليل الجزء أعلاه من مقدمة قرار الجمعية العامة رقم ٦٣/٢٥٣ أن الأسباب كثيرة لإستحداث نظام إقامة العدل في الأمم المتحدة، ويمكن الإستخلاص من تحليل هذا الجزء أن هناك مشاكل كان يعاني منه النظام القديم لحل المنازعات القانونية الإدارية في الأمم المتحدة، وعلى هذا الأساس جاء هذا النظام ليكون أكثر فعالية وشفافية ومهنية ولا مركزية في أداء العمل، وليكون نظاماً أكثر عدالة وأكثر ترسيخاً لمبدأ سيادة القانون في الأمم المتحدة.<sup>(٦)</sup>

### المطلب الثاني: تكوين نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة

كما ذكرنا أن نظام إقامة العدل في الأمم المتحدة هو تطوير وتوسيع للنظام الخاص بالتسوية القانونية للمنازعات الإدارية التي قد تثور في الأمم المتحدة في إطار الوظيفة الدولية، ولعل من أهم سمات هذا التطور والتوسيع في طرق التسوية للمنازعات الإدارية، أن نظام إقامة العدل يتكون من مرحلتين، المرحلة الأولى هو النظام غير الرسمي للعدل الداخلي في الأمم المتحدة أما المرحلة الثانية فهو النظام الرسمي للعدل الداخلي في الأمم المتحدة ولكل قسم إجراءات خاصة لتسوية المنازعات الإدارية، وهذا ما سنوضحه في فرعين.

٥ - ينظر مقدمة القرار ٦٣/٢٥٣ المنشور على الموقع الإلكتروني التالي:

<http://www.un.org/arabic/documents/gares.htm> تاريخ الزيارة ١٦ - ٧ - ٢٠١٣.

٦ - حظي موضوع سيادة القانون باهتمام كبير من منظمة الأمم المتحدة في السنوات الأخيرة، وأصدرت العديد من الوثائق التي تؤكد على ضرورة الإلتزام به في جميع الأبعاد الوطنية والدولية، للمزيد عن ذلك ينظر الموقع الإلكتروني الآتي: <http://www.un.org/ar/ruleoflaw> تاريخ الزيارة ١٧ - ٧ - ٢٠١٣.

### الفرع الأول: النظام غير الرسمي للعدل الداخلي في الأمم المتحدة

رغبة من الأمم المتحدة في تفادي تفاقم المنازعات القانونية الإدارية التي قد تنشأ بين أجهزتها والموظفين العاملين فيها، فقد تم النص في نظام إقامة العدل الداخلي على سبيل جديد لتسوية المنازعات الإدارية من خلال ما يسمى بمكتب أمين المظالم الذي يعني بالوساطة لحل المنازعة الإدارية قبل اللجوء إلى التسوية القضائية، وإذا ما نجحت هذه الوساطة أنهى النزاع ولا حاجة ل عرضه على القضاء.

وقد أكدت الجمعية العامة في القرار ٦٣/٢٥٣ على أهمية النظام غير الرسمي للعدل الداخلي وأن تسوية النزاعات بالوسائل غير الرسمية عنصر حاسم في نظام إقامة العدل، وعلى وجوب استخدام النظام غير الرسمي إلى أقصى حد ممكن لتفادي التقاضي الذي لا لزوم له.<sup>(٧)</sup> ويقصد بالنظام غير الرسمي لتسوية المنازعات القانونية الإدارية أن يتم التسوية للمنازعات القانونية الإدارية بين الموظفين والأمم المتحدة عن طريق مكتب أمين المظالم وخدمات الوساطة التي هو جزء من نظام إقامة العدالة في الأمم المتحدة، حيث أنشأت الجمعية العامة، بموجب قرارها ٢٢٨/٦٢، النظام الجديد لإقامة العدل في الأمم المتحدة، بما في ذلك تعزيز مكتب أمين المظالم في الأمم المتحدة وذلك بإنشاء (أ) هيكل وحيد متكامل لا مركزي جغرافياً لأمين المظالم (أي مكتب في نيويورك ومكاتب أخرى خارجها) بحيث يخدم الأمانة العامة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي وصندوق الأمم المتحدة للسكان ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة ومكتب الأمم المتحدة لخدمات المشاريع ومفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين؛ (ب) شعبة للوساطة لتقديم خدمات الوساطة؛ و(ج) مكاتب إقليمية، بدأ المكتب تقديم خدماته في تموز/يوليه ٢٠١٠.<sup>(٨)</sup>

ويساعد أمناء المظالم والوسطاء في منظومة الأمم المتحدة باعتبارهم أطرافاً محايدتين ومستقلين، موظفي الأمم المتحدة على معالجة مشاكلهم المتعلقة بالعمل ويساعدون على تسوية النزاع من خلال وسائل غير رسمية من خلال الحوار بين الموظف والإدارة، ولا نريد هنا الخوض في تفاصيل النظام غير الرسمي للعدل ونتركها للمبحث الثاني عند الحديث عن إجراءات تطبيق نظام إقامة العدل في الأمم المتحدة.

### الفرع الثاني: النظام الرسمي للعدل الداخلي في الأمم المتحدة

يقصد بالنظام الرسمي للعدل الداخلي في الأمم المتحدة أن المنازعة الإدارية إذا لم يتم حلها عن طريق النظام غير الرسمي والذي أشرنا إليه في الفرع الأول أي عن طريق الوساطة من خلال

٧ - ينظر الفقرة (١٨) من القرار ٦٣/٢٥٣ .

٨ - للمزيد من التفصيل عن مكتب أمين المظالم وخدمات الوساطة ينظر الموقع الإلكتروني: <http://www.un.org/ar/ombudsman/help.shtml> تاريخ الزيارة ١٨ - ٧ - ٢٠١٣.

مكتب أمين المظالم، عند ذلك يكون الحل هو اللجوء إلى طرق التقاضي للنظر في النزاع، ويكون ذلك عن طريق رفع دعوى قضائية من قبل المتضرر أمام الهيئات القضائية المختصة لذلك. وطبقاً للنظام الجديد للعدل الداخلي في الأمم المتحدة فإن النظام الرسمي للعدل يتكون من مكتب العدل الداخلي الذي يضم ثلاث هيئات هي (مكتب المساعدة القانونية، محكمة المنازعات، محكمة الإستئناف).

بخصوص مكتب المساعدة القانونية، أنشأت الجمعية العامة للأمم المتحدة مكتب المساعدة القانونية للموظفين، الذي يعمل فيه موظفون قانونيون متفرغون في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، وفي أديس أبابا، وبيروت، وجنيف، ونيروبي. وعلى من الموظفين أو المتطوعين القانونيين الذين يقدمون المشورة القانونية في مكتب تقديم المساعدة القانونية للموظفين أن لا يطلبوا أو يقبلوا أي مكافأة مادية أو منفعة من الزبائن أو الأطراف الأخرى مقابل الخدمات التي يقدمونها بصفة محامين (باستثناء المرتبات التي تدفعها الأمم المتحدة، فيما يخص الموظفين القانونيين في المكتب). ويمكن للموظفين الحصول على المشورة القانونية من مستشارين خارج مكتب تقديم المساعدة القانونية للموظفين، ويشمل ذلك الموظفين العاملين حالياً، أو السابقين، أو من مستشارين قانونيين خارجيين يختارونهم على نفقتهم الخاصة. ويمكن للموظفين أيضاً أن يختاروا تمثيل أنفسهم بأنفسهم (التمثيل الذاتي) في الإجراءات ضمن منظومة الأمم المتحدة للقضاء الإداري، ويجوز لأي موظف في أي مرحلة من مراحل النزاع، أو حتى تحسباً للنزاع ما، أن يطلب مشورة من مكتب تقديم المساعدة القانونية للموظفين. ويمكن للموظفين والمتطوعين القانونيين العاملين في المكتب أن يقدموا المشورة بشأن الأسس القانونية لقضية ما وبشأن الخيارات التي قد تكون متاحة للموظف. وإذا اختار الموظف رفع القضية ضمن المنظومة الرسمية، سيقم مكتب تقديم المساعدة القانونية للموظفين ما إذا كان بوسعه تقديم المساعدة، وإذا كان الأمر كذلك، فسيوفر المشورة القانونية أو التمثيل القانوني في جميع مراحل القضية.<sup>(٩)</sup>

أما بخصوص محكمة المنازعات، فقد أنشأت الجمعية العامة للأمم المتحدة محكمة الأمم المتحدة للمنازعات التي بدأت عملها في ١ تموز/يوليه ٢٠٠٩. وهي المحكمة الابتدائية في النظام الجديد لإقامة العدل. وتنظر محكمة المنازعات وتبت في القضايا التي يرفعها موظفون حاليون أو سابقون، أو التي تُرفع بالنيابة عنهم، للطعن في قرارات إدارية يُدعى عدم امتثالها لشروط تعيينهم أو عقود عملهم. وفي تدبير انتقالي من النظام السابق، تنظر محكمة المنازعات أيضاً في القضايا المحالة من

٩ - للمزيد من التفصيل عن مكتب المساعدة القانونية ينظر الموقع الإلكتروني التالي: <http://www.un.org/ar/oaj/legalassist/index.shtml> تاريخ الزيارة ١٩ - ٧ - ٢٠١٣.

الهيئات السابقة المتمثلة في مجالس الطعون المشتركة واللجان التأديبية المشتركة والمحكمة الإدارية للأمم المتحدة، وتصدر أحكاماً بشأن تلك القضايا.<sup>(١٠)</sup> أما فيما يتعلق بمحكمة الإستئناف، فهي هيئة قضائية استئنافية أنشأتها الجمعية العامة للنظر في طلبات الاستئناف المقدمة بشأن الأحكام الصادرة عن محكمة الأمم المتحدة للمنازعات. وتتولى المحكمة أيضاً النظر والحكم في الطعون المقدمة في القرارات التي تتخذها اللجنة الدائمة التي تعمل باسم مجلس الصندوق المشترك للمعاشات التقاعدية للموظفين، والقرارات التي تتخذها الوكالات والكيانات التي قبلت بالولاية القضائية لمحكمة الأمم المتحدة للاستئناف.<sup>(١١)</sup> ولا نريد هنا الخوض في تفاصيل عمل هذه الهيئات الثلاث بل سنتناول ذلك بالتفصيل في المبحث الثاني من هذا البحث.

### **المبحث الثاني: إجراءات تطبيق نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة**

سبق وإن بينا في المبحث الأول أن نظلم إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة يتكون من قسمين الأول هو النظام غير الرسمي للعدل والثاني هو النظام الرسمي لإقامة العدل، وكل نظام له إجراءات خاصة للبدء بتطبيقه من أجل الوصول إلى حل للمنازعة الإدارية التي قد تحصل في المنظمة الدولية، وفي هذا المبحث سنوضح الإجراءات الواجب إتباعها لتطبيق نظام إقامة العدل في الأمم المتحدة وذلك من خلال مطلبين، الأول نتناول فيه إجراءات تطبيق النظام غير الرسمي للعدل الداخلي في الأمم المتحدة والثاني نتناول في إجراءات تطبيق النظام الرسمي للعدل الداخلي في الأمم المتحدة.

### **المطلب الأول: إجراءات تطبيق النظام غير الرسمي للعدل الداخلي في الأمم المتحدة**

نظام العدل غير الرسمي كما توضح لنا عبارة عن عرض النزاع الإداري على مكتب أمين المظالم وخدمات الوساطة، حيث يقوم أمين المظالم بالتوسط بين الموظفين والإدارة في المنظمة من أجل التوصل إلى حل يرضي الطرفين ويجنبهم الوصول إلى مرحلة التقاضي. وبهذا المعنى فإن الوساطة عملية طوعية وغير رسمية وسرية يقوم فيها شخص متمرس ومحاميد، يعرف باسم الوسيط، بمساعدة الأطراف على العمل في سبيل التوصل إلى اتفاق تفاوضي بشأن منازعة أو خلاف، على أن تكون للأطراف وحدها الكلمة الأخيرة بشأن القرار النهائي.

١٠ - للمزيد من التفصيل عن محكمة المنازعات ينظر الموقع الإلكتروني التالي:

٢٠١٣ - ٧ - <http://www.un.org/ar/oaj/dispute> / تاريخ الزيارة ٢٠ - ٧ - ٢٠١٣

١١ - للمزيد من التفصيل عن محكمة الإستئناف ينظر الموقع الإلكتروني التالي:

٢٠١٣ - ٧ - <http://www.un.org/ar/oaj/appeals> / تاريخ الزيارة ٢٠ - ٧ - ٢٠١٣

والوساطة تحقق فوائد عديدة حيث تساعد على حل المنازعات عن طريق إعانة الأطراف على إيجاد حل للنزاع القائم بينها. والمبدأ الأساسي هو أن الحل الأفضل لأي منازعة يكون عادة حلاً توصل إليه الأشخاص الذين هم طرف فيه، ويمكن لعملية الوساطة أن توفر الوقت والمال وأن تخفف من المنازعات المولدة للضغط النفسي في مكان العمل، ويمكن عادة للأطراف أن يحلوا منازعاتهم عن طريق الوساطة على نحو أسرع وأسهل من رفع الأمر للمحاكمة أمام قاض كي يفصل فيه، وليست الوساطة عملية قانونية وهي بالتالي لا تتطلب عادة حضور مستشار قانوني. لكن بوسع الأطراف إحضار ممثل أو زميل إذا ما اعتبروا أن ذلك ضرورياً بعد مناقشة ذلك مع شعبة الوساطة أو الوسيط، وإذا قدم الموظفون شكوى في إطار النظام الرسمي لإقامة العدل، يمكن للأطراف بإيعاز من أحد القضاة أو من تلقاء ذاتها اختيار سبيل الوساطة لوقف محاكمة قد تكون طويلة ومرهقة ومكلفة وتؤدي إلى نتيجة ليس للأطراف سيطرة عليها، أما العناصر الأساسية للوساطة فهي عملية طوعية. ولا يمكن أن تجري الوساطة على نحو فعال أو معتاد دون موافقة الأطراف المعنية. والوساطة عملية غير رسمية تسمح للأطراف بحل المشكلة على نحو غير رسمي، خارج القنوات الرسمية، وبمساعدة وسيط. وهي عملية تتسم بسرية تامة. وأي أمر يناقش بين الأطراف أو على انفراد مع الوسيط يبقى سرياً ما لم تنفق الأطراف على خلاف ذلك. كما أن الوساطة لا تخل بأي إجراءات قد تتخذ بعدها. وهذا يعني أن المناقشات الجارية خلال الوساطة، والمقترحات المطروحة والوثائق المقدمة لأغراض الوساطة، لا يجوز أن تستخدم لاحقاً كدليل أمام هيئة قضائية أو محكمة. وبالإضافة إلى ذلك، لا يمكن دعوة الوسيط ولا المشاركين للإدلاء بشهادة أمام المحكمة بخصوص ما جرى خلال الوساطة. والوسيط محايد. وهذا يعني أن الوسطاء مستقلون وليس لهم أي مصلحة خاصة في النتائج المحتملة. فدور الوسيط هو محاولة خلق مناخ آمن يشجع جميع الأطراف على المساهمة على قدم المساواة، الأمر الذي يمكن أن يسهل تهيئة جو يساعد على حل المشاكل، والوسطاء ليسوا قضاة. وهم لا يحددون نتائج القضايا. ويستخدم الوسيط مهارته ليحاول إعطاء جميع الأطراف فرصة للتعبير عن الرأي، بأسلوب يعبر عن الاحترام والامتناع عن إطلاق الأحكام، ويساعدها على التوصل إلى حل يناسبها. وتوفر شعبة الوساطة الفرصة لطرف ثالث محايد (الوسيط) كي يساعد الأطراف على التوصل إلى حل مناسب شخصياً لكل منها. ويسهل الوسيط توصل الأطراف إلى تسوية للمنازعة. ومع ذلك، تبقى الأطراف مسؤولة على نحو كامل عن صياغة الحل الذي يناسبها. ولا يتخذ الوسيط قراراً ملزماً للأطراف، ولكنه يوجهها للتوصل إلى اتفاق مشترك لحل النزاع.<sup>(١٢)</sup>

١٢ - للمزيد من التفصيل عن حل المنازعة الإدارية عن طريق الوساطة ينظر الموقع الإلكتروني التالي: <http://www.un.org/ar/ombudsman/meddivision.shtml> تاريخ الزيارة ٢٠ - ٧ - ٢٠١٣. وينظر كذلك الفقرات ١٧ - ٢٥ من قرار الجمعية العامة رقم ٦٣/٢٥٣.

يستطيع أمين المظالم أن يستعرض بشكل غير رسمي أية مجموعة من القضايا تتصل بالعمل في الأمم المتحدة. حيث للموظفين الدوليين الحرية في أن يتوجهوا إلى مكتب أمين المظالم بأية قضية لها علاقة بالعمل قد تواجههم، مثل الأجور والاستحقاقات والمسائل المتعلقة بالمرتبات والمعاش التقاعدي والإجازة والتأمين الصحي وشتى الاستحقاقات الأخرى. والعلاقة الخاصة بالشؤون بين الرؤساء والمرؤوسين المتعلقة بالاختلافات في سلوك الأشخاص، والاحترام، والمعاملة، والاتصال، والأفكار السائدة بين الفريق والأداء، وعلاقات الأقران والزملاء وهذه تشمل الشؤون بين الأقران المتعلقة بالاختلافات في سلوك الأشخاص، والاحترام، والمعاملة، والاتصال، والأفكار السائدة بين الفريق، والمسائل الخاصة بالوظيفة والحياة الوظيفية كالشؤون المتعلقة بطلب التقدم لوظيفة وعمليات الاختيار، والتقدم الوظيفي والتطوير المهني، أحكام وشروط العقد، الإعارة، الانتداب، النقل، التناوب، عملية التقاعد، الفصل من الخدمة. وأيضاً الشؤون القانونية والتنظيمية والمالية والامتثال كالشؤون المتصلة كإساءة استعمال الأموال، وعمليات التحقيق والتأديب، والانتقام، وجوانب السلامة والصحة والرفاهية والجهد والعمل وهي الشؤون المتصلة بالظروف العملية، والرفاهية العامة والإجهاد، والمساعدة فيما يتعلق بحالات العجز أو الحالات الصحية ومسائل لها صلة بالصحة والسلامة والأمن، وخدمات الإدارة وتشمل الشؤون المتصلة بقابلية الاستجابة، ودقة المواعيد أو الإجراءات الإدارية التي تتخذها الأقسام في تمويل الخدمات إلى الموظفين (الموارد البشرية)، صندوق المعاشات التقاعدية، وحدة الضرائب، والمسائل التنظيمية والمسؤولية القيادية والإدارة كالشؤون المتصلة بالأفكار السائدة التنظيمية، والروح المعنوية، والثقافة، والاتصال؛ وإدارة التغيير، والمسائل ذات الصلة بالمسؤولية القيادية في أساليب التنظيم والإدارة. والقيم والأخلاق والمعايير وهي مسائل تتعلق بالقيم الأساسية ومدونة الأخلاق في الأمم المتحدة.<sup>(١٣)</sup>

أما عن الإجراءات التي تتبع في تطبيق النظام غير الرسمي للعدل الداخلي أي الوساطة، تتلقى شعبة الوساطة طلب وساطة من أطراف المنازعة، أو مكتب أمين المظالم، أو وحدة التقييم الإداري، أو محكمة الأمم المتحدة للمنازعات. ويجوز أيضاً لأحد أطراف المنازعة أن يطلب وساطة ويسأل شعبة الوساطة أن تتصل بالطرف الآخر للحصول على موافقتهم على الوساطة. و يناقش الموظف المكلف بالقضية التي تتطلب الوساطة مع الطرف الآخر جوانب المنازعة وسير العملية والمسائل الأخرى ذات الصلة. ويتخذ مدير شعبة الوساطة قراراً يحدد فيه ما إذا كانت المنازعة مناسبة للوساطة، وذلك بعد الاطلاع على المعلومات التي يقدمها له الموظف المكلف بالقضية، وتعلم شعبة الوساطة الأطراف، أو وحدة التقييم الإداري، أو محكمة الأمم المتحدة للمنازعات، ما إذا

13- See, Mediation and the United Nations Internal Justice System, Background, [www.cedr-asia-pacific.com/.../ARTICLE-20120116100](http://www.cedr-asia-pacific.com/.../ARTICLE-20120116100), p 4, Date of visit-26-7-2013

كانت القضية مقبولة للإحالة أم لا ، وذلك في غضون أسبوع واحد من تاريخ رفع المسألة إلى شعبة الوساطة للنظر فيها. وتجري الوساطة في غضون ثلاثين يوماً من التاريخ الذي قبلت فيه القضية للوساطة. وحين تعتبر القضية مناسبة للوساطة ، يتصل الموظف المكلف بالقضية بالأطراف لترتيب موعد ومكان مناسبين لعقد مشاورات أولية. تقدم الإرشادات والمشورة للأطراف بشأن نوع الوثائق اللازمة ومواعيد تقديمها قبل موعد الوساطة. ويقدم الموظف المكلف بالقضية استمارات الموافقة على الوساطة كي يوقع عليها جميع الأطراف. وتؤكد الأطراف للموظف المكلف بالقضية أن الأشخاص الذين يتمتعون بالسلطة المناسبة لتسوية المسألة سيحضرون الوساطة. وترسل قائمة المشتركين إلى جميع الأطراف قبل موعد الوساطة. ويتصل الوسيط بالأطراف قبل موعد الوساطة ليتناقش معها بإيجاز بشأن الوساطة القادمة ، بشأن أمور منها الإجراءات ذات الصلة. و يعد الأطراف ملخصاً عن القضية مرفقاً بالأوراق ذات الصلة ويجب عليها أن تقدمه إلى الموظف المكلف بالقضية بحلول التاريخ المحدد. ثم تحال هذه الوثائق إلى الوسيط للنظر فيها.<sup>(١٤)</sup>

أما عن نتيجة الوساطة لحل المنازعة الإدارية فإننا نكون أمام احتمالين :

الإحتمال الأول: أن يتم حل النزاع عن طريق الوساطة ففي هذه الحالة توقع الأطراف المعنية اتفاق تسوية بالوساطة. وإذا كانت الوساطة قد جرت بموجب إحالة من المحكمة ، وتمت تسوية القضية ، توقع الأطراف المعنية اتفاق تسوية. وترسل شعبة الوساطة إلى محكمة الأمم المتحدة للمنازعات إخطار تسوية.

الإحتمال الثاني: أن تفشل الوساطة في حل النزاع فإذا كانت الوساطة قد جرت بموجب إحالة من المحكمة ، ولم تتم تسوية القضية ، تخطر محكمة الأمم المتحدة للمنازعات في غضون ٧ أيام عمل من انتهاء الوساطة بأن القضية لم تسوِّ لولا تبين لمحكمة الأمم المتحدة للمنازعات أسباب عدم تسوية القضية. واعتبار عدم تسوية القضية أو فشلها يجري وفقاً للنظام الداخلي لشعبة الوساطة الذي يشمل على سبيل المثال الحالات التالية: (أ) تمت تسوية القضية قبل أن تجري الوساطة أو اتفقت الأطراف على حل المسألة باتباع طرق أخرى لتسوية المنازعات. (ب) قرر أحد الأطراف عدم المشاركة في الوساطة أو انسحب من الوساطة. (ج) تعذر حل المسائل ووصلت الأطراف إلى طريق مسدود أدى إلى إنهاء الوساطة ، أو تم التوصل إلى حل جزئي للمسائل والاتفاق على اتخاذ إجراءات بشأن المسائل المتبقية. (د) يغلق الوسيط ملف القضية (يحتفظ الوسيط بحق إغلاق ملف القضية في الظروف التي تستوجب ذلك. ويمكن أن تظل تلك الأسباب سرية). وإذا لم تجر تسوية المنازعة في الوساطة ، تظل للأطراف حرية رفع دعوى أمام محكمة الأمم المتحدة للمنازعات في غضون ٩٠ يوماً من انتهاء الوساطة ، وذلك وفقاً للقاعدة ١١ - ٤ (ج) من النظام الإداري للموظفين. ويجوز

١٤ - عن إجراءات الوساطة ينظر الموقع الإلكتروني التالي :

<http://www.un.org/ar/ombudsman/meddivision.shtml> تاريخ الزيارة ٢٠ - ٧ - ٢٠١٣

للأطراف اختيار مواصلة الدعوى في المحكمة أو اتباع أي مسار آخر متاح لهم. ويمكن للأطراف طلب المشورة من مكتب أمين المظالم بشأن أي بدائل قد تكون متاحة لهم.<sup>(١٥)</sup>

### **المطلب الثاني: إجراءات تطبيق النظام غير الرسمي للعدل الداخلي في الأمم**

#### **المتحدة**

النظام الرسمي لإقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة تعني كما أشرنا اللجوء إلى السبل القضائية لفض النزاع بين الأطراف في المنظمة الدولية بعد فشل النظام غير الرسمي عن طريق مكتب أمين المظالم وخدمات الوساطة من حله عن طريق الوساطة بين الطرفين.

والنظام الرسمي لإقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة يكون من خلال مكتب العدل الداخلي المخصص لهذا الغرض والذي يتكون ثلاث هيئات (مكتب المساعدة القانونية - محكمة المنازعات - محكمة الإستئناف) وسنوضح الإجراءات المتبعة أمام هذه الهيئات الثلاث لتطبيق نظام إقامة العدل.

تبدأ إجراءات تطبيق إقامة نظام العدل الرسمي من خلال حق الموظف في الحصول على المشورة القانونية من مكتب المساعدة القانونية، حيث يجوز لأي موظف في أي مرحلة من مراحل النزاع، أو حتى تحسباً لنزاع ما، أن يطلب مشورة من مكتب تقديم المساعدة القانونية للموظفين حول وضعه القانوني في قضية ما والخيارات المتاحة له للحصول على حقوقه. وينبغي للموظفين الذين يطلبون مساعدة ومشورة أن يملؤوا استمارات المعلومات الأولية المطلوبة، يعتمد المكتب على تعاون الموظفين الذين يطلبون المساعدة من أجل جمع وتجميع المعلومات والوثائق والأدلة ذات الصلة التي يمكن استخدامها لتقييم قضيتهم وتحضيرها. ولتسهيل فهم قضية ما، وقبل أن يقيم المكتب ما إذا كان بوسعهم أن يقدم المساعدة وكيفية تقديمها، ينبغي تقديم الوثائق التالية إلى جانب الاستمارات الثلاث المذكورة أعلاه:<sup>(١٦)</sup>

١. نسخة عن عقد العمل الأخير واستمارة (أو استمارات) الإجراءات الوظيفي الأخيرة .
٢. معلومات بشأن أي اتصالات مع وحدة التقييم الإداري، وأمين المظالم، ومكتب الأخلاقيات، واتحاد الموظفين، وما إلى ذلك، بما في ذلك أي محاولات لاتباع السبل غير الرسمية للتوصل إلى تسوية مسألة مرتبطة بعدم الرضا عن قرار إداري.
٣. أي قرار إداري يريد الموظف الطعن فيه، مع الإشارة إلى تاريخ الاستلام الرسائل أو الطلبات الخطية المرتبطة بالمسألة أي أدلة ذات صلة.

١٥ - ينظر المبادئ التوجيهية للوساطة لعام ٢٠٠٩ على الموقع الإلكتروني التالي: <http://www.un.org/ar/ombudsman/meddivision.shtml> تاريخ الزيارة ٢١ - ٧ - ٢٠١٣.

١٦ - للمزيد من إجراءات طلب المساعدة القانونية من مكتب المساعدة القانونية ينظر الموقع الإلكتروني التالي: <http://www.un.org/ar/oaj/legalassist/index.shtml> تاريخ الزيارة ٢٥ - ٧ - ٢٠١٣.

- أما إذا كان الأمر ذا طابع تأديبي، فينبغي تقديم الوثائق والمعلومات التالية:
١. الإدعاءات التي وردت بشأن سوء السلوك، مع جميع المرفقات بما في ذلك تقارير التحقيق ومرفقاته مشروع رد على تلك الادعاءات
  ٢. أي بيانات أو مراسلات أخرى تتعلق بالادعاءات، مثل طلبات إرسال تعليقات على تقرير التحقيق وأجوبة الموظف.

ولكن ينبغي الإشارة هنا إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي ضرورة تقييد الموظفين الراغبين بطلب المساعدة القانونية بالمهل الزمنية المحددة لتحريك الدعوى أمام محكمة المنازعات، حيث أن معظم المسائل الواقعة في إطار نظام الأمم المتحدة لإقامة العدل تنطوي على مهل زمنية صارمة لتقديم الطلبات الرسمية، مثل طلبات التقييم الإداري، أو العرائض المقدمة إلى محكمة الأمم المتحدة للمنازعات. وتقع على عاتق الموظف الطاعن في القرار الإداري أو المتهم بسوء السلوك المسؤولية الكاملة عن ضمان التقييد بالمهل الزمنية. ولذا فمن المهم تقديم طلبات الحصول على مساعدة المكتب على نحو يتيح وقتاً كافياً يسمح للمكتب بإجراء تقييم مناسب بشأن ما إذا كان بوسع تقديم المساعدة في القضايا وبشأن شكل تلك المساعدة، ويعني انقضاء المهل الزمنية أن الأمر سيعتبر موضوعاً فات أوانه، وفي هذه الحالة لا يمكن أن تنظر المحكمة المختصة أو أي هيئة أخرى في جوهر المسألة، بغض النظر عن مدى ثبوت القضية من الناحية الموضوعية.<sup>(١٧)</sup>

ولكن قد يثور التساؤل التالي: ماهي القيمة الإلزامية للوساطة؟

للجواب على هذا السؤال نقول أن الوساطة كما قلنا عمل تطوعي وعمل ودي يقوم به مكتب أمين المظالم وخدمات الوساطة، وهو ليس عملاً ملزماً بالأصل إي ليس هناك إلزام على أطراف النزاع الإداري اللجوء إليه، ولكن إذا ما تم اللجوء إليه وتم التوصل إلى حل يرضي الطرفين من خلال الوساطة يصبح هذا الحل ملزماً للطرفين ويجب العمل به، وفي حال عدم إحترام أحد أطراف النزاع لنتيجة الوساطة يجوز تنفيذه من الطرف الأخر عن طريق دعوى قضائية أمام محكمة المنازعات.<sup>(١٨)</sup>

١٧ - المدة الزمنية المحددة لطلب الموظف من الإدارة إجراء تقييم إداري حول القرار الصادر عنها (التظلم) هي (٦٠) يوم من تاريخ تبلغ الموظف بالقرار، أما المدة الزمنية للإدارة في تقديم تقييمها للقرار (الرد على التظلم) هي (٣٠) يوم للموظفين في مقر الأمم المتحدة و(٤٥) يوم للموظفين خارج مقر الأمم المتحدة، ينظر القاعدة (٢/١١/ج) من قواعد السلوك للموظفين الدوليين في الأمم المتحدة.

١٨ - تنص الفقرة (٢) من المادة (٨) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للمنازعات على أنه (لا تقبل الدعوى إذا تمت تسوية النزاع الناشئ عن قرار إداري مطعون فيه من خلال اتفاق يجري التوصل إليه عن طريق الوساطة. غير أنه يجوز للمدعي رفع دعوى للإلزام بتنفيذ الاتفاق المذكور، وتقبل هذه الدعوى في حالة عدم تنفيذ الاتفاق ورفع الدعوى في غضون ٩٠ يوماً من انقضاء آخر يوم للتنفيذ حسبما حدده اتفاق الوساطة أو بعد ٣٠ يوماً من تاريخ توقيع الاتفاق عندما لا يحدد اتفاق الوساطة تاريخاً معيناً).

وبعد أن يحصل الموظف على المشورة القانونية من مكتب المساعدة القانونية، وأن وضعه القانوني في القضية تمكنه من مقاضاة الإدارة عن قرارها بحقه، يستطيع الموظف البدء بإجراءات تحريك الدعوى القضائية أمام محكمة المنازعات وهي محكمة الدرجة الأولى من نظام إقامة العدل الرسمي في الأمم المتحدة.<sup>(١٩)</sup>

وتتكون المحكمة من تتألف محكمة المنازعات من ثلاثة قضاة متفرغين وقاضيين يعملان لنصف الوقت. وتعين الجمعية العامة القضاة بناء على توصية مجلس العدل الداخلي<sup>(٢٠)</sup>، ولا يجوز أن ينتمي قاضيان إلى جنسية واحدة. ويولى الاعتبار الواجب للتوزيع الجغرافي وللتوازن بين الجنسين. ولكي يكون الشخص مؤهلاً للتعين قاضياً، أن يكون ذا خلق رفيع؛ وأن تكون لديه ١٠ سنوات على الأقل من الخبرة القضائية في مجال القانون الإداري أو ما يعادله في واحد أو أكثر من النظم القضائية الوطنية، ويعين قضاة محكمة المنازعات لفترة واحدة مدتها سبع سنوات غير قابلة للتجديد. ولا يحق لأي قاضٍ في محكمة المنازعات أن يعين في أي منصب داخل الأمم المتحدة قبل مرور خمس سنوات على انتهاء فترة تعيينه، إلا إذا عين في منصب قضائي آخر، أما بخصوص الرئاسة، فإن هيئة المحكمة تنتخب رئيساً لها، ويعمل القاضي في محكمة المنازعات بصفته الشخصية ويتمتع باستقلال كامل، وعلى القاضي في محكمة المنازعات أن يتنحى عن النظر في أي قضية إذا كانت تنطوي، أو بدأ أنها تنطوي، على تضارب في المصالح بالنسبة له. وإذا طلب طرف في القضية هذا التنحي يبت رئيس محكمة المنازعات في الأمر، ولا يجوز إلا للجمعية العامة إعفاء قاضٍ في محكمة المنازعات من منصبه، وذلك في حالة سوء السلوك أو انعدام الأهلية، على أنه يجوز للقاضي في محكمة المنازعات أن يستقيل بإخطار الجمعية العامة بذلك عن طريق الأمين العام للأمم المتحدة. وتصبح الاستقالة نافذة ابتداء من تاريخ الإخطار، ما لم يحدد الإخطار بالاستقالة تاريخاً لاحقاً.<sup>(٢١)</sup>

ومكان عمل المحكمة وجلساتها تكون في مقر الأمم المتحدة إلا أنه يجوز لها أن تعقدتها في أماكن أخرى حسب ما يقتضيه حجم القضايا المعروضة عليها.<sup>(٢٢)</sup>

وتتحمل الأمم المتحدة كل التكاليف الخاصة بالمحكمة، مثل تكاليف سفر الموظفين للمثول أمام المحكمة إذا تطلب الأمر ذلك ومصاريف المحكمة الأخرى الخاصة بالقضاة والهيكل الإداري في

١٩ - ينظر نص المادة(١) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للمنازعات.

٢٠ - مجلس العدل الداخلي هو هيئة جديدة لها دور هام فيما يتصل بنظام إقامة العدل الداخلي. ويتألف المجلس من ثلاثة خبراء خارجيين ومن موظفين اثنين. وتعين الإدارة عضوين من أعضاء مجلس العدل الداخلي بينما يعين الموظفون عضوين، أما العضو الخامس الذي يعمل بوصفه الرئيس، فيتولى اختياره الأعضاء الأربعة الأصليين. وتمثل المهمة الرئيسية لمجلس العدل الداخلي في تقديم الآراء والتوصيات إلى الجمعية العامة بشأن المرشحين لتولي مناصب القضاة الذين تعينهم الجمعية العامة في محكمة الأمم المتحدة للمنازعات ومحكمة الاستئناف التابعة للأمم المتحدة. وتشمل ولاية المجلس أيضاً إعداد مدونة قواعد السلوك للقضاة وتقديم آرائه إلى الجمعية العامة بشأن تنفيذ النظام الجديد. عن هذا المجلس ينظر الموقع التالي: <http://www.un.org/ar/oaj/unjs/internal.shtml> تاريخ الزيارة ٢٦ - ٧ - ٢٠١٣.

٢١ - ينظر نص المادة(٤) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للمنازعات.

٢٢ - ينظر نص المادة(٥) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للمنازعات.

المحكمة، ويكون للمحكمة أقلام (مكتب المسجل) في مقرات الأمم المتحدة في نيويورك وجنيف ونيروبي، وتضع محكمة المنازعات لائحتها بما لا يخل بأحكام هذا النظام الأساسي، وتكون هذه اللائحة رهنا بموافقة الجمعية العامة عليها.<sup>(٢٣)</sup>

وإختصاصات المحكمة تم تحديدها بموجب النظام الأساسي الخاص بالمحكمة والتي تم وضعها من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة.

فمن حيث الإختصاص الشخصي تختص المحكمة بالنظر والبت في الدعاوى المرفوعة من الأفراد، على النحو المنصوص عليه في الفقرة ١ من المادة ٣ من هذا النظام الأساسي، ضد الأمين العام بصفته كبير الموظفين الإداريين للأمم المتحدة.<sup>(٢٤)</sup>

أما من حيث الإختصاص الموضوعي فإن إختصاص المحكمة يسري على المنازعات الخاصة بالوظيفة الدولية في الأمم المتحدة وهي:<sup>(٢٥)</sup>

أولاً: الطعن في قرار إداري يدعى أنه لا يمثل لشروط التعيين أو عقد العمل.

ثانياً: الطعن في قرار إداري يفرض تديراً تأديبياً.

ثالثاً: الإلزام بتنفيذ اتفاق يتم التوصل إليه عن طريق الوساطة، عملاً بالفقرة ٢ من المادة ٨ من هذا النظام الأساسي.

رابعاً: والبت في الدعوى المرفوعة من فرد يلتزم من محكمة المنازعات أن تعلق، بانتظار صدور تقييم إداري، تنفيذ قرار إداري مطعون فيه يكون موضوعاً لتقييم إداري جار، عندما يبدو القرار غير قانوني في ظاهره، في حالات الضرورة الملحة بوجه خاص، وعندما يترتب على تنفيذه ضرر لا سبيل إلى تداركه. ويكون قرار محكمة المنازعات بشأن هذه الدعوى غير قابل للاستئناف.

خامساً: تختص محكمة المنازعات بالسماح أو رفض السماح بأن تقدم رابطة للموظفين مذكرة باعتبارها صديقة للمحكمة.

سادساً: تختص محكمة المنازعات بالسماح للفرد الذي له حق الطعن في القرار الإداري نفسه بالتدخل في مسألة أثارها موظف آخر بموجب الفقرة المذكورة.

سابعاً: تختص محكمة المنازعات بالنظر والبت في الدعاوى المرفوعة ضد الوكالات المتخصصة التي تربطها علاقة بالأمم المتحدة، وفقاً لأحكام المادتين ٥٧ و ٦٣ من ميثاق الأمم المتحدة، أو المنظمات أو الكيانات الدولية الأخرى المنشأة بموجب معاهدات وتشارك في النظام الموحد لشروط

٢٣ - ينظر نص المادتين (٦ و ٧) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للمنازعات.

٢٤ - وحسب الفقرة (١) من المادة (٣) من النظام الأساسي للمحكمة يجوز رفع دعوى من قبل: (أ) أي موظف من موظفي الأمم المتحدة، بما في ذلك الأمانة العامة للأمم المتحدة أو صناديق الأمم المتحدة وبرامجها الخاضعة لإدارة مستقلة؛ (ب) أي موظف سابق من موظفي الأمم المتحدة، بما في ذلك الأمانة العامة للأمم المتحدة أو صناديق الأمم المتحدة وبرامجها الخاضعة لإدارة مستقلة؛ (ج) أي شخص يرفع دعوى باسم موظف عاجز أو متوفى من موظفي الأمم المتحدة، بما في ذلك الأمانة العامة للأمم المتحدة أو صناديق الأمم المتحدة وبرامجها الخاضعة لإدارة مستقلة.

٢٥ - ينظر نص المادة (٢) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للمنازعات.

الخدمة، وذلك في حالة وجود اتفاقات خاصة مبرمة بين الوكالات أو المنظمات أو الكيانات المعنية والأمين العام للأمم المتحدة لقبول اختصاص محكمة المنازعات، بما يتفق وهذا النظام الأساسي. أما الإختصاص الزمني لسريان النظام الأساسي للمحكمة، فقد تم تحديده في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة المرقم (٦٣/٢٥٣)، حيث أنه بدأ بالنفاذ إعتباراً من ١ تموز ٢٠٠٩.<sup>(٢٦)</sup> وبعد أن عرفنا أختصاصات المحكمة شخصياً وموضوعياً وزمانياً، لا بد من الإشارة إلى أن هناك شروط مقبولة الدعوى أمام المحكمة وهي:<sup>(٢٧)</sup>

١. أن تكون المحكمة مختصة بالنظر في الدعوى، بمعنى آخر مختصة موضوعياً بالنظر في موضوع الدعوى طبقاً لما بيناه سابقاً وطبقاً للمادة الثانية من النظام الأساسي للمحكمة
٢. أن تكون الدعوى مرفوعة من مدعي له حق المثل أمام هذه المحكمة، أي بمعنى آخر تكون المحكمة المحكمة مختصة إختصاصاً شخصياً في النظر في الدعوى، كما هو موضح في المادة الثالثة من النظام الأساسي للمحكمة وقد بينا ذلك سابقاً.
٣. أن يكون المدعي قدم بشأن القرار الإداري المطعون فيه (محل الدعوى) طلباً لتقييمه إدارياً من الجهة التي أصدرته، أي بمعنى آخر طلب تظلماً بخصوصه.
٤. أن يكون المدعي قد راعى في تحريك الدعوى أمام المحكمة المهل الزمنية المطلوبة، وهي (٩٠) يوم من تلقي المدعي رداً على طلبه من الإدارة حول تقييم القرار (التظلم من القرار) محل الطعن، أو خلال (٩٠) يوم من تاريخ إنتهاء المهلة المقررة لرد الإدارة على اجراء التقييم (التظلم)، والمدة المقررة لكي تبدي الإدارة ردها على طلب التقييم هي (٣٠) يوم بالنسبة للموظفين في مقر الامم المتحدة و(٤٥) يوم للموظفين في خارج مقر المنظمة. أو في الحالات التي لا يطلب فيها إجراء تقييم إداري للقرار المطعون فيه، في 'غضون ٩٠ يوماً تقويمياً من تلقي المدعي للقرار الإداري، ولا تقبل الدعوى إذا رفعت بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات على تلقي المدعي للقرار الإداري المطعون فيه.<sup>(٢٨)</sup>

٢٦ - ينظر الفقرة (٢٧) من القرار (٦٣/٢٥٣).

٢٧- ينظر نص المادة (٨) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للمنازعات.

٢٨ - ولكن تجدر الإشارة إلى أن هناك بعض الإستثناءات على هذه المهل الزمنية وهي: ١- تمدد المهل المحددة الى سنة واحدة إذا رفع الدعوى أي شخص يقدم مطالبات باسم موظف عاجز أو متوفى من موظفي الأمم المتحدة، بما في ذلك الأمانة العامة للأمم المتحدة أو صناديق الأمم المتحدة وبرامجها الخاضعة لإدارة مستقلة، ٢- في الحالات التي يسعى فيها الطرفان إلى تسوية النزاع عن طريق الوساطة في 'غضون المهلة المحددة لرفع الدعوى (٩٠ يوم) ولا يتوصلان إلى اتفاق، ترفع الدعوى في 'غضون ٩٠ يوماً من فشل الوساطة، وفقاً للإجراءات المنصوص عليها في اختصاصات شعبة الوساطة. ٣- إذا قررت محكمة المنازعات، بناء على طلب كتابي من المدعي، أن تصدر، في الحالات الاستثنائية دون غيرها، قراراً خطياً بتعليق الشرط المتعلق بالمهلة الزمنية أو التناضي عنه لمدة محدودة. ولا يجوز لمحكمة المنازعات تعليق هذا الشرط أو التناضي عنه فيما يتعلق بالتقييم الإداري. ينظر نص الفقرة (د) من الفقرة (١) والفقرة (٣) من المادة (٨) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للمنازعات.

وبعد يتوفر للمحكمة الإختصاص الشخصي والموضوعي في الدعوى المرفوعة أمامها وبعد تحقق الشروط المطلوبة لقبول الدعوى من قبلها تبدأ المحكمة بإجرائها للنظر في الدعوى، حيث يجوز لمحكمة المنازعات أن تأمر بتقديم ما تراه ضروريا من مستندات أو أدلة أخرى. وتقرر محكمة المنازعات ما إذا كان من المطلوب مثول المدعي أو أي شخص آخر أمامها أثناء سير الإجراءات الشفوية، والسبل المناسبة للوفاء بشرط مثول الفرد بشخصه، وتباشر محكمة المنازعات الإجراءات الشفوية في جلسات علنية، ما لم تقرر محكمة المنازعات من تلقاء نفسها أو بناء على طلب أي من طرفي القضية، أن ثمة ظروفًا استثنائية تقتضي أن تكون الجلسات مغلقة<sup>(٢٩)</sup>

كما أجاز النظام الأساسي للمحكمة أن تقوم بإتخاذ بعض الأوامر بخصوص الدعوى المرفوعة أمامها قبل النطق بالحكم فيها، حيث يجوز لها أن تعلق سير الإجراءات في أية قضية بناء على طلب من الطرفين المعنيين، وذلك لفترة تحددها المحكمة كتابيا، كما يجوز لها في أي وقت أثناء سير الإجراءات، أن تأمر بإتخاذ تدبير تحفظي وغير قابل للطعن لتوفير وسيلة انتصاف مؤقتة لأي من الطرفين، عندما يبدو أن القرار الإداري المطعون فيه غير قانوني في ظاهره، في حالات الضرورة الملحة بوجه خاص، وعندما يترتب على تنفيذه ضرر لا سبيل إلى تداركه. ويجوز أن يتضمن هذا التدبير المؤقت للانتصاف أمرا بتعليق تنفيذ القرار الإداري المطعون فيه، إلا في حالات التعيين أو الترقية أو إنهاء الخدمة، وكذلك يجوز لمحكمة المنازعات، في أي وقت أثناء مداولاتها، أن تقترح إحالة القضية إلى الوساطة. وتعلق المحكمة، بموافقة الطرفين، سير الإجراءات لفترة تحددها. وفي حالة عدم التوصل إلى اتفاق عن طريق الوساطة في غضون هذه الفترة الزمنية، تواصل محكمة المنازعات إجراءاتها ما لم يطلب الطرفان غير ذلك، وأيضاً يجوز لمحكمة المنازعات أن تأمر، بموافقة الأمين العام للأمم المتحدة، قبل البت في الأساس الذي تركز عليه الدعوى وإذا خلصت إلى أنه لم تتم مراعاة أحد الإجراءات ذات الصلة المنصوص عليها في النظامين الأساسي والإداري للموظفين أو المنشورات الإدارية السارية، برد الدعوى لإتخاذ الإجراء المطلوب أو تصحيحه في فترة لا تتجاوز في أي حال من الأحوال ثلاثة أشهر.<sup>(٣٠)</sup>

وبعد ذلك إذا زالت المبررات التي دفعت المحكمة إلى إتخاذ الأوامر أعلاه ستصدر المحكمة حكمها في الدعوى المرفوعة أمامها ويتخذ الحكم في العادة الصور التالية:

١. إلغاء القرار الإداري المطعون فيه أو الأمر بالتنفيذ العيني، شريطة أن تقوم محكمة المنازعات أيضا في الحالات التي يتعلق فيها ذلك القرار الإداري بتعيين أو ترقية أو إنهاء تعيين بتحديد مبلغ للتعويض قد يختار المدعى عليه دفعه كبديل لإلغاء القرار الإداري المطعون فيه أو الأمر بالتنفيذ العيني.

٢٩ - ينظر نص المادة (٩) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للمنازعات.  
٣٠ - ينظر نص المادة (١٠) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للمنازعات.

٢. سداد تعويض لا يتجاوز عادة ما يعادل المرتب الأساسي الصافي للمدعي لمدة سنتين. بيد أنه يجوز لمحكمة المنازعات في حالات استثنائية أن تأمر بدفع تعويض أكبر على أن تبين أسباب ذلك القرار.

وتصدر أحكام المحكمة في صورة خطية ومشفوعة بما تستند إليه من حيثيات ووقائع وأسناد من نصوص القانون، وتكون مداوات محكمة المنازعات سرية، والحكم الصادر عن محكمة المنازعات ملزماً للطرفين، غير أنه قابل للاستئناف وفقاً للنظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للاستئناف. وفي حالة عدم استئناف الحكم، فإنه يصير نافذاً بعد انقضاء مهلة الاستئناف المنصوص عليها في النظام الأساسي لمحكمة الاستئناف. وتصاغ الأحكام الصادرة عن محكمة المنازعات بأي من اللغات الرسمية للأمم المتحدة في نسختين أصليتين تودعان في محفوظات الأمم المتحدة، ترسل نسخة من الحكم الصادر عن محكمة المنازعات إلى كل طرف في القضية. ويتسلم المدعي نسخة منه باللغة التي رفعت الدعوى بها أصلاً، إلا إذا طلب نسخة بإحدى اللغات الرسمية الأخرى للأمم المتحدة. ويتولى قلم محكمة المنازعات نشر الأحكام الصادرة عن المحكمة، مع حماية البيانات الشخصية، وإتاحة هذه الأحكام للعموم.<sup>(٣١)</sup>

ويجوز لأي من الطرفين أن يقدم طلباً إلى محكمة المنازعات لإعادة النظر في حكم قابل للتنفيذ وذلك بناء على اكتشاف واقعة حاسمة، كانت عند النطق بالحكم مجهولة لدى المحكمة وكذلك لدى الطرف المطالب بإعادة النظر في الحكم، شريطة ألا يكون الجهل بتلك الواقعة، في جميع الأحوال، ناشئاً عن الإهمال. ويتعين تقديم هذا الطلب في غضون ٣٠ يوماً من اكتشاف تلك الواقعة وفي غضون سنة واحدة من تاريخ صدور الحكم.<sup>(٣٢)</sup>

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك مسألتين في غاية الأهمية بخصوص حجية أحكام المحكمة وتميزها عن أحكام المحكمة الإدارية الملغاة وهما:

١. أحكام المحكمة الإدارية الملغاة كانت نهائية وغير قابلة للإستئناف، أما أحكام محكمة

المنازعات هي قابلة للإستئناف أمام محكمة الإستئناف ضمن نظام إقامة العدل.

٢. لم يرد نص صريح في النظام الأساسي للمحكمة الإدارية الملغاة بشأن إمكانية إعادة النظر في أحكامها وإن كان هناك من يرى أن هذه الإجراء وإن لم يكن منصوصاً عليه إلا أن المحكمة تستطيع أن تقرره وتجزئه استناداً إلى سلطاتها المقررة بمقتضى هذا النظام استناداً للمادة (٣/٢) من نظامها الأساسي الذي يخولها الفصل في كل المسائل المتعلقة بوظيفتها واختصاصها<sup>(٣٣)</sup>، ونعتقد أن هذا الرأي محل نظر حيث أن هذا الإجراء مهم ويحتاج إلى نص

٣١ - ينظر نص المادة (١١) من النظام الأساسي لمحكم المنازعات.

٣٢ - ينظر نص المادة (١٢) من النظام الأساسي لمحكم المنازعات.

٣٣ - ينظر د. جمال طه ندا، الموظف الدولي - دراسة مقارنة في القانون الدولي الإداري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦. ص ٣٠٦.

صريح بشأن ممارسته وشروطه ، بينما إعادة النظر في أحكام محكمة المنازعات ورد فيها نص صريح وواضح هي نص المادة (١٢/١).

ويجوز لمحكمة المنازعات أن تقوم في أي وقت ، من تلقاء نفسها أو بناء على طلب أي من الطرفين ، بتصحيح أي أخطاء كتابية أو حسابية أو أي أخطاء ناجمة عن أية هفوة أو سهو غير مقصودين ، ويجوز لأي من الطرفين أن يطلب إلى محكمة المنازعات تفسير معنى الحكم النهائي أو بيان نطاقه ، شريطة ألا يكون قيد النظر لدى محكمة الاستئناف ، ومتى أصبح الحكم قابلاً للتنفيذ ، يجوز لأي من الطرفين أن يطلب إلى محكمة المنازعات أن تصدر أمراً بتنفيذ الحكم إذا كان الحكم يستوجب التنفيذ في غضون فترة زمنية معينة ولم يتم التنفيذ.<sup>(٣٤)</sup>

وكما قلنا فإن محكمة المنازعات هي محكمة درجة أولى في نظام إقامة العدل الرسمي في الأمم المتحدة ، حيث هناك بعد ذلك محكمة الإستئناف التي هي محكمة درجة ثانية ويجوز لأطراف النزاع إستئناف أحكام محكمة المنازعات أمامها.

تتألف محكمة الاستئناف من سبعة قضاة ، وتعين الجمعية العامة القضاة بناء على توصية مجلس العدل الداخلي ، ويجب مراعاة التوزيع الجغرافي والتوازن بين الجنسي نفي ذلك ، ولكي يكون الشخص مؤهلاً للتعيين قاضياً ، لا بد أن يكون ذا خلق رفيع وأن تكون لديه ١٥ سنة على الأقل من الخبرة القضائية في مجال القانون الإداري أو ما يعادله في واحد أو أكثر من النظم القضائية الوطنية ، ويعين قضاة محكمة الاستئناف لفترة واحدة مدتها سبع سنوات غير قابلة للتجديد.<sup>(٣٥)</sup>

وتختص محكمة الاستئناف بالنظر والبت في دعاوى الاستئناف التي ترفع بشأن أحكام صادرة عن محكمة الأمم المتحدة للمنازعات ، والتي يؤكد فيها على أن محكمة المنازعات قامت بأي من الأفعال التالية: ( تجاوزت ولايتها أو اختصاصها ؛ لم تمارس الولاية المنوطة بها ؛ أخطأت بشأن مسألة قانونية ؛ ارتكبت خطأ في الإجراءات من النوع الذي يؤثر على البت في القضية ؛ أو ارتكبت خطأ بشأن واقعة ، أدى إلى اتخاذ قرار يبدو بجلاء أنه غير معقول).<sup>(٣٦)</sup>

وتقبل المحكمة دعوى الإستئناف إذا رفع في غضون ٤٥ يوماً من تاريخ تلقي حكم محكمة المنازعات ، ولا تقبل الدعوى إذا رفعت بعد مرور أكثر من عام على صدور حكم محكمة

تجدر الإشارة هنا الى ان الجمعية العامة للأمم المتحدة أنشئت بموجب القرار (٩٥٧) في عام ١٩٥٥ لجنة خاصة يكون من صلاحيتها إعادة النظر في أحكام المحكمة الإدارية إذا اصدرت محكمة العدل الدولية رأياً استشارياً بطلب من الموظف المدعي أو ورثته إذا كان الحكم غير عادلاً بنظره ، ينظر نص المادة (١١) من النظام الأساسي للمحكمة الإدارية للأمم المتحدة الملغاة ، وينظر بخصوص ذلك د. أحمد حسن الرشيدى ، الوظيفة الإفتائية لمحكمة العدل الدولية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ١١٢ .

٣٤ - ينظر نص المادة (١٢) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للمنازعات.

٣٥ - ينظر نص المادة (٣) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للإستئناف.

٣٦ - ينظر نص المادة (٢) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للإستئناف.

المنازعات، و يترتب على رفع دعوى الاستئناف تعليق تنفيذ الحكم المطعون فيه، وترفع دعاوى الاستئناف وسائر المذكرات بأي لغة من اللغات الرسمية للأمم المتحدة.<sup>(٣٧)</sup>

و يجوز لمحكمة الاستئناف أن تأمر بالقيام بأحد الإجراءين التاليين أو بكليهما:

١. إلغاء القرار الإداري المطعون فيه أو الأمر بالتنفيذ العيني، شريطة أن تقوم محكمة الاستئناف أيضاً، في الحالات التي يتعلق فيها ذلك القرار الإداري بتعيين أو ترقية أو إنهاء تعيين، بتحديد مبلغ للتعويض قد يختار المدعى عليه دفعه كبديل لإلغاء القرار الإداري المطعون فيه أو الأمر بالتنفيذ العيني.

٢. سداد تعويض لا يتجاوز عادة ما يعادل المرتب الأساسي الصافي للمدعي لمدة سنتين. و يجوز لمحكمة الاستئناف في حالات استثنائية أن تأمر بدفع تعويض أكبر على أن تبين أسباب ذلك القرار.

٣. يجوز لمحكمة الاستئناف، في أي وقت أثناء سير الإجراءات، أن تأمر باتخاذ تدبير تحفظي لتوفير وسيلة انتصاف مؤقتة لأي من الطرفين منعا لإيقاع ضرر لا سبيل إلى تداركه وللحفاظ على الاتساق مع حكم محكمة المنازعات.

وتصدر محكمة الاستئناف أحكامها في صورة خطية ومشفوعة بما تستند إليه من حيثيات ووقائع وأسانيد من نصوص القانون، وتكون مداوات محكمة الاستئناف سرية، وتكون الأحكام الصادرة عن محكمة الاستئناف ملزمة للطرفين، وتكون الأحكام الصادرة عن محكمة الاستئناف نهائية وغير قابلة للاستئناف، وتصاغ الأحكام الصادرة عن محكمة الاستئناف بأي من اللغات الرسمية للأمم المتحدة في نسختين أصليتين تودعان في محفوظات الأمم المتحدة، وترسل نسخة من الحكم الصادر إلى كل طرف في القضية. ويتسلم المدعي نسخة منه باللغة التي رفعت دعوى الاستئناف بها أصلاً، إلا إذا طلب نسخة بإحدى اللغات الرسمية الأخرى للأمم المتحدة، ويتولى قلم محكمة الاستئناف نشر الأحكام الصادرة عن المحكمة.<sup>(٣٨)</sup>

ويجوز لأي من الطرفين، أن يقدم طلباً إلى محكمة الاستئناف لإعادة النظر في حكم ما بناء على اكتشاف واقعة حاسمة، كانت عند النطق بالحكم مجهولة لدى محكمة الاستئناف وكذلك لدى الطرف المطالب بإعادة النظر في الحكم، شريطة ألا يكون الجهل بتلك الواقعة، في جميع الأحوال، ناشئاً عن الإهمال. ويتعين تقديم الطلب في غضون ٣٠ يوماً من اكتشاف تلك الواقعة وفي غضون سنة واحدة من تاريخ صدور الحكم، ويجوز لمحكمة الاستئناف أن تقوم في أي وقت، من تلقاء

٣٧ - ينظر نص الفقرات (٣- ٦) من المادة (٧) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للإستئناف، ومع ذلك وحسب الفقرة (٣) يجوز لمحكمة الإستئناف بناء على طلب كتابي من المدعي، أن تصدر، في الحالات الاستثنائية دون غيرها، قراراً خطياً بتعليق الشرط المتعلق بالمهلة الزمنية أو التفاوضي عنه لمدة محدودة. ولا يجوز لمحكمة الاستئناف تعليق هذا الشرط أو التفاوضي عنه فيما يتعلق بالتقييم الإداري.

٣٨ - ينظر نص المادة (١٠) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للإستئناف.

نفسها أو بناء على طلب أي من الطرفين، بتصحيح أي أخطاء كتابية أو حسابية أو أي أخطاء ناجمة عن أية هفوة أو سهو غير مقصودين، ويجوز لأي من الطرفين أن يطلب إلى محكمة الاستئناف تفسير معنى الحكم أو بيان نطاقه، كما يجوز لأي من الطرفين أن يطلب إلى محكمة الاستئناف أن تصدر أمراً بتنفيذ الحكم إذا كان الحكم يستوجب التنفيذ في غضون فترة معينة ولم يتم الاضطلاع بالتنفيذ.<sup>(٣٩)</sup>

### الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي تناول موضوع نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة، ومن خلال إستعراض المسائل ذات الصلة بهذا النظام نستطيع أن ندون بعض الإستنتاجات والمقترحات وعلى النحو الآتي:

#### أولاً: الإستنتاجات

١. إن نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة هو نظام بديل عن النظام القضائي الذي كان معمولاً به سابقاً لحل المنازعات القانونية الإدارية بين الموظفين الدوليين والإدارة في الأمم المتحدة، حيث حل هذا نظام إقامة العدل الداخلي محل الحكمة الإدارية للأمم المتحدة التي تم إلغائها بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة (٦٣/٢٥٣) وقد بدأ هذا النظام بالتطبيق فعلياً عام ٢٠٠٩.
٢. هناك أسباب عديدة كانت وراء قيام الجمعية العامة للأمم المتحدة بإستبدال النظام القديم بهذا النظام الجديد (إقامة العدل الداخلي)، ولعل أهم تلك الأسباب الحاجة إنشاء نظام جديد لإقامة العدل يتسم بالاستقلالية والشفافية والمهنية وكفاية الموارد واللامركزية ويتسق مع قواعد القانون الدولي ذات الصلة ومبادئ سيادة القانون ومع الأصول القانونية لضمان احترام حقوق والتزامات الموظفين ومسألة المديرين والموظفين على حد سواء، وكان بمثابة اعتراف قاطع من الإدارة والموظفين على السواء بأن النظام القائم لم يعد يلبي احتياجات المنظمة.
٣. يتكون نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة من مرحلتين، المرحلة الأولى هو نظام إقامة العدل غير الرسمي الذي يتمثل بإتاحة الفرصة لطرفي النزاع الإداري لرض النزاع على مكتب أمين المظالم وخدمات الوساطة، حيث يقوم هذا المكتب بالتوسط بين الطرفين للوصول إلى حل يرضيهما، ولكن لو لم يتمكن الطرفان من عرض الموضوع على الوساطة أو فشلت الوساطة، تبدأ المرحلة الثانية وهي مرحلة نظام العدل الرسمي حيث يمكن اللجوء إلى مكتب المساعدة القانونية للموظفين قبل عرض النزاع على محكمة المنازعات ومن بعدها محكمة الإستئناف.

٣٩ - ينظر نص المادة (١١) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للإستئناف.

٤. أما إجراءات تطبيق إقامة نظام العدل الداخلي في الأمم المتحدة فإنها تختلف حسب نوع النظام المطبق، فبالنسبة للنظام غير الرسمي للعدل الداخلي تبدأ الإجراءات بإتفااق الأطراف على عرض النزاع على مكتب أمين المظالم وخدمات الوساطة، حيث أن الوساطة هنا هو عمل غير الزامي في الأصل ولكن الحل الذي يتم التوصل اليه سيكون ملزماً للطرفين وواجب التنفيذ وبعسكه يمكن عرض الامر على محكمة المنازعات للقيام بتنفيذه، ما بالنسبة للنظام الرسمي للعدل الداخلي فإنها تبدأ من خلال طلب المشورة القانونية من مكتب المساعدة القانونية للموظفين ومن ثم إذا تبين من خلال هذا المكتب أن هناك فرصة لإقامة الدعوى يمكن عرض النزاع عند ذلك على محكمة المنازعات ومن ثم الطعن في الحكم أمام محكمة الإستئناف.
٥. من أهم المسائل الإيجابية في النظام الجديد لإقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة، أنه يتكون من درجتين قضائيتين، حيث هناك محكمة المنازعات باعتبارها محكمة درجة أولى، ومحكمة المنازعات باعتبارها محكمة درجة ثانية، وهذا ما لم يكن موجوداً في النظام القديم حيث كانت المحكمة الإدارية محكمة وحيدة وأحكامها نهائية، كما أن أحكام محكمتي المنازعات والإستئناف قابلة لإعادة النظر بنص صريح في النظام الأساسي للمحكمتين وهذا ما لم يكن وضاحاً صراحة في النظام الأساسي للمحكمة الإدارية الملغاة.

#### ثانياً: المقترحات

١. بما أن نظام إقامة العدل الداخلي في الأمم المتحدة يتكون من مرحلتين، المرحلة الأولى هي مرحلة النظام غير الرسمي للعدل الداخلي (الوساطة)، والمرحلة الثانية مرحلة النظام الرسمي للعدل الداخلي (القضاء)، فإننا نرى أن تعمل الأمم المتحدة على تشجيع الموظفين الدوليين على اللجوء للمرحلة الأولى أكثر من المرحلة الثانية، فهي أفضل وأقل جهداً وتكاليف لحل النزاع الإداري.
٢. كذلك تشجيع الموظفين الدوليين على الإستفادة القصوى من مكتب المساعدة القانونية التي تقدم المشورة القانونية للموظفين الدوليين حول وضعهم القانوني في النزاع وحظوظه قبل عرضه على محكمة المنازعات، لان هذه الخطوة ستجنب الموظف الخوض في نزاع مع الإدارة في الأمم المتحدة وقد تكون نتيجته خسارة الدعوى.
٣. نأمل من منظمة الأمم المتحدة أن تقوم بنشر المعلومات بصورة أكثر تفصيلاً عن عمل النظام الجديد، ولا سيما الأحكام الصادرة من محكمتي المنازعات والإستئناف، حيث لم نجد في موقع الأمم المتحدة على شبكة المعلوماتية الدولية أية أحكام للمحكمتين، رغم أنهما باشرت العمل منذ الأول من تموز ٢٠٠٩.

## المصادر

### أولاً: الكتب

١. د. احمد محمد رفعت، القانون الدولي الإداري، دون دار نشر، دون تاريخ نشر.
٢. د.أحمد حسن الرشيدى، الوظيفة الإفتائية لمحكمة العدل الدولية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.
٣. د. جمال طه ندا، الموظف الدولي - دراسة مقارنة في القانون الدولي الإداري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.
٤. د. رياض صالح أبو العطا، المنظمات الدولية، ط ١، دار إثراء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠.
٥. د.محمد المجذوب، التنظيم الدولي، النظرية العامة والمنظمات الدولية والإقليمية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت.
٦. د.عبدالله علي عبو، المنظمات الدولية - الأحكام العامة وأهم المنظمات العالمية والإقليمية والمتخصصة، ط ١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١.

### ثانياً: البحوث

١. د. عبدالله علي عبو، القضاء الدولي الإداري في إطار المنظمات الدولية، بحث منشور في مجلة الرافدين للحقوق، تصدر عن كلية الحقوق، جامعة الموصل، المجلد (٧) العدد (٢٦) السنة العاشرة ٢٠٠٦.

### ثالثاً: الوثائق الدولية

١. قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٦١/٦١ - ٢٠٠٦.
٢. قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٢٨/٦٢ - ٢٠٠٧.
٣. قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٥٣/٦٣ - ٢٠٠٨.
٤. ميثاق الأمم المتحدة.
٥. مدونة قواعد سلوك موظفي الأمم المتحدة.
٦. النظام الأساسي للمحكمة الإدارية للأمم المتحدة الملغاة.
٧. النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للمنازعات.
٨. النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للإستئناف.

### رابعاً: المواقع الإلكترونية

١. <http://www.un.org/arabic/documents/gares.htm> تاريخ الزيارة ١٦ - ٧ - ٢٠١٣.

٢. <http://www.un.org/arabic/documents/gares.htm> تاريخ الزيارة ١٦ - ٧ - ٢٠١٣.
٣. <http://www.un.org/ar/ruleoflaw> تاريخ الزيارة ١٧ - ٧ - ٢٠١٣.
٤. <http://www.un.org/ar/ombudsman/help.shtml> تاريخ الزيارة ١٨ - ٧ - ٢٠١٣.
٥. <http://www.un.org/ar/oaj/legalassist/index.shtml> تاريخ الزيارة ١٩ - ٧ - ٢٠١٣.
٦. <http://www.un.org/ar/oaj/dispute> تاريخ الزيارة ٢٠ - ٧ - ٢٠١٣.
٧. <http://www.un.org/ar/oaj/appeals> تاريخ الزيارة ٢٠ - ٧ - ٢٠١٣.
٨. <http://www.un.org/ar/ombudsman/meddivision.shtml> تاريخ الزيارة ٢٠ - ٧ - ٢٠١٣.
٩. <http://www.un.org/ar/ombudsman/meddivision.shtml> تاريخ الزيارة ٢٠ - ٧ - ٢٠١٣.
١٠. <http://www.un.org/ar/ombudsman/meddivision.shtml> تاريخ الزيارة ٢١ - ٧ - ٢٠١٣.
١١. <http://www.un.org/ar/oaj/legalassist/index.shtml> تاريخ الزيارة ٢٥ - ٧ - ٢٠١٣.
١٢. <http://www.un.org/ar/oaj/unjs/internal.shtml> تاريخ الزيارة ٢٦ - ٧ - ٢٠١٣.

#### خامساً: المصادر الأجنبية:

- 1- Mediation and the United Nations Internal Justice System, Background, [www.cedr-asia-pacific.com/.../ARTICLE-20120116100](http://www.cedr-asia-pacific.com/.../ARTICLE-20120116100), p 4, Date of visit-26-7-2013

## تحليل العوامل المؤثرة في الاستثمار الاجنبي المباشر في الاردن

خلال الفتره ٢٠١١-٢٠٠٢

analysis of the factors affecting the direct foreign investmen in jordan  
during the period 20002-2011

د. عبد الرسول عبد الرزاق الموسوي<sup>(١)</sup>

Dr. Abdul-Rasoul Abdul-Razak

### الملخص:

أن الهدف من هذه الدراسه هو لبيان أثر نمو الناتج المحلى الاجمالي الاردنى والانفتاح الاقتصادى وحجم الاستثمارات الاردنيه خلال الفتره ٢٠٠٢ - ٢٠١١ على تدفق الاستثمارات الاجنبيه المباشره في الاردن.

وقد عملت الدراسه على توظيف البيانات المتوفره لدى الدوائر المسؤوله وغيرها في تحليل احصائى باستخدام برنامج SPSS أتضح منها وجود علاقته ذات دلالة احصائيه ايجابيه للمتغيرات: الناتج المحلى الاجمالي والانفتاح الاقتصادى والاستثمارات المحليه على تدفق الاستثمارات الاجنبيه وان بدرجات مختلفه.

وفى النهايه اقترحت بعض التوصيات منها ضرورة تطوير وتحسين الاجراءات الحكوميه المتعلقه بتراخيص المشاريع والاداره الضريبيه وكذلك الاهتمام بالبنية التحتيه في المناطق التى تحاول الدوله أن تستقطب لها الاستثمارات الاجنبيه وتقديم الحوافز للاستثمارات الاجنبيه وتوجيهها نحو القطاعات الانتاجيه بهدف زياده مساهمتها في الناتج المحلى الاجمالي وتوفير فرص العمل المناسبه.

---

١ - جامعة فيلادلفيا، عمان - الاردن

## ABSTRACT

The aim of this study is to demonstrate the impact of GDP growth and economic openness and the size of domestic investment during the period 2002-2011 on the flow of foreign direct investment in Jordan

The study worked on the employment data available with the departments responsible and other in the statistical analysis used the program, it turns out, including a positive correlation statistically significant variables: GDP and economic openness and domestic investment of foreign direct investment to varying degree.

In the end, study suggested some recommendation, including the need to develop and improve the governments measures relating to licensing projects and tax administration as well as attention to infrastructure in areas where state is trying attract a foreign investment and provide incentives her and channeled to productive sectors in order to increase its contribution to the GDP and providing employment opportunities occasion

### الفصل الاول: الاطار العام

١ - المقدمة: يعتبر الاستثمار الاجنبي أحد العناصر المهمة في تكوين ونمو الاقتصاد الوطني. ولقد اختلف حجم هذا الاستثمار من دولة لاخرى استنادا لمعطيات داخلية وخارجية عديدة. كان في مقدمتها البيئة المحلية من تشريعات وبناء ارتكازى وحركه اقتصاديه تساعد على جذب الاستثمار الاجنبي. وقد سعى الاردن منذ سنوات خلت في توفير هذه المتطلبات. وفى دراستنا هذه سنحاول القاء الضوء على دور كل من الناتج المحلى الاجمالي الاردنى والانفتاح الاقتصادى والاستثمار المحلى كمحفزات رئيسه في استقطاب الاستثمارات الاجنبيه خلال السنوات ٢٠٠٢ - ٢٠١١ الى الاردن.

٢ - مشكلة الدراسة: مع توفر الكثير من الجهود التى تبذلها الدوله في الاردن ومع نمو الناتج المحلى الاجمالي والانفتاح الاقتصادى والاستثمارات المحليه الا أن الاستثمار الاجنبي لاينمو بشكل كبير داخل الاردن خلال الفتره المذكوره أعلاه.

٣ - هدف الدراسه: تهدف هذه الدراسه الى بيان دور كل من الناتج المحلى الاجمالي ودرجة الانفتاح الاقتصادى والاستثمار المحلى في تحفيز وجذب الاستثمارات الاجنبيه المباشره الى الاردن.

٤ - أهمية الدراسه: لفت نظر المسؤولين الى الدور الكبير الذى يؤديه كل من : الناتج المحلى الاجمالي والانفتاح الاقتصادى والاستثمار المحلى في جذب الاستثمار الاجنبي المباشر والسعى الى زيادة أحجام هذه المتغيرات الثلاث لدورها الفاعل في هذا الشأن. وعلى ضوء الاحداث

السياسية والاقتصادية التي تحدث في المنطقه فان الاردن يتمتع باستقرار مقارن الى حد كبير يجعل منه جاذبا للاستثمار الاجنبي.

٥- منهجية الدراسة: اتبعت الدراسة المنهج الوصفي واسلوب الاحصاء الاستدلالي في تحليل البيانات المتجمعه لدى الدوائر المسؤوله بهدف معالجتها احصائيا والخروج بتوصيات واضحه عن الاستثمار الاجنبي المباشر في الاردن خلال الفتره ٢٠٠٢ - ٢٠١١.

٦- فرضيات الدراسة:

H0- لا توجد علاقته ايجابيه ذات دلالة احصائيه بين نمو الناتج المحلي الاجمالي والاستثمار الاجنبي المباشر في الاردن خلال الفتره المذكوره.

H0- لا توجد علاقته ايجابيه ذات دلالة احصائيه بين درجة الانفتاح الاقتصادي والاستثمار الاجنبي المباشر في الاردن خلال الفتره المذكوره.

H0- لا توجد علاقته ايجابيه ذات دلالة احصائيه بين تطور الاستثمار المحلي والاستثمار الاجنبي المباشر في الاردن خلال الفتره المذكوره.

### الفصل الثاني: الاستثمار الاجنبي المباشر

هو الاستثمار الدولي الذي يسعى الاجنبي لتوظيفه خارج دولته وعلى هيئة مشاريع سواء بالمشاركه مع مستثمر محلي أو بمفرده. مستفيدا من الاجواء المناسبه المتوفره في بلد المستضيف. وهذه الظاهره انتشرت كثيرا في دول العالم وخاصة في الدول الناميه التي تفتقر الى الخبره والادارة والسوق

١- دوافع البلد المستضيف للاستثمار: هناك دافع عديده اهمها مايلي:

أ- الاستفادة من التقدم العلمى والفنى ومن الاداره الحديثه التي تتمتع بها الشركات الاجنبيه وخاصة تلك المتعدده الجنسيه. وهذه من الاهداف الرئيسه التي شرع من أجلها قانون الاستثمار في الاردن.

ب- توفير فرص العمل المناسبه للايدى العامله المحليه.

ج- تسهم الاستثمارات الاجنبيه في معالجة ظاهرة اختلال ميزان المدفوعات من خلال انتاج سلع بديله عن الاستيراد أو زياده العوائد المتحصله من التصدير. اذ قد تكون بعض المشاريع مخصصه أصلا لاغراض التصدير

د- الاستغلال الافضل للمواد الاوليّه المتوفره في البلد المستضيف بحيث تؤدى الى تعظيم قيمتها محليا أو توجيهها نحو الاسواق الخارجيه.

هـ- تطوير وتوسيع السوق المحليه التجاريه وأستحداث أسواق جديده تسهم في تنشيط الحركه الاقتصاديه في البلد المستضيف.

٢- الدراسات السابقة: اهتمت العديد من الدراسات السابقة في هذا الشأن منها أ\_ (الفواز وآخرون ٢٠٠٧) حيث ركزت على حجم رؤوس الاموال العربية والاجنبيه المستثمره في المؤسسات الفرديه. حيث لاحظت وجود أثر سلبي لعجز الموازنه على تدفق الاستثمارات الاجنبيه في المؤسسات الفرديه الاردنيه ولاوجود لأى تأثير لمعدل التضخم على تدفق الاستثمارات الاجنبيه في المؤسسات الفرديه الاردنيه. ومن جملة ماأوصت به هو التكيف مع المتغيرات الاقتصادية والتقنيه الحديثه والى سعى الاردن الى جذب الاستثمارات الاجنبيه بدلا من الاعتماد على القروض والمساعدات..)

ب- (النسور ٢٠٠٧) تناولت تدفق الاستثمارات العربية والاجنبيه خلال الفتره (٢٠٠٢- ٢٠٠٥) التي جاءت بسبب العوامل الجاذبه المتعلقة بالقرارات الاقتصادية السائده في البلد والتي من أهمها سياسات التغير الهيكلي وسياسات الاصلاح الاقتصادي الكلى التي أفرزت متغيرات مهمه في أسعار الصرف مما أدى الى حدوث زياده مطلقه في حجم الاستثمارات في السنوات المشار اليها كما كان للفوائض الماليه التي تحققت والظروف غير الطبيعيه التي سادت الوضع في العراق دورا في هذا الشأن (٠٠).

ج- (زهرا ٢٠٠٧) أهتمت هذه الدراسه الاثار الاقتصادية لمدينة الحسن الصناعيه على اقتصاد مدينة أربد ولاحظت الاثر المحدود لهذه المدينه الصناعيه الزاخره بالاستثمارات الاجنبيه على اقتصاد مدينة اربد بسبب الاستخدام الكثير للقوى العامله الاجنبيه وتدنى الاجور للقوى العامله المحليه ومن جملة ماأوصت التخفيف من الاستخدام الشديد للقوى العامله الاجنبيه وزياده الفرص للمحليه وخاصة للعنصر النسائي وعدم اقتصار المنتجات المدينه الصناعيه على التصدير بل طرحها أيضا في السوق المحليه ..)

د- (طاقه وآخرون ٢٠٠٧) التي بحث في موضوع الاستثمار العربي في الاردن خلال الفتره السابقه التي أشاره الى مشكله تركيز وتوجه الاستثمارات العربية في قطاعات الخدمات والسكن والعقارات والانشآت بشكل عام ولم تتجه نحو القطاعات القائده الانتاجيه مما أفضى الى أن يكون الاقتصاد الاردني اقتصادا خديما يزيد من اعتماد البلد على الخارج في توفير السلع اللازمه لسد حاجه الطلب المحلي ..)

هـ- (محافظه ٢٠٠٣) التي أشارت الى أثر اتفاقيات التجاره الحره التي وقعها الأردن على الصناعات الدوائيه والغذائيه في الاقتصاد الاردني. وقد لاحظت أن هذه الصناعات لم تتأثر لحد الان باتفاقيات التجاره الحره كونها شركات صغيره الحجم. وأوصت الباحثه باقامة مراكز بحوث وطنيه تمول من قبل القطاعين العام والخاص بهدف تشجيع الابتكارات الوطنيه وكذلك اعاده دراسة الاسواق الخارجيه للتعرف على احتياجاتها من المنتجات الدوائيه والغذائيه ..)

و- (الشبول ٢٠٠١) ركزت هذه الدراسه على معرفه العوامل الجاذبه للاستثمار من خلال التعرف على آراء المستثمرين في مدينة الحسن الصناعيه وكذلك أهميه تطور المدن الصناعيه ودورها

في جذب الاستثمارات الاجنبيه في تحقيق التنميه الاقتصاديه والاجتماعيه للاقتصاد الاردنى وأوصت على قيام الحكومه بدعم وانشاء مدن صناعيه أخرى والعمل على زيادة دور المراكز المعنيه في تدريب وتأهيل الخريجين ..)

ز- دراسة (Zekos 2005) الذى أشار الى دورالاستثمار الاجنبى المباشرفى تطور الاقتصاد الرقمى في الدول التى أتخذت الاجراءات المطلوبه لتحرير الاقتصاد وتوصل الى أن الاستثمار الاجنبى المباشر دفع الى تحسين موضع الشركات وتنمية كفاءة الاداء وعملت على تسريع حركة رأس المال وعلى احلال الاستيرادات في مجال عمل الشكات المتعددة الجنسيه ...)

ح- دراسة (Gilmore & others 2003) عن العوامل المؤثره: كالحوافز ومستوى رضى المديرين و البنيه التحتية والاستقرار السياسى وأنخفاض الاجور والمستوى الثقافى على الاستثمارات الاجنبيه في كل من ارلندا والبحرين. وبالنتيجه لو يجد تأثيرا مهما على جذب الاستثمارات الاجنبيه ..)

ط- (الرواشده ٢٠١٠) ركزت هذه الدراسه على أثر الانفتاح الاقتصادى على جذب الاستثمار الاجنبى المباشر الى الاردن وتوصلت الى نتيجة مؤداها بمحصول نتيجه ايجابيه على لهذا الانفتاح على النمو الاقتصادى وأوصت بضرورة خلق استراتيجيه وطنيه شامله لجذب الاستثمارات الاجنبيه الى الاردن..)

ي- دراسة (Metwally 2004) قامت هذه الدراسه بتحليل أثر معدلات الفوائد ومعدل النمو الاقتصادى على جذب الاستثمارات الاجنبيه الاجمالي على كل من مصر وعمان والاردن وقد أتضح لاحقا الاثر الايجابى للاستثمار الاجنبى على نمو الناتج المحلى الاجمالي وعلى زيادة كميات السلع والخدمات المصدرة لهذه الدول..)

٣- دور المؤسسات الحكوميه في الاردن:

بذلت الدوائر الرسميه في الاردن جهودا ملحوظه بقدر ماتوفر لها من امكانيات في جذب الاستثمار الاجنبى الى البلد وقدابتدأت ذلك باصدار التشريعات اللازمه حيث أصدرت القانون رقم (١٦) لسنة ١٩٩٥ الذى أحتوى جملة من الاعفاءات والتسهيلات للمستثمر الاجنبى منها: اعفاء الموجودات الثابته المستخدمه في المشروع سواء كانت لمشروع جديد اولتوسيع أو تحديث القوائم من الرسوم والضرائب وكذلك قطع الغيار على أن لا تزيد عن ١٥٪ من قيمة الموجودات الثابته والاعفاء من الضرائب و الرسوم نتيجه للزيادة الحاصله في بلد المنشأ أو ارتفاع أجور الشحن أو أى تغير في سعر التحويل للموجودات الثابته. بالاضافه الى جملة من ضمانات الاستثمار تمثلت في مساواة المستثمر الاجنبى بالمستثمر الاردنى حيث تملك المشاريع جزئيا أو كليا. كما يحق للمستثمر الاجنبى اخراج أمواله والارباح المتحققه من استثمار رأسماله ولايجوز نزع ملكية أى مشروع من مستثمر غير أردنى الا وفق تعويض.

كما أنشأت الحكومة الاردنيه مؤسسة تشجيع الاستثمار التي عهد اليها مهمة جذب الاستثمارات وتشجيعها وترويجها وتنميتها وتنظيم البيئه الاستثماريه في الاردن بهدف تحفيز وتنشيط الحركه الاقتصاديه.

#### ٤- المتغيرات المستخدمه في الدراسه :

اعتمدت الدراسه على ثلاثه متغيرات أساسيه. نعتقد أنها تلفت نظر المستثمر الاجنبي الذي يسعى لتوظيف نشاطه في الاردن. أحتوى الجدول رقم (١) على حركة كل من الناتج المحلي الاجمالي والانفتاح الاقتصادي والاستثمار المحلي الموظف خلال الفترة ٢٠٠٢ - ٢٠١١ وأعتبرت هذه المتغيرات مستقلة لها تأثير على تدفق الاستثمار الاجنبي المباشر خلال نفس الفتره أعلاه.

#### جدول رقم (١)

الناتج المحلي الاجمالي والانفتاح الاقتصادي والاستثمار المحلي والاستثمار الاجنبي المباشر خلال

السنة	الفترة ٢٠٠٢ - ٢٠١١		
	الناتج المحلي الاجمالي	الانفتاح الاقتصادي	الاستثمار المحلي
٢٠٠٢	٦٧٩٤,٠	٢٨,٩٠٦	٧٥٠
٢٠٠٣	٧٢٢٨,٨	٢٩,٥٥٨	٦٢٠
٢٠٠٤	٨٠٩٠,٧	٣٤,٠٢٦	٤٥٥
٢٠٠٥	٨٩٢٥,٤	٣٤,١٦٨	٦٦٨
٢٠٠٦	١٠٦٧٥,٤	٣٤,٥٦٥	١١٢٤,٢
٢٠٠٧	١٢١٣١,٤	٣٣,٤٩٧	٩٦٥
٢٠٠٨	١٥٥٩٣,٤	٣٦,١٢٤	٧٢٦,٨
٢٠٠٩	١٦٩١٢,٢	٢٦,٧٦٤	٩٥٢
٢٠١٠	١٨٧٦٢,٠	٢٦,٥٩٧	٨٧٢
٢٠١١	٢٠٤٧٦,٥	٢٧,٧٦٢	٨٦٦

المصدر: بيانات دائرة الاحصاءات العامه ، البنك المركزي الاردني دراسة معن النصور  
أ- الناتج المحلي الاجمالي: يعتبر من أهم المؤشرات الاقتصادييه الداله على تطور الاقتصاد الوطني. فخلال فترة لانتجاوز العشر سنوات أرتفعت قيمته من (٦٧٩٤,٠) مليون دينار عام ٢٠٠٢ الى (٢٠٤٧٦,٥) مليون دينار في العام ٢٠١١ بزيادة مقدارها (١٣٦٨٢,٥) مليون دينار مما يعطى انطباعا على حركية الاقتصاد الاردني وحافزا للمستثمر الاجنبي. ولدى مقارنة نسبة التغير الناتج المحلي الاجمالي لاسعار السوق مع صافي تدفقات الاستثمار الاجنبي المباشر في الاردن خلال الفتره

أعلاه نجد وجود علاقة طردية بينهما. وهو أمر متوقع لان نسبة النمو تعتبر وازعا لجذب الاستثمار الاجنبي في أى بلد. ففي خلال الفتره أعلاه كان لارتفاع أسعار النفط عالميا وجهود التخاصيه أثر في ارتفاع صافي تدفقات الاستثمار الاجنبي المباشر وبذلك أرتفع مستوى الناتج المحلى الاجمالي (المجلس الاقصادى والاجتماعى الاردنى)

ب- الانفتاح الاقصادى: يعكس هذا المؤشر الامكانات الكبيره التى يمتلكها الاقصاد الوطنى. حيث يقاس كنسبه للصادرات الى الناتج المحلى الاجمالي. وعادة ماينظر المستثمر الاجنبي الى القدرات الكامنه التى يمتلكها البلد في علاقاته مع العالم الخارجى. وعند ملاحظه الجدول رقم (١) نجد أن هذا المؤشر قد تذبذب خلال الفتره ٢٠٠٢ - ٢٠١١. فبعد أن كان (٢٨.٩٠٦) عام ٢٠٠٢ ارتفع الى (٣٦.١٢٤) عام ٢٠٠٨ ليهبط الى (٢٧.٧٦٢) عام ٢٠١١. وبالطبع فان هذا يعود الى جملة من الاسباب أهمها أن نمو الناتج المحلى الاجمالي كان أسرع بكثير من نمو الصادرات خلال الفتره اعتمادا على نمو قطاعات اقصاديه أخرى وكذلك تأثر الصادرات الوطنيه بالازمه الماليه والاقتصاديه العالميه التى حصلت بعد منتصف عام ٢٠٠٨.

ج- الاستثمار المحلى: ان التوسع في هذا النشاط يعطى انطبعا لدى المستثمر الاجنبي على الفرص الاستثماريه الكبيره التى يمتلكها البلد والارضيه المناسبه قائمه لديه. ولكن هذا القطاع قد تأثر أيضا بظروف الازمه الاقصاديه العالميه. وكما أشار الجدول السابق فقد كانت حصته عام ٢٠٠٢ مامقداره (٧٥٠) مليون دينار ليبلغ ذروته عام ٢٠٠٦ الى (١١٢٤.٢) مليون دينار ثم ليهبط الى (٨٦٦) مليون عام ٢٠١١.

د- الاستثمار الاجنبي المباشر: نتيجة لحالة الاستقرار التى يتمتع بها الاردن والى الفوائض الماليه الكبيره المتجمعه لدى الدول العربيه المنتجه للنفط خاصة والى مجموعه القوانين والاجراءات التى اتخذت في الاردن لتشجيع الاستثمار الاجنبي والى الظروف السياسيه التى سادت في العراق خلال الفتره السابقه فقد نما الاستثمار الاجنبي بشكل كبير خلال فتره دراسته. فبعد أن كان لايتجاوز (٤٢٤) مليون دينار عام ٢٠٠٢ نجد أن ارتفاعه قد وصل الى (٢٠٠٥.٧) مليون عام ٢٠٠٨ ثم ليعود الى الانخفاض عام ٢٠١١ ليصل الى (١٠٤٣) مليون دينار متأثرا بالازمه العالميه وما يلاحظ من هذه البيانات أن نسبتها الى الناتج المحلى الاجمالي قد أنخفضت تدفقاتها من (٦.٤٤٪) في العام ٢٠١٠ الى (٥.١٣٪) في العام ٢٠١١.

هـ - التحليل الاحصائى

استخدم SPSS لتحليل متغيرات الدرسته المستقله: الناتج المحلى الاجمالي (X1) والانفتاح الاقصادى (X2) والاستثمار المحلى (X3) على تدفق الاستثمار الاجنبي المباشر (Y) خلال فتره الدرسته. وكانت النتائج كمايلى:

R	R.Square	Adj R Seq
0.937	0.877	0.816

تظهر البيانات أعلاه درجة ارتباط عالية بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع وعلى القدره  
لما تفسره المتغيرات المستقلة على المتغير التابع. كما ظهرت قيمة:

$$F=14,296 \quad \text{Sig}=0.004$$

وهذه تدل على معنوية احصائية عالية للنموذج وذات دلالة احصائية عند مستوى معنويه  
(5%). أما تحليل الانحدار فهو موضح في الجدول التالي:

Model	Un standardized coefficients		Standardized coefficients	T	Sig
	B	STD Error	Beta		
Constant	-4660,266	1024,167		-4,550	0,004
X1	0,062	0,022	0,497	2,855	0,029
X2	115,531	27,342	0,666	4,225	0,006
X3	1,867	0,518	0,578	3,604	0,011

### الفصل الثالث: الاستنتاجات والتوصيات

#### أولاً: الاستنتاجات

من الجدول الاحصائي السابق نستنتج مايلي:

١- أن معامل متغير الناتج المحلي الاجمالي (X1) قد بلغت قيمته (0,062)، وان قيمة t المناظره له البالغه (2,855) هي بمعنوية بلغت (0,029) عند مستوى أقل من (5%) وهذا يعني رفض الفرضيه الصفريه والقائله بعدم وجود علاقه ايجابيه ذات دلالة، أى أن نمو الناتج المحلي الاجمالي يعتبر محفزاً لدخول الاستثمار الاجنبي المباشر. وبذلك نقبل الفرضيه البديله.

٢- أن معامل الانفتاح الاقتصادي (X2) قد بلغ (115,513) وان قيمة t قد بلغت (4,224) وبدرجه معنويه (0,006) وهى أقل من (5%) وهذا يعنى أيضاً رفض الفرضيه الصفريه القائله بعدم وجود علاقه ايجابيه ذات دلالة احصائية بين نمو درجة الانفتاح الاقتصادي المتكونه من نمو الصادرات وتدفق الاستثمار الاجنبي المباشر وبالتالي نقبل الفرضيه البديله.

٣- أما معامل الاستثمار الداخلى (X3) البالغ (1,867) مع قيمة t التى بلغت (3,604) ذات معنويه بمقدار (0,011) وهى أقل من (5%) وبالتالي تعنى أيضاً رفض الفرضيه الصفريه القائله بعدم وجود علاقه ايجابيه ذات دلالة احصائية بين تطور الاستثمار المحلي وأثره على تدفق الاستثمار الاجنبي المباشر الذى يعطى حافزاً قوياً لاقامة القواعد الارتكازيه في الاقتصاد الوطنى أو المجالات التى تستوجب اقامة أنشطه جديده او مكمله. وبالتالي نقبل الفرضيه البديله.

وعليه فان معادلة الانحدار تكون كمايلي:

$$Y=-4660,266+0,062+115,531+1,867$$

### ثانياً: التوصيات

- ١ - ضرورة تطوير وتحسين الاجراءات الحكوميه المتعلقه بتراخيص المشاريع والاداره الضريبه وتسهيلها أمام المستثمرين الاجانب.
- ٢ - الاهتمام بالبنيه التحتيه في المناطق النائيه التي تسعى الدوله أن تستقطب لها الاستثمارات الاجنبيه.
- ٣ - تحسين نوعية المنتجات الاردنيه المصدره بحيث تجعلها أكثر قدرة على المنافسه في السوق الخارجيه.
- ٤ - تذليل العقبات الاداريه التي تقف حائلا أمام المصدر الاردنى من الدخول الى الاسواق الخارجيه وخاصة مع الدول التي تم عقد اتفاقيات تجاريه معها.
- ٥ - دراسة امكانيه تقديم الحوافز للمستثمرين الاجانب للدخول الى القطاعات الانتاجيه (الزراعه والصناعه) بشكل رئيسى بغية زياده مساهمتها في الناتج المحلى الاجمالي وتوفير فرص العمل المناسبه.
- ٦ - الاهتمام بالجانب الاعلامى من خلال نشر البيانات عن المجالات التي ينشط فيها الاستثمار الاجنبى في الاردن وعن العوائد المتحققه فيها في السنوات السابقه كى تكون حافزا لآخرين للعمل.
- ٧ - ضرورة مرجعه نظام الحوافز السائد حاليا وتطويره بحيث يصبح أكثر جذبا للاستثمار الاجنبى والاستفاده من تجارب الدول التي سلكت هذا النهج
- ٨ - التفكير بشمول المستثمر الاردنى أيضا بهذه الحوافز وخاصة أصحاب رؤوس الاموال الاردنيه المغتربه كى تكون دافعا للاستثمار في الوطن.

### المصادر العربيه:

- محمد طاقه ومحمود نور وحسين عجلان: الاستثمار العربى وأثره على الاقتصاد الاردنى، بحث مقدم الى المؤتمر العلمى لجامعة الاسراء ٢٠٠٧.
- تركى الفواز وخالد لافى وأكرم الشواوره: الاستثمار الاجنبى في الاردن خلال الفتره ١٩٧٦ - ٢٠٠٦ عمان ، الاردن.
- خليل الرفاعى العلاقه بين الاستثمارات الاجنبيه والتضخم والفائده ، جامعة الزرقاء ، الاردن.
- صندوق النقد الدولى: مؤشرات التنميه العالميه ، ٢٠١٢.
- معن النسور: تطورات مناخ الاستثمار في الاردن المؤتمر العلمى لجامعة الاسراء ٢٠٠٧ ، الاردن.

- ديميا محافظه: أثر اتفاقيات التجاره الحره في الاقتصاد الاردنى ، رساله ماجستير ، جامعة اليرموك ، الاردن ، ٢٠٠٣ .
- أحمد حسن الشبول: محددات الاستثمار في مدينة الحسن الصناعي ، رساله ماجستير ، جامعة اليرموك ، الاردن ، ٢٠٠٧ .
- عادل زهران: الاثار الاقتصادية لمدينة الحسن الصناعي في الاردن ، بحث جامعة اليرموك ، الاردن ، ٢٠٠٧ .
- محمد سليمان الرواشده: الاستثمار الاردنى المباشر وأثره على التنميه الاقتصاديه في الاردن للفترة ١٩٨٠ - ٢٠٠٨ ، جامعة مؤتة ، الاردن ، ٢٠١٠ .
- دائرة الاحصاءات العامه : المجموعه الاحصائيه لسنة ٢٠١١ ، الاردن .
- البنك المركزي الاردنى أحصاءات ٢٠١١ الاردن
- موقع وزارة الصناعة والتجاره موقع: [www.mit.gov.jo](http://www.mit.gov.jo)
- ندوة البيئه الاستثماريه في الاردن موقع: [www.alqudscenter.org](http://www.alqudscenter.org)
- المجلس الاقتصادي والاجتماعى : الاستثمار بين التشجيع والتشيط ، عمان ٢٠١٣ .
- ثائر قدومى: دراسه تحليليه للعوامل المؤثره على جذب الاستثمارات الاجنبيه الى الاردن للفترة (١٩٩٥ - ٢٠٠٤) جامعة العلوم التطبيقيه الاردن

#### المصادر الانكليزيه:

- Chen,Chung:the role of foreign direct investment in China in 1978 , economic development world vol 23, 1995
- Ericsson J,Irandoust M:On the causality between foreign direct investment and output, a comparative study,the international trade journal,Vol 15 ,2000
- Gilmore & others:Factors influencing foreign direct investment and International Joint Venture ,International marketing review .vol.16 ,No4 2004
- Jong,C:Foreign direct in investment and gross domestic investment promote economic growth ,
- Metwally.M:The effect of Eu. Foreign direct investment in the Middle East European Business Review vol.20 no.2 2004
- Scheider F.and B.S Frey: Economic and political determinants of foreign direct investment .world development ,vol 13,1985.
- Selin Sayak:Foreign direct investment and inflation,theory and Evidence,Duke university ,1999.
- Zekos,G:Foreign direct investment in digital economy,European business preview,vol.17,No1 2005.

## مفهوم الاخلاق الحيوية في مجال التقنيات الطبية المعاصرة

the concept of the vital morals in the field  
of contemporary medical technologies

م. م. اسماء قاسم محمد<sup>(1)</sup>

Ass. Lecturer Asma Qassim

### المقدمة

منذ النصف الثاني من القرن العشرين، تصدرت علوم الطب والبيولوجيا مكان الصدارة في مجال التقدم العلمي المتسارع، بعد فقدان العلوم التجريبية وفي مقدمتها الفيزياء لهذه المكانة، عندما تطورت الادوات التقنية والطرائق المخبرية للتجريب على الحي والمستعارة من العلوم التجريبية الفيزيائية والكيميائية، وتعود اهمية العلوم الحيوية الى كونها ترتبط ارتباطا علاجيا وانطولوجيا واخلاقيا بحياة الانسان وبالتالي فإن هذه النهضة العلمية ادت الى تغير النظرة الى الانسان، من كائن مقدس الى انه ظاهرة خاضعة للتجريب، مما اثار تساؤلات حول قيمة الانسان ومصيره ووظيفته في هذا الوجود، وهذه التساؤلات لم يجد لها العلم اجوبة مناسبة بالرغم مما يمتلكه من وسائل. لذلك كان على علماء الدين والفلسفة والقانون ان يقوموا بمهمة البحث عن تلك الاجابات، حتى ان بعض العلماء البيولوجيين قد تحولوا الى فلاسفة، مستوحين فلسفتهم من الابحاث البيولوجية بغية الوصول الى حلول للمشكلات التي تتمخض عن التقدم والتطور الذي شهدته العلوم، خاصة في مجال الطب والبيولوجيا وكيفية علاجها.

يتناول هذا البحث الجانب الاخلاقي للبحوث والتجارب العلمية في مجال الطب والبيولوجيا، لما لهذا الموضوع من اهمية بالغة تعود على الانسان بفوائد جمة. فقد احدث تطور الوسائل والتقنيات في هذا المجال قفزة نوعية هائلة في عملية التشخيص المبكر للأمراض الوراثية والكشف عن

---

١ - قسم الفقه واصوله / كلية العلوم الاسلامية / جامعة كربلاء

التشوهات الخلقية للأجنة وامكانية اتخاذ القرار في الوقت المناسب حول الاحتفاظ بها، او امكانية العلاج للأمراض المستعصية.

يبدأ الفصل الاول بتمهيد عن طبيعة المنهج التجريبي واهميته بالنسبة للإنسان و مراحل تطوره، ثم سيادة علوم الحياة والطب على العلوم التجريبية لارتباطها الوثيق بحياة الانسان، ثم يأتي بعد ذلك المبحث الاول لبيان تطور هذه العلوم ومدى تأثيرها على مصير البشرية، لان من طبيعة العلم انه يعتبر سلاح ذو حدين اذا ما اخفق الانسان في تسخيرها لأهداف سامية تصب في صالح الانسان. وبعد ان نبين في المبحث الاول اهمية الكشف العلمية وضرورة قيامها على مبدأ احترام الكرامة الانسانية، ناتي في المبحث الثاني على تعريف مفهوم الاخلاق الحيوية وما هي الاسباب التي ادت الى ظهوره، واعتماده في قواميس اللغة. ثم نتقل الى المبحث الثالث و بيان وجهة النظر القانونية لطبيعة البحوث العلمية والبيولوجية و دور القانون في تطوير الاخلاقيات الحيوية، ومساهمته في وضع المبادئ القانونية الاخلاقية، التي تحكم اخلاقيات الطب وعلوم الحياة من خلال مجموعة الاعلانات والمواثيق الدولية التي اشتركت في كون غايتها النهائية، حماية حقوق المرضى والتأطير الاخلاقي لمهنة الطب وترجيح مبدأ سمو الكائن البشري و صون الكرامة الانسانية.

اما الفصل الثاني فيتناول في مبحثه الاول علاقة الاخلاق بالأبحاث الطبية وكيف نشأت هذه العلاقة بعد الكشف عن مجموعة من التجارب العلمية في اجواء يغيب عنها الوازع الخلقي، مما اثار قلق فلاسفة الاخلاق والمثقفين والرأي العام كما حدث في الولايات المتحدة في حقبة الستينيات، والعودة الى اسس هذه العلاقة في الحضارات القديمة.

اما المبحث الثاني فنبين فيه اثر التقنيات البيولوجية في الاخلاق وفي مقدمتها الهندسة الوراثية، وما هي الغاية من معرفة تفاصيل الطاقم الوراثي للإنسان، هل هي غاية علاجية؟ ام هي غايات اخرى كشفت عنها اباحات الهندسة الوراثية؟.

في المبحث الثالث، تناول توضيح اهم تقنيات الهندسة الوراثية كألاستنساخ والعلاج الجيني وعلم الاجنة والانجاب الاصطناعي، وما لهذه التقنيات من اثار في المعايير والاراء الفكرية والاخلاقية، وبيان الموقف من عملية الاستنساخ والعلاج الجيني الذي وقع بين رافض ومؤيد وبمح اهم الجوانب الايجابية والسلبية، والنتائج التي توصل اليها العلماء في مجال الاباحات العلمية واثارها الاخلاقية.

## الفصل الاول: اهمية العلوم التجريبية وتطورها

### تمهيد:

يعتبر المنهج التجريبي منهجا قديما قدم الانسان على سطح الارض، عندما بدأ في التعامل مع الطبيعة، فعن طريق الملاحظة والتجريب استطاع الوصول إلى ابعدها مما كان يتصور. وبعد ان كان الانسان الاول يفكر في امكانية التكيف واستثمار الطبيعة للسيطرة على كوكب الارض اصبح الان

يتجه إلى الكون ليكتشف ما فيه. والمنهج العلمي (Scientific method) عبارة عن مجموعة من التقنيات والطرق المصممة لفحص الظواهر والمعارف المكتشفة أو المراقبة حديثاً، أو لتصحيح وتكميل معلومات أو نظريات قديمة، وتستند هذه الطرق أساساً على تجميع تأكيدات رصدية وتجريبية تخضع لمبادئ الاستنتاج<sup>(٣)</sup>.

ومع أن طبيعة وطرق المنهج العلمي تختلف حسب العلم المعني فإن هناك صفات ومميزات تميز البحث والتقصي inquiry العلمي عن غيره من أساليب التقصي وتطوير المعارف. عادة يضع الباحث العلمي فرضية hypothesis أو مجموعة فرضيات كتفسير للظاهرة الطبيعية التي يدرسها ويقوم بتصميم بحث علمي research تجريبي لفحص الفرضيات التي وضعها عن طريق فحص تنبؤاتها ودقتها.

اذن يمكننا القول ان أكثر مناهج البحث اهمية بالنسبة للإنسان هو المنهج التجريبي لان هذا المنهج ساعده على التطور وبناء حضارته عن طريق الملاحظة والتجريب والوصول إلى النتائج الصحيحة ومعرفة الطرق السلمية للتعامل مع الظواهر وتفسيرها<sup>(٣)</sup>.

وقد تربعت علوم الطب وعلوم الحياة على رأس العلوم التجريبية وفي مقدمتها لأنها ارتبطت بصلة مباشرة بحياة الانسان ومصيره. وقد عرف النصف الثاني من القرن العشرين تقدماً في مجموعة من الميادين العلمية النظرية والتطبيقية ومنها على وجه الخصوص ميادين الطب وعلوم الصحة وعلوم الحياة. بعد ان كانت علوم الفيزياء هي الرائدة في بدايات ذلك القرن، الا ان الثورة البيولوجية بدأت تبشر باكتشافات اكثر اهمية واشد خطورة مما توصلت اليه الفيزياء، فتداخلت العلوم البيولوجية مع العلوم الاخرى لدرجة ظهور فروع اخرى مرتبطة بها وبهذه العلوم، وقد استطاعت كل هذه الفروع ان تصبح علماً قائماً بذاته وقوانينه، رغم حاجة كل منها للفروع الاخرى، ومنها على سبيل المثال علم الكيمياء الحيوي وعلم المناخ الحيوي والفيزياء الحيوية، والجغرافية الحيوية وعلم الاجنة، وعلم الخلايا، واخيراً الهندسة الوراثية<sup>(٤)</sup>، ولم تكن اهمية هذه العلوم فقط بسبب تأثيرها على حياتنا من خلال تطويرها للطب وخلق علم جديد في مجال التغذية انما ايضا بسبب تأثيرها على مواقفنا واراتنا حول طبيعة الحياة.

### البحث الاول: تطور العلوم الحيوية ومصير الانسان

مع تقدم العلم وتطوره لم تعد الظواهر المحيطة بالإنسان هي المجال الوحيد الخاضع للفحص والتجربة، بل اضحى الانسان نفسه هو الظاهرة الخاضعة للدراسة والتجربة العلمية، فقد اثارت البحوث العلمية والتجارب الطبية حول الإنسان جدلاً بين متطلباته البيولوجية الحديثة في مجالات

2 -aac Newton (1687, 1713, 1726). "[4] Rules for the study of natural philosophy", Philosophiae Naturalis Principia Mathematica, Third edition

http://ar.wikipedia.org/wiki - ٣

٤ - البقصي: الهندسة الوراثية والاخلاق ص ٨٣

الطب والجراحة والأبحاث العلمية التجريبية، وبين حتمية توافر الحد الأدنى من الاحترام و القدسية للجسم البشري والحفاظ على الكرامة الإنسانية الأدمية، وذلك لا يكون إلا بصياغة تشريعات 'بيوأخلاقية' جديدة، لتحديد الضوابط الشرعية والقانونية والأخلاقية والإنسانية للبحوث العلمية والتجارب الطبية على الإنسان الذي أصبح ولأول مرة في تاريخه، يتوفر على وسائل علمية دقيقة لاستكشاف اسرار الوراثة وفك رمزها لمعرفة التركيب الوراثي للبشر والوقوف على احتمالات حدوث امراض وراثية في مرحلة ما قبل الولادة، بل وتوصل الى التحكم في تلك الموروثات وامتلاك القدرة على تطويعها بما يرضي فضوله وطموحاته<sup>(٥)</sup>.

وربما يمكننا القول بأن ( الاستشارة الوراثية ) التي اصبحت متاحة بفضل امكانية التنبؤ الوراثي هي صيغة معاصرة لحكمة فلسفية قديمة تقول: ( اعرف نفسك بنفسك ) فالتنبؤ يعني ان كل فرد سوف يتمكن عمليا من ان يعرف أي من الامراض هو المستهدف للأصابة بها، وستتيح هذه البرامج للناس ان يتحكموا اذا شاءوا في حياتهم<sup>(٦)</sup>، فخرطة الانسان الوراثية ستمكن الانسان من معرفة الجينات التي تسبب الامراض النادرة. مع النظر الى الجانب الالهم وهو تحديد هوية الجينات الخاصة بالأمراض الشائعة. وعندما تتوفر لدينا خريطة وراثية مفصلة، سنتمكن من تحديد هوية زمركاملة من الجينات تؤثر في النواحي العامة لكيفية نمو الجسم او عجزه عن اداء وظائفه. وستمكن هذه الخريطة من معرفة ان القابلية والاستعداد للأصابة بالأمراض الشائعة ترجع الى اصول وراثية<sup>(٧)</sup>.

ولكن اذا ما كانت امكانية التنبؤ الوراثي تحمل مزايا ايجابية، فانها بالتالي افرزت مشاكل اخلاقية، واهمها قضية سرية المعلومات المتاحة من طريق الفحوص، فما ضمان بقائها طي الكتمان وانها لن تفضى فتصبح عرضة لاغراض غير علمية؟ فتتعدد احتمالات سوء الاستغلال في نشر اطروحات التمييز العرقي، او حرمان فئات معينة من المجتمع من الوظائف ومن التأمين الصحي، او استغلال شركات

التأمين لرفع اسعارها بالنسبة لأولئك الاشخاص الذين تثبت فحوصاتهم انهم مهددون في المستقبل للأصابة بأمراض وراثية خطيرة وربما يجرمون نهائيا من حق التأمين على الحياة<sup>(٨)</sup>.

لذلك يرى المفكرون والفلاسفة ان التقدم العلمي ضرورة لا بد منها، ولكنه ليس هو كل شيء، فالحاجة الى قيم وضوابط اخلاقية تؤطر هذه العلوم هو ما تحتاجه البشرية تماما، حتى تتجنب مساوئ استخدام العلم. ومن اجل ذلك فأقوانين ما تزال الى الان تمنع جميع الفحوص الجينية التي تمكن من معرفة مدى استعداد شخص ما للأصابة ببعض الأمراض او لنقل مرض وراثي. ولا

- ٥ - الدواي: حوار الفلسفة والعلم والاخلاق ص ٦٠
- ٦ - زولت هارسناي ورتشارد هتون: التنبؤ الوراثي ص ٢٦٣
- ٧ - دانييل كيفلس وهود: الشفرة الوراثية للانسان ص ١٠٣
- ٨ - الدواي: حوار الفلسفة والعلم والاخلاق ص ٦١

يسمح بالبحث ألا في حالة وجود مبررات مشروعة، ويشترط في هذه الحالة ان تتم الفحوص بموافقة المعنيين بالأمر، وكذلك في حالات قضائية معينة كالتعرف على هويات المتهمين عن طريق البصمات الجينية، او تحليل عينات الشواهد في الميدان الجنائي، او تحديد هوية الأباء المجهولين. تلك كانت بعض المحاولات للتأطير الاخلاقي والقانوني للأبحاث الطبية. ومن الطبيعي ان التقدم في الابحاث والتكنولوجيا الطبية لم يتوقف. فقد تحققت في هذا المجال انجازات اخرى ادت بدورها لظهور مشاكل اخلاقية جديدة. فظهرت مشاكل الولادة والانجاب الاصطناعي، ومشاكل الابحاث حول الاجنة البشرية، ومشاكل الموت والالم، ومشاكل زراعة الاعضاء البشرية وكانت نتائجها تقف امام مواجهة صريحة مع المبادئ الاخلاقية والقيم الاجتماعية الراسخة والمتجذرة في المعتقدات والثقافات الانسانية منذ غابر الازمان<sup>(٩)</sup>.

وتبقى حركة الصراع على حالها بين الاخلاق والعلم مستمرة منذ بداية الثورات العلمية الكبرى الى اخر نقطة يصل اليها العلم في تقدمه، فالعلم يتسم بطابع ثوري تجديدي اما الاخلاق بطابعها المحافظ تأبى مسaire طفرات العلم، لكننا لا بد ان نذكر ان العلم ساهم في تحرير الانسان في عصر الانوار، وان فلاسفة ذلك العصر نظروا الى سيرورة المعارف والعلوم نظرة تفاعل، وحتى فلاسفة هذا العصر نظروا هذه النظرة على الرغم من وجود ما يبرر تخليهم عن هذه النظرة بعد ان اخذت تلك العلوم السير في اتجاهات اخرى غير الاتجاه الذي وجدت من اجله.

واخيرا نصل الى ان الثورة العلمية البيولوجية بكل ما تحمله من ايجابيات وسلبيات في حياة الانسان، فأنها تفتح الازهان الى معرفة ان هذا الانسان الكائن المعقد، المكون من الجينات الحاملة للصفات والمسؤلة عن نقل هذه الصفات عبر تعاقب الاجيال لايعني ان سبب جريمة ترتكب هو الدافع الجيني، او ان يكون الانسان نبيلاً فهذا من صنع جيناته. هذه الحتمية الوراثية غير حكيمة، لكن يبقى التساؤل حول كم من تركيبنا تمليه البيئة، وكم تمليه الوراثة، وكم تمليه الارادة والعزم<sup>(١٠)</sup>.

### البحث الثاني: مفهوم الاخلاق الحيوية:

لقد قدم العلم تطبيقات جديدة في كافة مجالات الحياة كالتطب والهندسة والتصنيع والاقتصاد وغيرها، وقدم حلولاً للمشكلات التي واجهت الانسان في كل مجال من هذه المجالات لكن السؤال هنا، هل قدم العلم حلولاً للمشاكل الاخلاقية التي قد تعرقل سير التقدم العلمي؟ وهل يأخذ العلم بنظر الاعتبار الابعاد الاخلاقية والانسانية للظاهرة العلمية من اجل صياغة قواعد اخلاقية عامة تضمن عدم اساءة استخدام منجزات العلم والتكنولوجيا المعاصرة؟ وللأجابة عن هذه التساؤلات برزت مفاهيم جديدة تتناول قضايا مستحدثات التقنية الحيوية

٩ - المصدر السابق ص ٥٥

١٠ - دانييل كيفلس وهود: الشفرة الوراثية للإنسان ص ١٠٥

ومن هذه المفاهيم، مفهوم الاخلاق الحيوية، او اخلاقيات الطب والبيولوجيا Bioethique، وكانت الولايات المتحدة الامريكية الموطن الاول لظهور هذا المفهوم حيث تم استخدامه لأول مرة من قبل طبيب امريكي مختص في الاورام من جامعة Wisconsin واسمه potter van Rensse lare، ومن الجدير بالذكر ان هذا المصطلح حديث العهد بالظهور والتداول، وقد كان غريبا عن القاموس الفلسفي والاخلاقي، وهو من حيث الاشتقاق يتألف من كلمة biologie وتعني علم الحياة، والكلمة Ethique وتعني علم الاخلاق ومبادئ توجيه السلوك البشري. وقد بادرت القواميس والموسوعات الى اعتماده منذ سنة ١٩٨٢. وتعرفه المصادر المختصة بانه دراسة القضايا الاخلاقية المترتبة عن التقدم الحاصل في التقنيات الجديدة في علوم الصحة والحياة، دراسة ترمي الى اقتراح مبادئ اخلاقية تضبط توجهات ذلك التقدم، ومراقبة وتوجيه جميع الابحاث والتدخلات المتعلقة بالكائن الحي منذ لحظة الاخصاب حتى لحظة الموت<sup>(١١)</sup>. كذلك يعرف بأنه مجموعة القواعد التي يضعها المجتمع لنفسه من اجل الاحتفاظ بالمعنى الانساني بمواجهة المشكلات الناجمة عن التقدم العلمي السريع في مجالات الطب والوراثة وعلم الاحياء. وتعد الاكتشافات العلمية التي ظهرت في مجالات الطب والوراثة وعلم الاحياء، والتي كانت نتاج ثورة بيولوجية جزيئية تجتاح العالم منذ سنوات الستينات من القرن العشرين، من اهم الاسباب التي ادت الى ظهور الاخلاق الحيوية. وتشير هذه الاكتشافات، على الصعيدين القانوني والاخلاقي مشكلات تتعلق بحقوق اساسية للفرد اعترفت بها الشرعية الدولية لحقوق الانسان، واهم هذه المشكلات تتعلق بالحق في احترام الكرامة الانسانية، والحق في الحياة وفي الخصوصية. وقد تؤثر من ناحية اخرى في انظمة قانونية راسخة في المجتمع كالزواج والاسرة والميراث<sup>(١٢)</sup>.

مما تقدم نتبين ان مفهوم الاخلاق الحيوية قد نتج عن تحول كبير في مجال الطب بعد ان كان اقرب للعمل التجريبي في بداية القرن التاسع عشر منه الى كونه اصبح يمثل اهم التقنيات العلمية في منتصف القرن العشرين، ولم تعد تقتصر وظيفة الطب على علاج المرضى والعناية بصحتهم بل اخذت تتجه نحو التدخل بتركيبية الجسم البشري وتغيير معالمة، مما ادى الى البحث في جوانب اخرى غير الجانب العلمي على وجه العموم والجانب الصحي على وجه الخصوص، بل اصبحت هناك ضرورة لبحث الجانب الاخلاقي.

### المبحث الثالث: الأبحاث العلمية وحقوق الانسان:

يتميز عصرنا الحاضر بأهتمام متزايد بمسألة الديمقراطية، بل واخذ هذا الاهتمام يتفرع الى اهتمامات اخرى: منها اهتمام بالديمقراطية كأداة للتحرر السياسي وتوسيع مجال الحريات، والاهتمام بها كوسيلة لتحقيق العدالة ولأحترام حقوق الانسان، وكذلك الاهتمام بها كأداة لضمان

١١ - الدواي: حوار الفلسفة والعلم والاخلاق ص ٤٩

١٢ - د. فواز صالح (مبدأ احترام الكرامة الانسانية في مجال الاخلاقيات الحيوية) دراسة قانونية مقارنة

مراقبة المجتمع لسيرورة النمو الاقتصادي ولتطور العلوم والتكنولوجيا، وبصفة عامة للحرص والسهر على عدم اساءة استعمال نتائج التقدم العلمي في الميادين المختلفة<sup>(١٣)</sup>.

فأذن الغاية من مبحث الاخلاق الطبية هي التأطير الاخلاقي لعدد من الممارسات العلمية التي سمح بها تطور العلوم الطبية، ثم البيولوجيا الجزيئية والهندسة الوراثية وذلك من منظور مدى احترامها لحقوق الانسان. فرما اصبح الان من حق المجتمعات البشرية ومفكرها على حد سواء القلق من احتمالات اساءة استعمال الطاقة العلمية في ميادين الطب والهندسة الوراثية، كما سبق وان اسىء استخدام التقدم التكنولوجي بتدمير مدن بسكانها في اكبر كارثة انسانية عرفها التاريخ في مدينتي هيروشيما وناكازاكي ابان الحرب العالمية الثانية.

ومن اهم الحقوق التي يمكن ان يهددها التقدم العلمي في مجال تطبيقات الأخلاقيات الحيوية بالخطر هو الحق في احترام الكرامة البشرية، والحق في الحياة، والحق في الحرية الفردية، والحق في حماية الجنس البشري. ولكن الحق في احترام الكرامة البشرية يحتل مكانة بارزة في مجال الاخلاقيات الحيوية. ويعد هذا الحق مبدأً اساسياً من مبادئ القانون الوضعي، الذي عرف نجاحاً كبيراً بعد الحرب العالمية الثانية.

ومن هنا وجد الكثير من الباحثين بانه لا بد من العودة الى هذه الاخلاقيات التي تؤكد على احترام حقوق الانسان بالدرجة الاولى وعلى العلاقة بين المريض والطبيب، كذلك اخذت بعض المنظمات الدولية الاقليمية تهتم بهذه المسألة للحرص على عدم اساءة استعمال نتائج التقدم العلمي، ونتيجة لذلك اخذت بعض الدول في اصدار قوانين خاصة لدراسة المشاكل المرتبطة بمنجزات هذا التقدم، وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية وكندا واوروبا. وأنشأت هذه الدول لجانا وطنية للأخلاقيات الطبية والحيوية.

وقد لعب القانون دوراً هاماً في تطوير هذه الاخلاقيات، اذ ساهم رجاله بفاعلية في وضع المبادئ القانونية والاخلاقية التي تحكم اخلاقيات الطب وعلم الاحياء<sup>(١٤)</sup> فالقانون الفرنسي ينص على عدد من المبادئ الاساسية التي يجب ان تخضع لها التطورات العلمية التي حققتها الثورة البيولوجية. واذا القينا نظرة على موادها نجدها تركز ثلاثة انواع من المبادئ الاساسية في هذا المجال، النوع الاول يتعلق بالشخص ذاته، في حين يتعلق النوع الثاني بجسد الشخص، واخيراً يتناول النوع الثالث الجنس البشري.

وكذلك الحال بالنسبة للأعلان العالمي بشأن المجين البشري وحقوق الانسان الذي تبنته منظمة اليونسكو عام ١٩٩٧ الذي شمل خمس وعشرين فصلاً اقترحت فيها معايير كونية لضبط وتنظيم الابحاث العلمية في المحدد الوراثي البشري، وبشكل عام جميع الامكانيات العلمية الجديدة المتاحة

١٣ - الدواي: حوار الفلسفة والعلم والاخلاق ص ٤٧  
١٤ - د. صالح فواز: (مبدأ احترام الكرامة الانسانية في مجال الاخلاقيات الحيوية) دراسة قانونية مقارنة

في مجال تغيير طبيعة الاحياء<sup>(١٥)</sup> وفكرة الاعلان الرئيسية هي ضرورة البحث عن صيغة للتوفيق بين حرية عمل الباحثين العلميين وبين ضرورة احترام النفس البشرية وكرامة الانسان وحماية البشرية عموماً من التجاوزات المتعددة التي يمكن ان تنشأ عن اجرائهم وتجاربهم. وقد تعهدت الدول الموقعة عليه بأحترام المبدأ القاضي بأن (لكل فرد الحق في ان تحترم كرامته وحقوقه بغض النظر عن خصائصه الوراثية)<sup>(١٦)</sup>. واذا كانت الدول الموقعة على بنود الاعلان قد حثت على مواصلة البحث العلمي في مجال المحدد الوراثي للإنسان فانها في الوقت ذاته التزمت بمنع كل تصرف مسيء.

وهكذا اصبحت الطريق ممهدة لصدور مجموعة من الاعلانات والمواثيق الدولية لحماية المرضى وللتأطير الاخلاقي لمهنة الطب. وقد اشتركت هذه الاتفاقيات على ان تكون الغاية النهائية من البحث العلمي هي سعادة الانسان ورفاهيته، ولا يجوز ان يرجح على مبدأ سمو الكائن البشري اية اولويات اخرى، وامام هذا التقدم العلمي في مجالات علم الاحياء والطب والوراثة يجب على المشرع ان يوفق بين متطلبات التقدم العلمي واحترام الانسان والانسانية. والاداة الاساسية لهذه الحماية تكمن في صون الكرامة الانسانية للجنس البشري<sup>(١٧)</sup>.

## الفصل الثاني: الاخلاق في ظل التقنيات الطبية الحديثة

### البحث الاول: علاقة الاخلاق بالابحاث الطبية

للقوف على الاسباب التي ادت الى نشأة اخلاقيات الطب والبيولوجيا بالإضافة الى الثورة البيولوجية والتسارع الحاصل في تقدم العلوم الطبية، لعله من المهم ان نعود الى الوراء حيث حقبة الستينيات وفي الولايات المتحدة بالتحديد. حين كشفت وسائل الاعلام عن وقائع في بعض المستشفيات الامريكية. تعلق بتجارب اجريت على فئات من المرضى بدون علمهم ولا موافقتهم، مما اثار قلق فلاسفة الاخلاق والمثقفين عموماً كما هز الرأي العام الامريكي. وفي هذا المناخ العام ظهرت اخلاقيات الطب التي استلهمت مبادئها من تعاليم الديانات السماوية ومن الاعلان العالمي لحقوق الانسان<sup>(١٨)</sup>.

وعقب الكشف عن الوقائع السالفة الذكر والنقاش الواسع الذي اثير حولها، تأسست مراكز الاستشفاء والبحوث الطبية ( لجان الاخلاقيات الطبية ) وهي لجان اصبحت لها مهمة محددة هي الدفاع عن المرضى وحماية حقوقهم، وفحص الجانب الاخلاقي للأبحاث الطبية والعلمية التي تقتضي اجراء تجارب على البشر<sup>(١٩)</sup>.

١٥ - المصدر السابق

١٦ - الدواي : حوار الفلسفة والعلم والاخلاق ص ٧٠

١٧ - د. صالح فواز : ( مبدأ احترام الكرامة الانسانية في مجال الاخلاقيات الحيوية ) دراسة قانونية مقارنة

١٨ - نقلا عن حوار الفلسفة والعلم والاخلاق ص ٥٢

١٩ - المصدر السابق ص ٥٢

ومن الجدير بالذكر ان العلاقة وثيقة بين الاخلاق والطب و لها جذور في القدم، فقد حاول الانسان منذ نشأة الحضارات ان يضع قوانين تحدد سلوكه ومعاملاته حماية للمجتمع من التدهور. وكان من بينها شريعة حمورابي ملك بابل ( ٢١٠٠ ق. م ) التي شملت كل جوانب الحياة العملية حتى الطب<sup>(٢٠)</sup>، وكذلك عرفت بعض الحضارات القديمة بأهتمامها بقدسية حياة الانسان فالزرادشتيون وضعوا قوانين مشددة حول العناية بالأثنى خلال فترة حملها سواء من البشر او الحيوانات معا<sup>(٢١)</sup>

لكن هذه القوانين اندثرت مع اندثار تلك الحضارات، اما القواعد الطبية التي استمرت الى حد بعيد في الاوساط الطبية حتى عصرنا الحاضر، فيعود تاريخها الى المرحلة الذهبية من العصر اليوناني، الذي وضع فيه قسم ابيقراط وهو قسم وضع لتحديد سلوك الطبيب واخلاقياته. وقد انتقل هذا القسم من جيل الى جيل ومن عصر الى عصر، وفي كل مرة تضاف اليه قاعدة جديدة، او تحذف منه بعض البنود.

### المبحث الثاني: الاخلاق والهندسة الوراثية :

يتكون جسم الكائن الحي من مجموعة من الخلايا، كل خلية تحتوي على عدد من الكروموسومات، وظيفتها حمل المعلومات الوراثية، في مادة اساسية تعرف ب DNA وقد تمكن العالمان جيمس واطسون، وفرنسيس كريك في عام ١٩٥٣ من اكتشاف الشكل الاساسي للحمض النووي DNA الذي ادى فيما بعد الى التعرف على الكثير من المعلومات حول كيفية قيامه بحفظ المعلومات الوراثية وكيفية نقلها من جيل الى اخر<sup>(٢٢)</sup>.

ومع اكتشاف الحمض النووي، ومعرفة الجينات ظهر علم جديد سمي بالهندسة الوراثية Genie genetique وهو علم يهتم بدراسة التركيب الوراثي للخلية الحية ويهدف الى معرفة القوانين التي تتحكم بالصفات الوراثية من اجل التدخل فيها واصلاح العيوب التي تطرأ عليها<sup>(٢٣)</sup>. ويسعى علماء الهندسة الوراثية من خلال ابحاثهم الى معرفة تفاصيل اكثر حول الطاقم الوراثي للإنسان لاجل التمكن من اعادة تغيير مخزونه ان اقتضى الامر ذلك اما لغايات طبية علاجية او من اجل انتاج كائنات حية حسب مواصفات معينة. والجديد في عصرنا الحالي ان هذه الابحاث اصبحت تتناول جسم الانسان والتحكم في التركيب الوراثي وامتلاك القدرة على تطويعه، والكشف المبكر عن الاستعدادات الوراثية للأفراد للأصابة بالأمراض الخطيرة عن طريق التنبؤ الوراثي الذي اصبح ممكنا مع الفحوصات الجينية المسبقة. و من ابرز استخدامات الهندسة الوراثية هو العلاج الجيني،

٢٠ - البقصمي : الهندسة الوراثية والاخلاق ص ٣٨

٢١ - المصدر السابق ص ٣٩

٢٢ - سيغان : اساسيات علم الوراثة ص ١٣

٢٣ - علي : عالم الجينات ص ١٨٩

ولتوضيح الجانب الاخلاقي لهذا النوع من العلاج لابد لنا من التعرف على طبيعة هذا العلاج، وماهي الوسائل المستخدمة فيه، وما هي الجوانب الايجابية والسلبية الناتجة عنه؟ يعرف العلاج الجيني بأنه علاج الامراض عن طريق الجينات، وذلك يتم باستبدال الجين المعطوب بأخر سليم، او امداد خلايا المريض بعدد كاف من الجينات السليمة او حتى استئصال بعض الجينات المسؤولة عن احداث مرض معين او تشوه ما<sup>(٢٤)</sup> والجين هو الوحدة الوراثية في جسم الكائن الحي، اطلق عليه العالم جوهانسن هذا الاسم، وعلى اساسه سمي علم الوراثة بهذا الاسم (Genetic) (٢٥).

ويتناول العلاج الجيني كلا من الانسان والحيوان والنبات، وما اختص بالانسان يسمى العلاج الجيني للخلايا البشرية. ومن خلال معرفة ان هذا العلاج يعتمد بالدرجة الاولى عملية نقل او استبدال الجينات، يتبين لنا اختلافه الواضح عن غيره من انواع العلاج التي تعمل اغلبها على تسكين المرض وليس شفاءه.

### المبحث الثالث: الاخلاق بين العلاج الجيني والاستنساخ

#### تقنيات الهندسة الوراثية:

مع تواصل ابحاث العلماء في مجال الهندسة الوراثية، ظهر مصطلح جديد في هذا المجال وهو ( الاستنساخ )، وهو ايضا من تقنيات الهندسة الوراثية لكنه يختلف عن العلاج الجيني في كونه يعمل على تكوين كائن حي مطابق من حيث الخصائص الوراثية والفسولوجية والشكلية لكائن اخر. ويشترك في العلاج الجيني لاهميته في استنساخ الجينات اللازمة في العلاج<sup>(٢٦)</sup>.

لقد كان الاعلان عن نجاح الباحث ( ايان ويلموث ) من معهد روزالين في اسكتلندا وبالتعاون مع شركة ppt للعلاجات في تجربة الاستنساخ الوراثي للنعجة (دولي) بداية لنقاش مستفيض حول التقنية المستخدمة وامكانية استخدامها في استنساخ البشر وتطبيق الافكار المتطرفة حول تكوين الشعوب المنتخبة او في التهجين البشري - الحيواني او في استخدام تقنيات الهندسة الوراثية في تحسين النوع البشري فيما يعرف بالهندسة التعزيزية<sup>(٢٧)</sup>.

فكان هذا الحدث بمثابة انقلاب كبير سواء على المستوى العلمي او من منظور المعايير الفكرية والاخلاقية. لقد اثار هذا الحدث دهشة وفضول الرأي العام الدولي كما اثار على الخصوص انصار اخلاقيات الطب والبيولوجيا. فأجمعوا على ضرورة اتخاذ قرار دولي لتحريم تطبيق هذه التكنولوجيا الحيوية الجديدة على البشر ويستند المعارضون لهذه التقنية الى كون الانسان يعتبر الى حد الان من

٢٤ - علي : عالم الجينات ص ٧٦  
٢٥ - سيغان : اساسيات علم الوراثة ص ١٣  
٢٦ - الجمل : الهندسة الوراثية وابحاث الدواء ص ٤٣  
٢٧ - العبيدي : الهندسة الوراثية المتقدمة الاسس والتطبيقات ص ٢٠٤

طرف جميع الاديان اقدس المخلوقات. كما يحيلون الى ان كرامة كل انسان تقوم اساسا في كونه نسيج وحده لا يشبه تماما اي فرد اخر من بني جنسه ويجب ان يظل كذلك كما يقول العالم الفرنسي رينيه فريدمان الذي اشرف على اول تجربة فرنسية ناجحة لاطفال الانايب<sup>(٢٨)</sup>.

والى جانب الموقف الرافض للاستنساخ البشري، برز موقف اخر مؤيد لهذه التجربة العلمية عبرت عنه مجموعة من العلماء الامريكيين. وحجتهم ان البشرية اذا كانت تريد القضاء على العقم وعلى الكثير من الامراض الوراثية والجينية فمن الصعب جدا الاستغناء عن اللجوء الى الاستنساخ البشري فعلى سبيل المثال في حالة عقم الزوج ورفض الزوجة اجراء الاخصاب الاصطناعي سيكون من الممكن اخذ خلايا الرجل ووضعها في بويضة المرأة بعد افراغها من نواتها<sup>(٢٩)</sup>. وما بين موقف رافض واخر مؤيد نبحت الجوانب الاخلاقية الايجابية والسلبية لاستخدام تقنية الخلايا الجينية في العلاج والاستنساخ.

### الجوانب الايجابية والسلبية للعلاج الجيني والاستنساخ:

#### الجانب الايجابي:

##### اولا: العلاج:

يتضمن اصلاح الكثير من الامراض الوراثية المستعصية على العلاج، فقد سبق ان ذكرنا ان طريقة العلاج باستخدام الجينات كدواء في حالات تسبب طفرتها مرضا فيستبدل الجين المعطوب بأخر سليم او امداد المريض بعدد كاف من الجينات السليمة الجمل الهندسة وابحاث البيئة ص ٣٠٦، او حتى استئصال الجينات المسببة للمرض. وبذلك تتحقق نتائج لا يمكن لأي نوع من انواع العلاج المتعارف الوصول اليها، حتى في حالة استئصال العضو المصاب وهي اخر الاحتمالات المستخدمة في الطب عادة، والتي يكون فيها الاستئصال ليس حلا نهائيا وذلك لأحتمال عودة المرض كما هو الحال في مرض السرطان، لكن في الواقع لا بد لنا من الاشارة الى ان طريق العلاج الجيني ليس معبدا على الدوام وانه محفوف بالمخاطر، ففي ايلول من عام ١٩٩٩ حدثت انتكاسة في التطبيقات العلاجية لهذه التقنيات عندما توفي شاب في الثامنة عشر من عمره والمصاب بتشوه جيني نادري في مستشفى معهد العلاج الجيني في جامعة بنسلفانيا بعد خضوعه للعلاج الجيني، وعلى اثر ذلك اوقف معهد العلاج الجيني علاج ١٧ مريضا وتم الغاء اكثر من ٤٠٠ بروتوكول علاجي ومن دون شك فأن انتكاسة مثل حالة الوفاة قد تؤخر التقدم السريع لتقنيات العلاج الجيني لكنها لن توقف مسيرة من شأنها ان تغير مجرى الحياة بالنسبة للكثيرين<sup>(٣٠)</sup>.

٢٨ - نقلا عن حوار الفلسفة والعلم والاخلاق ص ٦٣

٢٩ - المصدر السابق ص ٦٣

٣٠ - العبيدي: الهندسة الوراثية المتقدمة الاسس والتطبيقات ص ٢٠٤

### ثانياً: الحد من ظاهرة الاجهاض

مؤخراً بدأت تنتشر في الكثير من المجتمعات ظاهرة الاجهاض واحد اسباب الاجهاض ان الطب بدأ يكشف حالة المرض او التشوه للجنين في مرحلة مبكرة، مما يترتب على ذلك التخلص من الجنين، فأذا امكن علاج المرض او التشوه جينياً فأن ذلك سيحد من هذه المشكلة. اما في بعض الحالات للأمراض الوراثية المرتبطة بالجنس فانه اذا تبين ان هذا الجنين من جنس معين يتم اجهاضه لما في ذلك من خطورة، لكن اذا تمكن العلماء عن طريق العلاج الجيني من تبديل الجين المسؤول عن تحديد الجنس فبالتالي سوف يحد ذلك من اجهاضه<sup>(٣١)</sup>.

### الجانب السلبي:

بالإضافة الى المخاطر المترتبة على هذا النوع من العلاج ولعل ابرزها، ان اي مشكلة تحدث في عملية العلاج الجيني ينتقل اثرها الى الاجيال المتعاقبة، كما ان اي زرع جيني ينتقل الى الاجيال سوف يجعلنا امام معضلة اخلاقية تتمثل باختلاط الانساب. فأن هناك جوانب اخرى نذكر منها:  
اولاً: عمل بنوك لتخزين الجينات والخلايا واستغلالها تجارياً دون ضوابط او لوائح مهنية مما يترتب عليه معرفة الاسرار الخاصة بكل انسان فيما يتعلق بخارطته الجينية<sup>(٣٢)</sup>.  
ثانياً: تجاوز بعض الباحثين لحدود تكريم الانسان واخضاعه للتجريب<sup>(٣٣)</sup>.  
كما حدث في المستشفيات الامريكية ومثلها في معسكرات الاعتقال في المانيا ابان الحرب العالمية الثانية.

ثالثاً: احتكار بعض الاثرياء لهذا النوع من العلاج واستخدامه في المتاجرة واستغلال حاجة الناس اليه لاسيما ان معظم ابحاث هذا المجال تمول من الشركات الخاصة<sup>(٣٤)</sup>.  
فتقنية الانجاب الاصطناعي مثلاً لم تعد مجرد وسائل تكنولوجية متقدمة لمعالجة مشكلة العقم، بل اصبحت تتجه الان الى ان تصبح صناعة ذا مردود مالي ووسيلة للأغتناء والشهرة بالنسبة للممارسين في هذا الميدان. كما انها ساهمت في خلق مهن اخرى جديدة كمهنة النساء الحاضنات والمستأجرات لأرحامهن، والنساء البائعات لبويضاتهن، والرجال المتاجرين في حيواناتهم المنوية. فضلاً عن الطابع التجاري لزراعة اعضاء الجسم البشري التي ادت في بعض الاحيان لدفع الفئات الفقيرة من الناس الى بيع بعض اعضائهم. ان الحديث عن الاتجاه الجديد لمنطق البحث العلمي يدفعنا الى القلق من انحراف مسار العلم وتحوله من وسيلة لخدمة الانسان الى وسيلة تخضع غايتها لمنطق حاجات القوى التي حولت العلم الى نسق حضاري مادي وتقنية سيطرة<sup>(٣٥)</sup>.

٣١ - ابو البصل: الهندسة الوراثية من المنظور الشرعي (٢ / ٧٠٦)

٣٢ - الحمل: الهندسة الوراثية وابحاث الدواء ص ١٧

٣٣ - الكردي: الهندسة الوراثية في النبات والحيوان في الشريعة الاسلامية ص ٣٨٦

٣٤ - مصباح: العلاج الجيني واستنساخ الاعضاء البشرية رؤية مستقبلية للطب والعلاج خلال القرن الحادي والعشرين

ص ٦٣

٣٥ - الشامي: الفلسفة والانسان ص ٣٤٩

وهناك اوجه اخرى لتطوير هذه البحوث لتتجه نحو اساءة استخدام المخزون الوراثي للانسان مما قد يفضي الى الإخلال بالقيم السائدة في المجتمعات البشرية وما يترتب على ذلك من فوضى في عملية التطور الطبيعي للإنسان، فبعملية الإستنساخ من الممكن ان يتم استنساخ كائنات معدلة وراثيا لتقوم بمهمات استثنائية، او قد يساعد على انتاج سلاح جيني مدمر لحياة سلالات بشرية معينة. وفي اضعف الافتراضات يمكن ان يستخدم لأنتاج كائنات بشرية صالحة للأستعمال، اي كائنات بشرية توفر رصيذا احتياطيا من اجزاء الجسم البشري واجهزته لتلبية ارتفاع وتزايد الطلب عليها في سوق زراعة الاعضاء.

ان تزايد الوعي بالتأثيرات الاجتماعية والاخلاقية التي حققها التقدم العلمي في ميادين الطب وعلوم الحياة والهندسة الوراثية، اصبحت من سمات العصر الحالي، واذا كانت هذه التطورات قد انعشت الامل في امكانية تحسين ظروف حياة الانسان.

فأنها في الوقت ذاته تهدد المجتمع بخلق اشكاليات اخلاقية جديدة وغير مسبوقه. كما هو الحال في جميع التحولات العلمية الكبرى فأن من مزايا تلك الثورات ان ترافقها مشاكل تولد انعكاسات في الفكر الفلسفي والاخلاقي، وهنا نجد ان الثورة البيولوجية قد ايقضت الفكر الاخلاقي من جديد ليحتل مكانة هامة في الخطاب الفلسفي المعاصر.

### الخاتمة

يتناول البحث الجانب الاخلاقي لتطور العلوم، وعلى وجه التحديد علوم الطب وعلوم الحياة، فقد اثارت البحوث العلمية في مجال الطب جدلا بين متطلبات البيولوجيا الحديثة وبين قدسية الجسم البشري والحفاظ على الكرامة الانسانية.

لقد اثارت البحوث والتجارب لاسيما في مجال تقنيات الهندسة الوراثية مخاوف بقدر ما جاءت به من حلول لمعضلات ومشاكل صحية وامراض وراثية استعصت على العلاج، فكان الحل الوحيد للتوفيق بين اهمية استمرار البحث العلمي في مقابل احترام قدسية الكائن البشري وذلك بوضع هذه الابحاث وحصرها ضمن اطر اخلاقية. فظهر مفهوم الاخلاق الحيوية التي كانت مهمتها وضع القواعد العامة للحفاظ على المعنى الانساني بمواجهة المشكلات الناجمة عن التقدم العلمي السريع في مجال الطب والوراثة وعلم الاحياء.

ومن خلال التعرف على اهم تقنيات الهندسة الوراثية وما افرزته من المشكلات الاخلاقية، نتوصل الى ان التقنيات العلمية سواء كانت تختص في مجال الطب او البيولوجيا او التكنولوجيا، فأنها علوم وجدت لخدمة الانسان وتوفير سبل راحته وسعادته على وجه الارض، والانسان هو المسؤول الوحيد امام ما تفرزه هذه التقنيات من اثار سلبية، وهو وحده القادر على السيطرة على سير وتوجيه هذه التقنيات، سواء الى جانب الصواب او الخطأ. اذن فالوازع الخلقى والضمير هو نقطة الانطلاق للتحكم بمجريات التقنيات العلمية على اختلاف انواعها.

## فقه الظل والفيء

م.م. علاء كاظم إبراهيم الشمري<sup>(١)</sup>

### ملخص البحث

نظراً لأهمية الظل في يوميات الانسان على جميع الصعد، و التي منها الحاجة الحسية للاستفادة منه هروباً من أشعة الشمس اللاهبة الى دخوله في كثير من الصناعات التي يشترط فيها الظل كعامل اساس لنجاحها، كصناعة العسل والحريير و كذا في الزراعة كأمثال نباتات الزينة و بقول الظل، بل لا يكاد يخلو مجال من استعمال الظل أو الحاجة اليه، حتى صار صناعة قائمة بنفسها كصناعة المظلات و الأستار و القباب و السطوح و ما الى ذلك.

من أجل ذلك ظهرت الحاجة الى معرفة الأحكام الشرعية لما ابتلي به منها والتفقه في مسائله ببيان الحلال والحرام والأحكام الخمسة لجميع ذلك ؛ لهذا كان لا بد من هذا المبحث الفقهي، خصوصاً أنه لم يسبق أن تطرق اليه أحد فيما أعلم.

والمبحث في مقدمة وستة مباحث وخاتمة، الأول: تعريف الظل و الفيء، و الثاني: بيان بعض وجوه الإنتفاع به، و الثالث: بيان أنواع الظل، والرابع: بيان حلية التعامل به، و الخامس: بيان جواز وجوه المعاملات المتنوعة به، والسادس: عرض بعض المسائل الفقهية المتعلقة به، و أخيراً موجز باللغة الإنكليزية لهذا الملخص.

و أهم المصادر التي وقفت عليها مقنعة المفيد و نهاية الطوسي و سرائر ابن إدريس الحلبي و مختلف العلامة الحلبي و اللمعة و شرحها للشهيدين الأول والثاني العاملين و مكاسب الأنصاري و غيرها. و الله الموفق و هو المستعان.

١ - جامعة أهل البيت (عليه السلام) / كلية الشريعة الإسلامية

## Summary Section

Given the importance of shade in the Diary rights at all levels, and which ones need sensory take advantage of it to escape from the sun to entry in many industries that require the shade as the basis for its success , as an industry honey and silk, as well as in agriculture like an ant ornamentals and Bean shade, but hardly without the use of shade or needed, until he became an industry itself as an industry , scenes and umbrellas domes and surfaces and so on.

For that there is a need to know the legal provisions for the afflicted them and AIT afaqah in accountability statement Halal and Haram and conditions for all five ; this had to be this topic idiosyncratic , especially as he had never touched him one as far as I know.

The section in the introduction and six Investigation and the finale, the first: the definition of shadow and categories , and the second: Statement of some object benefit from it , and the third: Statement types of shade , and the fourth: Statement Ornament handle it, and V: Statement passport faces transactions diverse him, and VI: View some doctrinal issues related to it , and finally the English-language summary of this summary.

And the most important sources stood by the compelling and useful end - Tusi and beds son Idris ornaments and various ornaments mark and twinkles and explained to the first and second martyrs Amili , Ansari gains and others. God bless and is hired

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد واله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أعداء الدين إلى قيام يوم الدين .  
به سبحانه نستعين فنشير إلى ما ذكره الشيخ في مكاسبه من بيان بعض الأخبار الواردة لضبط المكاسب ، من حيث الحل والحرم وصحة التعامل و بطلانه ، على أساس تفصيل وجوه المعاش للعباد وما يصلحهم وما يضرهم . وان كان المقام هناك في خصوص ما به مكاسبهم المتعارفة ، والتي ذكر لها ما جاء في الوسائل والحداث كما عن تحف العقول ، أن ((الغرض من الله تعالى على العباد في هذه المعاملات الدخول في جهات الحلال والعمل بذلك و اجتناب جهات الحرام منها))<sup>(٢)</sup> ، وبين كما في المروي عن الصادق عليه السلام أربعة وجوه ، الولاية ، والتجارة ، والصناعة ، والإجازات .  
ويظهر أن الظل هو مما يصح أن يقع في جميع هذه الوجوه بنحو ما ، فتشمله الأحكام الخمسة ، حيث يعقل أن فيه منفعة محللة وفي سلبها مضرة ، على تفصيل في أحوالها . فهنا مطالب .

٢- الأنصاري ، المكاسب ، ج ١ ، ص ٦ . الحرائي ، تحف العقول ص ٣٣٢ .

**الأول:** تعريف الظل وما في معناه وما يقابله في ((اللغة، والاصطلاح، والعرف، والشرع)).

**الثاني:** بيان طرف من وجوه المنفعة في الظل والفيء.

**الثالث:** بيان حلية التعامل بالظل.

**أ- إباحة التصرف والانتفاع بالظل بدلالة:**

١. القرآن الكريم.

٢. السنة الشريفة.

٣. الإجماع.

٤. العقل.

**ب- جواز حيازته وتملكه وبيعه وسائر المعاملات الجائزة به**

**الرابع:** بعض مسائل الظل.

**المبحث الأول: في معاني الظل**

**١- الظل لغة:**

قال الجوهري، الظل معروف، والجمع ظلال، والظلال أيضاً ما أظلك من سحب ونحوه، وظل الليل سواده، يقال: أتانا في ظل الليل.

قال ذو الرمة:

قد اعسف النازح المجهول معسفه في ظل أخضر يدعو هامه البوم<sup>(٣)</sup>

وهو استعارة؛ لأن الظل في الحقيقة إنما هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع فإذا لم يكن فهو ظلمة وليس بظل<sup>(٤)</sup>، وقولهم: ترك الظبي ظله، يضرب مثلاً للرجل النفور، لأن الظبي إذا نفر من شيء لا يعود له أبداً.

وظل ظليل أي دائم الظل، والظلة بالضم كهيئة الصفة، وقرء (في ظلل على الأرائك متكئون)<sup>(٥)</sup>.

وعرش مظلل من الظل، وفي المثل: ((لكن على الأثلاث لحم لا يظلل))، قاله بيهس في إخوته المقتولين لما قالوا: ظللوا لحم جزوركم<sup>(٦)</sup>.

وأظل يومنا إذا كان ذا ظل، وأظلتني الشجرة وغيرها، واستظل بالشجرة إستدري بها<sup>(٧)</sup>.

٣- ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص ٢٩٢.

٤- الجوهري، الصحاح، ج ٥، ص ١٧٥٥، (والظاهر إن فيه تسامح لفظي إذ الشعاع غير الظل وإن حصل الظل فيه).

٥- ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤١٦، مادة ظل.

٦- ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٢٠، مادة ظلل.

الظل لغة ما قبل الزوال<sup>(٨)</sup>.

الظل (بالكسر) نقيض الضح وهو الفيء، أو هو بالغداة والفيء بالعشي.  
قال رؤبة: كل موضع تكون فيه الشمس فتزول عنه فهو (ظل)<sup>(٩)</sup>.

والجزورة كقسورة: الظل الصغير، كان مكان قبالة البيت الحرام ينحر فيه المعتمر هدية إذا ساقه<sup>(١٠)</sup>.

**الظِلَّة**: الظلال بالكسر وهي اسم جمع، الظليل: ذو الظل، ومكان ظليل: ذو ظل أو دائم الظل، ومنه ظلٌ ظليل، أي دائم الظل، وقيل على المبالغة، (الظليلة) مؤنث الظليل<sup>(١١)</sup>.  
قال أبو الهيثم: كل ما لم تطلع عليه الشمس فهو ظل، قال: والفيء لا يدعى فيئاً إلا بعد الزوال، إذا فاءت الشمس، أي رجعت إلى الجانب الغربي، فما فاءت منه الشمس وبقي ظلاً فهو فيء، والفيء شرقي والظل غربي، وإنما يدعى الظل ظلاً من أول النهار إلى الزوال، ثم يدعى فيئاً بعد الزوال إلى الليل، وأنشد حميد بن ثور الهلالي يصف سرحة وكنى بها عن امرأة:  
**فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من برد العشيء تذوق<sup>(١٢)</sup>.**

فجعل الظل وقت الضحى، لأن الشمس لم تنسخه.

ويقال ظل الليل سواده، يقال أتانا في ظل الليل، قال: وسواد الليل كله ظل، قال ابن سيده،  
وثعلب في الآية: ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحَرُّورُ﴾<sup>(١٣)</sup>: الظل بعينه والحَرُّور الحر بعينه.  
قال: أتيت حيث ينشد الظبي ظله، أي حيث يشتد الحر فيطلب كناساً يكتن فيه من شدة الحر،  
ويقال: انتعلت المطايا ظلالها، إذا انتصف النهار في القيظ فلم يكن لها ظل، قال الراجز:

**وقد وردت تمشي على ظلالها وذابت الشمس على إقلالها**

وقال آخر: وانتعل الظل فكان جورباً<sup>(١٤)</sup>.

الظل: لون النهار تغلب عليه الشمس<sup>(١٥)</sup> قال ابن منظور، الفيء، ما كان شمساً فنسخه الظل  
والجمع أفياء وفيوء.

- ٧- الجوهري، الصحاح، ج ٥، ص ١٧٥٥ - ١٧٥٦، كذا قال سعيد الخوري في (أقرب الموارد - ج ٢، ص ٧٣١ مادة ظل.
- ٨- الشهيد الأول، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، ج ٤، ص ١٣٧.
- ٩- ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤١٦، مادة ظلل.
- ١٠- الفاضل الهندي، كشف اللثام، ج ١، ص ٣٧٣.
- ١١- سعيد الخوري، أقرب الموارد، ج ٢، ص ٧٣٠ - ٧٣١ مادة ظل.
- ١٢- حميد بن ثور الهلالي، ديوان (صنعة الميمني - ص ٤٠، هو شاعر مخضرم قضى معظم حياته في الإسلام. (السرحة: الأتان أدركت ولم تحمل - .
- ١٣- سورة فاطر آية: ٢١.
- ١٤- ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤١٦، مادة ظل.
- ١٥- الفيروز آبادي، القاموس/ج ٨، ص ١٥٠، مادة ظل.

قال الشاعر:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في أفيائه بالأصائل.

وتفياً فيه: تظلل

وفي الصحاح: الفيء ما بعد الزوال من الظل، وإنما سمي الظل فيئاً لرجوعه من جانب إلى جانب.

قال ابن السكيت، الظل ما نسخته الشمس والفيء ما نسخ الشمس وتفيأت الشجرة وفيأت وفاءت تفيئة: كثر فيؤها، والمفيئة: موضع الفيء، وحكى الفارسي عن ثعلب: المفيئة فيها (بقراءتين)، وقال غيره يقال: مقناة ومقنوءة للمكان الذي لا تطلع عليه الشمس، وقال الأزهري الليث: المفيئة هي المقنوءة من الفيء، (والكلمة بالقاف المثناة لا الفاء الموحدة) قال: ولم أسمع مفيئة بالفاء لغير الليث<sup>(١٦)</sup>.

الظل: الفيء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس، أي شيء كان، وقيل: هو مخصوص بما كان منه إلى الزوال وما كان بعده فهو فيء<sup>(١٧)</sup>.

وفي المقام تفصيل كثير من المعاني واستعمالات وتصريفات لكلمة ظل، أخذنا موضع الحاجة منها.

والخلاصة فإن ما يهمننا هو ما يحصل من الظل والفيء إن كانت شمس أو ما هو بحكمها مما يكون بسببه ظل، كالضوء الكهربائي أو النار ذات الضوء أو النور الآتي من القمر وأما باقي المعاني فلنسنا بصددنا في هذا المبحث.

## ٢- الظل اصطلاحاً:

قال ابن عباس: الحرور، الريح الحارة بالليل، والسموم بالنهار<sup>(١٨)</sup>، ومنه يظهر أن الظل أعم مما هو في النهار فيشمل ما عدا الحر في الشمس والريح الحارة.

قال البخاري في باب صفة الشمس والقمر بحسبان: الحرور بالنهار مع الشمس<sup>(١٩)</sup>، وهنا يظهر أن الظل في النهار والليل.

وقال الفراء: الحرور الحر الدائم، ليلاً كان أو نهاراً والسموم بالنهار خاصة<sup>(٢٠)</sup>.

وقال أبو عبيدة، والنسفي ورؤبة والعيني: الحرور بالنهار مع الشمس ثم قال الأخير: وقيل: الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار مع الشمس<sup>(٢١)</sup>.

١٦- ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ١٢٤-١٢٦، فصل.

١٧- ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤١٨.

١٨- البغوي، تفسير البغوي، ج ٣، ص ٥٦٩.

١٩- البخاري، صحيح البخاري ج ٤، ص ٧٥.

٢٠- ابن حجر، فتح الباري، ج ٦، ص ٢١٣.

٢١- م.ن، ج ٨، ص ٤١٥، العيني، عمدة القاري، ج ١٥، ص ١١٨.

وقال ابن قتيبة: يعني بالظل الجنة و بالحرور النار<sup>(٢٢)</sup>.  
قال المتقي الهندي: والظل يوم الحرور<sup>(٢٣)</sup> (بالتقابل) أي الظل المقصود هو في يوم الحرور.  
قال الجوهري: وفلان يعيش في ظل فلان أي في كنفه<sup>(٢٤)</sup>.  
والظلة أول سحابة تظل، عن أبي زيد، و (عذاب يوم الظلة)، قالوا: غيم تحته سموم، والمِظْلَة بالكسر البيت الكبير من الشعر، وقال:

#### وسكن توقد في مظلة

وأظلك فلان إذا دنا منك كأنه ألقى عليك ظله، ثم قيل أظلك أمر وأظلك شهر كذا، أي دنا منك وظلتت أعمل كذا بالكسر ظلولا إذا عملته بالنهار دون الليل: ومنه قوله تعالى: ﴿ فَظَلَّمْتُمْ

تَفَكَّهُونَ ۗ ﴾<sup>(٢٥)</sup>، وهو من شواذ التخفيف، وقول عنتره:

#### ولقد آبيت على الطوى وأظله

أراد وأظل عليه

والظل: الماء تحت الشجر لا تصيبه الشمس<sup>(٢٦)</sup>.

(ظللته) تظليلاً: غشيه وألقى عليه ظله، و (ظللنا عليهم الغمام)، أي سخرناه ليظلمهم، (أظل) يومنا، صار ذا ظل، (إستظل) بالظل مال إليه وقعد فيه واستظل من الشيء وبه تظلل (الظلال) بالفتح ما أظلك من شيء (الظلال) بالكسر، ما أظلك من سحاب ونحوه، (الظلال) بالكسر ما يستظل به، يقال ((دامت ظلاله)) أي ما يستظل به، والظلاله السحابة تراها وحدها وترى ظلها على الأرض. والظلاله بالفتح، شخص الشيء لمكان سواده، ورأيت ظلاله من الطير، أي غياية منه، (كأنه يريد أن يقول سواده طائفة)، وظل الليل سواده وظل من كل شيء شخصه أو كنهه. (ولكن قد يستعمل في النقيض كقوله) وظل من القيظ شدته، تقول سرت في ظل القيظ، في شدته ومنه قوله تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُورٍ ﴾<sup>(٢٧)</sup> (هو في ظله) أي في كنفه.

قال الواحدي: واعلم أن بلاد العرب كانت في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من أهم أسباب الراحة ولهذا جعلوه كناية عن الراحة<sup>(٢٨)</sup>.

- ٢٢ - ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ١٤٣.  
٢٣ - المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٥٤٥.  
٢٤ - ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، مادة ظل ص ٤١٦.  
٢٥ - سورة الواقعة آية: ٦٥.  
٢٦ - الجوهري، الصحاح، ج ٥، ص ١٧٥٥ - ١٧٥٦، كذا قال سعيد الخوري في (أقرب الموارد) - ج ٢، ص ٧٣١ مادة (ظل) - .  
٢٧ - سورة الواقعة آية: ٤٣.  
٢٨ - ومثله قال أبو عبد الله الرازي، التفسير الكبير، ج ١، ص ١٣٧، أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج ٣، ص ٢٨٦.

**الظُّلَّة:** الغاشية، والبُرْطُلَّة، أي المظلة الضيقة جمع ظلل، وفي التعريفات، الظُّلَّة هي التي أحد طرفي جذعها على حائط هذه الدار وطرفها الآخر على حائط الجدار المقابل، والظُّلَّة: أول سحابة تُظِلُّ، وما أظلم من شجر، ويقال دامت ظلة الظل، أي ما يستظل به، وظلة الشيء كالصفة يستتر به من الحر والبرد جمعها ظلل وظلال. (عذاب يوم الظلة) سحابة أظلتهم فلجأوا إلى ظلها فأطبقت عليهم وأهلكتهم، والروضة الكثيرة الحرجات جمعها ظلائل.

المِظْلَةُ والمِظْلَةُ، بالكسر وفتح الميم، الكبير من الأخبية جمع مِظَالٍ.

الشمس مُسْتَظَلَّة: أي هي في السحاب. (عيد المِظَال) عيد اليهود، ينصبون فيه خياماً من ورق الشجر يقيمون بها سبعة أيام تذكراً لخروجهم من عبودية مصر<sup>(٢٩)</sup>.

### ٣- المعنى العرفي:

يقال عرفاً الظل للمكان الذي لا شمس فيه في النهار ويقال جزورة كفسورة - الظل الصغير كان مكان قبالة البيت الحرام ينحر فيه المعتمر هدية إذا ساقه<sup>(٣٠)</sup>.

ولا نجد كبير اختلاف في الاستعمال العرفي واللغوي فهما متطابقان، وإضافة لاستعمال الظل في معناه الظاهر يستعمل عكسه عرفاً، في معناه فيقال شمسية، وإنما يراد بها المظلة التي تقي من الشمس والمطر، ويقال في الخطأ الشائع عندهم، جلس فلان في الفيء ولا يميزوه عن الظل ولربما أرادوا به الظل.

### ٤- المعنى الشرعي:

قال في البحار عن علي بن إبراهيم: الظل: الناس والحُرور البهائم وكأنهم سموها ظللاً لتعيشهم في الظلال والبهائم حروراً لتعيشهم فيها، وفي بعض النسخ للناس وللبهائم وهو أصوب وفي بعضها ولا الحرور والحُرور السمائم وهو أظهر منهما، (حيث الصواب إن ما الفته فهو ظل والآخر حرور إنساناً كان أو بهيمة والظهور في الحرور في السائمة واضح).

وقال أيضاً: ((ولا الظل ولا الحرور))، أي ولا الثواب ولا العقاب، والحرور من الحر غلب على السموم<sup>(٣١)</sup>.

وقال ((ولا الظل)) يعني أمير المؤمنين عليه السلام في الجنة، و(لا الحرور) يعني جهنم<sup>(٣٢)</sup>، قال الإمام علي عليه السلام في بيان المتضادات (والحرور بالصدر)، يعني الحرارة بالبرودة، والحرور هنا مفتوح الحاء يقال أنني لأجد لهذا الطعام حروراً وحرورة في فمي أي حرارة، ويجوز أن يكون في الكلام مضاف

٢٩- سعيد الخوري، اقرب الموارد، ج ٢، ص ٧٣٠-٧٣١، مادة ظل.

٣٠- الفاضل الهندي، كشف اللثام، ج ١، ص ٣٧٣.

٣١- علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٠٨، المجلسي، البحار، ج ٦٢، ص ٤٥، الفيض الكاشاني،

التفسير الصافي، ج ٤، ص ٢٣٦.

٣٢- المجلسي، البحار، ج ٢٤، ص ٣٧٢.

مخدوف أي وحرارة الحرور بالصدر و الحرور هاهنا يكون الريح الحارة وهي بالليل كالسموم بالنهار و الصدر البرد (٣٣).

وقال هامش التبيان: الحرور الريح الحارة (٣٤)، وقال الظل هو الستر عن موقع الشمس ومنه الظلة وهي السترة عن موقع الشمس، ومنه قولهم، ظل يفعل كذا، إذا فعل نهاراً في الوقت الذي يكون للشمس ظل، و الحرور السموم وهو الريح الحارة في الشمس (٣٥).

وقال الطبرسي: وقيل (الظل): يعني ظل الليل والسموم بالنهار (٣٦)، وقال الطباطبائي في الميزان: الحرور شدة حر الشمس على ما قيل وقيل هو السموم وقيل السموم يهب نهاراً و الحرور يهب ليلاً ونهاراً (٣٧).

وقال السمرقندي: الحرور هو استقرار الحر (٣٨)، وقال محمد، الحرور استيقاء الحر ولفحه بالليل والنهار (٣٩)، وقال الراغب: واستحر القيط اشتد حره، و الحرر يبس عارض في الكبد من العطش، والحررة الواحدة من الحر، و الحرور الريح الحارة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحُرُّ﴾ (٤٠).

قيل الحرور، الحر، والظل، البرد (٤١)، أنشد الأزهري يصف فرساً:

قل له بالقيظ ظل بارد ونصي باعجة ومحض منقع (٤٢)

قال في مفردات غريب القرآن، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ (٤٣)، والغيابة منهبط من الأرض ومنه الغابة للأجمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ﴾ (١٠) (٤٤).

ومنه يظهر إن غيابة من الطير وغيابة الجب هو الاسوداد المخفي للأخير والاسوداد المظلل للأول، كقولنا ظلم من الظلمة بمعنى جعل الحق في ظلمة فأظلم عليه تصنيعاً له، وكذا غيابة المستغيب حيث أستغل غياب المستغاب وعدم ظهوره فذكره بسوء، وبه النسفي قال:

ما غاب منه عن عين الناظر غيابات (٤٥)

٣٣- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ٧٤.

٣٤- الطوسي، هامش التبيان، ج ٦، ص ٣٢٣.

٣٥- ابن منظور، لسان العرب مادة ظل، ص ٤١٥، كذا القاموس، الفيروز آبادي، ص ١٢٨، ج ٨، ط. قم المقدسة دار الهجرة ١٤٠٥ هـ.

٣٦- الطبرسي، البيان، ج ٨، ص ٢٤٠.

٣٧- الطباطبائي ج ١٧، ص ٣٦، الميزان، تفسير الثعلبي، الثعلبي، ج ٨، ص ١٠٥.

٣٨- أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقند، ج ٣، ص ٩٨.

٣٩- ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٧٧.

٤٠- الراغب الأصفهاني، مفردات غريب، القرآن، ص ١١١، الآية ٢١، السورة فاطر.

٤١- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٣٣٩.

٤٢- الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٠، ص ١٠٧، ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٠٥، وقال: الغياية: ضوء

شعاع الشمس، وليس هو نفس الشعاع، وقيل، هو ظل الشمس بالغداء والعشي، وقال أبو عمرو: الغياية، كل ما أظل الإنسان من فوق رأسه، السحابة والغبرة والظلمة، (وهي عبارة الصحاح المطبوع-، والكلمة بيائين، تحتائيتين مثنتين.

٤٣- سورة الحجرات، الآية ١٢.

٤٤- الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص ٣٦٧، آية: ١٠ سورة يوسف.

٤٥- النسفي، تفسير النسفي، ج ٢، ص ١٨٠.

## المبحث الثاني: بيان طرف من وجوه المنفعة للظل

تبيّن مما تقدم أن للظل منفعة عقلائية معتد بها، وكذلك منفعة عرفية وهناك منافع علمية خاصة ببعض التجارب الفيزيائية والكيميائية وما شابه مما تسمى بالتجارب المخبرية فهنا فوائد ومنافع منها:

١. اجتناب حرارة الشمس وشعاعها، مما يؤثر في ظهور أمراض جلدية وغيرها مثل مرض السحايا الذي يصاب به من تعرض للشمس الشديدة، وتيسر الجلد وتشققه وضعف البصر لمن كان في جهة الشمس، والدوار والإغماء والإعياء من لفح الشمس<sup>(٤٦)</sup>.
٢. إمكان رؤية قرص الشمس بالأجسام نصف المظلمة (نصف شفافة). للأغراض المتعددة، كروية الكسوف، ودراسة قرص الشمس، ومساحتها وبعدها وباقي آثارها وملحقاتها.
٣. الاستراحة والقيلولة والكيثورة والتعامل في الظل.
٤. دراسة أوقات الزوال وساعات النهار للأغراض المتعددة، كمعرفة وقت الصلاة وتوقيت بعض المعاملات والبيوع، ومدة الإقامة وضروب المواعيد، باستعمال الساعة الشمسية.
٥. ما يتعلق بالنباتات على أنواعها والملاحظ أنها تحتاج إلى الظل لا إلى الظلمة، كزروع الظل مثل البقول والورد على أنواعه وكثير من الشجيرات التي تحتاج إلى ظل لتنمو أو تعيش.
٦. ما يتعلق بالحيوانات على أنواعها، فلا يكاد يوجد حيوان إلا ويحتاج إلى الظل ليعيش ويتكاثر ويمكن الاستفادة منه.
٧. بعض الصناعات المتعلقة بالحشرات كصناعة العسل والحريز فإن النحل ودود القز لا يعيش في الشمس بل يحتاج إلى الظل.
٨. صناعة الظل السياحي الذي يقصد للاستجمام كظلال السواحل النهرية والبحرية والظلال في الصحراء وعلى الطرق الخارجية لأنواع المسافرين والعابرين.
٩. صناعة الظل التجميلي كشرفات بعض البيوت والمحلات والأبنية لقصد ظلها ((شكل الظل أو الظل)).
١٠. الصناعات التي تحتاج إلى الظل، كالتجفيف في الظل لبعض الأطعمة واللحوم، ونشر الملابس الملونة وحتى البيضاء. فإن الشمس تؤثر في ألوانها لذا يفضل نشرها في الظل.
١١. حيازة الظل الطبيعي كظل الجبل والشجر وذلك بجيازة المكان.
١٢. إجارة الظل لبعض الأغراض المذكورة آنفاً.
١٣. بيع الظل أو ما به ظل كالمظلة (الشمسية) والخيمة وما شابه.
١٤. دفع منفعة الظل للمحرم لأنه إذا انتفع وتظلل كفر بشاة.

١٥. إجراء كثير من المعاملات والعبادات في الظل للعسر الحاصل في الشمس حيث أن طبيعة الناس ترغب أن لا تتأذى في حرارة الشمس ولو قليلة.

وبيان المنهي عنها في الظل لأنها من الغش أو الشمس فهو مما لا يطاق أو عامل عدم التحمل وعدم الطاقة. نهى الشرع المقدس عن البيع في الظل واعتبره نوع غش قال الكاظم عليه السلام: ((إن البيع في الظلال غش والغش لا يحل))<sup>(٤٧)</sup>. وهكذا لو استعمل حرارة الشمس للمشتري والبائع في الظل بقصد تعجيل البيع أو المعاملة اضطراراً كموقف سيارات غير مظلل يدعو إلى عدم التعامل مع السائق في هجير الشمس، فإذا ركب أستحق عليه الأجرة، وما شابه. وفي العبادات استحباب عدم تعرض الصائم إلى ما يضعفه عن الصيام كتعرضه للشمس الحارقة طويلاً فالنهي في الأخيرين للكراهة.

١٦- التعليم والتعلم وما يرتبط بهما يحتاج إلى ظل، لأنه يبعث على الهدوء بخلاف الشمس الشديدة تبعث على الضجر.

١٧- احتياج العائلة ((الإنسان عموماً)) إلى ظل في سكنه.

١٨- كما إن كثيراً من الأشياء تلتف في الشمس وهي تحتاج إلى الظل، كالبيض والخبز والكتاب، وذهاب مثل لون السيارة، وتلف أكثر أنواع البلاستيك (المطاط).

١٩- مجموعة كبيرة جداً من المنافع المختبرية العلمية للظل في الضوء أو النور الطبيعي والاصطناعي مما يترتب عليه كثير من التطورات التقنية الحديثة كفتح الأبواب والأقفال والمداخل وغيرها مما له نفع كبير.

٢٠- تقديم الخدمات الفنية الوثائقية والمسرحية والتصويرية والرسمية وأنواع استخدام صورة الظل أو نفس الظل في الأفلام والرسوم والنحوت وغيرها.

٢١- الدراسات الفلسفية فيما يتعلق بعبادة الظل وسجوده لله سبحانه كما ورد عن ابن عباس: (أن الكافر يسجد للصنم وظله يسجد لله)<sup>(٤٨)</sup>، والآية الخاصة بسجود الفيء والظلال، قوله تعالى: (أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون)<sup>(٤٩)</sup>.

٢٢- الظل المحرم الانتفاع به، كظل المغصوبات، فظل الناقة المغصوبة يحرم الاستغلال به، وظل البيت المغصوب كذلك، والظل الذي في الحريم يحتاج إلى إذن من صاحبه.

٢٣- يلزم تهيئة ما به منفعة، وعدم إتلافه بنحو كتسليط الشمس عليه بالمرآة، أو ما شابهه أو إتلاف ما به ظل كخرق المظلة.

٢٤- يمكن الوصية بالظل الثابت والمتحرك والذي يزول.

٤٧- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن العاملي، ج ١٧، ص ٢٧٠ - ٢٨٩.

٤٨- المجلسي، مرآة العقول، ج ١، ص ٢٩٥.

٤٩- سورة النحل: آية ٤٨.

- ٢٥- إمكان وقف الظل ، لسبق حيازته وجواز استملاكه.
- ٢٦- عدم اعتبار الظل في بعض المنافع الأخرى ، كإقامة الحد حيث ورد جلد الظل في مقابل حكاية منام بصورة غير لائقة<sup>(٥٠)</sup> ، على مسمع رجل اشتكاه بعدها لأمير المؤمنين علي عليه السلام ، فقال له الإمام علي عليه السلام : ((أقيمه لك في الشمس فأجلد ظله فأن الحلم مثل الظل)) فهو للإنسان كالمنام ، ولكن يظهر أن نفس الظل يعتبر باعتبار صاحبه ، فظل النبي ﷺ مقدس غير أنه لا ظل له ، وظل الإمام عليه السلام كذلك ، وظل كتاب الله سبحانه ، وظل الكافر مهان والفاسق و الناصبي . ولعله يتضمن معنى الاستجارة بصاحب الظل في مثل قولنا دام ظله أو لجأ إلى ظله.
- ٢٧- دراسة مساقط الأجسام (ظلالها) ، وأثرها في التحقيق الجنائي والحقوقية.
- ٢٨- يكون الظل مورداً للتنازع أحياناً. في مثل مالك الشيء هل يملك ظله أو لا ؟
- ٢٩- تشخيص جهة القبلة بواسطة مقابلة ظل الشاخص في يومين في السنة محددتين تكون الشمس فوق الكعبة المشرفة تماماً لنصف الكرة الأرضية الشمالي ، في شهر آب عند الزوال في يوم ٦/٢٨ حزيران وكذلك يوم ٦/١٦ تموز.
- ٣٠- بيان منازل القمر بسبب ظل الأرض ودراسة الخسوف فيه.
- ٣١- دراسة الكسوف وما يتعلق به.
- ٣٢- التظليل من النور المبهر ، كالنظارات.
- ٣٣- الاستتار من الضوء ، بسبب الحاجة إلى الاختفاء ، أو لشدة الضوء أو للتفرغ للعبادة وغيرها.
- ٣٤- الظل الظليل لصناعة الأفلام والتصوير والتحميض . (ولو في الماضي ) إن لا يمتنع أن يُستفاد منه في بعض الأحيان والإمكان . مع إمكان دراسة آثار الماضي .
- ٣٥- استعمال ظل الكف والثياب والكتاب وما شابه مؤقتاً.

### المبحث الثالث:

#### فائدة: أنواع الظل وبعض مصاديقه

هذه جملة من أنواع الظل المعروفة التي يمكن أن يعقل لها منفعة.

يقسم الظل إلى:

- أ- طبيعي ب- صناعي  
وكل واحد منهما ثلاثة أقسام فيكون:
١. ظل طبيعي ثابت.
  ٢. ظل طبيعي منتقل.

٥٠- المجلسي ، البحار ، ج ٤ ، ص ٣١٢.

٣. ظل طبيعي زائل.

وكذلك:

١. ظل صناعي ثابت.

٢. ظل صناعي منتقل.

٣. ظل صناعي زائل.

وأفراده جميعاً بشكل عام هي:

١. الظل الظليل، الدائم، وغيره المؤقت وبينهما المتقلب.

٢. الظل الواسع، بحيث يسد الحاجة تماماً أو زيادة وغيره الصغير.

٣. الظل العميق الشديد السواد.

٤. الظل الخفيف المخلل بالشمس.

٥. الظل المحمول كالشمسية.

٦. ظل الممتلكات، كظل السيارة وما شابه.

٧. ظل المباحات، كظل السحاب، والجبل والغابات.

٨. ظل المحرمات، كظل المغصوب، أو الخنزير أو الكافر.

٩. الظل الحار في اليوم القاتظ.

١٠. الظل في الأرض المغصوبة.

١١. الإظلال المعلقة بسبب أجسامها كالتائرة والسحاب.

١٢. الإظلال المركبة من عدة أظلة. مثل ظل عدة أشجار.

#### المبحث الرابع: بيان حلية التعامل بالظل

##### أولاً: أدلة إباحة التصرف والانتفاع بالظل

الأول: القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾ (٢٤) (٥١).

ولولا إباحتها وجواز الانتفاع به لما جلس فيه رسول الله موسى على نبينا وآله وإبائنا.

وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا

وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ (٥٢).

وجه الدلالة واضح في الجعل والتفضل بنعمة الظلال لما خلق سبحانه من الأشجار والحيوانات

والأبنية، فالآية في موضع بيان النعم المباحة التي أنعم الله سبحانه بها على الإنسان.

٥١- آية: ٢٤ سورة القصص.

٥٢- آية: ٨١ النحل.

قال ابن منظور، كن و أكنان ثم أكنة جمع الجمع، الكن ما يرد الحر والبرد من الأبنية والمسكن وكل شيء وقى شيئاً على ما استتر واستكن<sup>(٥٣)</sup>.  
قال الميزان، لولا الظل وهو ظل الليل وظل الأبنية والأشجار والكهوف وغيرها لما عاش على وجه الأرض عائش<sup>(٥٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾<sup>(٥٥)</sup>.  
وقوله تعالى: لَكُمْ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٥٦﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٥٦﴾.

وجهه الدلالة امتداد الظل للانتفاع به ولو كان ساكناً لا يمتد لا يمكن الانتفاع به، قال نزل النبي ﷺ بالجحفة تحت شجرة قليلة الظل ونزل أصحابه حوله، فتداخله شيء من ذلك، فأذن الله تعالى لتلك الشجرة الصغيرة حتى ارتفعت وظللت الجميع، فأنزل الله تعالى: (الم تر إلى ربك...)<sup>(٥٧)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحُرُورُ﴾<sup>(٥٨)</sup>، لوضوح انتفاع الناس بالظل الطيب وتجنبهم الحرور ولفحه، ففيه بيان ما هو مباح، وإلا فإنه لا يصح في هذا المقام الامتنان بالاستدلال بما لا نفع فيه من الجانبين، وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾<sup>(٥٩)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنفَعٌ وَمَشَارِبٌ﴾<sup>(٦٠)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿وَالأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾<sup>(٦١)</sup>، وهي في الأولى البدن في جملة منافع الشعائر، وفي الثانية الإبل والبقر والغنم، وفي الثالثة كذلك وآيات أخرى مشابهة، وقد ذكروا في محله أن الاستغلال بالدابة أو بأوبارها وأشعارها هو من جملة المنافع المقصودة في الآيات المباركات قال، الطبرسي: لأن ما ستر من الحر ستر من البرد<sup>(٦٢)</sup>.

بل صرح في بيان ذلك سبحانه فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَثًا وَمتَعًا إِلَى حِينٍ﴾<sup>(٦٣)</sup>، وهناك جملة من الآيات المباركات تتحدث عن نعيم الظل في الجنة، ولا معنى للحديث عن شيء لا منفعة له أو له منفعة لا يجوز الانتفاع بها مع طيبها في الدنيا فالمقام من مصاديق قوله تعالى: ﴿هَذَا

٥٣- ابن منظور ج ١٣، ص ٢٢١، لسان العرب، ص ٣٦٠.

٥٤- الطباطبائي، الميزان، ج ١٢، ص ٣١٤.

٥٥- آية ٥٧ سورة البقرة.

٥٦- آية ٤٥ - ٤٦ الفرقان.

٥٧- المناقب، ابن شهر آشوب، ج ١، ص ١٣٥.

٥٨- آية: ٢١ فاطر.

٥٩- آية: ٢١ المؤمنون.

٦٠- آية: ٧٣ يس.

٦١- النحل آية: ٥.

٦٢- مجمع البيان، الطبرسي، ج ٦، ص ١٢٢.

٦٣- آية: ٨٠ النحل.

الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴿٦٤﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٦٥﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ ﴿٦٥﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَدَائِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ﴾ ﴿٦٦﴾ ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ ﴾ ﴿٦٧﴾ ، وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُمُومٍ ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٦٨﴾ ، ﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٦٩﴾ .  
 قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ ﴾ ﴿٧٠﴾ .  
 وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ﴿٧١﴾ .  
 وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ ﴿٧٢﴾ .  
 وجه الدليل دخول الظل والانتفاع به في عموم (ما) في الأرض والسموات ولا يوجد دليل مخصص يخرج به عن كونه مما سخره الله سبحانه لنا ، فيبقى على إباحته .  
 قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ ﴿٧٣﴾ .  
 وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ ﴿٧٤﴾ .  
 وقوله تعالى : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾ ﴿٧٥﴾ .  
 وقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ﴿٧٦﴾ .  
 بيان أن الطيب أعم من المأكول والملبوس والمسكون والمتنفع به بلا عذاب أو مؤونة ، والظل من أطيب ما يستطاب خصوصاً في اليوم القاتظ .  
 وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿٧٧﴾ .  
 قال في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٧٨﴾ ، عن الله سبحانه وينبئون أن المسخر لذلك على هذا التقدير الذي لا يختلف لأجل منافع خلقه ومصالحهم ، (وما ذراً لكم في الأرض) ، أي سخر لكم ما خلقه لكم في الأرض أي لقوام أبدانكم

- ٦٤- آية : ٢٥ سورة البقرة .  
 ٦٥- آية : ٥٧ النساء .  
 ٦٦- آية : ١٤ الإنسان .  
 ٦٧- آية : ٥٦ يس .  
 ٦٨- آية : ٤١ المرسلات .  
 ٦٩- آية : ٣٠ الواقعة .  
 ٧٠- آية : ١٦٥ سورة الحج .  
 ٧١- آية : ٢٠ سورة لقمان .  
 ٧٢- آية : ١٣ سورة الجاثية .  
 ٧٣- آية : ٥١ سورة الذاريات .  
 ٧٤- آية : ٤ سورة المائدة .  
 ٧٥- آية : ١٥٧ سورة الأعراف .  
 ٧٦- آية : ٨٧ سورة المائدة .  
 ٧٧- آية : ١٢ سورة النحل .  
 ٧٨- سورة الرعد آية : ٤ .

من الملابس والمطاعم و المناكح ، من أنواع الحيوان والنبات والمعادن وسائر النعم <sup>(٧٩)</sup> بما فيها منفعة الظل التي هي منفعة كبيرة.

### ثانياً: السنة المطهرة

#### المجموعة الأولى:

١. أرسل ﷺ إلى رجل فكان يمشي في الشمس ، فقال له : امش في الظل فإن الظل مبارك <sup>(٨٠)</sup> ، ودلالته على جواز بل استحباب المشي في الظل والانتفاع به واضحة وهي مع التعليل.
٢. وفي النبوي فقالوا : ترى إن ترتفع معنا إلى الظل : قال ﷺ : نعم <sup>(٨١)</sup> : وفيه ظهور جواز الانتفاع بالظل إذ لم يمتنع ﷺ عن الكون فيه.
٣. وفي النبوي قال : دعني ادخل من الشمس إلى الظل ، فقال : نعم <sup>(٨٢)</sup> .
٤. قال عائشة : ويجفف في الظل <sup>(٨٣)</sup> .
٥. النبوي قال ﷺ : (أبرد أبرد) <sup>(٨٤)</sup> ، للمؤذن ، أي آخر الأذان إلى ظهور الظل حتى يستظل إلى صلاة الظهر.
٦. عن الحسن عائشة ، (أن النبي صلى الله عليهما وآلهما (يأمر بظل مرتفع فيضرب له) <sup>(٨٥)</sup> .
٧. النبوي عنه ﷺ : (وصل الظهر بعدما يتنفس الظل وتبرد الرياح) <sup>(٨٦)</sup> ، والمراد بعدما يزيد امتداد الظل ويستطيع المصلون المجيء فيه للصلاة.
٨. سئل أبو جعفر عائشة : (ما الفرق بين الفسطاق وبين ظل الحمل) <sup>(٨٧)</sup> ، وجواز الانتفاع بظل الفسطاق ظاهر إذ أنه عائشة ذكر الممنوع وهو الاستئصال بظل الحمل المتحرك للمحرم.
٩. عن أمير المؤمنين علي عائشة : (وكونوا فيها كسفر ، نزلوا منزلاً فتمتعوا منه بأدنى ظل ثم ارتحلوا) <sup>(٨٨)</sup> ، وجه الدلالة ذكر جهة الانتفاع في الظل على نحو إرسال المسلمات من غير حرج مما يشير إلى جواز ذلك. وكان النبي ﷺ يقول : (لعن الله المتغوط في ظل النزال)

٧٩- مجمع البيان ، الطبرسي ، ج ٦ ، ص ١٤٥ .  
 ٨٠- الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج ٣ ، ص ١٥٧ .  
 ٨١- القاضي النعماني ، دعائم الإسلام ، ج ١ ، ص ٣٨٤ .  
 ٨٢- الكليني ، الكافي ، ج ٨ ، ص ٢٨٤ .  
 ٨٣- البرقي ، المحاسن ، ج ٢ ، ص ٥٠٣ .  
 ٨٤- الشهيد الثاني ، روض الجنان ، ص ١٨٥ .  
 ٨٥- الاردبيلي ، مجمع الفائدة - ج ٥ ، ص ١٨٧ .  
 ٨٦- الشريف الرضي ، المجازات النبوية ، ص ٢٢٧ .  
 ٨٧- ألعاملي ، الوسائل ، ج ١٢ ، ص ٥٢٢ ، ابن بابويه ، من لا يحضره الفقيه ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .  
 ٨٨- الطوسي ، مصباح المتعجب ، ص ٦٦١ .

- (٨٩)، قال لخونسازي: أي الظل المعد لنزول القوافل والمترددين، كموضع جبل أو شجرة أو نحو ذلك (٩٠).
١٠. قال زرارة للإمام الصادق عليه السلام: (إن لي على رجل ديناً قد أراد أن يبيع داره فيعطيني، فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: (أعيدك بالله أن تخرجه من ظل رأسه) (٩١)، وإن كان المراد عدم إخراجها من بيته الذي هو ساكن فيه إلا أن له ظهوراً في حقيقة الظل، إذ هو يصبح بلا ظل أي بيت، كما أنه لا ينبغي ذلك للمؤمن، فإنه يشبه من لا ظل يسكن تحته فهو مما لا ينبغي إذ هو ظاهر المضرة باد في ذهاب المنفعة. فالاستعارة فيما يجوز استعماله، ولو اخذ الحديث على الظاهر لجاز أيضاً إذ جعل الرجل بلا ظل يعني في العراء والحديث الآتي فيه تصريح بذلك.
١١. عن الصادق عليه السلام قال: (لا تباع الدار ولا الجارية في الدين، وذلك أنه لا بد للرجل من ظل يسكنه وخادم يخدمه) (٩٢)، وظل السكن أعم من الاستتار من لفح الشمس كما هو واضح، فيشمله.
١٢. كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخضب في الظل الأول (٩٣)، أي حينما يكون ظل للأشياء بقدرها، بحيث يستطيع المصلي يمشي فيه للصلاة.
١٣. وفي أسباب نزول قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ (٩٤)، قال نزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجحفة تحت شجرة قليلة الظل ونزل أصحابه حوله فتداخله شيء من ذلك فأذن الله تعالى لتلك الشجرة الصغيرة حتى ارتفعت وظللت الجميع (٩٥).
١٤. ذكر في التهذيب والاستبصار والذكرى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ظل مسجده، ثم قال فالحاجة ماسة إلى التظليل لدفع الحر والقر (٩٦)، وذكر هناك ترك تظليل المساجد، لما رواه الحلبي، قال سألته عن المساجد المظلمة بكره القيام فيها، قال: نعم، ولكن لا يضركم الصلاة فيها اليوم. قلت في السؤال لفظ (المظلمة) وهو محل النهي لا المظلمة.

٨٩- ألعاملي، الوسائل، ج ٣ ص ٣٢٦، الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٩٢.  
 ٩٠- الخونساري، مشارق الشمس، ج ٢، ص ٨٣.  
 ٩١- العلامة الحلبي، تذكرة الفقهاء، ج ١٣، ص ١٤، الطوسي، التهذيب، ج ٦، ص ١٨٧، الطوسي، الاستبصار، ج ٣، ص ٦.  
 ٩٢- الكليني، الكافي، ج ٥، ص ٩٦، الطوسي، التهذيب، ج ٦، ص ١٨٦، الطوسي، الاستبصار، ج ٣، ص ٦.  
 ٩٣- الطوسي، التهذيب، ج ٣، ص ١٢، الطوسي، الخلاف، ج ١، ص ٦٢١.  
 ٩٤- سورة الفرقان: الآية ٤٥  
 ٩٥- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١١٧ وقد مر في دلالة الآية.  
 ٩٦- الطوسي، التهذيب، ج ٣، ص ٢٥٦، الطوسي، الاستبصار، ج ١، ص ٤٤٢، الشهيد الأول، الذكرى، ص ١٢٥.

١٥. قال عمار ما لرسول الله ﷺ بد من أن يجعل له مكاناً يستظل به إذا استيقظ ويصلي فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قبا<sup>(٩٧)</sup>، وهو أول مسجد بني في الإسلام وفي المدينة المنورة صلى فيه رسول الله ﷺ.
١٦. خرج أمير المؤمنين علياً يوماً إلى بستان البرني ومعه أصحابه فجلس تحت نخلة يستظل بها<sup>(٩٨)</sup>.
١٧. كان ﷺ يستر بعض جسده ببعض وربما يستر وجهه بيده<sup>(٩٩)</sup>، (من الشمس).
١٨. فقال: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ، مره فليتكلم وليستظل وليتم صومه، ثم قال العلامة، ولأنه نذر في معصية فلا ينعقد، وانضمامه إلى الاعتكاف لا يخرج به عن كونه بدعة<sup>(١٠٠)</sup>.
١٩. قال الإمام الصادق عليه السلام: إن رسول الله ﷺ قال في يوم حار - وحنا كفه - من أحب أن يستظل فور جهنم - قالها ثلاث مرات - فقال الناس في كل مرة، نحن يا رسول الله، فقال: من انظر غريماً أو ترك المعسر<sup>(١٠١)</sup>، والاستظللال بحني الكف، مع الإشارة إلى فائدة الظل واضحة.
٢٠. وجاء في الخبر وقد تطهر علياً فجلس في ظل الترس<sup>(١٠٢)</sup>.
٢١. ورد في الدعاء، (يا من مد الظل على خلقه)<sup>(١٠٣)</sup>.
٢٢. وجاء أيضاً: (يا ماد الظل ولو شئت جعلته ساكناً)<sup>(١٠٤)</sup>.
٢٣. قال ﷺ: (إذا اشتد الحر فابدوا)<sup>(١٠٥)</sup>، أي انتظروا إلى وقوع الظل الذي يمشي الساعي فيه إلى الجماعة حتى لا يصيبه لفتح الشمس.
٢٤. وقال ﷺ: (من صلى البردين دخل الجنة)<sup>(١٠٦)</sup>، أي بعد الغداة وبعد العصر، حينما يكون ظل للأشياء.

٩٧- الصالحى، الشامى، سبل الهدى والرشاد ص ٢٦٧، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج ٧، ص ١٩١.

٩٨- الشكرجي، الاعلام من الصحابة والتابعين، ج ٥، ص ١٢٢.

٩٩- العاملي، وسائل الشيعة، ج ٩، ت ٥٥، ح ٤.

١٠٠- العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ج ٦، ص ٢٥٩، الشهيد الثاني، مسالك الإفهام، ج ١١، ص ٣١٨.

١٠١- النراقي، جامع السعادات، ج ٢، ص ١٢٣.

١٠٢- المفيد، الإرشاد، ج ١ ص ٣١٧.

١٠٣- الطوسي، مصباح المتعبد، ص ٥١٦.

١٠٤- المفيد، المتقنة، ص ١٨٧.

١٠٥- ألعاملي، الوسائل، ت ٣٨، ج ٥ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣، مجمع الفائدة/ الاردبيلي، ج ٢ ص.

١٠٦- ألعاملي، الوسائل، ت ٣٨، ج ٥ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣، مجمع الفائدة/ الاردبيلي، ج ٢، ص.

٢٥. روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: نزول الشمس في النصف من حزيران على نصف قدم (أي طول ظل)، ثم فصل ذلك إلى نهاية السنة<sup>(١٠٧)</sup>، بيان أطوال الظل، وجه الدلالة جواز الانتفاع بالظل للأمر الأخرى غير الاستغلال كمواقيت الصلاة.

٢٦. ومنه قوله عليه السلام في ظل القمر: (إذا رأيت ظل رأسك فيه فهو لثلاث)<sup>(١٠٨)</sup>، وجه الدلالة جواز الانتفاع بالظل لمعرفة عدد الأيام القمرية وفي أي يوم نحن من الشهر القمري.

ومع ما تقدم، تنص النوبة إلى بيان قول الصادق عليه السلام: (كل شيء لك حلال حتى تعلم أنه حرام بعينه فتدعه من قبل نفسك)<sup>(١٠٩)</sup>.

وقوله عليه السلام: (كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهى)<sup>(١١٠)</sup>.

وقوله عليه السلام: (كل شيء فيه الحلال والحرام فهو لك حلال حتى تعرف الحرام بعينه فتدعه)<sup>(١١١)</sup>، فإن دلالتها في مقام فقدان النص حيث الرجوع إلى الأصل وهو الإباحة وما نحن فيه كثرت النصوص فيه على الإباحة، بل والاستحباب في استعمال الظل وجواز الانتفاع به في مختلف أنواع المنفعة.

### ثالثاً: الإجماع

ظهرت في كلمات جميع الأصحاب تصريحاً وتلويحاً ومن الفريقين بما لا مجال معه للشك ما يفيد باطمئنان جواز الانتفاع بالظل والتعامل به بجميع أنواع المنافع المحللة إجماعاً لفظياً وإجماعاً معنوياً وإجماعاً عملياً وإنما تجدهم يتناولون جهات الاستفادة من الظل من غير أن يتطرقوا لحكمه، لأنه واضح الأصل والنص والتباني والتسليم عندهم، وان الاستفادة الجائزة منه، من المسلمات.

قال الشيخ الطوسي: (وما لا ضرر عليه (المالك) فليس له منعه منه مثل الاستغلال بمخاطفه)<sup>(١١٢)</sup>، وقال المحقق الحلي: (وإلا فالحاجة ماسة إلى التظليل لدفع الحر والقر)<sup>(١١٣)</sup>.

وقال القاضي ابن البراج: (إذا استأجر خيمة يستظل بها جاز له أن يدخلها غيره)<sup>(١١٤)</sup>.

وقال العلامة: (استحباب الإبراد بالظهر، وهو أن يؤخر الإقامة عن أول الوقت في المسجد الذي يأتيه الناس من بعد إلى أن يقع للحيطان ظل يمشي فيه الساعون إلى الجماعة)<sup>(١١٥)</sup>.

١٠٧- ألعاملي، الوسائل، ج٣، ص١٢٠، نهاية الأحكام، الحلي، ج١، ص٣٣٤.

١٠٨- العلامة، منتهى المطلب، ج٢، ص٥٩١، ابن بابويه، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٣٤٢.

١٠٩- ألعاملي، الوسائل، ج٢٤، ص٢٣٦.

١١٠- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٣١٧.

١١١- ألعاملي، الوسائل، ج٢٤، ص٢٣٦.

١١٢- الطوسي، المسووط، ج٣، ص٢٨٠.

١١٣- المحقق الحلي، شرايع الإسلام، ج١، ص٩٧، الشهيد الأول، الذكري، ص١٥٦، الشهيد الثاني، مسالك الإفهام، ج١، ص٣٢٥، الكركي، جامع المقاصد، ج٢، ص١٤٥، مجمع الفائدة، الأردبيلي، ص١٤٩، ألعاملي، مدارك الأحكام، ج٤، ص٣٩٢، السبزواري، ذخيرة العباد، ج٢، ص٢٤٩، الجواهر، ج١٤، ص٧٦، البحراني، الخدائق الناضرة، ج٧، ص٢٦٨، الفاضل الهندي، كشف اللثام، ج١، ص٢٠١.

١١٤- القاضي ابن البراج، المهذب، ج٤٨٣.

وقال العلامة أيضاً: (أو أمكنهم) المصلون) المشي إلى المسجد في كن أو ظل أو كان يصلي منفرداً في بيته فلا إيراد لزوال المقتضي وهو المشقة والتأذي بالحر) (١١٦).

وقال العلامة: (يجوز استئجار الشجر والنخل لتجفيف الثياب عليها أو لسطها عليها حتى يستظل بظلها سواء كانت ثابتة أو مقطوعة وكذا يجوز استئجار الحبال لذلك) (١١٧).

وقال كذلك: (فإن كان مغطىً وجب ذكر الغطاء الذي يستظل به ويتوقى من المطر والحر) ثم قال: (فلا بد من أن يشترط الغطاء) (١١٨).

ونقل السيد ابن طاووس: (كان سلمان يعمل الخوص بيده... ولم يكن له بيت وإنما كان يستظل بالجدر والشجر) (١١٩).

وقال أبو المجد الحلبي: (ويكون تغسيله تحت ظل من سقف أو غيره) (١٢٠).

قال العلامة: (إذا كانت الخمر في ظرف فنقلها من الظل إلى الشمس أو من الشمس إلى الظل فتخللت طهرت عندنا قولاً واحداً) (١٢١).

وقال الأردبيلي: (نعم يجوز الانتفاع منه، ثم قال)، لأنه بمنزلة الاستظلالات بجدار الغير، (ثم قال)، ويفهم من شارح الشرائع أنه قد فهم هو أيضاً عدم المنع من الاستظلالات، (ثم قال): نعم لو منع المالك والشريك من ذلك كله حرم وفقاً للتذكرة لأنه نوع تصرف.. الخ، والظاهر أن (أنه) ليس له المنع عنهما إذا كان موضع الظل والضوء مما يجوز الجلوس فيه، وهو النزاع وصرح به في شرح الشرايع، وهو ظاهر وغير مفهوم من التذكرة... إذ لا يسمى هذا تصرفاً عرفياً بحيث يوجد دليل لمنعه من العقل والنقل والأصل وعموم ما يدل على جواز الانتفاعات بالمباحات إلا ما أخرجه الدليل، مؤيد، ولأنه كالاستظلالات والاستضاء) (١٢٢).

قال الشهيد الأول: (وللمستعير الاستظلالات بالشجر وكذا للمعير) (١٢٣)، أي في الأرض المعارة، وقال الشهيد الثاني: (والنكتة في الاستظلالات إلى المعير واضحة كما ذكرناه، وأما المستعير، فعلى تقدير جواز استظلاله لا نكتة في تخصيصه من بين الوجوه التي ينتفع بها) (١٢٤).

- ١١٥ - العلامة، نهاية الأحكام، ج ١، ص ٣٣٢.
- ١١٦ - العلامة، نهاية الأحكام، ج ١، ص ٣٣٣، الشهيد الأول، الذكرى، ج ٢، ص ٣٩٩.
- ١١٧ - العلامة، تحرير الأحكام، ج ٣، ص ٧٤.
- ١١٨ - العلامة، تذكرة الفقهاء، ج ٦، ص ٢٥٩، الشهيد الثاني، مسالك الإفهام، ج ١١، ص ٣١٨.
- ١١٩ - ابن طاووس، هامش بناء المقالة الفاطمية، ص ٣٥٥، حسين النوري الطبرسي، نفس الرحمن في فضائل سلمان، ص ٥٥٥.
- ١٢٠ - أبو المجد الحلبي، إشارة السبق، ص ٧٤، الشهيد الأول، البيان، ص ٢٤، آداب غسل الميت.
- ١٢١ - العلامة، تذكرة الفقهاء، ج ١٣، ص ١٤٠، العلامة، منتهى المطلب، ج ١، ص ١٦٧.
- ١٢٢ - الأردبيلي، مجمع الفائدة، ج ٦، ص ٣٦٣، وبه قال العلامة في التذكرة، ج ٢، ص ١٨٥، النراقي، مستند الشيعة، ج ٤، ص ٦، لكن قال الجواهر في جواهره: وعدم الضرر لا يبيح التصرف في أموال الناس، الذي ليس منه الاستظلالات بالحائط، إذ هو انتفاع لا تصرف، الجواهر، ج ٨، ص ٢٨٤، وكذا الأردبيلي، مجمع الفائدة، ج ٩، شرح ص ٣٦٢، الميرزا القمي، غنائم الإسلام، ج ١، ص ١٥٣.
- ١٢٣ - الشهيد الأول، اللمعة الدمشقية، ص ١٣٤.

ثم قال: (كما يجوز الاستئصال بحائطه بدون) (١٢٥)، أي بدون إذن المالك.  
 وقال الشهيد الأول: (يجوز المشي تحت الظلال، وفي ظل المحمل وشبهه) (١٢٦)، وكذا قال  
 الشهيد الثاني: (فلا يحرم الكون في ظل المحمل) (١٢٧).  
 وقال المحقق الكركي، والعلامة: (في السقف المشترك أو المملوك للعالي، فإنه يجوز لصاحب  
 العلو الجلوس ووضع الأثقال عليه على الاعتقاد، ولصاحب السفلى الاستئصال والإستكانان به لأننا  
 لو لم نجوز له ذلك لعظم الضرر وتعطلت المنافع) (١٢٨)، وقال العلامة أيضاً: (والسكنى إنما هي  
 إقامته في فناء الحيطان من غير تصرف فيها فأشبه الاستئصال بها من الخارج) (١٢٩)، أي جائز.  
 قال الخونساري في بيان قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لعن الله المتغوط في ظل النزال) (١٣٠)، أي الظل المعد لنزول  
 القوافل و المترددين كموضع جبل أو شجرة أو نحو ذلك (١٣١).  
 قال في العروة: (يجوز استئجار الشجر لفائدة الاستئصال ونحوه) (١٣٢)، وعلق الخوئي قائلاً:  
 فأن قلت، كيف تصح الإجارة بناءً على جواز الاستئصال بشجر الغير أو حائطه بدون إذنه، قلت،  
 يمكن فرض المسألة فيما لو بادر المالك في الاستئصال بحيث لم يبق مجال لاستئصال غيره وهو بحاجة  
 إليه في تلك الساعة، أو لو أراد المالك قطع الشجرة فطالب منه المستأجر عدم القطع لكي يستظل  
 بها، فيصح ما في المتن ولو في الجملة وبنحو الموجبة الجزئية (١٣٣).  
 قلت يمكن فرض المسألة بتهيئة الأشجار من المالك لهذا الغرض كأشجار الظل الكبيرة ومنه  
 يظهر جواز صناعات الظل لتقديم الخدمات المتنوعة، وقال الخوئي أيضاً: (نعم الانتفاع بالحيمة أمر  
 صحيح حيث النفع بظلها) (١٣٤)، وقال الآملي في بيان الانتفاعات (كالانتفاع من الظل) (١٣٥).  
 وقال الكلبايكاني: (يجوز تجفيف اللحم، في الظل وجعله قديداً) (١٣٦)، فيظهر مما تقدم من  
 كلام الأعلام بما لا يدع مجالاً للشك جواز الانتفاع بالظل في جميع الانتفاعات المعروفة، ومعه يظهر  
 إجماع الأصحاب على حلية الانتفاع.

- ١٢٤- الشهيد الثاني، شرح اللمعة الدمشقية، ج ٤، ص ٢٦٦، البحراني، الحدائق الناضرة، ج ٢١، ص ٥٠١،  
 الشهيد الثاني، مسالك الإفهام، ج ٥، ص ١٤٩، ومثله الأردبيلي، مجمع الفائدة، ج ١٠، ص ٣٢٤.  
 ١٢٥- الشهيد الثاني، مسالك الإفهام، ج ٥، ص ٢١٦، الأردبيلي، مجمع الفائدة، ج ١، ص ٢٢١.  
 ١٢٦- الشهيد الأول، الدروس، ج ١، ص ٣٧٨.  
 ١٢٧- الشهيد الثاني، شرح اللمعة، ج ٢، ص ٢٤٥.  
 ١٢٨- الكركي، جامع المقاصد، ج ٥، ص ٤٢٤، تذكرة الفقهاء، العلامة، ج ٢، ص ١٨٧.  
 ١٢٩- العلامة الحلبي، تذكرة الفقهاء، ج ٢، ص ١٩٥.  
 ١٣٠- أعلامي، الوسائل، ج ١، ص ٣٢٦، الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٢٩٢.  
 ١٣١- الخونساري، مشارق الشموس، ج ١، ص ٨٣.  
 ١٣٢- البيزدي، العروة الوثقى، ج ٥، ص ١٠٠.  
 ١٣٣- الخوئي، كتاب الإجارة، ج ١، شرح ص ٣٤٥.  
 ١٣٤- الخوئي، كتاب الطهارة، ج ٤، ص ٣٩٧.  
 ١٣٥- الآملي، كتاب الصلاة، تقرير بحث الداماد، ص ٤٣٣.  
 ١٣٦- الكلبايكاني، هداية العباد، ج ٢، ص ٢٣٠.

## رابعاً: دليل العقل

إنه مع ظهور الأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وكلمات الأصحاب بل إجماع المسلمين، فإن الحديث عن دلالة العقل يصير من قبيل توضيح الواضحات، فالعقل يرى:

١- قبح العقاب بلا بيان تفصيلي قطعي يمنع الاستفادة من الظل، وهو (البيان) لا وجود له، بل العكس صحيح.

٢- لا يلزم بيان ما محض النفع ومحض الضرر كالظل في الأول والنار في الثاني، لأن طبائع الناس تميل إلى الاستفادة من الأول والابتعاد عن الثاني، فلا نجد نصاً يمنع الإنسان أن يضع يده في النار، أو نصاً يدفعه إلى الاستفادة من الظل، فما وافق الطبع بلا ضرر قال به العقل.

٣- ارتكاز العقلاء قائم على لزوم دفع المضرّة وجلب المنفعة، واللجوء إلى الظل والاستفادة منه يوفر المعنيين، فهو عقلي وعقلاني.

٤- دليل العرف والحس والوجدان على التسالم بالاستفادة من الظل من غير خوض في محتملات المنع، يكشف إن ذلك سار في جميع الأماكن والأزمان والناس على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، بل حتى من لها إحساس أولي من سائر المخلوقات تجدها تلجأ إلى الظل في اليوم القاطن، كما أنها تلجأ إلى الشمس في اليوم الشتوي، إحساساً منها بفائدة الظل في اليوم الحرور وفائدة الشمس في اليوم البارد، بلا فرق بين الصبي والهرم والصغير والضخم، مما يكشف عن وجدان المنفعة والحس بها بدهاءه بغض النظر عن كونها منفعة عقلانية يهتدي إليها العقل بدلالته. والعقل بطبعه لا يمنع من الاستفادة مما لا ضرر به وجداناً فضلاً عن أنه يفضل ما فيه منفعة مع ذلك. منها العريش، وهو ما يستظل به يبني من سعف النخل مثل الكوخ فيقيمون فيه مدة إلى أن يصرم النخل<sup>(١٣٧)</sup>، وكذلك الكنسية، هي شيء يغرز في المحمل أو الرحل ويلقى عليه ثوب يستظل به الراكب ويستتر به والجمع كئناس<sup>(١٣٨)</sup>.

## المبحث الخامس: جواز حيازة الظل وتملكه وبيعه وسائر المعاملات الجائزة به.

ظهر بما تقدم من الأدلة أن الظل له منافع بل هو منفعة أباحها الشارع المقدس<sup>(١٣٩)</sup>، ولم يمنع منها إلا في بعض الموارد كالتظليل للمحرم والمعتكف واستعمال الظل المغصوب، بل إن المعتكف لا يمشي حتى في الظل الثابت بخلاف المحرم وعليه فأن الظل لو سبق إليه مسلم فهو أحق به وبحيازته بل وإجارته أو بيعه أو الاتجار به أو التبادل على أنه أحد العوضين كما لو ملك ماله ظل، فهو يملك جميع منافعه التي منها ظله لوقوع جميع ذلك وأشباهه من المعاملات على المنفعة المقصودة فيه تماماً

١٣٧- الطريحي، مجمع البحرين، ج ٤، ص ٩٤، الادريبي، مجمع الفائدة، ج ٢، ص ١٤٩، البحراني، الحدائق الناظرة، ج ٧، ص ٢٦٨.

١٣٨- الطريحي، مجمع البحرين، ج ٧، ص ٧٢.

١٣٩- يستعمل لفظ له منفعة وهو منفعة في كثير من الموارد، كقولنا منفعة السكن، وله سكن أي بيت وكذا منفعة الركوب، وهو مركب.

كسائر ما له منفعة عقلائية تقيم من الأشياء. فلو سبق مسلم إلى غار أو كهف أو شجرة فله ظلها وإن افترض انه لم ينتفع بذات ذلك الشيء، ولو كان الظل لما فيه منفعة لمصالح المسلم كسقف الدواجن وظل الخمر التي يرجى أن تكون خلاً كذلك صح التعامل به. وبذلك يظهر عدم جواز إتلاف منفعة الظل بتسليط الشمس عليه أو تنجيس ظل النزال أو الملاعن أو تغوير محل الظل بحيث لا يصلح للاستفادة منه على اختلاف درجات المنع من الحرمة فيما لو كان مملوكاً للغير إلى الكراهة فيما لو لم يكن مملوكاً.

### إبرادات وردود

**الأول:** روى الصدوق عن هشام بن الحكم قال: (كنت أبيع السابري<sup>(١٤٠)</sup> في الظلال فمر بي أبو الحسن عليه السلام فقال: يا هشام أن البيع في الظلال غش والغش لا يحل)<sup>(١٤١)</sup>. وجه الإيراد إن استعمال الظل حرام لا يحل ولولا ذلك لما نهى عنه عليه السلام، الجواب: أن متعلق النهي البيع الذي فيه غش للغش الذي فيه وليس الانتفاع بالظل أي أن الذي لا يحل هو الانتفاع المحرم من الظل (الغش)، حيث أن عيوب الشيء المباع لا تظهر جلية للمشتري في الظل في خصوص ذلك الشيء المباع وما شابهه ((السابري))، لا الانتفاع المحلل، هذا ويحتمل أن الظلال المقصود في الحديث والمعنى الاصطلاحي هو ما يقرب من الظلمة<sup>(١٤٢)</sup>، فحينئذ يكون الموضوع قد تغير، وهو البيع مع عدم رؤية الشيء المباع بشكل واضح لغلبة الظلام، لا الظلال. وقد مر في معاني الظلال الاصطلاحية، ويحتمل أيضاً أن النهي يتعلق بخصوص بيع السابري في الظل، حيث انه مرغوب وبيع بأدنى عرض، لأننا نعلم وجداناً أن أكثر البيوع لا تكون إلا في الظل للمشقة الحاصلة من البيع في الشمس، وإلا لزم محذور النهي عن البيوع جميعاً ثم يستثنى ما قام الدليل على جوازه ومنه يلزم محذور تخصيص الأكثر وكلاهما كما ترى، أو نصير حينئذ إلى صرف قول الإمام عليه السلام عن ظاهره في (لا يحل) إلى الكراهة لا إلى الحرمة، فيثبت الجواز حينئذ على كراهة.

**الثاني:** ورد النهي عن تصوير الحيوان (من له روح) ذي الظل، قال الأردبيلي (قدس سره): (وتصوير الحيوان ذي الظل بحيث إذا وقع عليه ضوء يحصل له ظل وهو محرم بالإجماع)<sup>(١٤٣)</sup>. وجوابه واضح في أن ملاك الحرمة كونه مجسماً وذا روح، ثم جعل قيد توضيحي للجسم منها أنها إذا وقع عليها الضوء صار لها ظل، وإلا فلم جاز تصوير النبات والأشجار والثمار عموماً حتى لو كان لها ظل. أما سبب تحريم تلك فلعله لدفع شبهة العبادة لها كما هو حاصل عادة بالإجمال، حيث ينشد الإنسان لها حتى يصل حد العبودية لها كما حصل مع الأصنام السابقة أمثال هبل و مناة

١٤٠- السابري من أجود الثياب يرغب فيه بأدنى عرض، لسان العرب، ابن منظور ج ٤، ص ٣٤٢.

١٤١- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٢٧١.

١٤٢- مران الليل ظل الأرض.

١٤٣- الأردبيلي، مجمع الفائدة، ص ٥٤.

واللات وعزى ويعوق و يغوث ونسراً فأنها كانت تمثل أشخاصاً مهمين ماتوا فتعلق الناس بأشكالهم المنحوتة<sup>(١٤٤)</sup>.

**الثالث:** ورد النهي عن تظليل المساجد، قال الشهيد الأول: (وترك تظليلها لما رواه الحلبي قال: سألت عن المساجد المظلمة يكره القيام فيها، قال: نعم ولكن لا يضركم الصلاة فيها اليوم، وقد سلف أن النبي ﷺ ظل مسجده ولعل المراد به تظليل جميع المسجد أو تظليل خاص أو في بعض البلدان وإلا فالحاجة ماسة إلى التظليل لدفع الحر والقر)<sup>(١٤٥)</sup>.  
وجوابه ظاهر معه.

**الرابع:** ورد ضرب الظل، ففي الخبر أن رجلاً قذف أم رجل حكاية عما رأى في المنام، فقال أمير المؤمنين عليه السلام للمقدوف: (إن شئت أقمتك لك في الشمس فاجلد ظله).  
وجه الإيراد انه ما جعل محلاً للضرب إلا لأنه ممقوت في الشريعة. وهو ليس بشيء وجوابه ظاهر، قال الشيخ المفيد: لم يرد أمير المؤمنين عليه السلام إن شئت ضربت ظله إن ضرب الظل واجب أو شيء ينتفع به وإنما أراد أن الحلم لا يجب به حد<sup>(١٤٦)</sup>.  
**الخامس:** ورد النهي عن المشي في الظل للمحرم والمعتكف، وجه الإيراد النهي عن الاستفادة من الظل.

وجوابه واضح، بل هو من أدلة إباحة الاستفادة من الظل إذ المنع للمحرم والمعتكف خرج من إحرامه واعتكافه رجع إلى حكمه الأول، وهو الإباحة فمورد النهي خاص، تقابله عمومات ونصوص جواز الاستفادة مطلقاً مما ذكره قراناً وسنة وإجماعاً خرج ما استثني بنص خاص كالمرورين المذكورين.

**إيراد:** أن الظل مما يزول ولا يصح التعامل بما يزول

#### جوابه:

- ١- انه ليس كل ما يزول لا يصح التعامل به، فأن الثلج مما لا يبقى ويزول، وكذلك مشتقات الصناعات الثلجية، بل ما يشترط فيها البرودة عموماً أو الحرارة كذلك كالأطعمة التي تفسد إذا بردت بل أن كل الأشياء تزول مع الزمن بالتآكل والفساد والخراب ولم يرد من الشارع فساداً التعامل بها.
- ٢- إن جهة الاستفادة هي حين الحرور أو للصناعات المذكورة أو غيرها وهو حاصل إلى نهاية الزوال للظل، أو مع عدم زواله كالظل الثابت للأبنية والسقوف والكهوف والأشجار المدهامة.

١٤٤- محمد الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٦، ص ١٢.  
١٤٥- الطوسي، التهذيب، ج٣، ص ٢٥٦، الطوسي، الاستبصار، ج١، ص ٤٤٢، الشهيد الأول، الذكرى، ص ١٢٥، الكركي، جامع المقاصد، ج٢، ص ١٤٥، الشهيد الثاني، الإفهام، ج١، ص ٥٤٠، ص ٣٢٥.  
١٤٦- المفيد، المقنعة، ص ٧٩٧.

ونحن نرى لعقلاء يتعاملون بما يزول بعد زمن المعاملة بمدة مع العلم بذلك حين المعاملة فلا يقدر ذلك في صحتها.

إيراد آخر: إن التعامل إنما يقع على ماله ظل لا على الظل، فلا وجه للبحث في معاملات الظل.

الجواب: إن المقصد العقلائي حين المعاملة هو الظل لا ماله ظل، لذا في مثل ظل الأشجار وما يصطلح عليه ((مقيل)) أو ((استراحة)) تقدم منفعة الظل فقط لقاء مال<sup>(١٤٧)</sup>، وهي معاملة صحيحة.

وأما في مثل بيع المظلة المتحركة فأن التعامل يصح مع وجود المنفعة المقصودة فيها بحيث لا تصح المعاملة لو كانت غير حاجبة لضياء الشمس كما لو كانت شفافة.

شبهة: إن الظل ليس مما يملك إذ هو مثل المنظر الجميل لعقار مملوك لا يمكن منعه من الناظر إليه ولا منع الناظر من النظر إليه ولا يضره النظر إليه، فليس لأحد منع الجلوس في ظل مملوك لغيره. رد الشبهة، إن المالك للشيء يملك جميع منافعه، ومنها منفعة الظل وقد مر بيان ذلك فله منع أو منح المنفعة وحق لاستفادة منها ثم ليس كل ظل بحيث لا يمكن للمالكه التصرف فيه أو منعه، فإنه مر ذكر أصناف الظلال المقصودة ملكاً وصناعة لمنافعها الظاهرة.

### المبحث السادس: بعض مسائل الظل

الأولى: لا تطهر الشمس ما جف بعضه في الظل حتى لو كان الظل شفافاً<sup>(١٤٨)</sup>.

الثانية: لا يطهر ما جف في الظل<sup>(١٤٩)</sup>.

الثالثة: في تنجيس ظل يملكه الغير وتطهره الشمس، فإذا طهر بها يسترضيه لأنه نوع تصرف بما لا يملك، بغض النظر عن وصول مضرة أو منفعة للمالك<sup>(١٥٠)</sup>.

الرابعة: الجالس في الطريق بالإقطاع، أي من السلطان أو البق إن ظل على نفسه شيئاً فأن كان الظل مما ينقله معه جاز وإن كان بناءً لم يجز<sup>(١٥١)</sup>.

الخامسة: لا يصح الاستئصال بالظل المملوك، إلا بأذن صاحبه<sup>(١٥٢)</sup>.

السادسة: الظل لمن سبق. ولكن هل يزول بزواله أم يتجدد مع تجدد الظاهر إن المسألة عرفية.

١٤٧- الخوئي، كتاب الإجارة، ج ١، شرح ص ٣٤٥، راجع أقوال سائر العلماء الأعلام في ثالثاً: الإجماع في هذا المبحث.

١٤٨- كظل الزجاج، محمد أمين زين الدين، كلمة التقوى، ج ١ ص ٧٣.

١٤٩- ن.م، محمد الحكيم، منهاج الصالحين، ج ١، ص ١٤٦.

١٥٠- لأنه نوع التصرف في ملك الغير، وهو ممنوع غلباً بوجه شرعي إجماعاً، العلامة الحلي، منتهى المطلب، ج ١، ص ٢٢٩.

١٥١- العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ج ٢، ص ٤١٢.

١٥٢- العلامة الحلي، منتهى المطلب، ج ١، ص ٢٢٩، البحراني، الحدائق الناظرة، ص ٢٥٢.

**السابعة:** يستحب تهيئة الظلال للمارة والعابرين والمسافرين وغيرهم بل في كل مكان يحتاج إليه وهو من الصدقة فأَنْ كان ثابتاً فهو صدقة جارية.

**الثامنة:** يلزم ذكر مواصفات الظل وما يشترط فيه الظل، لرفع الجهالة في التبايع<sup>(١٥٣)</sup>.

**التاسعة:** إذا استأجر خيمة يستظل جاز له أَنْ يدخلها غيره<sup>(١٥٤)</sup>.

**العاشر:** إذا نذر أَنْ لا يستظل فالظاهر أَنه لا ينعقد نذره، للنبوي في رجل قالوا: (أبو إسرائيل نذر أَنْ يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال ﷺ، مره فليتكلم وليستظل وليتم صومه)، لأنه نذر في معصية، قال العلامة، وانضمامه إلى الاعتكاف لا يخرج به عن كونه بدعة<sup>(١٥٥)</sup>.

**الحادية عشرة:** للمستعير الاستظلال بالشجر وكذا للمعير<sup>(١٥٦)</sup>، (أي في الأرض المعارة).

**الثانية عشرة:** يجوز الانتفاع منه (الظل) لجدار الغير بما لا تقع المضايقة أو الضرر على مالك الجدار<sup>(١٥٧)</sup>.

**الثالثة عشر:** يجوز اعتماد الظل في ما هو معتبر شرعاً كالوقت، في مثل الساعة الشمسية، لوجود الاطمئنان بأبعاد الظل وحركته.

**الرابعة عشر:** تعتبر حركة الظل من الأدلة على الله سبحانه وتعالى لقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾<sup>(١٥٨)</sup>، لذا يصح الاستدلال به.

**الخامسة عشر:** يلزم إزالة الظل إذا كان متحركاً في حال الاستصباح بالدهن النجس للنهي عن الاستصباح به تحت الظلال، ويجوز تحت السماء<sup>(١٥٩)</sup>.

**السادسة عشر:** لا يجوز إتلاف الظل للغير (بل حتى ما كان ملكاً له وله قيمة لأنه نوع إفساد أو تذيير) أو إفساده بأن يجعله خفيفاً بعدما كان ظليلاً إلا بأذن مالكه وإلا فيقيم عليه. كتسليط الشمس على ما كان في الظل فتلف بتلفه.

**السابعة عشر:** يجوز التفرج على خيال الظل ((السينما))<sup>(١٦٠)</sup>.

**الثامنة عشر:** إذا تمكن الصائم من الانحراف إلى الظل وهو لا يطيق الصيام في الشمس، فإنه لا يصح إطلاق وصف (لا يطيق) عليه عرفاً، ويجب عليه الصوم<sup>(١٦١)</sup>.

١٥٣- مسالك الإفهام، ج ١١، ص ٣١٨، العلامة، التذكرة، ج ٢، ص ٣٠٩.

١٥٤- ابن براج، المهذب، القاضي، ج ١، ص ٤٨٣.

١٥٥- تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي، ج ٦، ص ٢٥٩.

١٥٦- الشهيد الأول، اللمعة، ص ١٣٤.

١٥٧- العلامة، التذكرة، ج ٢، ص ١٨٥، الاردبيلي، مجمع الفائدة، ج ٩، ص ٣٦٢، غنائم الأيام، النجفي،

الجواهر، ج ٨، ص ٢٨٤.

١٥٨- الفرقان ٤٥.

١٥٩- العلامة، نهاية الأحكام، ج ١، ص ٢٩٢.

١٦٠- الخوئي، مصباح الفقاهة، ج ٢، ص ١٦٢.

١٦١- الخوئي، كتابة الصوم، ج ٢، ص ٦١.

التاسعة عشر: لا يجوز تهيئة الظل لمن يحتاجه للمعصية، فإنه من قبيل الإعانة على الإثم.  
 العشرون: حرم المدينة المنورة من ظل عائر إلى ظل وغير<sup>(١٦٢)</sup>.  
 الحادية والعشرون: إذا رأيت ظل رأسك فيه أي في ضوء الهلال، فهو لثلاثة<sup>(١٦٣)</sup> عن الإمام  
 الصادق عليه السلام.

الثانية والعشرون: يستحب تأخير صلاة الظهر حتى يسير القاصد للمسجد للصلاة في الظل  
<sup>(١٦٤)</sup>.

الثالثة والعشرون: يجوز الجمع للمنفرد في بيته أو في المسجد أو من كان بينه وبين المسجد ظل  
 يمنع وصول المطر إليه، أي إلى المصلى فيصلي في مكانه جمعاً، لفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولوجود  
 الرخصة<sup>(١٦٥)</sup>.

ويلاحظ هنا أن الظل مانع المطر لا من الشمس ومنها يحصل جواز أن يمشي الرجل فيه فيصلي  
 جمعاً كما مر ذكره في المسألة القبلية.

الرابعة والعشرون: قال محمد بن حكيم سمعت العبد الصالح يقول: أول وقت الظهر زوال  
 الشمس وآخر وقتها قامة من الزوال وأول العصر قامة وآخر وقتها قامتان، قلت: في الشتاء  
 والصيف. قال: نعم<sup>(١٦٦)</sup>.

الخامسة والعشرون: لا يستظل المحرم ولا يجلس ولا يمشي في ظل لو خرج من المسجد<sup>(١٦٧)</sup>.  
 السادسة والعشرون: مر جواز استعمال الظل في الصناعات ومنها تحليل الخمر<sup>(١٦٨)</sup> وتجفيف  
 اللحم في الظل<sup>(١٦٩)</sup>، والأرز<sup>(١٧٠)</sup>، وما شابه.

السابعة والعشرون: يكره الأحداث في فيء النزال والملاعن، وهو موضع الظل المعد لنزول  
 القوافل والمترددین كموضع ظل جبل أو شجرة ونحو ذلك ويمكن أن يراد به اعم من ذلك وهو  
 الموضع المعد لنزولهم مطلقاً، والملاعن كل مكان يلعن المحدث فيه فهو اعم من الظل وغيره، كما  
 فسر بفناء الدار وأبواب الدور، قال الشهيد الثاني: والمقصود هو المعنى العام أي كل ما يوجب  
 اللعن<sup>(١٧١)</sup>.

- ١٦٢ - الطوسي، النهاية، ص ٢٨٦، العلامة، مختلف الشيعة، ج ٤، ص ٣٨١.  
 ١٦٣ - ألعاملي، الوسائل، ج ٧، ص ٢-٣، الشهيد الثاني، شرح اللمعة، ص ١١٣.  
 ١٦٤ - العلامة الحلبي، نهاية الأحكام، ج ١، ص ٣٣٢.  
 ١٦٥ - الشهيد الأول، التذكرة، ج ١، ص ٨٤، السرائر، ابن إدريس، ج ٣، ص ٥٣٠.  
 ١٦٦ - المحقق الحلبي، المعتبر، ج ٢، ص ٣٢.  
 ١٦٧ - المرتضى، الانتصار، ص ٢٠٣، الفاضل الآبي، كشف الرموز، ج ١، ص ٣١٦.  
 ١٦٨ - العلامة الحلبي، منتهى المطلب، ج ٣، ص ٢٢١.  
 ١٦٩ - البرقي، المحاسن، ج ٢، ص ٤٦٣.  
 ١٧٠ - البرقي، المحاسن، ج ٢، ص ٥٠٣.  
 ١٧١ - الشهيد الثاني، شرح اللمعة، ج ١، ص ٣٤٣.

**الثامنة والعشرون:** تصوير الحيوان ذي الظل بحيث إذا وقع عليه ضوء يحصل له ظل، وهو محرم بالإجماع<sup>(١٧٢)</sup>، وفيها اليوم آراء أخرى منها الإباحة للروحاني<sup>(١٧٣)</sup>، والكرهية عن الشيرازي<sup>(١٧٤)</sup>.

### الخاتمة

تمَّ بحمد الله تعالى وعونه الوقوف على معاني الظل وفوائده، وبعض أحكامه الشرعية، وهذا المبحث باب أردت منه الانطلاق إلى عالم الظل ومعرفة مديات معالنه فقهيًا، ومقدار التطوير الممكن فيما يتعلق به أحكامًا وصناعات، خصوصًا أحكامه الشرعية مع الأخذ بنظر الاعتبار أنه من المسائل المبتلى بها غالبًا وأنه لا يحصى من الإمام بما تيسر للإنسان منها حرصًا على خدمة بني نوعه، والمرجو من المعنيين التوسع في هذا الباب لسد النقص وما فاتني ذكره.

### المصادر

- القرآن الكريم.. كتاب الله العزيز الحميد
١. ابن إدريس، محمد بن منصور، السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، (ت ٥٩٨هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٠ هـ.
  ٢. ابن البراج، عبد العزيز الطرابلسي، المهذب، (ت ٤٨١هـ)، نشر وطبع جامعة المدرسين، قم المقدسة، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
  ٣. ابن حجر، احمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (ت ٨٥٢هـ)، طبع ونشر المطبعة البهية، المصرية، بيروت، ط ٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
  ٤. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، (ت ٥٨٨هـ)، طبع ونشر المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.
  ٥. ابن طاووس، احمد بن موسى، بناء المقالة الفاطمية، (ت ٦٧٣هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١١ هـ.
  ٦. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، تأويل مختلف الحديث، (ت ٢٧٦هـ)، دار الجيل - بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٢ م.
  ٧. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (ت ٧١١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

١٧٢ - الاردبيلي، مجمع الفائدة، ج ٨، ص ٥٤.  
 ١٧٣ - صادق الروحاني، المسائل المستحدثة، ص ٢١٤.  
 ١٧٤ - محمد الشيرازي، المسائل الإسلامية، ص ٧٧.

٨. الأدريلي، المولى احمد، مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، (ت ٩٩٣هـ) طبع ونشر جماعة المدرسين، قم المقدسة ١٤٠٣ هـ.
٩. الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب، المفردات في غريب القرآن طبع ونشر الكتاب إيران ١٤٠٤ هـ
١٠. الأملي، عبد الله الجوادي، كتاب الصلاة، (حي الى عام ٢٠٠٨م)، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ط١، ١٤٠٥ هـ.
١١. الأندلسي، أبو حيان، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، (ت ٧٥٤هـ)، ط١، مكتبة وطبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
١٢. الأنصاري، مرتضى، المكاسب، (ت ١٢٨١هـ)، مطبعة باقري، قم المقدسة، نشر الأمانة العامة للمؤتمر العالمي، ط٣، ١٤٢٠ هـ.
١٣. البحراني، يوسف، الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة، (ت ١١٨٦هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط١، ١٤٠٥ هـ.
١٤. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، (ت ٢٥٦هـ)، طبع دار الطباعة العامرة، استانبول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م بيروت.
١٥. البرقي، احمد بن محمد، المحاسن، (ت ٢٧٤هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠ هـ.
١٦. البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، (ت ٥١٦هـ)، طبع دار المعرفة، بيروت ط٣، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٧. الثعلبي، عبد الرحمن بن محمد، تفسير الثعلبي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
١٨. الجواهري، محمد حسن، جواهر الكلام، (ت ١٢٦٦هـ)، نشر دار الكتب الإسلامية، مطبعة خورشيد، ط٣، ١٣٦٧ ش.
١٩. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، (ت ٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط١، القاهرة ١٣٧٦ هـ، ط٤ ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.
٢٠. الحرائي، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، (ت ٣٨١هـ)، نشر مؤسسة النشر الإسلامي بجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤٠٤ هـ - ١٣٦٣ ش.
٢١. الحكيم، محمد سعيد، منهاج الصالحين، (حي الى سنة ١٤٣٤هـ)، نشر دار الصفوة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ.
٢٢. الحلبي، أبو الحسن علي بن الحسن، إشارة السبق إلى معرفة الحق، (ت ٥٦٦هـ)، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ط١، ١٤١٤ هـ.

٢٣. الحلبي، الحسن بن يوسف، مختلف الشيعة، (ت ٧٢٦هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ط١، ١٤١٢ هـ.
٢٤. الحلبي، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء، (ت ٧٢٦هـ)، طبع ونشر وتحقيق مؤسسة آل البيت لأحياء التراث - قم المقدسة ١٤٢٧ هـ.
٢٥. الحلبي، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب، (ت ٧٢٦هـ)، طبع ونشر الأستانة الرضوية المقدسة، ط١، ١٤١٢ هـ، إيران مشهد المقدسة.
٢٦. الحلبي، الحسن بن يوسف، نهاية الأحكام، (ت ٧٢٦هـ)، طبع ونشر مؤسسة اسماعيليان، قم المقدسة ط٢، ١٤١٠ هـ.
٢٧. الحلبي، جعفر بن الحسن، المعتبر في شرح المختصر، (ت ٦٧٦هـ)، مؤسسة سيد الشهداء عجلال، قم المقدسة، ١٣٦٤ هـ.
٢٨. الحلبي، جعفر بن الحسن، شرايع الإسلام، (ت ٦٧٦هـ)، منشورات رشيد، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٧ هـ، مؤسسة دار المهدي والقرآن الكريم.
٢٩. الحلبي، محمد بن الحسن، تحرير الأحكام، (ت ٧٢٦هـ)، مؤسسة الإمام الصادق عجلال، مطبعة اعتماد، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٠ هـ.
٣٠. الخوئي، أبو القاسم الموسوي، كتاب الإجارة، (ت ١٤١٣هـ)، منشورات مدرسة دار العلم، قم المقدسة، ١٣٦٥ هـ.ش.
٣١. الخوئي، أبو القاسم الموسوي، كتاب الصوم، (ت ١٤١٣هـ)، منشورات لطفي العملية، قم المقدسة، ١٣٦٤ هـ.ش.
٣٢. الخوئي، أبو القاسم الموسوي، مصباح الفقاهة، (ت ١٤١٣هـ)، مطبعة الحديرية، النجف الاشرف، ١٣٧٤ هـ، ١٩٥٤م، العراق.
٣٣. الخوئي، أبو القاسم، كتاب الطهارة، (ت ١٤١٣هـ)، دار الهادي للمطبوعات، قم المقدسة، ط٣، ١٤١٠ هـ.
٣٤. الخوري، سعيد بن عبد الله، اقرب الموارد إلى فصيح العربية و الشوارد، (ت ١٩١٢هـ)، طبع بيروت، لبنان، مطبعة اليسوعيين ١٨٩١م.
٣٥. الخونساري، حسين بن جمال الدين محمد، مشارق الشموس، (ت ١٠٩٩هـ)، طبع ونشر مؤسسة آل البيت، لأحياء التراث، طبع طهران ١٣١٠ هـ.
٣٦. ذو الرمة، غيلان بن عقبة بن مسعود، ديوان ذي الرمة، (ت ١١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
٣٧. الرازي، محمد بن عمر بن حسين، التفسير الكبير، (ت ٦٠٦هـ)، طبع ونشر دار الكتب العلمية، طهران، إيران.

٣٨. الروحاني، محمد صادق الحسيني، المسائل المستحدثة، (حي سنة ١٤١٢هـ)، مؤسسة دار الكتاب، قم المقدسة ط٤ ١٤١٤ هـ.
٣٩. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، (ت ١٢٠٥هـ)، منشورات دار كتب الحياة، بيروت، صورة عن ط١ المطبعة الخيرية مصر ١٣٠٦ هـ.
٤٠. زين العابدين، محمد أمين، كلمة التقوى، (ت ١٤١٩هـ)، نشر الوداعي، طبع قم المقدسة، ط٣، ١٤١٣ هـ.
٤١. السبزواري، محمد باقر، ذخيرة المعاد، (ت ١٠٩٠هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، قم المقدسة، حجري.
٤٢. الشامي، محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد، (ت ٩٤٢هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط١، ١٤١٤ هـ.
٤٣. الشريف الرضي، بن أبي احمد الحسين علي بن الطاهر، (ت ٤٠٦هـ)، المجازات النبوية، طبع ونشر في بغداد ط٣، ١٣٢٨ هـ.
٤٤. الشهيد الأول، محمد بن مكي، الدروس، (ت ١٢٤٤هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ط١، ١٤١٢ هـ.
٤٥. الشهيد الأول، محمد بن مكي، اللمعة الدمشقية، (ت ٧٨٦هـ)، منشورات، دار الفكر، قم المقدسة، ط١، ١٤١١ هـ.
٤٦. الشهيد الأول، محمد بن مكي، تذكرة البيان، (ت ٧٨٦هـ)، مجمع الذخائر العلمية، قم المقدسة، طبعة حجرية، ١٣٢٢ هـ.
٤٧. الشهيد الأول، محمد بن مكي، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، (ت ٧٨٦هـ)، نسخة حجرية، ١٢٧٢ هـ، حسب تعريف المعجم الفقهي الإصدار الثالث، قم المقدسة ١٤٢١ هـ.
٤٨. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية، (ت ٩٦٥هـ)، منشورات داوري، قم المقدسة، ط٣، ١٣٩٨ هـ.
٤٩. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، (ت ٩٦٥هـ)، قم المقدسة، طبع ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، ١٤٠٤٠ هـ.
٥٠. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، مسالك الإفهام، (ت ٩٦٥هـ)، طبع ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، ط١، ١٤١٣ هـ.
٥١. الشيرازي، محمد بن المهدي، المسائل الإسلامية، (ت ١٤٢٤هـ)، دار العلوم، بيروت لبنان، ط٥، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٥٢. الصدوق، محمد بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، (ت ٣٨١هـ)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة ط٣ - ١٤٠٤ هـ.

٥٣. الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، (ت ١٤٠٢هـ)، طبع ونشر جامعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٤٠٧ هـ.
٥٤. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، (ت ٥٤٨هـ)، ط ١، منشورات الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٥٥. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، (ت ١٠٨٥هـ)، نشر مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٨ هـ، قم المقدسة.
٥٦. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، (ت ٤٦٠هـ)، طبع ونشر مكتبة الإعلام الإسلامي. دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت ١٤٠٩ هـ.
٥٧. الطوسي، محمد بن الحسن، الاستبصار، (ت ٤٦٠هـ)، طبع مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم المقدسة، ط ١، ١٤٢٨ هـ.
٥٨. الطوسي، محمد بن الحسن، التهذيب، (ت ٤٦٠هـ)، طبع مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم المقدسة، ط ١، ١٤٢٨ هـ.
٥٩. الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف، (ت ٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٧ هـ.
٦٠. الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط، (ت ٤٦٠هـ)، طبع ونشر المكتبة الرضوية، طهران، ١٣٨٧ هـ.
٦١. الطوسي، محمد بن الحسن، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، (ت ٤٦٠هـ)، منشورات قدس محمدي، قم المقدسة، طبع بيروت، لبنان.
٦٢. الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهدج، (ت ٤١٣هـ)، طبع ونشر مؤسسة فقه الشيعة، بيروت لبنان، ط ١، ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م.
٦٣. الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهدج، (ت ٤٦٠هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، بيروت، لبنان.
٦٤. العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، (ت ١١٠٤هـ)، ط ٢، نشر وتحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث ١٤١٤ هـ.
٦٥. العاملي، محمد بن علي، مدارك الأحكام، (ت ١٠٠٩هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط ١، قم المقدسة، ١٤١٠ هـ.
٦٦. العسقلاني، ابن حجر، احمد بن علي، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (ت ٨٥٢هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٨ هـ.
٦٧. العياشي، أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش، تفسير العياشي، طبع ونشر المكتبة العلمية الإسلامية، طهران ١٣٨١ هـ.

٦٨. العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
٦٩. الغروي، محمد هادي اليوسفي، موسوعة التاريخ الإسلامي، (حي سنة ١٤١٧هـ)، ط ١ مؤسسة الهادي، قم المقدسة، ربيع ٢، ١٤١٧ هـ.
٧٠. الفاضل الآبي، الحسن بن أبي طالب، كشف الرموز في شرح المختصر النافع، (كان حياً سنة ٦٧٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٠ هـ.
٧١. الفاضل الهندي، محمد بن الحسن، كشف اللثام، (ت ١١٣٧هـ)، طبع ونشر مكتبة السيد المرعشي، قم المقدسة، ١٤٠٥ هـ.
٧٢. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (ت ٨١٧هـ)، طبع ونشر البابي الحلبي، مصر، ١٣٧١ هـ.
٧٣. القاضي النعماني، نعمان بن محمد، دعائم الإسلام، (ت ٣٦٣هـ)، نشر دار المعارف، بيروت ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
٧٤. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٧٥. القمي، أبو القاسم بن محمد حسن، غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام، (ت ١٢٢١هـ)، مكتب الأعلام الإسلامي، خراسان، إيران، ط ١، ١٤١٧ هـ.
٧٦. القمي، علي ابن إبراهيم، تفسير القمي، (ت ٣٠٧هـ)، طبع ونشر مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم المقدسة ط ٣، ١٤٠٤ هـ.
٧٧. الكاشاني، المولى محسن، التفسير الصافي، (ت ١٠٩١هـ)، منشورات مكتبة الصدر، طهران، مطبعة مؤسسة الهادي قم المقدسة ط ٣، ١٤١٦ هـ.
٧٨. الكركي، علي بن الحسين، جامع المقاصد، (ت ٩٤٠هـ)، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، المطبعة المهديّة، قم المقدسة، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
٧٩. الكلبي كائي، محمد رضا الموسوي، هداية العباد، (ت ١٤١٤هـ)، دار القرآن الكريم، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٣ هـ.
٨٠. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، (ت ٣٢٩هـ)، ط ١، دار إحياء الكتب الإسلامية، قم المقدسة ١٤٢٨ هـ.
٨١. المتقي الهندي، علاء الدين، كنز العمال، (ت ٩٥٢هـ)، طبع ونشر مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٨٢. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول ﷺ، (ت ١١١١هـ)، ط ١، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٤٠٤ هـ.

٨٣. المجلسي، محمد باقر، البحار، (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٨٤. المرتضى، علي بن الحسين، الانتصار، (ت ٤٣٦هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط١، ١٤١٥هـ.
٨٥. المفيد محمد بن محمد بن نعمان، المقنعة، (ت ٤١٣هـ)، طبع ونشر جامعة المدرسين، قم المقدسة، ط٢، ١٤١٠هـ.
٨٦. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد، (ت ٤١٣هـ)، دار المفيد للطباعة والنشر، قم المقدسة، ١٤١٣هـ.
٨٧. النراقي، احمد بن محمد مهدي، مستند الشيعة، (ت ١٢٤٤هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، مشهد، إيران، ط١، ١٤١٥هـ.
٨٨. النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، (ت ١٢٤٤هـ)، طباعة ونشر وتوزيع دار المرتضى، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
٨٩. النسفي، عبد الله بن محمد، تفسير النسفي، (ت ٧١٠هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٦هـ.
٩٠. النوري، المازنداراني، حسين بن محمد، نفس الرحمن في فضائل سلمان، (ت ١٣٢٠هـ)، طبع طهران، إيران ١٢٨٥هـ.
٩١. ويكيبيديا الموسوعة العلمية العالمية، موقع الكتروني.
٩٢. اليزدي، محمد كاظم، العروة الوثقى، (ت ١٣٣٧هـ)، مؤسسة الاعلمي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

## الحجاج بمفهوم المنزلة عند سيبويه

### (مقاربة تشييدية بين الغرض العلمي والتعليمي)

Argumentation from al-mu'atazleh's point of view understood by  
sibaweih

(a structural approach between scientific and pedagogical purposes)

أ.م.د. رجاء عجيل الحسناوي<sup>(1)</sup>

Ass. Prof. Dr. Rajah Ajeel

#### ملخص البحث:

ما زال سيبويه يمدنا بفكره الرصيد وتأمله العميق بمسارات دقيقة نعمل بها على إعادة فهمنا له، وفهمنا للكيفية التي تحلل بها أنماط الاستعمال اللغوي، وقد وجدنا أن محورا من محاوره المهمة في التحليل النحوي كان استعماله للفظ المنزلة وهو يحاول أن يقدم تصوّره أو تصوّر أستاذه الخليل في هذا الموضوع أو ذلك من كلام العرب. ولقد كان تردد هذه اللفظة من الكثرة بمكان أن يلفت الانتباه، فعمدنا إلى تخصيص بحث مستقل للكشف عن المفهوم السيبويهي الذي أرادها ليحملها رؤيته التحليلية للكلام ومكوناته الصغرى. وقد وجدنا أن مفهوم هذه اللفظة قد اقترن بمسار حجائي قدمه سيبويه بين يدي متلقيه في إثبات حجته وراجحة ما انتحاه.

وقد استقرّ تناول موضوع بحثنا على ثلاثة مباحث:

الأول: الأساس الأصولي (المعرفي) في استعمال المنزلة.

الثاني: (المنزلة والتمثيل) قياس في الافتراض الدلالي للكلام ومكوناته.

الثالث: الأساس التداولي في استعمال المنزلة.

---

١ - جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الانسانية

وجرى تقسيم ما اخترناه من موارد استعمال المنزلة على هذه المباحث طبقاً للمفهوم الذي يمكن فهمه من هذه اللفظة.

### ديباجة البحث.

شيء لا يغفل عن ذكره...

((لا يؤلف أحد كتاباً إلا في أقسام سبعة لا يمكن التأليف في غيرها، وهي إما أن يؤلف في شيء لم يسبق إليه فيخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء مختلط فيرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبيئه، أو شيء مفرق يجمعه))<sup>(٢)</sup>.  
وحسبنا المفرق لنجمه فالمعاني المقنعة قد تكون ممتعة إذا توشحت بالخييل والتصوير والمعاني الممتعة قد تكون مقنعة إذا استنبطت بقوة الفكرة وثاقب النظرة، فهذا تفسيرنا للمنزلة، ولنستمد من جمع قراءتنا قراءة سيويه لها.

### مهاد:

تنضوي تحت أساس البحث العلمي حقيقة مفادها، أنه لا علم إلا بالبرهان، ولا برهان إلا بالانبناء على مقدمات ومبادئ ضرورية. ويمكن الكشف عن ذلك بوضوح في معالجة سيويه بناء كتابه بوسائل وآليات عملت على توليد المعرفة وإنتاجها، بإقامة الدليل بطريقة منهجية سليمة يمكن أن نصفها بالانبنائية الأمر الذي دفع للكشف عن النظر في بناء نصوصه بما فيها من معارف مختلفة، ومضامين متنوعة.

إن رصدنا بنية نصوص الكتاب جعلتنا نستوحي صوراً خاصة منه لتقديم مختلف المعلومات التي تحدد العلاقات الاستدلالية.<sup>(٣)</sup> بين التراكيب بوصف (آلية الاستدلال) نسقاً منطقياً تداولياً يبنى بها الخطاب الطبيعي من حيث إن الاستدلال ((انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، أي متواليات من الأقوال والجمل بعضها بمثابة الحجج وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها))<sup>(٤)</sup>

وقد سعى سيويه إلى تحصيل الاستدلال عبر مفهوم المنزلة، ذلك المفهوم الذي يشترك فيه، علم أصول الفقه، وعلم الكلام والنحو، والبلاغة بوصفه مفهوماً تفسيرياً<sup>(٥)</sup>، من حيث إن هذه

٢- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ص ٥.

٣- من أمثلة العلاقات الاستدلالية علاقة الشرط، والاستلزام، والسببية، والتفسير، والقياس، والاستنتاج. ينظر الخطاب والحجاج ص ١٧.

٤- سلطة الكلام وقوة الكلمات ص ١٤٢.

٥- وظّف سيويه هذا المفهوم في التفسير المرتكز على استدلال يتصل بعلم من علوم القرآن يُسمّى المكّي والمدني، من ذلك ما نقله عن أبي الخطاب قائلًا: "وزعم أبو الخطاب أن مثله قولك للرجل: سلاماً. تريد تسلماً منك، كما قلت: براءة منك... وزعم إن هذه الآية "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً." بمنزلة ذلك، لأن الآ فيما زعم مكّي ولم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين، ولكنه على قولك براءة منكم وتسلماً لاخير بيننا وبينكم ولاشر". الكتاب ١/ ٣٢٤ - ٣٢٥، والآية الفرقان/ ٦٣.

العلوم متفاعلة فيما بينها مما يشي بالقول إن نصوص سيبويه جاءت محققة لأغراضها ومؤثرة في خالفها (متعلمين وناقدين)، فالاشتغال بمثل هذه الآليات جعل نصوصه منظمة ومعلّلة؛ لأنها مبنية بناءً استدلالياً معتمداً الضوابط العقلية، وأحياناً النقلية؛ لإقامة الحجة بهدف الإقناع.

إن نزوع سيبويه إلى تلك المركزية في كتابه إنما هو إحداث لتغييرات في الأفكار وتوجيهها على نحو صحيح ويستنتب من ذلك، أن الوصول إلى إثبات صدق قضية أو تفنيدها في برهنة جدلية هو ما ينماز به الاستدلال الحجاجي، بحيث تفضي المقدمة إلى النتائج وتخدم النتائج المقدمة، وهذه الطريقة التي اتبعها سيبويه تتم عن أن يكون الإقناع هدفاً وسيلته (المنزلة)، وأن امتلاك الإقناع لحد (هو) حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده<sup>(٦)</sup>. يُعمق وصف المنزلة أنها فعل متعدد الصور يسعى لإحداث تأثير، أو تغيير، إما بفعل، أو ترك، ويوجب أن يمتلك المقنع كفاية تواصلية واقناعية تتميز هذه الكفاءة بمهارات هي:

١. مهارة التحليل والابتكار.

٢. مهارة العرض المنظم للأفكار.

٣. مهارة فهم دوافع تساؤلات واعتراضات المتلقي.

إن الإيماء إلى هذه المهارات ليس من باب التصنيف، بقدر ما هي إطار لم يفت سيبويه اتخاذه هيكلًا يبني عليه حججه على وفق مرجعية ثقافية سائدة ومشتركة بينه وبين متلقيه بعيداً عن المغالطات الوصفية.

إننا ههنا لا نرتجل القول بنجاح سيبويه في الإقناع المرتد إلى الاستدلال، بقدر ما تكفّلت به رؤيته في تحديد ذلك الإقناع المرتكز على وسيلة تصريفية لغاياته وهي (المنزلة)<sup>(٧)</sup> ويفهم من ذلك أنه اعتمد أسساً لبيانها يراها المتمعن في:

٦- منهاج البلغاء ص ٢٠.

٧- مثلت المنزلة عند سيبويه قانون الاستقراء اللغوي مما مهد لظهور القياس المنطقي بعد ذلك، يتضح هذا الأمر عبر إحصاء موارد ذكرها إذ ورد ذكرها (١٧٩٧) مرة في الكتاب:

- في الجزء الأول ذُكرت (٥٩٤) مرة.

- في الجزء الثاني ذُكرت (٦٩٩) مرة.

- في الجزء الثالث ذُكرت (٤٨٦) مرة.

- في الجزء الرابع ذُكرت (١٨) مرة. وهذا العدد قليل بإزاء الأجزاء الأولى، مما يقودنا إلى القول بظن منا أن الإحاطة بدلالاتها قد تبينت سلفاً، فلم يحتج إلى التكرار، فتجنب بها الإعادة؛ لأنها وسيلته في الإحالة على مواضع متقدمة. هذا من جانب ومن جانب آخر أنه تعامل في الأجزاء الأولى مع التراكم فلها دلالات تحتاج معها إلى تمثيل، أو عرض مشابهة، أو مساواة، أو نفي تلك المساواة مما تطلب معه الكثرة في استعمالها لحاجة التحليل، أو التعليل، أو الإيضاح. وننوه إلى أن استعمال هذه المفردة قد اختفى بعد سيبويه عند النحاة الخالفين إلّا في إشارات قليلة ورد ذكرها، منها إشارة ابن جني في الخصائص في حديثه عن عدم جواز تقديم المستثنى على الفعل الناصب في ٣٨٤/٢ - ٣٨٥ و ٢٤٩/١، وإشارة ابن هشام في حديثه عن السين المهملة، وكلتا الإشارتين في معنى (موضع النزول)، أي: المكان. وإن زاد ابن هشام معنى آخر، وهو (المشابهة) في حديثه عن (سي) في (لاسيما)، فهو مشابه (مثل) وزنا ومعنى. ينظر المعنى ٢٧٥/١ و ٢٧٦/١.

١. النصوص نفسها : من حيث إنّ لها عمقاً ومكوّنات لا يمكن أن تفهم من دون التعريف بها وتعيينها ووصفها ببيان العلاقات الممكنة فيها.

٢. المعرفة النظرية: التي تعود إلى التصورات التي يمتلكها سيويه ، عن الوقائع الخاصة بالدلالة وسبل إنتاجها والمواد الحاملة لها ، فقراءته التحليلية إنّما جاءت معززة بالمعرفة الإنسانية من أجل وصف المعنى.

٣. ثقافة المتلقي وقدرته على استحضار مرجعيات النصوص ، سواء أكانت ثقافية أم اجتماعية ، أم تأريخية ، أم نفسية ، وقدرته على الربط بين ما هو معطى بصورة مباشرة ومعارفه الموسوعية ، والأشياء القادرة على استحضار أمور قد لا تتجلى مباشرة في ظاهر النصوص ؛ بل تسلك مسلك الظل يدركها المتلقي إدراكه لمن هي ظل له ، فهاهو يصبّ معطيات أسسه الاقناعية في تصميم نصّه في باب "حتى" إذ يقول : ((فحتى ههنا بمنزلة إذا وإنّما هي ههنا كحرف من حروف الابتداء... ويدلّك على "حتى" أنّها حرف من حروف الابتداء أنّك تقول: "حتى أنّه ليفعل ذاك" ، كما تقول: "فإذا أنّه يفعل ذاك"... ومثل ذلك: "مرض حتى يمرّ به الطائر فيرحمه))<sup>(٨)</sup>. فقد أسفر النص السيويهي عن استيعاب وإدراك لغوي وظّف له أداة (المنزلة) وعكست ثنائية اللغة والكلام ، فقد حدد القيمة اللغوية لـ "حتى" بتعيين سماتها التمييزية بأنّها للإبتداء منطلقاً من هذا المنظور الوصفي إلى مرتكزات خارجية يحددها النظام العرفي والتداولي للغة في المواقف الواقعية في إفادة معنى المبالغة ، فهو يتلقى الرحمة مما يمرّ به من طائر ، واستناداً إلى مبدأ ثنائية اللغة والكلام نرى أنّ لمنهجية (المنزلة) آلية حجاجية تبنّاها سيويه في تناول الأفكار اللغوية في صياغة تداولية للإقناع أتخذت بعدين :

- الأول : بعد يعكسه المبني .

- والآخر : بعد حوارى (بآليته التشخيص والمقام). إذا ما أخذ بالحسبان أنّ الحوار تفاعل الذوات مع محيطها الخطابى بوصفه خاصية تداولية ، للخطابات الحجاجية. يبدو أنّ الجامع بين البعدين هو تشبيه قول بقول آخر بينهما مشابهة لبيّن أحدهما الآخر ، ويصوره في برهانية ترك أثرها في المتلقي بتغيير المنظور الأول ، واستحداث منظور جديد غير أنّ المشابهة في المنزلة ههنا تعلق قيمتها على مفهومها المستهلك بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة أبداً ، ومن ثمّ عدت عاملاً أساسياً في عملية الإبداع باستعمال سيويه لها حجاجاً مقارنياً ، إمّا عن طريق عرض معادلة صورية خالصة ، وإمّا عن طريق الانطلاق من التجربة بهدف إفهام الفكرة سعياً لأن تكون الفكرة مقبولة بنقلها من مجال إلى مجال مغاير.

فالمنزلة جمعت بين التأثير النظري ، والتأثير السلوكي العملي ، وهي رؤية جديدة بالفعل فكان الاستدلال الحجاجي بها إنجازاً لعمليين ، عمل التصريح بالحجة من جهة ، وعمل الاستنتاج من

جهة أخرى ، انطلاقاً من محاولة إثبات وجود شيءٍ مُعَيَّن عبر النموذج الثنائي المتضاد (بمنزلة - ليس بمنزلة). ذلك أن معنى الإثبات يقتضي مثبتاً ومثبتاً له وكذا حال النفي إذ يقتضي منفيّاً ومنفيّاً عنه ، ومن ثمة يكون هناك إثبات عدم وجود ذلك الشيء المنفي ، ففي كلتا الحالتين يقع الإثبات ، وهو ما دعاه إلى أن يظلّ مخلصاً لطريقته الخاصة في البحث عن إجابات ، لا تلبث أن تثمر هي الأخرى عن تساؤلات جديدة بطرق منهجية ، بما أكسب بحثه اللغوي توجهات فكرية تحاول قراءتنا للمنزلة أن تكشف عن العقل الكامن وراء النظام .

ويظهر أن سيبويه قد أقام المنزلة في ظل أن تكون في صلب الجهاز التواصلية لإدراك الكلام وإقامة الحجج .

### المبحث الأول: الأساس الأصولي (المعرفي) في استعمال المنزلة .

ونعني به البعد الذي يبحث في اللوازم الذهنية العامة التي تتطلبها عملية إنتاج الكلام ((فمن دون تلك العمليات العقلية تفقد المكونات اللغوية قدرتها الأدائية في الاستعمال))<sup>(٩)</sup> .

إن عائدة النظام اللغوي الاجتماعية لجماعة بشرية معينة ، تؤسس عند سيبويه على افتراض أن اللغة نظاماً محكماً من الضروري اكتشافه ، وأن هذا النظام ليس ابتكاراً لشخص بعينه ، بل هو نظام للجماعة اللغوية ، فيتلاءم معيار المنزلة ههنا والمبدأ التفسيري ، ذلك المبدأ الذي يجعلنا نصنّفه حين ترتبط دلالة المنزلة به إلى :

١ - التفسير بالمنزلة للإيضاح : وهو مبني على أساس دلالي يُزيل المعنى الثاني الإبهام في المعنى الأول إلا أنه ليس من قبيل التكرار بقدر ما هو إيضاح وإثارة للقدر المعرفية في المتلقي جاء في هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين) قوله: ((وان قلت : رأيتُ ، فأردتَ رؤية العين ، أو وجدتُ ، فأردتَ وجدان الضالة ، فهو بمنزلة ضربتُ ، ولكنك إنما تريد بوجدتُ ، علمتُ ، وبرأيتُ ذلك أيضاً ألا ترى أنه يجوز للأعمى أن يقول : رأيتُ زيداً الصالح . وقد يكون علمتُ ، بمنزلة عرفتُ ، لا تريد إلّا لعلم الأول ، فمن ذلك قوله تعالى : " وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ " <sup>(١٠)</sup> . وقال سبحانه : " وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَأ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ " <sup>(١١)</sup> . فهي ههنا بمنزلة عرفتُ ، كما كانت رأيتُ على وجهين)) <sup>(١٢)</sup> . إن المقاربة بين العلم والمعرفة - عند سيبويه - ربما فرضها النمط

٩ - كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات ص ٢٦ .

١٠ - البقرة/٦٥ .

١١ - الأنفال/٦٠ .

١٢ - الكتاب ١/٤٠ وأورد سيبويه زعم الخليل في بيت الأسود بن يعفر :

أحفاً بني أبناء سلمى بن جندل تهديدكم إياي وسط المجالس .  
أن التهدهنا بمنزلة الرحيل بعد غد ، ينظر الكتاب ٣/١٣٦ .

النحوي المقتضي حدود قوة التعدي المتفاوتة في الفعلين إلّا أنّ خلفية علم الكلام لا تتوارى ههنا. (١٣) مما يشي بالقول إنّ نزوع سيبويه نحو تفسير كلام العرب وتركيباته وآلية فهمه، لم تكن عند تخوم النظر النحوي فحسب.

٢- التفسير بالمنزلة للتعليل: وهو أن يُسوّغ ما بعد المنزلة للمشكل قبلها، من حيث إنّ الأصل في الأحكام التعليل ونركن إلى نص سيبويه إذ يقول: ((وقد جاء من الفعل ما قد أنفذ إلى مفعول ولم يقو قوة غيره مما قد تعدى إلى مفعول وذلك قولك: امتلأت ماءً وتفقت شحمًا، ولا تقول: امتلأته، ولا تفقتاه ولا يعمل في غيره من المعارف، ولا يقدم المفعول فيه، فتقول: ماءً امتلأت، كما لا يقدم المفعول فيه في الصفة المشبهة، ولا في هذه الأسماء؛ لأنّها ليست كالفاعل، وذلك؛ لأنّه فعل لا يتعدى إلى مفعول، وإنّما هو بمنزلة الانفعال لا يتعدى إلى مفعول نحو: كسرتُهُ فانكسر ودفعته فاندفع)) (١٤).

إنّ للعامل قيمة كبرى جعلته يقارب بين الصفة المشبهة ومجموعة محددة من الأفعال بناءً على مشابهة شكلية في عملهما فالأفعال المذكورة في النص السيبويهي هي أفعال لا تتعدى إلى مفعول به وهو يقرنها (بمنزلة الإنفعال). ويستقطب سيبويه مصطلح (المفعول فيه) ليدلّ على أنّ نصبها للمفعول إنّما هو نفاذ غير مباشر فهو مفعول كمفعول الملحقات بالفعل؛ لأنّها ليست كالفعل في القوة، ولعمري أنّ أبا بشر أحدث توازنًا بصورة تلقائية بين علاقة العنصر والموقع والوظيفة فجاءت علاقة منتجة في إطار حجاجي محتوعلى مقدمات ظنية قابلة للمناقشة وصولاً إلى إثبات صدق القضية. إذ التعليل النحوي أمر احتمالي يقوم على الفرض ووظيفته تسويغ النمط الاستعمالي للكلام يؤازر ذلك قول الخليل:

((إنّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإنّ لم يُنقل ذلك عنها، واعتلت أنا بما عندي أنّه علة لما اعتلته منه، فإنّ أكن أصبت العلة فهو الذي التمس، وإنّ لم تكن هناك علة له، فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم، دخل داراً محكمة البناء، عجبية النظم والأقسام، وقد صحّت عنده حكمة بانيتها بالخبر الصادق، أو بالبراهين الواضحة، والحجج اللائحة، فكلّمها وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنّما هذا هكذا، لعلة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا، سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجاز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلّا أنّ ذلك مما ذكره هذا الرجل، محتمل أن يكون علة لذلك. فإنّ سنح لغيري علة لما اعتلته في النحو، فهو

١٣ - ذهب د. إدريس مقبول إلى أنّ مذهب سيبويه في ترادف العلم والمعرفة هو نفسه مذهب المعتزلة مستدلّاً على ذلك بالنص أعلاه. ينظر الأسس الاستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ص ١٩٩ و ص ٢٠١.

١٤ - الكتاب ١/٢٠٤ - ٢٠٥ وينظر ١/٩٠ - ٩١.

أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها)).<sup>(١٥)</sup> فبالعلل تتجلى صور الفرضيات ، ويكشف عن الظواهر ، ويمثل هذا الطرح يتبين مقدار حاجة النحو إلى هذا النهج من التفكير.

٣- التفسير بالمنزلة للتضمنين : وهو التفسير الذي يقترح مما يسمى في اللغويات الحديثة بمبدأ (الانضواء)<sup>(١٦)</sup> . الدال على احتواء عنصر بنيوي على دلالة ضمنية ، نستقرؤه من نص سيبويه : ((تقول : لاتأيني فتحدّثني لم تُرد أن تُدخل الآخر فيما دخل فيه الأول فتقول : لا تأيني ولا تحدّثني ، ولكنك لما حولت المعنى عن ذلك تحول إلى الاسم كأنك قلت : ليس يكون منك إتيان فحديث ، فلما أردت ذلك استحال أن تضمّ الفعل إلى الاسم ، فأضمروا "أن" ؛ لأن "أن" مع الفعل بمنزلة الاسم ، فلما نووا أن يكون الأول بمنزلة قولهم : لم يكن إتيان . استحالوا أن يضموا الفعل إليه ، فلما أضمروا أن حسن ؛ لأنه مع الفعل بمنزلة الاسم)).<sup>(١٧)</sup>

فالفعل هنا بمنزلة الاسم بقيام علاقة الاشتمال الضمني - احتوائه الحدث (الإتيان) - فقد رصد سيبويه سلوكاً متميزاً لـ (أن) الناصبة ومعمولها الفعل ، في أنها تسلك مسلك التركيبات العبارية مما يجعلها تقع موقع الاسماء في الجملة ، بمعنى أن الحرف (أن) وصلته (الفعل) يشغل في الجملة موقع الاسم ، يدل على ذلك ما جاء في أحد الأبواب قوله : (( هذا باب من أبواب أن التي تكون والفعل بمنزلة المصدر . تقول : أن تأيني خير لك . كأنك قلت : الإتيان خير لك ))<sup>(١٨)</sup> . وليس معنى ذلك أنها وصلتها بمعنى الاسم (زيد) و(عمر) ، بل أراد بها سيبويه الاسمية مفهوماً .

٤- التفسير بالمنزلة لتأصيل الأصناف : وهو أن ما بعد المنزلة يوضح السبب ، ومما يؤكد قيمة هذا الضرب من التفسير بالمنزلة ، أن سيبويه يؤصل تصنيف الفعل غيره بالنظر إلى الحدث بوصفه صنفاً معرفياً قائماً بذاته كمن في الفعل ، يقول : (( ألا ترى أن قولك : قد ذهب بمنزلة قولك : قد كان منه ذهب . وإذا قلت : ضرب عبد الله ، لم يستين أن المفعول زيداً أو عمرو ، ولا يدل على صنف ، كما أن ذهب قد دل على صنف ، وهو الذهب ، وذلك قولك : ذهب عبد الله الشديد ، وقعد قعدة سوء ، وقعد قعدتين . لما عمل في المرة منه والمرتين ، وما يكون ضرباً منه ))<sup>(١٩)</sup> .

فالحدث عند سيبويه عامل رئيس في البنية التركيبية يحيل على ذلك قوله : (عمل في المرة والمرتين) فهو يدعم هذه الفكرة بالمستويات التمثيلية ، بقوله : ((وما يكون ضرباً منه ، فمن ذلك : قعد القرفصاء واشتمل الصماء ورجع القهقري ؛ لأنه ضرب من فعله الذي أخذ منه))<sup>(٢٠)</sup> . ويبيّن سيبويه سبب رؤيته هذه ، فالمسألة هنا تخضع لتصنيفات - وهي تصنيفات تكون في بعدها الأول

١٥ - الإيضاح في علل النحوص ٦٦ .

١٦ - يقصد بالانضواء تضمّن عنصر بنيوي دلالة ضمنية ثانية ، ينظر مدخل إلى علم اللغة (تود) ص ٩٦ ، واللسانيات والبيداغوجيا ص ١٤١ و ص ١٧٢ وعلم المعاني (عتيق) ص ١٤٠ .

١٧ - الكتاب ٢٨/٣ .

١٨ - الكتاب ١٥٣/٣ .

١٩ - الكتاب ٣٤/١ - ٣٥ .

٢٠ - الكتاب ٣٥/١ .

محاكية لحركة الفعل وقد تمتد لما هو أبعد من ذلك - ذات بُعد احيالي مباشر ومرتبطة بقيم التركيب والترابط الحاصل بين أجزاء هذا التركيب فالفعل عند سيبويه أخذ ((من لفظ أحداث الأسماء))<sup>(٢١)</sup> فالذهاب في (ذهب) حالة تمثيلية خاصة بالفعل بأسبقية متصورة.

ويتوغل سيبويه في أبعاد هذا التفسير ضمن نص آخر قائلاً: ((الترى أنك إذا قلت: ضاربٌ رجلاً، أو مأخوذ بك، وأنت تبتدئ الكلام احتجت ههنا إلى الخبر، كما احتجت إليه في قولك: زيدٌ وضاربٌ، ومنك بمنزلة شيء من الاسم في أنه لم يسند إلى مسند وصار كمال الاسم، كما أن المضاف إليه منتهى الاسم وكماله))<sup>(٢٢)</sup>.

فسيبويه ههنا يظهر قضية مهمة جداً، وهي أقل ما يتألف منه الكلام بحثاً عن نواته التي هي عبارة عن وحدات غير قابلة للتحليل تُشكل البنية الأساس للنظري في وحدات التركيب للكلام العربي، وإيضاح السبب، ويلحظ من توظيف المنزلة ههنا إيماء منه إلى أن فهمه للنواة بوصفها ((مستوى تجريدي في فهم الجملة، يكون من الناحية اللغوية قبلياً عن انشاء الكلام، وتتخذ فيه الجملة نمطاً مثالياً لها وقد يظهر هذا النمط عند الاستعمال، وقد لا يظهر ويتم عن هذا النمط أو هذه البنية تحقق نمطين أساسيين سيصبحان "البنية الاعمق" وستكون هذه الأنماط ممثلة للبنية العميقة للجملة المتحققة لهذه الأنماط)).<sup>(٢٣)</sup>

ومقياس الانتقاء يجعلنا إزاء نص آخر يقول سيبويه فيه: ((ومما يُختار فيه النصب لنصب الأول، ويكون الحرف الذي بين الأول والآخر، بمنزلة الواو والفاء وثم، قولك: لقيت القوم كلهم حتى عبد الله لقيته، وضربت القوم حتى زيداً ضربت أباه، وأتيت القوم أجمعين حتى زيدا مررت به، ومررت بالقوم حتى زيدا مررت به، ف"حتى" تجري مجرى الواو وثم وليست بمنزلة أما؛ لأنها إنما تكون على الكلام الذي قبلها ولا تبتدئ))<sup>(٢٤)</sup>. إنها لفظة ذكية من سيبويه حين يولي بعض الحالات عناية، بأن يكون الجوار فيها أقوى من البناء، ومن مواضعها ما أورده مع "حتى" موضعاً سبب ذلك مشابعتها لحروف العطف (الواو والفاء)، فجمع في نصه تنوعات نمطية لها بأن (عبد الله) في المثال الأول قد حمل على اللفظ المجاور (القوم) فالعامل عمل في مضمير يربط الاسم بالمفعول المتقدم احيالياً، ويتفق (زيد) في المثال الثاني مع (عبد الله) في الحمل على الجوار إلا أن العامل عمل في مضمير على نحو غير مباشر بوقوعه على شيء من سببه، وحمل المفعول على المفعول المجاور في المثال الثالث، إلا أن الفعل يعمل في مضمير على نحو غير مباشر، أي: وصل إليه عبر الحرف. أما المثال الأخير فقد حمل المفعول على موقع المجاور وليس من لفظه. ولأبي بشر شأن في الإبداع ههنا، في أنه يحفز متلقيه، بتكرار متتاليات لغوية تقتضي عدداً من الملامح البارزة، أتت في مقدمتها أن

٢١ - الكتاب ١/١٢٠.

٢٢ - الكتاب ٣/٣٢٨ - ٣٢٩.

٢٣ - مفهوم الجملة عند سيبويه ص ٢٢٢.

٢٤ - الكتاب ١/٩٦.

عمليات تكوينها تتجه بصفة خاصة إلى الجانب الدلالي ، فالنصوص المنظمة عن طريق النحو والدلالة تفرض نفسها على الذاكرة ، فتكون قابلة للاستمرار فيكفل التكرار - حينما يكون الطابع النبوي نفسه<sup>(٢٥)</sup> سبيل الحفظ والاسترجاع ، وهو ما يمكننا من القول إن سيويه اعتمد استراتيجية تعليمية تقوم على التكرار.

وجدير بالتنويه أيضاً أن الأنماط التي ذكرها سيويه تتساند إلى مبدأي التسوية والتعديل ، من حيث إن المادة اللغوية واحدة (حتى) ، إلا أن ما بعدها يشتمل على الانسجام مع ما قبلها بأثارها السماعية ، عن طريق أخذ العلامة الإعرابية نفسها. فانبناء الهاجس اللغوي ، إنما يتردد إلى مرجعيات نفسية تكيفها لاختيار ترميز مشابه لما قبل الأداة (حتى) ، فالتنوعات البنائية يكسوها سيويه بعداً صوتياً لسانياً وليد الانفعال. ويبدو أن هذا الجانب مسكوت عنه في الكتاب ، وهو جانب يُشخص قيم التفاعل النفسي المنطوية عليه فاعلية هذه العناصر البنائية نطقاً ، بأن تكون معيارية إيقاعية تحتفظ في عباراتها بكثير من الامتيازات الإيقاعية ، وكأن سيويه يوحى إلى نشاط لسانى يقوم على تداعي العناصر على وفق قانون طبيعي وهو قانون الخفة ، بتتابع الحركات ، يجد له مصداقية بالغة في نصوصه تمنحه أهلية الاختيار الإيقاعي المبرر نفسياً ولسانياً وسماعياً فيكون ذلك سبيله المنزلة في فهم آليات قانون الاستخفاف الذي يتم بالمجاورة.

٥- التفسير بالمنزلة للإجمال: وفيه يوسع سيويه دائرة معالجته التحليلية للمكونات اللغوية فعلى الرغم من تطبيق المسلك التفكيكي في تحليلاته إلا أنه يجمل بالحكم بما هو بعد المنزلة ، فقد عرّج على (أم) المنقطة مقدماً مسحاً شاملاً ، في أنها تأتي بعد الخبر ، وبعد الاستفهام ، وفي مظهر مجمل هو (الانقطاع) ، فيقول: ((ويدلّك على أن هذا الآخر منقطع عن الأول ، قول الرجل: إنها لإبل ثم يقول: أم شاء يا قوم. فكما جاءت أم ههنا بعد الخبر منقطعة ، كذلك تجيء بعد الاستفهام... وبمنزلة أم ههنا قوله عز وجل: "الم (١) تَنْزِيلَ الْكِتَابِ لَأرَبِّ فِيهِ مِنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ"<sup>(٢٦)</sup>... ومثل ذلك: " أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ "<sup>(٢٧)</sup>

كأن فرعون قال: أفلا تبصرون أم أنتم بصراء ؛ لأنهم لو قالوا: أنت خير منه ، كان بمنزلة قولهم: نحن بصراء عنده ، وكذلك: أم أنا خير ، بمنزلة لو قال: أم أنتم بصراء<sup>(٢٨)</sup>)). ويؤكد هذا الإجمال بالاستشهاد بمواضع قرآنية لها ، زيادة في الكشف وتتميماً للبيان ؛ لأن آياته برهان صدق ينطلق منها إلى تفسير تحليلي يثبت فيه أنها تبقى منقطعة على الرغم من وقوع التغيرات

٢٥ - نعتي بالطابع النبوي ههنا نسق (حتى) مع الاسم المنصوب بعدها في المتاليات المذكورة في النص السيبويهي.

٢٦ - السجدة ١ و٢.

٢٧ - الزخرف ٥١ و٥٢.

٢٨ - الكتاب ٣/١٧٣.

لحيثها، خبراً واستفهاماً. ولا يقتصر الإجمال على الأداة، بل أن بنيتها التفسيرية تتسع لتشمل أنماط الكلام، وتبرز هذه المسألة في بعض الأنماط الخبرية التي قد تنزل منزلة أنماط الأمر والنهي بالارتكان إلى بنيتها العميقة المدولة عن دلالتها الإخبارية إلى دلالة طلبية، وقد عالج سيويه هذه الازدواجية في ((باب الحروف التي تنزل منزلة الأمر والنهي؛ لأن فيها معنى الأمر والنهي)).<sup>(٢٩)</sup> مثلاً لذلك بـ ((حسبك ينم الناس. ومثل ذلك: اتقى الله امرؤ، وفعل خيراً يثب عليه؛ لأن فيه معنى لبتق الله امرؤ، وليفعل خيراً، وكذلك ما أشبه هذا)).<sup>(٢٩)</sup> فقد جعل سيويه المعنى عاملاً جوهرياً في تفسير النحو، ويشرع في وضع ضوابط تفسر نظام الإعراب من حيث إن القول بالعمل ههنا - أعني عمل العناصر اللغوية بعضها ببعض - ليس على وجه الحقيقة، بل على وجه العلاقات المطردة الثابتة بينها في تلازمها ((والقول بالعمل افتراض في التحليل الداخلي أعانهم على تفسير كثير من الظواهر في الإعراب وما يتعلق به))<sup>(٣٠)</sup>. فالعنصر الإخباري "حسبك" في قول العرب: "حسبك الحديث ينم الناس". تتحدد دلالاته بـ "اكف"، واختيار هذه الدلالة، إنما جاء لورود العنصر الفعلي الثاني "ينم" مجزوماً؛ لعدم استغناء تحقيقه عن تحقق مضمون العنصر الأول المدلول عليه بالنمط الإخباري<sup>(٣١)</sup>.

واخال أن علاقة التداعي بين أنواع التفسير والمنزلة يؤكد ضرورة ملاءمة المفسر للأمر المفسر، ولا يخرج عما به حاجة إلى تفسير بما يضيف جديداً يوضح الأول. ولولا ذلك لما كان هناك مسوغ لتوظيفه.

ونشير إلى أن دقة استعمال سيويه لمفهوم المنزلة ههنا أوجب خلق بنية علمية هرمية لها قاعدتها الاستقرائية، وتقنياتها التحليلية، ووسائلها التفسيرية؛ لأن التفسير نظرية تفسر الاستقراء والتحليل أي الوصف والقانون، فيكون بذلك أسمى أهداف المشروع العلمي.

### المبحث الثاني: المنزلة والتمثيل قياس في الافتراض الدلالي للكلام ومكوناته.

يصف الخطاب العلمي، المحتوى المعرفي المبني بناءً محكماً، بأنه تقنية تفسيرية منظمة تجمع بين مفاهيم تدل على مجال البحث، والبراهين التي يتم تقديمها في إطار الظواهر المدروسة، فتكون للخطاب العلمي وظيفة، هي نقل هذا المحتوى. ولما كان الحجاج النظري عند سيويه يسير باتجاهين:

- الأول: في إثبات شيء على وجه الترغيب.
- الثاني: في إبطال شيء على وجه التنفير.

٢٩ - الكتاب ٣/١٠٠.

٣٠ - نظرية النحو العربي ص ٢٤.

٣١ - ينظر شرح الأشموني ٣/٥٦٩ - ٥٧٠ وعناصر النظرية النحوية ص ١٧٣ والبحث الدلالي في كتاب سيويه ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

فإن التمثيل كان واحداً من سبل الحجاج ، له مرتكزات ذهنية أولية يأتي به إيضاحاً للقاعدة وإيصالها إلى المتلقي فهو ليس برهاناً أو دليلاً قاطعاً على قدر ما يكون حجة مقنعة ، وقد خضعت المنزلة مع التمثيل لمنهجية علمية بوصفها إفرازاً دالاً للغة ، حينما صيرها سيويه موضوع بحث عقلي ينمي على أساس تجريدي فكانت وسيلة ناجحة في متابعة البحث عن المبادئ التفسيرية التي تنفذ إلى عمق الظاهرة النحوية. وقد تحكّم سيويه في تنظيم الهيكل التنفيذي للمنزلة مع التمثيل بذكر وضعين لهما:

- الأول : علمي من جهة تقرير الحقائق.

- والآخر: فني من جهة التصوير والتخييل.

فإذا كان التمثيل عنده احتجاج عقلي - وفي هدي الإدراك لحدّ (المثال) أنه: ((اللفظ الدال على المعنى المجرد في الذهن عن كل ما من شأنه أن يقترن به فهو النموذج أو الجزئي الذي يُذكر لإيضاح القاعدة))<sup>(٣٢)</sup> - فحينئذ تتجلى لنا حقيقة أن اعتماد المقايسة الجدلية تجعل مناقشة القضايا اللغوية مناقشة علمية. ومن أبرز نصوص الكتاب التي تُفصح عن ذلك قول سيويه في باب التعجب: ((هذا باب ما يعمل عمل الفعل ، ولم يجر مجرى الفعل ولم يتمكّن تمكّنه ، وذلك قولك : ما أحسن عبد الله. زعم الخليل أنه بمنزلة قولك : شيء أحسن عبد الله ، ودخله معنى التعجب ، وهذا تمثيل ولم يتكلم به))<sup>(٣٣)</sup>.

إن محاولة سيويه ترجمة لغة التجربة إلى لغة افتراضية في باب التعجب - أفادها من الخليل (شيء أحسن زيدا) ، - إنما هي محاولة لتحديد العلاقات بين الظواهر اللغوية وصياغتها صياغة رمزية مجردة في تكامل خلاق بين العقل والتقنية (النظرية والواقع). مما أنتج نحواً صورياً في صورة مخالفة للوصف الصوري الخالف ، من حيث إن الأخير يمتنع عن وصف المحتوى الدلالي للمقولة النحوية ، إلا أنّ الدرس النحوي الصوري عند أبي بشر يقوم على وصف العلاقات الكامنة بين رموز اللغة - موضع الدراسة - ولكن من دون تجريد للتأويل ، فجاءت نظريته متفردة في وصف القواعد اللغوية ببعدها عن الغموض من جهة ، واطهار الملامح الدلالية في الدراسة من جهة أخرى وهو ما يُحيل عليه قوله: "ودخله معنى التعجب". فالتمثيل بمفهوم المنزلة عند سيويه يجعلنا أمام نوعين من النماذج اللسانية ، الثانية نماذج ممثلة - عبر معالجة علاقتها مع الشكل والمعنى - للنماذج الأولى التي تهتم بالتأليف بين أجزائها الأساسية ، ومر يقود التأمل فيه إلى مسألة مهمة ، هي أنه إذا كان الكلام عند سيويه نشاطاً معرفياً ، فإن مقابله بين مفهوم المنزلة ، ومفهوم تمثيل ولم يتكلم به

٣٢ - المنزح البديع ص ١٦٨ ، وينظر الشاهد الشعري في النقد والبلاغة (فضايا وظواهر ونماذج) ص ٣٢.

٣٣ - الكتاب ١/ ٧٢.

إنما جاء ضرورة لمراعاة القدرة على امتلاك اللغة واستعمالها في تحليل افتراض الممكن في البنية الأصلية لتأويل البنية المنجزة. وليس هناك أدق من تعبير "تمثيل" ولم يتكلم به. للدلالة على الطابع الافتراضي<sup>(٣٤)</sup>. لرؤية سيبويه المنهجية للبنية العميقة، ويسحب هذه الرؤية إلى أن يقدم عبرها اجتهادات دقيقة للتفريق في المستوى اللساني بين التجريد والاستعمال الخطابي، في محاولة منه للسيطرة على الظاهرة اللغوية المخترقة للقاعدة النحوية بإيجاد الحلول المناسبة بوصف تلك الحلول نتائج تتمثل بالتأويل والتقدير.<sup>(٣٥)</sup> ونجد ذلك بالأرتكان إلى موضع آخر في كتابه يكشف لنا عن منهجيته العميقة في إطار القبليّة اللغوية إذ يقول: ((... ونظير جعلهم لم آتِك ولا آتِيك وما أشبهه بمنزلة الاسم في النية حتى كأنهم قالوا: لم يك إتيان، إنشاد بعض العرب قول الفرزدق:<sup>(٣٦)</sup>

مشائيم ليسوا مُصلحين عشيرةً  
ولاناعبِ إلّا بيّن غرابها<sup>(٣٧)</sup>

... لما كان الأول تستعمل فيه الباء ولا تغير المعنى، وكانت مما يلزم الأول نونها في الحرف الآخر، حتى كأنهم قد تكلموا بها في الأول، وكذلك صار "لم آتِك" بمنزلة لفظهم بـ"لم يكن إتيان"؛ لأن المعنى واحد. واعلم أن ما ينتصب في باب الفاء، قد ينتصب على غير معنى واحد... فالنصب ههنا في التمثيل، كأنك قلت: "لم يكن إتيان فأن تحدث"، والمعنى على غير ذلك، كما أن معنى علم الله لأفعلن، معنى: رزق الله<sup>(٣٨)</sup>). إذن إيراد المنزلة لا يشترط فيها وحدة المعنى، ما يعني أنها تقترن بالمستوى الافتراضي الفعلي القائم على تصورات هيكلية للنمط المدروس.

حاول سيبويه عقد مواءمة بين الصيغتين (لم يفعل ويفعل)، أي: (لم آتِك ولا آتِيك)، و(أتى وأحدث)، وهما مختلفان في الدلالة الزمنية، إلّا أن ضابطاً أساساً حل محل هذا التباعد باشتغال الفعلين (لم آتِك وأتى) في بنيتها المجردة على الحدث وهو (الإتيان) فكان تقدير (أن) الناصبة إظهاراً للحدث ليتشاكل مع ظهور الحدث السابق (الإتيان) بوصفه موضوعاً اسمياً ويتضح ذلك في النص السابق عند قوله: ((كأنك قلت: لم يكن إتيان فأن تحدث والمعنى غير ذلك)). أي أن المعنى المراد في التمثيل هو (فحدث). فالقول بإضمار (أن) قبل الفعل، إنما هو مسألة تركيبية في البنية العميقة إلّا أنها مسألة دلالية في المنطوق الظاهر، فسيبويه يقيم تصورات التحليلية انطلاقاً من العقل الباطن وعلاقته الجدلية واللغوية بالوعي، بما أسهم في اضاءة محتوى النص والكشف عن مضمونه بتوضيح قوانين

٣٤ - ذكر الأستاذ الحلواني أن الافتراض أسلوب فقهي معروف كان عليه أبوحنيفة وشيوخه خاصة من رجال الدين وقد أفاد منه النحاة في زمن مبكر ينظر المفصل في تاريخ النحو العربي ١/١٦٩. ولعل في هذه المسألة ما يتكأ عليه سيبويه في إرسال معرفته العميقة بالفقه حينما يوظفه بجدارة في مقاربة بين التخيل والتصديق.

٣٥ - التقدير: "هو نية الشيء وتصور وجوده، وكثيراً ما يستعمل في المواطن التي يقع فيها الحذف، أو التي تحتاج فيها الكلمات إلى ما يكمل معانيها" ينظر معجم المصطلحات النحوية والصرفية ص ١٨٢.

٣٦ - ديوان الفرزدق ص ٢٣.

٣٧ - استشهد به سيبويه على حمل جر (ناعب) على معنى تقدير الباء الزائدة في (مصلحين) في النية، ينظر هامش الكتاب ٢٩/٣.

٣٨ - الكتاب ٢٩/٣ - ٣٠.

إنتاجه؛ لإدراكه أن هناك مستوى آخر من المعنى يفارق مستوى المعنى الناتج من تفاعل العلامات اللغوية مع معاني النحو، وهو تنظير أسس له بتركيب مفهوم المنزلة مع مفهوم (تمثيل ولم يتكلم به). وهونوع من تأسيس المعرفة والعلاقة مع الخارج ولكن انطلاقاً من الداخل، إذ يتم انتقاء المناسب من الألفاظ للتعبير عن المعنى المقصود في محاولة ربط المعاني الذهنية برموز حسية حيث تتحول تلك المعاني إلى أشكال لغوية وهو ما يحيل عليه قول سيويوه "لأن المعنى واحد"، و"المعنى على غير ذلك"، و"كما أن معنى"، فكانت منهجيته في التركيز على المعاني الذهنية والوجود الذهني - بوصفه مرحلة تسبق الكلام عبر قناة اللغة - طريقة واعية تعكس فيها ملكة الخيال أثراً في ترتيب المعاني وتركيبها وإحداث التناسب بينها. وبذلك لا تكون المعاني في الذهن مجرد انعكاس للمدركات، بل هي عامل جوهري في التفسير.

ويحتكم سيويوه إلى موضع آخر في كتابه يكشف لنا عبره، أن سبيل التمثيل تحول إلى الجانب الدلالي من أجل البحث عن تركيب أصل للألفاظ يكون بناءها العميق، إذ يقول: ((وكان قوله : **عمرك الله، وقعدك الله بمنزلة نشدك الله، وإن لم يتكلم بنشدك الله، ولكن زعم الخليل - رحمه الله - أن هذا تمثيل يمثل به**)<sup>(٣٩)</sup>.

فالمصادر (عمرك الله)، و(قعدك الله) دخل على تركيبهما معنى اليمين المفهوم من التمثيل بـ"نشدك الله"، بمعنى (نشدتك الله)، فاليمين معنى كساهما به الاستعمال، وما محاولة التشبيه بين (عمرك الله وقعدك الله)، إلتئبان أن الأصل في التركيب غير ذلك.

فالقواعد النحوية العلمية في مفهوم (تمثيل ولم يتكلم به)، بغض النظر عن مهمتها التفسيرية أو الوصفية، إنما هي محاولة لفهم الأنجاز الكلامي عن طريق الكشف عن قوانين ظواهره، وصياغتها صياغة رمزية تكفل ثبات العلاقة بين الظواهر. وقد طبق سيويوه رؤيته التحليلية بربط (التمثيل) بـ(المنزلة)، فهي تماثله بوصفها أداة للكشف عن نسق منطقي تفسيري للجملة من الأنماط المنجزة نطقاً، لا تكون الغاية منها تقديم تفسير للظواهر فحسب؛ بل؛ لأنها تعبر بكيفية مرضية عن مجموعة من القواعد، فتكون وظيفتها اقتصاد الجهود الذهني واضفاء النظام على الأنماط المنجزة.

هذا من جانب، ومن جانب آخر أن محاولة تفسير الظواهر، بالكشف عن عللها يسمح بتوسيع معرفتنا عن طريق توقع أنماط، أو التنبؤ بها، إذ يورد سيويوه نماذج يحللها في ضوء منهج موازن بين الهيئة الأصل والهيئة المستحدثة المتولدة، مرتكناً إلى السيرورة المعرفية عند المتكلم في ((باب الترقيم في الاسماء التي كل اسم منها من شيئين كانا بائنين، فضم أحدهما إلى صاحبه، فجعل اسماً واحداً بمنزلة عنتريس وحلكوك، وذلك مثل حضرموت... ومثل عمرويه، فزعم الخليل - رحمه الله - أنه

تُحذف الكلمة التي ضُمَّتْ إلى الصدر رأساً ، وقال: أراه بمنزلة الهاء))<sup>(٤٠)</sup>. ويُفهم من ذلك أنّ سيويه ابتكر ضرباً من التجويز العقلي ، تأتت موضوعيته في الكتاب من رصف مفهوم المنزلة إلى جانب مفهوم التمثيل ، مستنداً في صواب الحكم المعياري بهما إلى اتحاد مقدمتين معياريتين :

- أولاهما: الانتقال المنظم المبني على الترابط وإمكانية البرهنة بين خطوات البحث ، أي صحة العلاقات بين خطوات البحث ، من جهة خطوات البحث العلمي والتفكير السليم .

- وثانيتها: صحة المعلومة أي : صحة القانون أو القاعدة التي تضبط كل خطوة على حدة ((فالتفكير العلمي ينبغي أن يتصف بصواب المنهج وصواب المعلومة معاً)).<sup>(٤١)</sup>

وترتفع نسبة طاقة التمثيل ؛ لاستيحاء لون آخر من الإجراءات الأسلوبية ، يُقدّم فيه سيويه وصفاً للشروط المكوّنة للصورة ، عبر الكيفية التي يستطيع عن طريقها تحيّل شخص ما من دون وجوده ، وهو تمثّل يقوم بإشباع الانتظارات المتولدة عن التعرف ، وهي قراءة ذهنية سيويهية ليست بسيطة ، فقد نظر إلى الصورة المتخيّلة باعتبارها لحظة حية ليس لها أيّ موقع في مكان آخر إلّا في تأملات الذهن ، وتلك مسألة اخالها عميقة في تفكير سيويه ، في محاولة تمثيل ما لا يمكن أن نراه كما يبدو في الواقع ، بما يكسب هذه الصورة طابعاً خاصاً يكشف عن مظاهر كان من الممكن أن لا يلتقطها الإدراك المباشر ، وهو ما يجعلنا نؤكد أنّ سيويه مميّز بين الإدراك والتمثيل ، من حيث إنّ الإدراك يفترض بشكل قبلي وجود الشيء ، أمّا التمثيل فهو مرتبط استناداً إلى نمط تكونه إلى عنصر غائب غير معطى ، لا يمكن أن يظهر إلّا بوجود النشاط التمثيلي ، يدلّك على ذلك قوله: ((انته يافلان أمراً قاصداً، إلّا أنّ هذا يجوز لك فيه إظهار الفعل ، فإنّما ذكرت لك ذا ؛ لأمثّل لك الأول به ؛ لأنّه قد كثر في كلامهم ، حتى صار بمنزلة المثل فحذف كحذفهم مارأيت كالأيوم رجلاً))<sup>(٤٢)</sup>.

وينتج من هذه المحاولات التأليفية للعناصر المعرفية حضور شيء لم يكن موجوداً في تلك اللحظة ، بتقديم ضمانات لعناصر غير موجودة ، يعمل التمثيل على استحضارها .

إنّ براعة ما يقدمه سيويه ههنا باستناده إلى هذه المعارف ، أنّه يعتمد تقديم عناصر يفتح بها الوعي على الموضوع ، على الرغم من أنّها ليست عناصر داخل الوعي ، وهو ما يقود إلى تشكّل دلالي للنصوص يشرك فيه سيويه متلقيه بتحقيق البنية التي تقدّم له من أجل الكشف عن المعنى ، وإرساء دعائم إبلاغ ما ، وهو أفق واسع تموضع ضمن منظور معرفي سيويهية ، انطلاقاً من أنّه في أفكاره يستحضر أفكار الآخرين ، فيعتمد إلى صوغ أفكار في عالمه الذهني تنتمي إلى عالم ذهني آخر ، وتبدو معالجة سيويه تلك في نصّه: ((ومما يُضمّر ؛ لأنّه يفسّره ما بعده ، ولا يكون في موضعه مظهر ، قول العرب: أنّه كرام قومك ، وإنّه ذاهبة أمتك ، فالهاء إضمار الحديث الذي ذكرت بعد الهاء

٤٠ - الكتاب ٢/٢٦٧ .

٤١ - التفكير العلمي في النحو ص ١٨ .

٤٢ - الكتاب ١/٢٨٤ .

، كأنه في التقدير<sup>(٤٣)</sup>. وإن كان لا يتكلم به قال: إن الأمر ذاهبة أمتك، وفاعلة فلانة، فصار هذا الكلام كله خبراً للأمر، فكذلك ما بعد هذا في موضع خبره، وأما قولهم: نعم الرجل عبد الله، فهو بمنزلة ذهب أخوه عبد الله. عمل نعم في الرجل، ولم يعمل في عبد الله، وإذا قال: عبد الله نعم الرجل. فقيل له: من هو؟ فقال: عبد الله. وإذا قال: عبد الله، فكأنه قيل له: ما شأنه؟ فقال: نعم الرجل<sup>(٤٤)</sup>. فالسؤال هنا ليس له قيمة وصفية بقدر ما له قيمة حجاجية، ففعل السؤال يعكس هاجس اللغة التي بها الحوار، وبها السؤال، وبها الجواب فسيبويه يريد أن يضمن التفاعل واستمرارية التخاطب بينه وبين مخاطبه المتمثل افتراضاً، فأزاح التمثيل ههنا إلى المستوى الحوارى، حينما استنطق سيبويه مخاطبه المفترض من أجل الاهتداء والاسترشاد العلمى - العملي، على وفق سبل استدلالية متنوعة تجرُّ إلى الاقتناع برأي المحاور؛ ليكون ذلك أساساً يرتكز عليه سيبويه، وقد كمن عنده في بنية اللغة، ولم يكن صفة عرضية تميزت بها طروحاته، فاكتست طابعين:

- الأول: الطابع الاجتماعي، وهي تقنية سيبويهية بامتياز، إذ عمد إلى إبراز خطابية اللغة باستحضار مساهمات متكلميها لتحقيق أغراض معينة.

- والآخر: الطابع الجدلي القائم على الإقناع. ولما كان الإقناع لب العملية الحجاجية، بوصفه أثراً مستقبلياً يرجى تحقيقه بعد التلفظ بالخطاب، فقد كان من بين الوسائل المستعملة في عملية الإقناع المتميز بتوظيف التفكير في ثانيا عملية التواصل.

فثمة خيط رهيف شفاف يفصل بين الحالتين، الحالة الذهنية، وهي حالة نفسية تجعل وجود الصور في الأذهان حالة تجريدية، لم تتشكل بهيأة الدال والعبارة. والحالة الثانية، حالة الفهم، وهي حالة عقلية لحظة معرفية تصير نتيجة ارتباط اللفظ بصورة المعنى. وتمثل رؤيته هذه وقفة مهمة في تأمل الظاهرة اللغوية، وعمل النفس والعقل معاً فيها؛ لتشكيل العملية الإدراكية والمعرفية. يستقرى مما تقدم، أن الخيال لم يكن نشاطاً عقلياً فحسب؛ بل نجده عند سيبويه نشاطاً فعلاً يتكرر صوراً جديدة ويقيم علاقات بين أشياء لا يربطها في الواقع أدنى مشابهة.

وبناءً على ما تقدم فقد اهتدى سيبويه إلى جعل المنزلة تتجه نحو مخيلة الإبداع بتجاوز اللغة وحدود الواقع، فيستهدى إلى المعنى عن طريق تحريك الذهن مما يتطلب معالجة دينامية وابداعية.

### المبحث الثالث: الأساس التداولي في استعمال المنزلة.

يكتمل الفضاء الاستدلالي عند سيبويه بقيام لسانيات المحاور إلى جانب لسانيات الظواهر، من حيث إن الخصائص الصورية للنماذج تجعل بعضها ذا واقعية بكفايتها التجريبية. وبنوه بهذا الخصوص إلى فكرة القيمة القانونية، التي تقدم قولاً، بما له من سلطة معينة ترتبط بشكل وثيق

٤٣ - تعطي دلالة التقدير ههنا دلالة التمثيل نفسها، يدلّك على ذلك قول سيبويه "وإن كان لا يتكلم به".

٤٤ - الكتاب ١٧٦/٢ - ١٧٧ وينظر ٣٠٨/٤.

بالفرضية. ومن هنا فإن مدار بحثنا سيكون ضمن المجال الخطابى الذي يتموضع فيه المتكلم والمخاطب باعتماد المنزلة، وسيلة لتقديم الحجج، بما يؤدي إلى نتيجة معينة، فالحجاج بالمنزلة يتمثل في سلسلة استنتاجية (متواليات الأقوال)، فتكون الحجة بالمنزلة في ضوء هذا الإطار عبارة عن عنصر دلالي يقدمه سيبويه لصالح عنصر دلالي آخر بمختلف هيئاته (لفظ، أو جملة، أو مشهد، أو سلوك غير لفظي).

ولما كان فعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطاً معيناً من النتائج بوصفه الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، فإن الأداءات الحوارية - المباشرة وغير المباشرة - جاءت في كتاب سيبويه متنوعة، تبعاً لتغاير العلاقات التخاطبية بالإفادة من المقام، فترى السبيل الاحتجاجي يترجح فيه العمل على النظر.

إننا نقف على هذه الحقائق الحوارية الاستدلالية في الكتاب عبر (المنزلة والسؤال)؛ إذ يُعدّ استعمال أسلوب الاستفهام من الآليات اللغوية التوجيهية؛ لأنها توجه المتلقي نحو محتواها؛ للإجابة عنها. وقد أثر سيبويه أحياناً أن يعرض للمسائل في هيئة جوابات يسألها للخليل تقوية لموقفه الحجاجي بسوق كلام من يحظى باحترام علمي يقول: ((وسألته عن قوله: ما تدوم لي أدوم لك، فقال: ليس في هذا جزء، من قبل أن الفعل صلة لما، فصار بمنزلة الذي، وهو بصلته كالمصدر، ويقع على الحين، كأنه قال: أدوم لك دوامك لي. فما ودمت بمنزلة الدوام، ويدلّك على أن الجزء لا يكون ههنا أنك لا تستطيع أن تستفهم بما تدوم على هذا الحد))<sup>(٤٥)</sup>.

يستعين سيبويه بسؤال الخليل لا لمجرد الاسترشاد، فتعزيز الجواب بسرد للأدلة تكاتل ذلك يكون رداً لا اعتراض أو أشكال قد يثيره جواب مثل (ليس في هذا جزء)؛ لأنه بمنزلة (الدوام). فالجزء لا يقع في الاسماء ويربطه بالاستفهام قائلاً ((أنك لا تستطيع أن تستفهم))؛ لأن الأصل فيه أن يدخل على الأفعال.

لقد بنى سيبويه نصه في صورة استدلالية مجتمعة إلى أوثق اجتماع، فقد طوى مقدمات للوصول إلى نتيجة أنه لا يجوز الجزء ههنا، مسخراً الاستفهام كآلية لبلوغ القصد من الخطاب، وتنبعث المنزلة من نصه لتكون بمثابة معادل موضوعي في ذهن المحاور، لم يدور من تساؤلات في ذهن المتلقي. وتترأى مسألة تتعلق بالطبيعة المقصدية للسؤال، أن سيبويه قد يوظف الاستفهام لا لانتظار إجابة من المتلقي، وإنما لحصول التوجيه في مخاطبه، قصد النظر في المسائل التي عرضها عليه، وهي متصلة بخدمة المقصد الذي أراد، يقول: ((وتقول: أين ترى عبد الله قائماً؟ وهل ترى زيدا ذاهباً؟ لأن هل وأين كأنك لم تذكرهما؛ لأن ما بعدهما ابتداء، كأنك قلت: أ ترى زيدا ذاهباً؟ وأنظن عمراً منطلقاً. فإن قلت: أين وأنت تريد أن تجعلها بمنزلة فيها إذا استغنى بها الابتداء<sup>(٤٦)</sup>). قلت: أين ترى

٤٥ - الكتاب ١٠٢/٣.

٤٦ - يعني وقعت خيراً للمبتدأ. ينظر هامش الكتاب ١٢١/١.

زيدٌ، وأين تُرى زيداً))<sup>(٤٧)</sup>. ويعدّ هذا الإجراء بتطويع مفهوم المنزلة مع الاستفهام في بناء الخطاب وإنتاج المعرفة ضرباً من الإبداع؛ لإدراكه أنه إزاء لغة طبيعية لا صورية.

ويشكّل قانون الإضافة أحياناً قيمة جوهرية، فنضيف عبره اصطلاح المحاور بالقيام بوظيفتين في الوقت نفسه، فيكون مرة عارضاً، ومرة معترضاً منشأ معرفة تناظرية، وطريق هذه المرتبة حمولة الاستفهام والمنزلة. فيتألق مسلك سيبويه باستعمالها جدلاً في نصه إذ يقول: (( وإن زعم زاعم أنه يقول: مررت برجل مخالط بدنه داء، ففرق بينه وبين المنون. قيل له: أأست تعلم أن الصفة إذا كانت للأول فالتنوين وغير التنوين سواء، إذا أردت بإسقاط التنوين معنى التنوين، نحو قولك: مررت برجل ملازم أبك، ومررت برجل ملازم أبيك، أو ملازمك. فإنه لا يجد بداً من أن يقول: نعم. وإلاّ خالف جميع العرب والنحويين، فإذا قال ذلك قلت: أفلمست تجعل هذا العمل إذا كان منوناً، وكان لشيء من سبب الأول، أو التيسر به بمنزلة إذا كان للأول؟ فإنه قائل: نعم. وكانك قلت: مررت برجل ملازم، فإذا قال ذلك، قلت له: ما بال التنوين وغير التنوين استويا حيث كانا للأول، واختلفا حيث كانا للآخر، وقد زعمت أنه يجري عليه إذا كان للآخر كمجره إذا كان للأول...))<sup>(٤٨)</sup>. قد يقتضي الجانب التعليمي عند سيبويه الرد على بعض القضايا باستعمال بعض المقولات من قبيل "يقول- قيل- قائل... الخ" تبنى على اعتراضات مفترضة من معترض هو نفسه العارض، فيقدم أدلته وحججه على تلك الاعتراضات مستدرجاً متلقيه إلى مجاراته وإلاّ أتهم بمخالفته جميع العرب والنحويين حتى ينساق لما أراده قائلاً: (نعم). وهذه الطبيعة البنيوية للجواب الراجعة إلى طبيعة المخاطب، احتاجت من المجيب أن يقدم عدداً من المقدمات تكفي لحصول الفهم والإدراك، وهو مبدأ تتحكم به مقتضيات التداول فالمقاصد لها أطرها في ذهن سيبويه، يتم توصيلها إلى المتلقي عن طريق مراعاة اللغة، وهو ما يظهر أهمية المخاطب لدى سيبويه فيتجاوز بالإسناد الوظيفة النحوية إلى المعيار التداولي، بتوظيفه لضمير المخاطب (أنت) مع الفعل (تعلم) ليحسد به تواصل مع مخاطبه، وهو ما يشي بالقول إنه بنى خطابه في الكتاب على ملمح مقاصدي افتراض فيه وجود متلق لرسالته، وهو ما يظهر في استعماله ضمير المخاطب (أنت) المضمّر في الفعل (تعلم). وكثرت ما استعمل سيبويه الأمر من هذا الفعل؛ إذ يرى المتمعن أن خصوصية سيبويه تأتت له من بين الصيغ الفعلية؛ لأن هذا الفعل يصنّف ضمن الأفعال التوجيهية، فيخرجه سيبويه عن دلالة الأمر إلى قصد إعمال الذهن عند المتلقي إليه، وتقرير الحكم له من دون ممارسات وجوب الأمر عليه، فالإخبار يكون بأسلوب العرض لا الوجوب؛ ليحدث التأثير في المتلقي وبالتالي إنجاز فعل معين في مرحلة تالية إذ يقول:

٤٧ - أي: على الألغاء والإعمال، كقولك: "قائمٌ ظننتُ زيداً"، و"قائماً ظننتُ زيداً". ينظر هامش الكتاب ١٢١/١.

٤٨ - الكتاب ١٩/٢ - ٢٠.

((واعلم أنّ من العرب من يرفع سلاماً ، إذا أراد معنى المبارأة ، كما رفعوا "حنان". سمعنا بعض العرب يقول لرجل : لا تكونن مني في شيء إلا سلاماً بسلام ، أي : أمري وأمرك المبارأة والمشاركة وتركوا لفظ ما يرفع ، كما تركوا فيه لفظ ما ينصب ؛ لأنّ فيه ذلك المعنى ؛ ولأنّه بمنزلة لفظك بالفعل)).<sup>(٤٩)</sup>

ترتسم مظاهر التضامن في النص أعلاه بين فعل الأمر (اعلم) ومفهوم (المنزلة) ، بوصفهما مكونين حجاجيين تعرض عبرهما الفكرة ويشرحها بتمعن ، موجهاً إياها نحو المتلقي ، فيتحقق التواصل والانتفاع بين الطرفين. ويعي أبو بشر ما يمكن أن يوجه إلى قوانينه المبنية على الاستقراء من انتقاد فينص على وثاقها بقول : "سمعنا بعض العرب". فالنص على معايير السلامة حماية للقاعدة النحوية ، ومثله قوله : ((واعلم أنّ ناساً من العرب يجعلون هلم بمنزلة الأمثلة التي أخذت من الفعل يقولون : هلم وهلمي وهلموا وهلموا)).<sup>(٥٠)</sup>

لقد اهتدى سيبويه إلى إجراء موازنات تقابلية بين المنزلة والأمر ، فكانت المنزلة رابطاً حجاجياً يسهم في ترابط منطوقات فعل الحجاج (الاستفهام والأمر) في الدفاع عن الدعوى المعروضة ؛ ليتبع هذا المحور التقابلي مخاطبات ، يعرض فيها آراءه على وفق :

- ١ - مخاطبة برهانية: يدور الكلام فيها بين معلم ومتعلم.
- ٢ - مخاطبة جدلية: يعرض فيها المتحاورين للآراء الذائعة والمشهورة ، ويحاولان الكشف عن التناقضات التي تتضمنها حلّها معاً.
- ٣ - مخاطبة مغالطية: يوهم فيها سيبويه محاوره بأنّه انطلق من مقدمات يقينية ، إلّا أنّه يستبطن فيها أموراً مغايرة لما يظهره ، فيعود إلى تفنيدها.

### نتائج البحث :

عولّ سيبويه كثيراً على مفهوم (المنزلة) على نحو يلفت الانتباه ، مما جعلنا نتبع توظيفه لها عبر نصوص الكتاب لنخرج بنتائج أبرزها :

- ١ - لقد كانت المنزلة نفساً حجاجياً يتمّ بها الاستدلال على المسائل اللغوية.
- ٢ - تجلّى الإبداع الحقيقي السيبويهي في رؤيته إلى المنزلة من منظور ، أنّها تقنية مركبة تعتمد الرمزية في ترجمة ما في التفكير الباطن وملمحه المميز للرمز أن معناه لا يتغير من جانب ، وتعتمد التداعي من جانب آخر في أنّ التثبيت للمعنى لا يستبعد إمكانية تعدده.
- ٣ - المنزلة بناء لغوي شيده خيال سيبويه ، فتجاوزت عنده وظيفتها الأولية (المشابهة) إلى أن تكون إطاراً تقع فيه الأحداث ، فهو بها يقيم قضية بعد قضية ، ويخوض في مسائل اللغة عرضاً وتحليلاً واستنتاجاً في مقاربات بين العقل والنقل تنم عن بعد نظر ودقة ملاحظة.

٤٩ - الكتاب ١/٣٢٦ ، وينظر ١/٣٨١ و ١/٤٥٧ و ٢/١٢٤ ، و ٢/١٣٩ و ٢/٢٥٢ .  
٥٠ - الكتاب ١/٢٥٢ .

٤- استعماله لمفهوم المنزلة بهدف الإقناع بناء على اقتراحات سابقة بشأن المعرفة اللغوية والإدراك المتوقع وعناصر السياق (المتكلم والمخاطب والمقام). فالتوصل إلى إدراك المقصد الحقيقي حينما يخرج القول عن معناه الحقيقي ، لا بدّ فيه من مراعاة هذه الأمور.

٥- لقد كانت المنزلة مفهوماً:

أ- للاكتشاف: استعان بها سيوييه في تطبيق الاجراءات المحددة على النصوص اللغوية بصفة آلية مكنته من بناء نحو اللغة.

ب- للتقرير: بوصفها طريقة عملية استعملها سيوييه في بيان مقبولية النحو المقترح للمادة المعروضة.

ج- لبيان القيمة: فإزاء المادة اللغوية ووصفها أبان لنا سيوييه عن معرفة النحو الأليق عبر رصد ظواهره.

والحمد لله ربّ العالمين .

### ثبت المظان.

- القرآن الكريم.

- الأسس الأبتمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيوييه - د.أدريس مقبول - عالم الكتب الحديث - عمان - ط١ - ٢٠٠٦م.

- الإيضاح في علل النحو- الزجاجي ت(- ٣٣٧هـ) - تحقيق د.مازن المبارك - دار النفائس - بيروت - ط٤ - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- البحث الدلالي في كتاب سيوييه - د.دخوش جار الله حسين - أطروحة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة بغداد.

- التفكير العلمي في النحو(الاستقراء - التحليل - التفسير) - د.حسين خميس الملق - دار الشروق والتوزيع - عمان - الأردن - ٢٠٠٢م.

- الخصائص - ابن جني ت(- ٣٩٢هـ) - تحقيق: محمد علي النجار - دار الشؤون الثقافية - بغداد - ط٤ - ١٩٩٠م.

الخطاب والحجاج - أبو بكر العزاوي - الدار البيضاء - ط١ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

- ديوان الفرزدق - ضبط وشرح إيليا الحاوي - منشورات دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة - بيروت - لبنان - ط١ - ١٩٨٣م.

- سلطة الكلام وقوة الكلمات (بحث) - أبو بكر العزاوي - مجلة المناهل - العدد(٦٢) - منشورات وزارة الثقافة المغربية.

- الشاهد الشعري في النقد والبلاغة (قضايا وظواهر ونماذج) - عالم الكتب الحديث - اربد - عمان - ٢٠١٠م.

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - أبو الحسن الأشموني - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- علم المعاني - د. عبد العزيز عتيق - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٧٤م.
- عناصر النظرية النحوية في كتاب سيويه محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي - سعيد حسن بحيري - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٨٩م.
- الكتاب - سيويه ت (١٨٠هـ) - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - عالم الكتب - بيروت - ط ٣ - ١٤٠٣هـ.
- كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات - أطروحة دكتوراه - كريم عبيد عليوي - الجامعة المستنصرية - كلية التربية - ٢٠١٢م.
- اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي (الأسس المعرفية والديداكتيكية) - علي آيت أوشان - ط ١ - مطبعة النجاح الجديدة - دار الثقافة - الدار البيضاء - ١٩٩٨م.
- مدخل إلى علم اللغة - لوريتو تود - ترجمة: د. مصطفى التونسي - منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٤م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب - ابن هشام ت (٧٦١هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٩٩٨م.
- المفصل في تاريخ النحو العربي - د. محمد خير الحلواني - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مفهوم الجملة عند سيويه - د. حسن عبد الغني الأسدي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع - أبو محمد الأنصاري السجلماسي - تحقيق: عادل الغازي - مكتبة المعارف - الرباط - ط ١ - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء - حازم القرطاجني - تحقيق: محمد حبيب الخوجة - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط ٣ - ١٩٨٦م.
- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث - د. نهاد الموسى - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط ١ - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

## آفاق التحضر والسكن العشوائي دراسة ميدانية في مدينة كربلاء

horizons of random housing and urbanization: a field study in kerbala

د. مكّي عبد مجيد<sup>١</sup>

Dr. Makki Abd Majeed

### الملخص

نتيجة لازدياد الأسر التي اتخذت من الأملاك العامة والخاصة سكن ازدادت معها الكثير من المشاكل والوقوف على اسباب هذا النزوح والتجاوز على هذه الأملاك التي عمت في معظم مدن العراق ومنها كربلاء واثّر هذا التغيير الديمغرافي علي مستوى التحضر في هذه المدينة والمشاكل التي نتجت عنه .

تضمن البحث جانبيين الجانب النظري تم تقسيمة الى اطار عام للبحث شمل مشكلة البحث واهمية البحث واهداف البحث وفرضيات البحث ومفاهيم البحث ومن ثم البحث في نشأة وتطور مدينة كربلاء والجانب الميداني من البحث تم تقسيمة الى منهج البحث ومجتمع البحث وعينة البحث ومجالات البحث ومن ثم عرض نتائج الدراسة وتحليلها ، تم التوصل الى عدة استنتاجات من خلال البحث منها ان غالبية المهاجرين من محافظات الجنوب العراقي ومعظم اسر هذه الحركة السكانية هم من المستويات الثقافية المنخفضة فضلاً عن أن نسبة أعمار النازحين بين (١٥ - ٦٠) سنة والعامل الاساسي في هذه الفوضى والتجاوز على الممتلكات العامة والخاصة هو الاحتلال الامريكي الذي حل جميع مؤسسات الدولة واحد الاستنتاجات التي توصلت اليها الدراسة ان

---

١ - جامعة كربلاء / كلية الادارة والاقتصاد

البعض من ارباب الاسر نادم على الهجرة والسكن بهذه الطريقة ولا يستطيع العودة حيث تعرض واسرته الى مشاكل اجتماعية واخلاقية وسياسية وغيرها . بعد هذا العرض الموجز للنتائج قام الباحث ابداء بعض التوصيات ، منها بناء مجمعات سكنية تتوفر فيها مستلزمات الحياة وتوزيعها على هؤلاء المتجاوزين وتقديم المساعدة المالية لهم ومن ثم اعادة تأهيل الامكان التي تم التجاوز عليها والتوعية الثقافية لهذه الاسر والاهتمام بتطبيق التصميم الاساسي وفق التخطيط الحضري والعمراني للمدينة .

## Abstract

There are significant problems have been created as a consequence of increasing the number of families which occupied public and private properties as a residential home with out government authorization after immigrated from one city to another because of the ethnic clanzing. To understand the immigration phenomina that spreaded to most Iraq towns and cities including the city of kerbala. These demographic changes have reflected its negative influence on the level of modernity, culture and civilization of the city. These problems have over taken the abilities of the count resolve it.

The research project has been divided into two main parts; the theoretical part was divided into a general frame that includes a research problem, a resreach important, a resrech aim, a research proposal, research concept and the initiation and evolution of the Kerbala city. The main practical part was divided into a research programme, research samples. Then study results analysis were shon.

The study has concluded many predictionsthat cause these phenomina such as its to confirmation of most immigrants were from the south of Iraq. These families were very poor and non-educated. Their ages were between 15 to 60 years old. American occupation to the country has reflectedits major effect through its padmanagement to the countr file by implementing manywrong decision likedismissed some of theimportant security organizations like the Army and the police. In addition, the study has suggested that some family leader is regretted to immigrate from their original plac in such way. It became almost impossible for them to go back after they were exposed to several moral, social, and political problems. Finally, the researcher has highlighted severalpoints for example constructing modern residential building for these poor people and suport them financially and educate them then redevelop their places that they use to occupied.

Emphasis on implementing the original architected planning designee of the cities by inforcing law to stopa new people to reuse theseofficial building.

### المقدمة

تعتبر مشكلة التجاوز على الممتلكات العامة والخاصة من المشاكل التي يعاني منها العراق بعد أحداث التحول السياسي عام ٢٠٠٣ إبان دخول القوات المحتلة للعراق، وما تفرزه هذه العشوائيات بالسكن في مناطق العراق سيما محافظة كربلاء من أضرار لحقت بكافة جوانب الحياة الصحية والثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية وغيرها، وكان الأثر الحضري هو موضوع اهتمام دراستنا الذي تغلب على مجالات الحياة الأخرى بحيث أصبح يشكل خطراً على طبيعة المجتمع المدنية التي ينشد أبنائها الحضري والرقي الحضاري الذي يعتمد أسلوب الحياة والعمل والتفكير والعلاقات وغيرها . لكن الذي حصل بعد هذا التاريخ بدأت عجلة الحياة تسير إلى الخلف نتيجة للتغيرات الديموغرافية في المدن العراقية.

عمد الباحث إلى دراسة هذه الظاهرة للوصول إلى أسبابها ومدخلاتها وتأثيرها على البناء الاجتماعي ونسق العلاقات الاجتماعية و قدسية المدينة، قسم البحث إلى جانبين الجانب النظري الذي يشمل على مشكلة البحث وأهمية البحث وأهداف البحث ومن ثم فرضيات البحث فضلاً عن مفاهيم الدراسة التي شملت (الهجرة، السكن العشوائي، التحضر، الحضرية) ومن ثم البحث في نشأة وتطور مدينة كربلاء، أما الجانب الميداني من الدراسة فتركز على نوع الدراسة ومنهجيتها ومجتمع الدراسة وعينة الدراسة ومجالات الدراسة ومن ثم عرض نتائج الدراسة من خلال استخدام استمارة استبيان ثم توزيعها والإجابة عليها من قبل الباحثين من خلال المقابلة المباشرة معهم والتعرف على أهم الأسباب التي دفعت الأسر إلى التجاوز على هذه الأماكن فضلاً عن معرفة أهم الصعوبات والمشاكل التي تعاني منها الأسر ومن خلال تفريغ البيانات ثم التوصل إلى بعض الاستنتاجات وبعدها قدم الباحث عدة توصيات نأمل الأخذ بها.

### الفصل الأول: الإطار العام للدراسة

#### أولاً: مشكلة البحث :

تعرضت محافظة كربلاء إلى اجتياح سكاني بعد ٩/٤/٢٠٠٣ وما بعدها لم تشهد له مثيل في المدن العراقية باستثناء مدينة بغداد، وتم التجاوز على أملاك الدولة سواء كانت أراضي زراعية أو وحدات خدمية مخصصة للخدمة العامة من مدارس ومباني حكومية ومناطق خضراء مخصصة للترويح ومحرمات الضغط العالي لخطوط نقل الكهرباء ودوائر الامن ومعسكرات الجيش وبعض دور الدولة حيث شغلوها بالقوة وأنشئوا مساكن رديئة ومتخلفة تفتقر لكل الجوانب الصحية والحضرية التي تليق بقدسية المدينة وتراثها الديني واهم المشاكل التي صاحبت هذا النزوح :-

١. انتشار الامراض المعدية نتيجة نزوح هذه الاسر الى كربلاء .
٢. ارتفاع الاسعار والضغط على البنى التحتية في المدينة .
٣. اثر النزوح على مستوى التحضر في المدينة .
٤. ارتفاع نسبة الجريمة في المدينة جراء ذلك .
٥. تسبب هذا النزوح بالتغيير الديموغرافي في بعض احياء المدينة .

#### ثانياً: أهمية البحث

أن معرفة أسباب ودوافع هذه الحركة السكانية العشوائية والنائج التي تمخضت عن ذلك هو من الأهمية الوصول إلى نتائج تنذر الجهات المسؤولة عن الآثار التي تتركها على بناء وتماسك المجتمع والحفاظ على الهوية المدنية والطابع الحضري الذي تتميز به مدينة كربلاء.

#### ثالثاً: أهداف البحث

تتلخص أهداف البحث بالأسباب التي دفعت إلى هذه الهجرة والنزوح السكاني الغير مسبوق على مدينة كربلاء والتي استمرت لسنوات دون وضع محددات لتنظيم وإيقاف هذه الحركة ، ومعرفة دوافعها والتوصل إلى تحديد الإيجابيات والسلبيات الناتجة جراء ذلك ومن ثم الوصول إلى حلول علمية وعملية لتلافي آثارها السلبية.

#### رابعاً : فرضيات البحث :

- ١- يمكن إجمال أهم فرضيات البحث بالآتي :
- ١- ان هجرة وحركة السكان كانت عفوية.
- ٢- يقف وراء هذه الهجرة والنزوح جهات لها ثقافة معينة وتوجه معين.
- ٣- رواد هذه الحركة والانتقال السريع هم من طبقة الفقراء في المجتمع
- ٤- تساهم العوائل المهاجرة في بناء المدينة وازدهارها الاقتصادي.
- ٥- يقود هذه الحركة مصلحون و مثقفون.
- ٦- تساهم هذه الهجرة بالتغيير الديموغرافي للمدينة .
- ٧- وراء هذه الهجرة والحركة السكانية في مدينة كربلاء أصحاب رؤوس الاموال والمرفهين اقتصادياً.

#### خامساً: تعريف مصطلحات البحث:

##### ١- الهجرة :

الهجرة هي نوع من الانتقال الجغرافي أو المكاني المتضمن تغيير دائم لمحل الإقامة الاعتيادي بين وحدة جغرافية وأخرى.

تختلف الهجرة في طبيعتها من مجتمع لآخر ومن فترة زمنية لأخرى وقد تتداخل بعض اشكال هذه الهجرة<sup>(٢)</sup>.

موضوع الدراسة يقتصر على الهجرة والنزوح الكبير من المحافظات العراقية على مدينة كربلاء فضلاً عن الهجرة من الريف إلى المدينة، وبطبيعة الحال للسكان والعوائل المهاجرة خواص ديمغرافية قد تتعلق بالعمر والجنس، حيث هجرة الرجال أكثر من النساء وسجلت معدلات عالية من نزوح عوائل بالكامل إلى مدينة كربلاء.

## ٢- السكن العشوائي (التجاوز):

السكن العشوائي يعرف بأنه إشغال الأرض بغير حق بوضع اليد عليها بهدف امتلاكها ويمكن الذهاب ابعد من ذلك بأن سكن التجاوز هو إشغال الأرض وبنيات الدولة محدثاً في ذلك تغييراً للتصاميم الأساسية وتغيير في وظيفتها متجاهلاً القانون والقيم والأعراف الاجتماعية والشرعية. إن المتجاوزين يسكنون في الأعم الأغلب وفق الدراسة أطراف الأحياء وبعض الساحات داخل الأحياء مشكلين مستوطنات تتميز بنظام اجتماعي شبة خاص يختلف عن نمط المعيشة لباقي سكان المدينة، واثبتت البيانات التي تم الحصول عليها من الجهات الرسمية في المحافظة ان نسبة ٩٠٪ من حالات الجريمة مصدرها هذه الأحياء العشوائية<sup>(٣)</sup>، بالرغم من قيام الحكومة المحلية بإزالة بعض التجاوزات التي أستباح بعض الحداث العامة والدوائر الحكومية والأراضي الفارغة في المدينة إلا ان النسبة المتبقية هي الأكثر وفق الدراسة الميدانية والمشاهدة الفعلية وتمثلت هذه التجاوز في منطقة فريجة / حي الاساتذة / الحي العسكري / أطراف سيف سعد / حي الغدير / الحر وغيرها.....

تم ملاحظة هذه المستوطنات أثناء الدراسة الميدانية عشوائية السكن وتعكس صفة المواطن الأصلي للنازح أو المهاجر إلى مدينة كربلاء من شكل المسكن الذي يتكون من صرائف بسيطة وبيوت طينية والبعض مشيد من مادة البلوك الرديء فضلاً عن سلوك العوائل وما يحملون من تقاليد تتنافى مع قدسية وحضارة المدينة وفق هذه الأعداد الكبيرة من المتجاوزين لا تستطيع المدينة ان تؤدي دورها بتوفير متطلبات الحياة الحديثة، سيما ان المدينة محط أنظار العالم الاسلامي خاصة لمكانتها التاريخية وقداستها، لان التجاوز يمثل تعدي على كافة نواحي الحياة البيئية والاجتماعية والعمرانية والوظيفية والثقافية وغيرها.

ارتكبت الحكومة المحلية في محافظة كربلاء خطأ كبيراً حيال التعامل مع هذه الأزمة، المفروض ان تتحمل مسؤولياتها في الحد من هذه الظاهرة أولاً ومن ثم التحكم بالعوائل المتجاوزة بحصرها ضمن مناطق جغرافية معينة، لكن الذي حصل هو عجز الحكومة مما حدى بالنازحين أن يأخذوا زمام المبادرة بالتوسع والامتداد على الأراضي المجاورة وغيرها من الأراضي والمباني كيف ما يشاؤون

٢- د. بونسحمادي علي، مبادئ علم الديمغرافية، مطابع جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٥، ص ١٩٦.  
٣- مديرية شرطة كربلاء، مكتب مكافحة الجرائم.

والبناء السريع من خلال تشييد مساكن سريعة قليلة التكلفة من مواد بناء رديئة الغرض الأساس منها هو الاستيلاء على الأرض، وحدث ما حدث أثناء فترة تساقط الأمطار حيث انهارت الكثير من هذه المساكن وراح ضحيتها الكثير ووقع اللوم على الحكومة. ساهمت هذه الأحياء العشوائية بالتأثير على الطبيعة الحضرية التي ينشد ابنائها بعراقه المدينة وطابعها الحضري.

### ٣- التحضر:

يوجد فرق بين التحضر والحضرية، التحضر هو عملية التحول إلى حضر وذلك بالانتقال إلى المدن والتحول من الزراعة إلى غيرها من المهن الشائعة في المدن، مثل التجارة والخدمات والصناعة وما يرتبط بذلك من تغيير في الأنماط السلوكية للفرد ونظامه وطريقة حياته اليومية<sup>(٤)</sup>. الحضرية هي طريقة الحياة والتي تكونت بفعل سلسلة من العمليات التي تولد في المدينة والتي تؤدي في النتيجة إلى تغيير في قيم السكان ومناهجهم الحياتية والسلوكية وفي شبكة علاقاتهم الاجتماعية مع بعضهم البعض ومع المؤسسات<sup>(٥)</sup>. والحضرية كأسلوب حياتي لا يستدعي بالضرورة الانتقال النهائي من الريف إلى الحضر، ذلك ان التحضر إنما هو في التفكير والسلوك<sup>(٦)</sup> ذلك لوجود جماعات يعيشون في المدينة ويحتفظون بالطابع الريفي في اتجاهاتهم وسلوكياتهم، النظام الحضري يتسم بتقسيم العمل على أساس مهني ومن ثم اللا شخصية في العلاقات وانقسامية الادوار الاجتماعية والاعتماد على الأساليب الرسمية للضبط الاجتماعي ومعدل الانتقال فيما يخص الحراك المهني والاجتماعي والجغرافي<sup>(٧)</sup>.

### سادساً : نشأة وتطور مدينة كربلاء

مدينة كربلاء من المدن العراقية القديمة التي يعود تاريخها إلى العهد البابلي ويذكر أن اسمها يعني (قرب الآلهة) ويذهب البعض من المؤرخين بأن كربلاء تعني (كور بابل) أي مجموعة قرى بابلية قديمة منها الغاضرية ونيوى وكربله وعقر بابل والنواويس والحائر<sup>(٨)</sup>. ويذكر ياقوت الحموي أن كربلاء تعني الرخاوة في القدمين عللها لرخاوة أرضها وترابها. تشير بعض المعلومات إلى ان مدينة كربلاء من المدن القديمة أهتم بها المؤرخون والباحثين في مختلف الاختصاصات لمكانتها وجمالها وقداستها وأرضها الخصبة، تم تحرير كربلاء من قبل العرب المسلمين من سيطرة الاحتلال الفارسي للعراق وتوالت عليها قوى الاحتلال من عثمانيين وغيره، إلا أن الحدث الأهم في تاريخ هذه المدينة هو وضع رحال الإمام الحسين عليه السلام فيها حيث دارت المعركة بين الإمام الحسين وأنصاره وجيوش الأمويين وعلى أثر هذه المعركة استشهد الإمام الحسين وأنصاره

٤- محمد الجوهري، مجتمع المدينة، مترجم، دار مصر للمطبوعات، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٣١.  
٥- محمد عاطف غيث، قاموس علم الأرض، الهيئة العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٤٩٨.  
٦- ابن الاثير الكامل في التاريخ، الجزء السابع، ص ١٤٨.  
٧- محمد عبد المنعم نور، الحضارة والتحضر، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٢١٨.  
٨- نبيل السمالوطي، علم إجتماع التنمية، الهيئة المصرية للكتاب، الاسكندرية، ١٩٧٨، ص ٣٤٤

ودفن فيها مع مجموعة من أصحابه اخذت المدينة هذا الاعتبار القدسي والروحي وعلى مر العصور والى يومنا هذا محط أنظار العالم وأهمية هذه الثورة ضد الطغيان بين قوى الخير وقوى الشر تجسدت فيها كل معاني الإباء والعدالة والإيمان والحفاظ على الدين الاسلامي<sup>(٩)</sup>.

بعد معركة الطف عام ٦١هـ أخذت المدينة بالاتساع بالرغم من الغزوات المتكررة عليها لهدم قبر الحسين وإزالة معالمه، بعد سقوط الدولة الأموية عام ١٣٢هـ على أيدي العباسيين أهتم بعض ولاية العصر العباسي ومنهم المأمون والمنتصر بهذه المدينة وكان المنتصر يقوم بزيارة المدينة بين الحين والآخر ويصرف الأموال في إعمار المدينة وترميم وبناء المرقد الشريف، كما زارها العديد من الخلفاء العباسيين<sup>(١٠)</sup>.

تعرضت مدينة كربلاء إلى أحداث كانت الغاية منها هو طمس معالم هذه المدينة والمرقد الشريفية فيها منها (غارة ضبة) ٣٦٩هـ حيث قام ضبة بن أسد بالهجوم على المدينة ونهب ما وجد من نفائس في المرقد الشريف وقتل العديد من أهلها، بعدها غارة شعبان ٤٢٨هـ وهم عصاة قطاع طرق حيث دخلوا المدينة وقاموا بالفساد والمنكر والنهب بعدها معركة احمد الجلائري مع جيش تيمور لنك ٨٢٦هـ حيث دارت المعركة في صحراء كربلاء، ثم غارة المشعشي ٩٠٠هـ على مدينة كربلاء فقتل العديد من أبنائها ثم نهب المشهدين الطاهرين وقلع أبواب المشهدين، بعدها غارة آل مهنا سنة ١٦٠٤م نتيجة لضعف الدولة العثمانية قام الملك ناصر بن مهنا بالهجوم على كربلاء<sup>(١١)</sup>، وفاجعة أخرى تعرضت لها مدينة كربلاء حادثة دخول الوهابيين سنة ١٨٠١م بقيادة أميرهم سعود بن عبد العزيز آل سعود حيث اقتحم سور المدينة في وقت كان معظم سكان المدينة متجهين إلى مدينة النجف الأشرف لزيارة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بمناسبة عيد الغدير، قتل الوهابيون الآلاف من أبناء المدينة وتم ذبح الأطفال ودخلوا المرقد الشريف وهدم القبة ونهب كل ما موجود فيها من تحف وهدايا، ثم أعقبها حوادث مثل حادثة المناخور عام ١٨٢٤م وحادثة نجيب باشا ١٨٤٢م وحركة علي هدله عام ١٨٧٢م وحادثة حمزة بيك ١٩١٤م وحركة حزيران ١٩١٥م وغيرها<sup>(١٢)</sup>.

ظلت مدينة كربلاء من بعد خروج العثمانيين تحت السيطرة البريطانية ونشأت الكثير من حركات المقاومة للاستعمار البريطاني ثم قامت المرجعية الدينية والعشائر العراقية بالانتفاضة الكبيرة والثورة في عام ١٩٢٠م تم تنصيب الأمير فيصل ملكاً على العراق وعقد الكثير من المعاهدات والمؤتمرات طول هذا الفترة إلى نهاية الحكم الملكي عام ١٩٥٨م تعاقبت النظم على العراق وكانت مدينة كربلاء كباقي مدن العراق تتأثر بهذه التحولات لما لها من دور في رسم سياسة المقاومة.

٩- سعيد رشيد زمزم، تاريخ كربلاء قديماً وحديثاً، دار القارئ، بيروت، لبنان، ٢٠١٠، ص ٩- ١٠  
١٠- د.علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، الجزء السابع، ص ١٣١.  
١١- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء السابع، ص ١٥٢.  
١٢- عبد الحسين الكيلدار آل طعمه، بقية النبلاء في تاريخ كربلاء، ص ٢٤.

بعد ٢٠٠٣/٤/٩ ودخول قوات الاحتلال العراق انهارت المؤسسات وتعرضت معظم محافظات العراق إلى اضطرابات سكانية بين الهجرة والنزوح والقتل والتدمير حيث تعرضت مدينة كربلاء إلى حركة سكانية كبيرة تم من خلالها إشغال أماكن من قبل المتجاوزين مخصصة لوظائف خدمية أساسية وضمن التصميم الأساسي للمدينة وما سبب حدوث ذلك وهل هذه الحركة ساهمت في أداء هذه المدينة لوظائفها الحضارية وحلت بعض من مشاكلها، وما هو مقياس التحضر في هذه المدينة بعد هذا الاجتياح تفرزه الدراسة الميدانية؟

### الفصل الثاني: اجراءات الدراسة ومنهجيتها

تناول البحث الاجراءات التي اعتمدت في تنفيذ الدراسة من تعريف منهج ووصف مجتمع البحث وعينة الدراسة والأساليب الإحصائية التي استخدمت في معالجة الدراسة.

#### أولاً: منهج البحث:

تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الوضعية التحليلية التي تقوم على جمع المعلومات عن مشكلة البحث ثم تحليلها وتفسيرها للتوصل إلى نتائج أكثر تعميماً أما منهج الدراسة فقد تم استخدام المنهج التاريخي الذي تم من خلاله دراسة المجتمع عن طريق تسجيل تاريخه وتطور ثقافته وتعاقب الأحداث الاجتماعية ونظراً لكون الظواهر الاجتماعية مرتبطة ارتباطاً بواقع المجتمع في الماضي، لا بد للباحث الاجتماعي بالرجوع إلى الماضي لتعقب الظاهرة منذ نشأتها<sup>(١٣)</sup>.

استخدام الباحث منهج المسح الاجتماعي الذي يحاول عن طريقه اجراء مسح للظاهرة موضوع الدراسة وتحليل بياناتها وبيان العلاقة بين مكوناتها والآراء التي تطرح حولها والعمليات التي تتضمنها والآثار التي تحدثها، دون تدخل منه حيث يتم الحصول على معلومات تجيب عن أسئلة الدراسة بكل موضوعية وحيادية.

إن اعتماد منهج المسح الاجتماعي في هذه الدراسة لما تفرضه طبيعة المشكلة وموضوع الدراسة، حيث يهدف هذا المفهوم إلى الدراسة العلمية للظواهر الموجودة في جماعة معينة وفي مكان معين كما انه ينصب على الوقت الحاضر، واخيراً فإن هذا المنهج يتعلق بالجانب العلمي حيث يحاول الكشف عن الجوانب المرضية للأوضاع الاجتماعية القائمة لمحاولة النهوض بها<sup>(١٤)</sup>. ويعد هذا المنهج من أكثر المناهج استخداماً في الدراسات الوصفية .

#### ثانياً: مجتمع الدراسة

يعني مجتمع الدراسة المجال البشري والمكاني الذي يجري البحث في حدوده، وقد يتكون مجتمع البحث من الأفراد أو العوائل أو المؤسسات.

١٣- الحسن، احسان محمد، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٣، ص ١٢  
١٤- حسن، عبد الباسط محمد، أصول البحث الاجتماعي، ط ٨، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٢٢١.

وبما ان الدراسة الحالية تهدف إلى معرفة آثار الهجرة والنزوح والسكن العشوائي على مدينة كربلاء تم تحديد مجمعاً تجري فيه الدراسة وهو مجموعة العوائل الساكنة بهذه الطريقة في المدينة .

### ثالثاً: عينة الدراسة

تعتمد نتائج الدراسة الميدانية الموضوعية على مدى اعتماد البحث الخطوات التي تم فيها اختيار العينة من حجمها ونوعها ومدى ملائمتها لتحقيق الأهداف التي تسعى الدراسة لتحقيقها، والعينة هي جزء محدد كماً ونوعاً من مجتمع الدراسة، وهي انعكاس شامل لصفات ذلك المجتمع إنما بشكل مصغر ويتم اختيار العينة على وفق أسس إحصائية وقتية خاصة بها وبذلك يمكن تعميم النتائج على المجتمع ككل، ويلجأ الباحث إلى اختيار هذا الجزء الممثل للمجتمع لصعوبة أو استحالة دراسة جميع وحدات المجتمع المدروس<sup>(١٥)</sup>، اعتمد البحث العينة العشوائية من الأسر التي سكنت بهذه الطريقة ومكونة (٥٠٠) عائلة من مجموع اسر المتجاوزين والتي يصعب حصر سكانها لتهرب البعض من اعطاء بيانات عن عدد افراد الاسرة والاسئلة الاخرى خوفاً من المسئلة القانونية فتعذر علينا حصر عدد المجتمع الكلي، ثم اجراء لقاءات مباشرة مع أرباب هذه الأسر للرد على الأسئلة حيث تمت المشاهدة الميدانية والاطلاع على حجم المشكلة وآثارها.

### رابعاً: مجالات الدراسة

- ١- المجال البشري والذي تم تحديده بعينة مكونة من (٥٠٠) أسرة.
- ٢- المجال المكاني، هو المكان الذي تمت فيه الدراسة وحدد بمدينة كربلاء فقط دون الأقضية أو النواحي.
- ٣- المجال الزمني، هو الفترة الزمنية التي استغرقتها الدراسة من ٢٠١٣/٤/٣ إلى ٢٠١٣/٦/١٠.

### ثانياً: عرض نتائج الدراسة وتحليلها

#### ١- مسقط الرأس :

جدول رقم (١)  
يمثل مسقط رأس المبحوثين

المحافظة	التكرار	النسبة المئوية
ذبي قار	١٧٨	٣٥٪
ميسان	١١١	٢٢٪
البصرة	٨٤	١٦٪

١٥- عبيدات، محمد وآخرون، منهجية البحث العلمي، دار وائل للنشر، عمان، ١٩٩٩، ص ٩٧.

٤.	القادسية	١٨	٣.٦٪
٥.	بغداد	١٧	٣٪
٦.	المتن	١٣	٢.٦٪
٧.	ديالى	١٦	٣.٤٪
٨.	صلاح الدين	٩	١.٨٪
٩.	الأنبار	١٧	٣.٤٪
١٠.	التأميم	٦	١.٢٪
١١.	نينوى	٢٢	٤٪
المجموع :		٥٠٠	١٠٠٪

يشير الجدول رقم (١) والمتعلق بمسقط الرأس إلى أن نسبة كبيرة ممن دخلوا مدينة كربلاء جاءت من محافظة ذي قار وميسان والبصرة حيث بلغت حوالي ٦٥٪ من النازحين وباقي النسبة موزعة على المحافظات الأخرى ولاشك ان مسقط الرأس يشكل الأساس في هذا البحث كونه يعكس طبيعة التشيئة الاجتماعية التي تحملها الأسرة وأسلوب حياتها.

جدول رقم (٢)

جدول يمثل أعمار المبحوثين

ت	الفئة العمرية	التكرار	النسبة المئوية
١.	١٩٣٠ - ١٩٣٩	١٤	٣٪
٢.	١٩٤٠ - ١٩٤٩	٦٢	١٣٪
٣.	١٩٥٠ - ١٩٥٩	١٣١	٢٦٪
٤.	١٩٦٠ - ١٩٦٩	١٦٦	٣٣٪
٥.	١٩٧٠ - ١٩٧٩	١١٨	٢٤٪
٦.	١٩٨٠ - ١٩٨٩	٩	٢٪
المجموع :		٥٠٠	١٠٠٪

تشير نتائج الدراسة المتعلقة بالعمر ان نسبة ٥٠٪ من العينة هم من مواليد سنوات عام ١٩٦٠ ، بعدها عام ١٩٧٠ إلى عام ١٩٨٩ الذي تنخفض فيه النسبة ، وبذلك يكون عقد (الستينات والسبعينات والثمانينات) يشكل نسبة تجاوز أو تساوي النسبة الماضية ٥٠٪.

جدول رقم (٣)

جدول يوضح المستوى التعليمي للعينة

١.	أمي	١١٢	٢٢٪
٢.	يقرأ ويكتب	١٤	٣٪

٣٢٪	١٦١	ابتدائية	٣.
٢١٪	١٠٥	متوسطة	٤.
١٧٪	٨٧	إعدادية	٥.
٢٪	٩	دبلوم	٦.
٣٪	١٢	بكالوريوس	٧.
١٠٠٪	٥٠٠	المجموع:	

تشير نتائج الدراسة المتعلقة بالمستوى العلمي في الجدول رقم (٣) أن النسبة الكبيرة من أفراد العينة هم من الأميين أو لديهم تحصيل علمي بسيط دون المتوسطة مما يعكس طبيعة تدني ثقافة المتجاوزين وهذا يؤثر على نمط الحياة وسلوكهم في داخل المدينة وهي حركة متخلفة أدت إلى خفض التحضر في المدينة.

#### جدول رقم (٤)

#### جدول يمثل مهن الباحثين

النسبة المئوية	التكرار	المهنة	
٥٧٪	٢٨٠	كاسب	١.
٧٪	٣٧	حارس	٢.
٨٪	٤٠	موظف	٣.
٨٪	٣٩	عمالة أهلية	٤.
٦٪	٣١	عاطل	٥.
٥٪	٢٧	متقاعد	٦.
٥٪	٢٥	سائق سيارة أجرة	٧.
٤٪	٢١	متفرقة	٨.
١٠٠٪	٥٠٠	المجموع:	

أظهر الجدول رقم (٤) بأن نسبة الكسبة هم الأكثر في العينة ويشكلون ٥٧٪ جاءت بعدها نسب متفاوتة قد تكون متقاربة موزعة على المهن الأخرى، هذا يدل على ان الحركة السكانية يقودها الفقراء الذين يعملون في القطاع الخاص والذين يمتنون المهن المتدنية.

#### جدول رقم (٥)

#### جدول يمثل الدخل الشهري للأسرة

النسبة المئوية	التكرار	الفئة	
١٢٪	٦١	١٠٠ - ١٩٩	١.
٤١٪	٢٠٦	٢٠٠ - ٢٩٩	٢.
١٨٪	٩٢	٣٠٠ - ٣٩٩	٣.
٢٤٪	١٢١	٤٠٠ - ٤٩٩	٤.

٥٠٠ - فأكثر	٢٠	٥٪
المجموع	٥٠٠	١٠٠٪

تبين من خلال الجدول رقم (٥) المتعلق بالدخل الشهري لأرباب أسر المتجاوزين، النسبة الأكبر تقع ضمن الفئة ٢٠٠ - ٢٩٩ ألف دينار شهرياً وهذا دخل منخفض جداً لا يكفي لسد حاجات الأسرة الأساسية مما يؤكد ان نسبة الفقراء في هذه العوائل كبيرة جداً مما تنذر بوجود مشاكل غذائية وصحية ونفسية.

## جدول رقم (٦)

## جدول يمثل حجم أسر المبحوثين

النسبة المئوية	التكرار	عدد أفراد الأسرة	
١٥٪	٧٣	٤	١.
١٠٪	٥٠	٥	٢.
١١٪	٥٥	٦	٣.
٢٤٪	١١٨	٧	٤.
٢١٪	١٠٤	٨	٥.
٩٪	٤٥	٩	٦.
٤٪	٢٠	١٠	٧.
٢٪	١١	١١	٨.
٢٪	١٠	١٢	٩.
١.٤٪	٧	١٣	١٠.
١٪	٥	١٤	١١.
٠.٤٪	٢	١٥	١٢.
١٠٠٪	٥٠٠	المجموع :	

أظهر الجدول رقم (٦) ان نسبة الأسر المشاركة في هذه الحركة السكانية والتي يبلغ عدد أفرادها من (٤ - ٩) بلغت (٦١٪) ونستنتج من خلال ذلك ان الأسر الممتدة الغالبية العظمى في العينة والتي قادت هذه الهجرة، هذا الرقم في عدد أفراد الاسرة فائق المعدل العام لحجم الأسرة لسنة ١٩٩٧ والبالغة (٧) أفراد لمعظم الاسر العراقية<sup>(١٢)</sup>.

## جدول رقم (٧)

## جدول يوضح تاريخ إشغال المكان من قبل الأسر المبحوثة

النسبة المئوية	التكرار	السنة
٦٥٪	٣٢٥	٢٠٠٣
٢٥٪	١٢٧	٢٠٠٤
١٠٪	٤٨	٢٠٠٥

المجموع:	٥٠٠	٪١٠٠
----------	-----	------

تبين نتائج الجدول رقم (٧) والمتعلق بتاريخ إشغال المكان ان النسبة الأكبر هي في عام ٢٠٠٣ حيث بلغت (٦٥٪) نلاحظ ان انتشار ظاهر السكن العشوائي (التجاوز) على الأراضي والممتلكات العامة رافقت الغزو الأمريكي على العراق وإسقاط الدولة وحل مؤسساتها وانتشار الفوضى حيث كان السبب الأساسي في حدوث هذه الحركة السكانية الكبيرة على مدينة كربلاء .

جدول رقم (٨)

جدول يوضح المكان المخصص قبل إشغال المتجاوزين

الرقم	المكان	التكرار	النسبة المئوية
١.	اراضي فارغة	٢٢١	٪٤٤
٢.	دور حكومية	٦	٪١
٣.	مقرات حزبية	٦	٪١
٤.	ساحات رياضية	٢٣	٪٥
٥.	مزارع	١٠٨	٪٢٢
٦.	وحدات سكنية	٤	٪١
٧.	كراجات عامة	٦	٪١

نلاحظ من الجدول رقم (٨) ان الأماكن التي يشغلها المتجاوزون وحولوها إلى سكن عشوائي كانت تشغل وظائف حضرية مخصصة لخدمة مدينة كربلاء وهي الأراضي الفارغة المخصصة للترويج والمشاريع المستقبلية والمزارع التي كانت بصفة عقود ذهب بعض أصحابها نتيجة لتغير النظام السياسي في العراق وغيرها، نلاحظ ان المتجاوزين أعتدوا على أملاك القطاع العام وحتى أملاك القطاع الخاص بالقوة وشملت هذه التجاوزات معظم أحياء المدينة منها الأحياء الغنية والأحياء الفقيرة وحتى الأحياء القديمة.

جدول رقم (٩)

جدول يوضح امتلاك وحدة سكنية خاصة في محافظاتهم الأصلية

الرقم	امتلاك سكن	التكرار	النسبة المئوية
١.	نعم	٨٢	٪١٦
٢.	كلا	٤١٨	٪٨٤
المجموع		٥٠٠	٪١٠٠

تبين نتائج الدراسة الميدانية الخاصة بامتلاك وحدة سكنية في الجدول رقم (٩) ان النسبة الكبيرة أجابت بعدم امتلاكها وحدة سكنية وبلغت (٨٤٪) في حين ان نسبة ١٦٪ أجابوا بامتلاكهم وحدة سكنية لكن الحاجة لوحدة سكنية جديدة لاتساع وكبر العائلة.

جدول رقم (١٠)

جدول يوضح فيما إذا كان المبحوثين مستأجرين قبل ٢٠٠٣ وحدات سكنية

النسبة المئوية	التكرار	مستأجر
٪٦٦	٣٣٠	نعم
٪٣٤	١٧٠	كلا
٪١٠٠	٥٠٠	المجموع

تشير نتائج الجدول رقم (١٠) ان نسبة ٪٦٦ من الباحثين كانوا مستأجرين وحدات سكنية قبل نزوحهم إلى كربلاء ونسبة ٪٣٤ تسكن مع أسرهم الكبيرة في الموطن الأصلي ويذكر الباحثين ان سبب هذه الهجرة هو ارتفاع اسعار ايجار الوحدات السكنية مما اضطرهم إلى السكن العشوائي.  
جدول رقم (١١)

جدول يوضح نوع القرار الذي تم بموجبه إشغال المكان

النسبة المئوية	التكرار	القرار	
٪٧٥	٣٧٦	قرار شخصي	.١
٪١١	٥٥	فتوى دينية	.٢
٪٥	٢٤	قرار حزبي	.٣
٪٣	١٥	قرار حكومي	.٤
٪٦	٣٠	قرار اقتصادي	.٥
٪١٠٠	٥٠٠	المجموع	

نلاحظ من خلال نتائج الجدول رقم (١١) والمتعلق بكيفية إشغال المكان ان نسبة ٪٧٥ وهي الأكبر تعود للقرار الشخصي في التجاوز وإشغال المكان جاءت بعدها نسبة ٪١١ لفتوى دينية بحجة عدم امتلاك سكن والبعض الآخر بقرار حزبي وقرار حكومي بإشغال هذا المكان.  
جدول رقم (١٢)

جدول يوضح مشاكل الأسر المبحوثة مع الجيران

النسبة المئوية	التكرار	تعاني من مشاكل
٪٢٠	١٠٢	نعم
٪٨٠	٣٩٨	كلا
٪١٠٠	٥٠٠	المجموع

أظهرت نتائج الجدول رقم (١٢) أن النسبة الكبيرة لا تعاني من مشاكل مع الجيران في موطنهم الأصلي سواء من مالك الوحدة السكنية أو الجيران ونسبة ٪٢٠ كانت تعاني بعض المشاكل والتي على ضوءها تم الهجرة وإشغال هذه الأماكن معتقدين الخلاص من هذه المشاكل لكن بهذا الحل زاد الوضع سوءاً.

## الاستنتاجات

بعد التغيير الذي شهده العراق بعد عام ٢٠٠٣ أدى إلى استشراف ظاهرة التجاوز على الممتلكات العامة وبعض الخاصة وتحولت من حاجة فعلية بمرور الوقت إلى تجارة رائجة يقودها بعض رؤوس الأموال ووسطاء، وما بين الحالة المأساوية التي يعيشها الفقراء وبين الحالة التي ورائها السماسرة والمنتفعين لم تقدم الحكومة حلاً حقيقياً لمعالجة هذه الظاهرة، ومن هذه الاستنتاجات التي توصلت لها الدراسة :

- ١- ان غالبية المهاجرين من محافظات الجنوب.
- ٢- اثبتت الدراسة الميدانية ان الذي قام بهذه الحركة السكانية هم من المستويات الثقافية المنخفضة .
- ٣- تدل نتائج الدراسة الميدانية ان السكن العشوائي في معظم أحياء كربلاء هم ذوي الدخل المحدود والفقراء.
- ٤- ان نسبة أعمار النازحين بين (١٥ - ٦٠) وهي أعمار يمكن ان تؤدي أعمال مختلفة.
- ٥- ان الدراسة أثبتت أن القرار الشخصي هو الأغلب في انتقال هذه الوحدات والأماكن.
- ٦- ان أهم الأسباب التي سمحت لهؤلاء المتجاوزين بإشغال هذه الأماكن دون مساءلة هو الاحتلال الأمريكي الذي حل جميع مؤسسات الدولة وغياب المسائلة القانونية .
- ٧- تبين من خلال الدراسة أن البعض من أرباب الأسر نادم ولا يستطيع العودة حيث أوقع أسرته في مشاكل اجتماعية و اخلاقية وسلوكية وسياسية والبعض الآخر يعاني بعدم صلاحية هذه الأماكن للسكن.

## التوصيات

- لاجل المحافظة على بنية المجتمع العراقي والالتفات لهذه الأسر الفقيرة فضلاً المحافظة على قدسية المدينة وتراثها الديني والحضري نود في الختام ان نشير إلى بعض التوصيات التي تساهم في انقاذ التحضر العراقي والكربلائي منها :
- ١- بناء مجمعات سكنية أطراف الأحياء المحاذية للصحراء وهي واسعة وتوفير كافة مستلزمات الحياة وحصر هذه العوائل.
  - ٢- تقديم المساعدة المادية للأسر بعد تملكها وحدات سكنية حتى تستطيع تلبية مستلزمات حياتها الأساسية.
  - ٣- إعادة تأهيل الأماكن التي يتم التجاوز عليها وإعادتها التي وظيفتها الأساسية ضمن التصميم الأساسي للمدينة .
  - ٤- التوعية الثقافية لهذه الأسر عن طريق المتابعة المباشرة ومن كافة الاختصاصات الطبية والنفسية والاجتماعية وإبراز الخطأ من الصحيح حيال تجاوزهم على المال العام.

٥- الاهتمام بتطبيق التصميم الأساسي وفق القانون الحضري الذي يفرض بالقانون مع التوعية الدائمة بخطورة هذه التجاوزات على حضارية المدينة وقدسيتها.

### استمارة استبيان

السيد رب الأسرة المحترم، الرجاء الإجابة على الأسئلة بصورة موضوعية لتساهم معنا في حل هذه الأزمة بإيجاد البدائل التي تليبي رغبات المواطن العراقي في العيش بسكن ملائم يحقق فيه جزء من كرامته وإعتباره الشخصي وهو حق له.

- ١- المحافظة ..... المنطقة .....
- ٢- مسقط الرأس .....
- ٣- التحصيل العلمي .....
- ٤- العمل .....
- ٥- الدخل الشهري .....
- ٦- عدد أفراد الأسرة .....
- ٧- هل تملك الأسرة قطعة أرض؟ نعم ..... كلا .....
- ٨- هل تملك دار سكن؟ نعم ..... كلا .....
- ٩- تاريخ إشغال المكان ..... / ..... / ٢٠..... .
- ١٠- عندما شغلت المكان كيف وجدت عائلته؟ .....
- ١١- عملية إشغالك المكان جاءت وفق أي معيار؟

## رسم الحدود الإيرانية- الأفغانية

### - دراسة للبعد التاريخي في تكوين الحدود الإيرانية الأفغانية -

#### Demarcation of the border Iranian - Afghan - A study of the historical dimension in the composition of the Iranian - Afghan border -

م.د. مسلم محمد العميدي<sup>(١)</sup>

Dr. Muslim Mohammad Al – Amedi

#### ملخص البحث

يعد رسم الحدود الإيرانية مع إمبراطورية الهند البريطانية (باكستان حالياً) من قبل بريطانيا في النصف الثاني القرن التاسع عشر، هو بداية لظهور ما يعرف بـ (علم الجغرافية السياسية) في العصر الحديث، وعلى الرغم من ذلك فلم يكن هناك اهتماماً كافياً للبحث والتحقيق حولها. كما إن الصراع الاستعماري في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر كان سبباً في ظهور ما يعرف بمصطلح (الاقتصاد العالمي) و (النظام الاقتصادي الحديث)، وهذا ما دفع إلى ضرورة تعيين الحدود وبصورة دقيقة بين الدول، وإنشاء نقاط للجمارك، وهذا ما دعا إلى ظهور الخطوط الحدودية بالمفهوم الحديث.

بدأ تشكيل الجغرافية السياسية لإيران منذ منتصف ليلة ٣٠ أيار ١٧٤٧ وهي الليلة التي قتل فيها نادر شاه (١٧٣٦ - ١٧٤٧) مؤسس الدولة الافشارية (١٧٣٦ - ١٧٩٦) في إيران، وقد غير هذا الحدث من معالم الجغرافية السياسية لإيران وآسيا الوسطى والهند، مما ترك أثراً على تشكيل الجغرافية السياسية لإيران.

---

١ - جامعة أهل البيت (عليه السلام) / كلية الشريعة الإسلامية

## Abstract

The Demarcation to the Iranian border with the empire of British India (Pakistan now) by Britain in the second half of the nineteenth century , is the beginning of the emergence of what is known as (the science of geopolitical ) in the modern era , and though there was not enough attention to research and investigation around. As the conflict colonial in the eighteenth century and the beginning of the nineteenth century was the reason for the emergence of what is known by the term ( the global economy ) and (the modern economic system ), and this prompted the need to set boundaries and accurately between states, and the establishment of points of Customs , and this is called for the emergence of border lines in the modern sense

Began the formation of geopolitical Iran since the middle of the night 30 May, 1747 a night , which killed Nadir Shah ( 1736-1747 ) , the founder of the Alafsharia ( 1736-1796 ) in Iran , this event is landmarks geopolitical Iran , Central Asia and India , leaving an impact on geo - political formation to Iran

## مقدمة :

يعد رسم الحدود الإيرانية مع إمبراطورية الهند البريطانية (باكستان حالياً) من قبل بريطانيا في النصف الثاني القرن التاسع عشر، بداية لظهور ما يعرف بـ (علم الجغرافية السياسية) في العصر الحديث، وعلى الرغم من ذلك فلم يكن هناك اهتماماً كافياً للبحث والتحقيق حولها. كما إن اتساع دائرة الصراع الاستعماري في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر كان سبباً في ظهور ما يعرف بمصطلح (الاقتصاد العالمي) و (النظام الاقتصادي الحديث)، وهذا ما دفع إلى ضرورة تعيين الحدود وبصورة دقيقة بين الدول، وإنشاء نقاط للجمارك، مما دعا إلى ظهور الخطوط الحدودية بالمفهوم الحديث. وقد رسم أول خط حدودي في العصر الحديث في النصف الأول من القرن التاسع عشر في استراليا وأوروبا وأمريكا الشمالية وإفريقيا الجنوبية.

بدأ السير التدريجي لتشكيل الجغرافية السياسية لإيران منذ منتصف ليلة ٣٠ أيار ١٧٤٧ الليلة التي قتل فيها نادر شاه (١٧٣٦ - ١٧٤٧) مؤسس الدولة الافشارية (١٧٣٦ - ١٧٩٦) في إيران، وقد غير هذا الحدث من معالم الجغرافية السياسية لإيران وآسيا الوسطى والهند، حيث سعى كل قائد من قواده للسيطرة وتجديد حياة إمبراطوريته لنفسه. فقد قام يوسف علي خان وعدد آخر من القواد بتنصيب شاه رخ ميرزا أفشار (١٧٤٨ - ١٧٩٦) على العرش في خراسان، وادعى محمد حسن خان قاجار الزعامة في كركان، وكذلك كريم خان الزند (١٧٥٠ - ١٧٧٩) - مؤسس الدولة الزندية (١٧٥٠ - ١٧٩٤) - في شيراز. إما احمد خان أبدالي فقد ذهب إلى كابل ليزحف من هناك على الهند ويضمها إلى إمبراطوريته التي يروم إنشاؤها في إيران، وقد اصدر أمرا

بذلك في تشرين الأول ١٧٥٣، ولم يترك مجالاً للشك فيه بأنه يفكر في تأسيس بلد جديد باسم أفغانستان .

تزامنت هذه النزاعات والمنافسات مع الصراع الاستعماري بين إمبراطوريتي روسيا وبريطانيا في آسيا الوسطى والهند، مما ترك أثراً تدريجياً على تشكيل الجغرافية السياسية لإيران . وهذا ما أدى إلى قيام احمد خان أبدالي بتأسيس أفغانستان كبلد منفصل، ونصب نفسه شاهاً في كابل، وسمى نفسه احمد شاه دراني، وأنهى حكومة شاه رخ ميرزا أفشاري في خراسان، ووضع أغا محمد خان (١٧٩٥ - ١٧٩٧) على عرش إيران ليؤسس بذلك الدولة القاجارية (١٧٩٦ - ١٩٢٥)، وانشأ مما تبقى من إمبراطورية نادر شاه إيران الحالية، وبهذا تحولت هذه الإمبراطورية إلى بلدين هما : إيران وأفغانستان . وموت احمد شاه دراني سنة ١٧٧٣ تفتت أفغانستان - التي تأسست حديثاً - إلى هرات وكابل وقندهار، ومرة أخرى عاد التقليد القديم لحكومة الأمراء مرتبطاً بالملكة الفدرالية إيران .

جاء من هنا اختياري لدراسة هذا الموضوع ؛ لأهميته في تاريخ إيران الحديث، وللدور الذي لعبته بريطانيا رسم الحدود بين إيران وأفغانستان، عن طريق لجانها الخاصة بذلك وهي : لجنة تحكيم كولد سميث الذي أنهى عمله سنة ١٨٧٢، ولجنة تحكيم هنري مكماهون سنة ١٩٠٣ - ١٩٠٥ . فضلاً عن تسليط الضوء على دور تركيا في رسم الحدود بين الطرفين عن طريق لجنة تحكيم فخر الدين آلتاي سنة ١٩٣٤ - ١٩٣٥، عندما قرر الجانبان اللجوء إليها للتحكيم بينهما . لا بد من الإشارة إلى إن هذا البحث عبارة عن مساهمة علمية مختصرة ومتواضعة، حاولت الكشف فيها عن تفاصيل رسم الحدود الإيرانية - الأفغانية، ودور بريطانيا في ذلك . وقد تناول البحث عدة مباحث هي :

١. رسم الحدود الإيرانية - الأفغانية بعد تجزئة خراسان وسيستان وبلوچستان .
  ٢. بداية ظهور الخلافات الحدودية الإيرانية - الأفغانية .
  ٣. تعيين حدود بلوچستان وسيستان .
  ٤. مشكلة هيرمند والحدود مع سيستان، وتحكيم كولد سميث .
  ٥. لجنة تحكيم مكماهون، ومسألة تقسيم مياه هيرمند .
  ٦. لجنة تحكيم فخر الدين آلتاي .
  ٧. أهم المناطق الحدودية في قرار آلتاي .
  ٨. تحليل لرأي آلتاي .
- ختاماً أدعو الله عزوجل أن أكون قد وفقت في جهدي العلمي المتواضع، ليكون بحثي هذا مصدراً مفيداً للمعنيين بتاريخ إيران، ومنه العون والتوفيق .

## ١- رسم الحدود الإيرانية - الأفغانية بعد تجزئة خراسان وسيستان وبلوچستان :

اعتلى كامران خان بن احمد شاه دراني عرش أفغانستان بمساعدة الحكومة الإيرانية، لكنه سرعان ما أعلن تمرده وقطع ارتباطه بها، فضلا عن مهاجمته لفراه وغوريان وسيستان. مما أدى بمحمد شاه<sup>(٢)</sup> (١٨٣٤ - ١٨٤٨) إلى توجيه جيش إلى هرات ومحاصرتها سنة ١٨٣٧، وقد كتب جان مكنيل وزير بريطانيا المفوض في طهران إلى حكومته في كانون الأول من السنة نفسها قائلا: "حتى لو فرضنا إن حكومة هرات مستقلة عن إيران، فإن من وجهة نظري إن للشاه الحق في إعلان الحرب على الأمير كامران"<sup>(٣)</sup>. وقد توصل مكنيل إلى نتيجة مفادها إن كامران خان خلق الأرضية المناسبة لانفصال هرات عن إيران (مفتاح الوصول إلى الهند)، موصيا حكومة الهند بالعمل جاهدا على تحقيق هذا الانفصال، وتشكيل من هذه المنطقة دولة عازلة تكون حائلا ضد سياسة روسيا وخطتها الطامعة بالهند<sup>(٤)</sup>.

أرسلت بريطانيا - ردا على ذلك - قواتها البحرية إلى الخليج العربي، فأدرك أغا محمد خان حساسية وضع إيران في الخليج مقابل توسع قدرة بريطانيا، فأعطى أوامره بعودة القوات الإيرانية وفك الحصار عن هرات<sup>(٥)</sup>. وقد تكررت هذه الإحداث بعد عشرين عام في ١٥ أيلول ١٨٥٥ في عهد ناصر الدين شاه<sup>(٦)</sup> (١٨٤٨ - ١٨٩٦)، فقد تم قتل حاكم هرات الإيراني على يد وزيره عيسى خان، الذي أعلن العصيان، مرسلًا قواته لمحاصرة سيستان مما حدا بناصر الدين شاه إلى إرسال جيشه لمعاقبته<sup>(٧)</sup>. وفي سنة ١٨٥٦ أعلنت بريطانيا الحرب على إيران، ومرة أخرى أرسلت قواتها البحرية إلى الخليج، واحتلت جزيرة خارج وسواحل بوشهر وخوزستان إلى منطقة برازجان. وبذلك رجح ناصر الدين شاه أهمية الخليج العربي وهذه السواحل والجزر على أهمية هرات، مستجيبا لاتفاقية باريس ١٨٥٧ المبرمة مع بريطانيا بعد انتهاء حرب القرم<sup>(٨)</sup> (١٨٥٣ - ١٨٥٦)،

٢- ابن عباس ميرزا، أعتلى عرش إيران في سنة ١٨٣٤ م بعد وفاة جده فتح علي شاه، تمكن من القضاء على منافسيه وتوطيد عرشه. توفي في ٥ أيلول ١٨٤٨ عن عمر ناهز ٤٢ عام بمرض النقرس. للتفاصيل ينظر: مهدي بامداد، تاريخ رجال إيران در قرن ١٢ - ١٣ - ١٤ هجري، جلد سوم، تهران، ١٣٧٤، ص ٢٥٧ - ٢٦٢.

3 -Despatch from Mr. McNeil to Viscount Palmerston , dated Tehran feb.24 , 1837 , No.13 , P.3 , FO 539\1-10

4 -Letter from Sir John McNeil to Viscount Palmerston , dated June.25 , 1838 , Blue Book ,PP.131-3 , FO 539\1-10 .

5 -Letter of 15th September 1839 , from Haji Mirza Aghasi to Viscount Palmerston , FO 539 \1-10 .

٦- ابن محمد شاه . رابع شاه في العهد القاجاري . ولد في ١٧ تموز ١٨٣١ . اعتلى عرش إيران في ٢٠ تشرين الأول ١٨٤٨ . أستمّر حكمه ٤٨ عاما سارت فيها نحو الهاوية . اغتيل في ١ أيار ١٨٩٦ . للتفاصيل ينظر : على أكبر ولايتي ، تاريخ روابط خارجي إيران دوران ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه ، تهران ، ١٣٧٢ ، ص ٦ - ٤٤ .

7 -Pirous Mojthed-Zadeh , "The Eastern Boundaries of Iran " , in K.S. Mclachlan ed. The boundaries of modern Iran , London : UCL , 1994 , P.130 .

٨- حرب قامت بين روسيا والدولة العثمانية في ٤ تشرين الأول ١٨٥٣ . دخلت مصر وبريطانيا وفرنسا الحرب سنة ١٨٥٤ إلى جانب الدولة العثمانية التي كان قد أصابها الضعف ، ثم لحقتها مملكة سردينيا (أصبحت سنة ١٨٦١ مملكة إيطاليا) . وكان من بين أهم أسبابها الأطماع الإقليمية لروسيا على حساب الدولة العثمانية ، لاسيما في شبه جزيرة القرم التي كانت

والتي اعترفت بها إيران باستقلال أفغانستان، ومنحت بريطانيا امتيازات وحقوق تجارية فيها<sup>(٩)</sup>. تشكلت - على وفق المادة ٦ من هذه الاتفاقية - الحدود الحديثة للأراضي الشرقية في إيران، في الوقت الذي استولت فيه بريطانيا على بلوجستان وسيستان وخراسان وأخضعتها لسلطتها. وقد دعا اللورد جورج كيرزن (١٨٩٩ - ١٩٠٥) نائب الملك في الهند إلى فكرة إن تكون الحدود طبيعية مع ملاحظة الانسجام القومي للسكان على طول الحدود، واعتماد هذه الفكرة في تقسيم الأراضي الحدودية، وإيجاد الحدود السياسية بين الشعوب. وقد كتب حول فصل هرات عن إيران قائلاً: "... تدار هرات تقليدياً من قبل حكام أو أمراء تابعين لإيران. هذه المدينة تُسكن من قبل أناس يتبعون عادات إيرانية وليست أفغانية، ولهم ميول نحو إيران. كما أنه لا يوجد فاصل طبيعي أو قومي بينها وبين مشهد"<sup>(١٠)</sup>، و: "... هذه المدينة كانت عاصمة خراسان الغربية، ومن الناحية الجغرافية فليس هناك أي فاصل طبيعي بينها وبين مشهد"<sup>(١١)</sup>.

وصلت حكومة الهند البريطانية إلى نتيجة هي إن إستراتيجية إيجاد درع حائل يقف بوجه روسيا وفرنسا يحتم عليها ليس فقط استقطاع هرات من إيران، بل إنهاء صلة الارتباط بينها وبين كابل وقندهار لتحويلها إلى بلاد حائلة بين الهند وإيران لمنع التجاوزات المحتملة لهاتين الدولتين. علماً إن هرات عملياً - وبحسب بنود اتفاقية باريس - قد انفصلت عن إيران وأصبحت تحت الحماية البريطانية. وفي سنة ١٨٦٣ - وبمساعدة حكومة الهند البريطانية - سقطت حكومات هرات وكابل وقندهار بيد دوست محمد خان أمير كابل، وتم دمجها معاً، ووجد بذلك بلاد أفغانستان<sup>(١٢)</sup>.

## ٢- بداية ظهور الخلافات الحدودية الإيرانية-الأفغانية :

حضرت الصراعات السياسية والعسكرية أمير علم خان الثالث (حشمت الملك) أمير قباينات وسيستان في سنة ١٨٦٥، والذي كان منافساً لشير علي خان أمير أفغانستان بالتحرك العسكري، مما أدى بحكومة إيران بتقديم شكوى للحكومة البريطانية بشأن ذلك، فكان جواب اللورد جون راسل وزير خارجية بريطانيا: "إن بريطانيا ليس لها علاقة بهذه المسألة، ويمكن للطرفين استخدام القوة لإحقاق حقوقهم في سيستان"<sup>(١٣)</sup>. حينها قاد حشمت الملك حملة على أفغانستان في الجزء المحتل

مسرح المعارك والمواجهات، انتهت الحرب في ٣٠ آذار ١٨٥٦ بتوقيع اتفاقية باريس ١٨٥٧، وهزيمة روسيا. للتفاصيل ينظر: علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الايوبية الحديثة، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٩٠، ص ٣١٨ - ٣١٩.

9 - Treaty of Peace between Her Majesty the Queen of the United Kingdom of Great Britain and Ireland and His Majesty the Shah of Persia, Paris, March 4, 1857, FO 60/403, P.2.

10 - George N. Curzon, Persia and the Persian Question, Vol. II, London, 1882, P. 586.

11 - British Foreign Office Document Known as "Persian Frontiers", Section on boundaries with Afghanistan, RPX/7/1. FO 371/40219, P. 2.

12 - Pirous Mojtahed- Zadeh, Evolution of Eastern Iranian Boundaries, Ph. D. Thesis in file, University of London, 1993, P. 347.

13 - Despatch from Lord Russell to Mirza Saeed Khan, dated London 5th of November 1863, repeated in H. L. Wynn's "History of Sistan", P.39.

غرب سهل هيرمند وأعادته إلى سلطة إيران<sup>(١٤)</sup>. ومنذ هذا التاريخ أصبحت حكومة حشمت الملك شبه مستقلة وحاكمها بمنصب ولي عهد هذه المنطقة الحدودية، الوضع الذي اوجد حكما ذاتيا<sup>(١٥)</sup>، وبذلك عين أمير علم خان أكبر أبنائه الأمير علي أكبر خان حسام الدولة الثاني (حشمت الملك الثاني) نائبا لحكومته وأرسله إلى سيستان بلقب أمير سيستان، إلى أن أوكل الأخير أمر الإمارة إلى ولده أمير معصوم خان حسام الدولة الثالث، إلى أن قدم أمير معصوم خان استقالته من إمارة قباين و سيستان في سنة ١٨٣٧<sup>(١٦)</sup>. حينها تم دمج سيستان وبلوجستان وبشكل مستقل في النظام السياسي الحديث لإيران<sup>(١٧)</sup>، وبهذا الشكل ظهرت إلى الوجود الحدود الغربية لإيران<sup>(١٨)</sup>.

### ٣- تعيين حدود بلوجستان وسيستان :

#### أ- حدود منطقة مكران :

شرعت حكومة الهند البريطانية في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر بمد خط تلغراف يربط الهند بأوروبا، وبما إن هذا الخط يمر من جنوب إيران والخليج فقد شكلت لجنة برئاسة الجنرال فردريك كولد سميث لدراسة الأراضي الواقعة في مسير خط التلغراف هذا في بلوجستان ومكران، وفي الوقت نفسه كانت حكومة الهند البريطانية تفكر في تعيين الحدود بينها وبين إيران. وقد عينت إيران ميرزا معصوم خان أنصاري كممثل لها في هذه اللجنة التي ستقوم بالتحكيم بين الطرفين وتعيين الحدود بينهما<sup>(١٩)</sup>.

بدا الجنرال كولد سميث عمله في بداية سنة ١٨٧١ في مكران، وعلى الرغم من عمل هيئة التحكيم هو دراسة المناطق الحدودية فقط، وبحث نتائج هذه الدراسة في طهران، والحصول على توافق برضا الطرفين، إلا إن الأوامر التي وجهت إلى كولد سميث هو تعيين الخط الحدودي الذي اقر من جهة حكومة الهند البريطانية<sup>(٢٠)</sup>. فكان هدف اللجنة هو: "إعطاء المزيد من الأراضي الإيرانية إلى حكومة كلات"<sup>(٢١)</sup> وخران الصنيعة لحكومة الهند البريطانية، وإضفاء الصيغة القانونية

14 - From Sir H. Green to the Government of India, dated 10th January 1867, repeated in H. L. Wynn's "History of Sistan", P.49.

١٥ - محمد حسين آياتي، بهارستان، تهران، ١٩٤٨، ص ١٤٢.

١٦ - همان منبع (المصدر نفسه)، ص ١٤٥.

١٧ - همان منبع، ص ١٤٣.

١٨ - للاطلاع أكثر ينظر: پايروز مجتهد زاده، "بر سيستان و هيرمند چه گذشته است"، فصلنامه ره آورد، شماره ٢٥، جاب لس أنجلس، ١٣٦٩، ص ٢٦٧.

١٩ - محمد حسين آياتي، منبع قبلي، ص ١٤٣.

20- Confidential Letter from C. U. Altchison, Secretary of the Government of India, to Major General Goldsmid, dated Ford William 24th January 1871, No. 169, FO 60/387

٢١ - يعيش خان كلات تحت الحماية البريطانية، وقد باع الأراضي التي تحت أمرته إليها. محمد حسين آياتي، منبع قبلي، ص ١٤٤.

عليها ... " ، كما وصف ذلك ميرزا معصوم خان أنصاري إلى حكومته<sup>(٢٣)</sup> .

انتهى كولد سميث من عمله في السنة نفسها ، وقام - بدون الاهتمام إلى اعتراضات ممثل الحكومة الإيرانية ميرزا معصوم خان أنصاري - بتعيين الخط الحدودي من كوادر إلى جالق . وفي النهاية وافقت حكومة إيران على الحدود المقترحة من قبل كولد سميث ، ولكن بتغيير بسيط هو إن كوهك (في القسم الشمالي من هذا الخط) والأراضي الواقعة وسط السهل ونهر نهنك تنقل إلى الجانب الإيراني ، وتترك الأراضي في كنج وخليج كوادر إلى جانب حكومة الهند البريطانية<sup>(٢٣)</sup> . رفضت حكومة الهند البريطانية هذا الاقتراح ، وطلبت من الوزير البريطاني المفوض في طهران التأثير على الحكومة الإيرانية لقبول الحدود المقترحة من قبل كولد سميث ، وبكل سهولة قبلت الحكومة الإيرانية ذلك<sup>(٢٤)</sup> . ولكن بعد مدة قليلة من انتهاء عمل تعيين الحدود قام إبراهيم خان حاكم بمبور بالاستيلاء على كوهك والمناطق المهمة من وادي مشكيل واسفندك ، ووجد انحرافا في الخط الحدودي المقترح من قبل كولد سميث باتجاه قسم من بلوجستان وشرق كوهك ومشكيل واستمر هذا الوضع لمدة عشرين سنة . وفي سنة ١٨٩٥ وافقت حكومة الهند البريطانية بضم كوهك واسفندك وبقية الأراضي الإيرانية التي استولى عليها إبراهيم خان إلى إيران<sup>(٢٥)</sup> .

### ب- حدود بلوجستان الشمالية :

أوكلت مهمة تعيين حدود القسم الشمالي من بلوجستان بين حكومة الهند البريطانية وإيران في سنة ١٨٩٥ إلى العقيد هنك فورد هلدج ، وقد قام بدراسة هذه المنطقة من نقطة النهاية للحدود التي عينها كولد سميث إلى نقطة بداية أراضي سيستان ، وقد منح في تعيينه للحدود مناطق واسعة بطول ٣٠٠ ميل ومنها مير جاوه والأراضي المحيطة بها إلى حكومة خران ، ولم تلاق الاعتراضات الإيرانية أذانا صاغية من قبل حكومة الهند البريطانية<sup>(٢٦)</sup> .

حضر في أوائل شهر كانون الثاني ١٩٠٣ العقيد هنري مكماهون الضابط في الهند البريطانية على رأس لجنة كبيرة إلى سيستان ؛ للتحكيم بين إيران وأفغانستان بشأن المناطق الحدودية بينهما ، وقد رافق حضوره نقص في المواد الغذائية في سيستان ، مما أدى إلى اندلاع ثورة بين الأهالي الذين

٢٢ - للتفاصيل ينظر : رسالة ميرزا معصوم خان أنصاري إلى ميرزا سعيد خان أنصاري وزير الخارجية الإيراني المؤرخة ٢٩ صفر ١٢٨٨ ق الموافق ٣٠ صفر ١٢٢٩ ش / ١٨٧١ ، شماره ٩٣ ، من كتاب : إبراهيم صفائي ، يكصد سند تاريخي ، تهران ، ١٣٥٤ ، ص ١٥٩ .

23 - Letter from General Goldsmid to Foreign Minister of Foreign Affairs , to M. Alison , H. B. Majesty's Minister at Tehran , dated 14th September 1871 , FO 60/391 , P. 2 of 37 .

24 - From Mirza Saeed Khan , Iranian Foreign Minister of Foreign Affairs , to M. Alison , H. B. Majesty's Minister at Tehran , dated 14th September 1871 , FO 60/391 , P. 2 of 37 .

25 - Letter from the Viceroy (of India) the Her Majesty's Government (of London) , dated 16th December 1895 , FO 60/627 .

26 - From Durand of British Legation in Tehran , to Marquis of Salisbury (of London) , Dated Tehran , January 20th 1896 , No. 5 , FO 60/62 .

كانوا خائفين من إن تكون قرارات لجنة مكماهون شبيهة بقرارات كولد سميث ، وقد رافق ذلك أعمال حرق وتخريب للمباني البريطانية في سيستان ، وكذلك تهديد لأرواح أفراد اللجنة . فما كان من أمير علي اكبر خزيمة (حشمت الملك الثاني) أمير سيستان إلا إن نشر جنوده للسيطرة على هذا التمرد للحيلولة دون قتل البريطانيين . وعلى اثر مطالبة روسيا من الحكومة الإيرانية بعزله ، أرسل الممثل السياسي لحكومة الهند البريطانية في سيستان رسالة سرية إلى الوزير المفوض البريطاني في طهران يخبره فيها : " ... أن عزله سيؤدي إلى هز كيان بريطانيا في سيستان ، ولهذا السبب يجب بذل كل ما يمكن للحيلولة دون ذلك" <sup>(٢٧)</sup> . ونتيجة لهذا الاقتراح دخلت حكومة الهند البريطانية في محادثات مع حكومة إيران وقبلت مقابل إلغاء حكم العزل أن تستعيد إيران مير جاوه و الـ (٣٠٠) ميل التي منحها العقيد هنك فورد هلدريج إلى حكومة الهند البريطانية ، وأصبح ذلك اتفاقاً حدودياً بينهما في سنة ١٩٠٥ ، وبذلك اعترفت حكومة الهند البريطانية بالحدود الشمالية بلوجستان <sup>(٢٨)</sup> ، وحددت هذه الحدود بخط مستقيم ظهر على الخرائط في سنة ١٩٥٢ ، وقامت إيران وباكستان (البلد الحديث التأسيس) بجهود لحل المشاكل المعلقة بينهما <sup>(٢٩)</sup> .

#### ٤- مشكلة هيرمند والحدود مع سيستان، وتحكيم كولد سميث :

تمر الحدود الدولية بين إيران وأفغانستان من الفرع الأصلي لنهر هيرمند في سيستان ، وهذا ما كان يحظى برضا الدولتين ، إلا إن الاختلافات بين الطرفين كانت حول كيفية تقسيم مياه هيرمند بينهما . وكان الزعماء الأفغان يدعون إن الحق في الاستفادة من نهر هيرمند فقط لأفغانستان ، وهذا ما أكدته تقرير هنري مكماهون في ٢٥ أيلول ١٩٠٢ حيث جاء فيه : " ... إن الأفغان لا يقرون بوجود خلاف حول الماء ، ذلك إن موقعهم الجغرافي يشير إلى إنهم أصحاب ومالكي كل هيرمند الواقع فوق سد سيستان" <sup>(٣٠)</sup> .

بدأت المشكلة بين الطرفين منذ أن قررت فيه لجنة تحكيم كولد سميث إن الحدود الإيرانية الأفغانية في سيستان تمر عبر الفرع الأصلي لنهر هيرمند ، دون أن تبت في كيفية تقسيم المياه بينهما أو توصي بذلك <sup>(٣١)</sup> . وقد تلقت حكومة الهند البريطانية رسالة من الجنرال بولاك ممثل أمير أفغانستان في لجنة حدود كولد سميث يسأل فيها : " إن إيران ما تزال متمسكة بإحكام بالأقسام الأصلية من

٢٧ - بيروز مجتهد زاده ، "سير تكاملی مرزهای خاوری ایران" ، فصلنامه ره آورد ، شماره ٢٥ ، جاب لس أنجلس ، ١٣٧٣ / ١٩٥٣ ، ص ١٠٥ .

28 - Report from Mr. Cook to the Foreign Office , 1 September 1850 , No. 4170/1 , FO 371/82332 A P. O.

29 - Pirous Mojtabeh - Zadeh , The Amirs of the Borderlands and Eastern Iranian Borders , London , 1995 , P. 361 .

30 - Colonel H. McMahon's Memorandum of 25th September 1904 on Sistan Water Question , Paragraph 3 of Clause 69 , FO 60/727 .

٣١ - بيروز مجتهد زاده ، "هيرمند وهامون در چشم انداز هيدروبوليتيك خاوری ایران" ، اطلاعات سیاسی - اقتصادي ، سال دهم ، شماره بنجم وششم ، تهران ، ١٣٧٤ ، ص ٣٢ - ٣٨ .

سيستان، وعليه فسيكون قرار التحكيم لصالح إيران. لكن هل إن ما يريده الأفغان لا يمكن تحقيقه ... من الممكن أن تؤمن مصالح أفغانستان؟" (٣٢).

أشارت هذه الرسالة إلى إن حكومة الهند البريطانية كانت تعتزم أن تعطي لأفغانستان قسما كبيرا من سيستان، ومن جهة أخرى أوجدت الأرضية التي على أساسها حكم كولد سميث بان خط الحدود بين البلدين يمر عبر الفرع الأصلي لهيرمند في السهل، إما ما يعرف بسيستان الداخلية (سيستان الأصلية) تعطي لإيران، والقسم الأكبر المسمى سيستان الخارجية تعطي لأفغانستان (٣٣). أنهى كولد سميث عمله في تعيين حدود سيستان سنة ١٨٧٢ واخذ نتائج عمله إلى طهران. وقد وقع قرار التحكيم هذا من قبل ميرزا مالكوم خان ناظم الدولة ممثلا عن إيران في لجنة تحكيم كولد سميث بدلا عن ميرزا معصوم خان أنصاري، بدون أن يرى سيستان، أو لديه أدنى اطلاع عن كيفية وضع الدراسات الحدودية (٣٤). والشئ الوحيد الذي ذكر عن نهر هيرمند في هذا الاتفاق هو: ((... يجب أن لا يتم الإقدام على أي عمل من الجانبين تكون نتيجته التدخل بأمر مياه نهر هيرمند التي يحتاج إليها في الزراعة والسقي من الجهتين)) (٣٥).

#### ٥- لجنة تحكيم مكماهون، ومسألة تقسيم مياه هيرمند :

عين العقيد هنري مكماهون سنة ١٩٠٣ لرسم حدود جديدة بين إيران وأفغانستان؛ وذلك للتغيير الذي حصل في مسير نهر هيرمند في سنة ١٨٩٦، والذي كان سببا لظهور العديد من الخلافات الجديدة بين الطرفين. وقد قام مكماهون بتقسيم المياه في سنة ١٩٠٥ (٣٦)، مما أضاف مشاكل أخرى؛ ذلك لأن قراره كان تقسيم مياه هيرمند في المناطق الحدودية بالتساوي بين الطرفين، وكان ذلك في سنة ١٩٠٣ - ١٩٠٤ (٣٧). ولكن في سنة ١٩٠٥ غير هذا القرار - بدون ذكر الأسباب - حيث منح ثلثي مياه هيرمند إلى أفغانستان، والثلث الآخر أعطاه إلى إيران (٣٨). شحت مياه هيرمند في سيستان مع حلول أشهر الصيف سنة ١٩٠٥، مما أدى بأهلها إلى شق فرعين جديدين من النهر الأصلي في منطقة منع فيها حكم مكماهون من التلاعب بها من كلا الجانبين. وبما إن هذا الحكم لم يصادق عليه الطرفان فإنه لم يستطع عمل شئ يذكر بشأن ذلك، مما أدى إلى إحياء الخلافات القديمة بينهما. وقد قدم أهالي سيستان شكاوى كثيرة تضمنت اعتراضاتهم

32 -From Foreign Secretary of India to General Pollock , dated Calcutta 27 April 1872 , FO 60/392 .

٣٣ - محمد حسين آياتي، منبع قبلي، ص ١٤٦ .

٣٤ - ينظر : مقاله "كتاب جة تحديد سيستان"، فصلنامه ايران زمين، سال ٢٨، تهران، ١٣٦٩، ص ٢٩٨ .

35 -Extract of Goldsmit's Sistan Boundary Award Regarding Hirmand river , Last paragraph , as appeared in General Goldsmit's Book Eastern Persia , London , 1876 , P. 414 .

36 -Pirous Mojtahed-Zaden , "Eastern Boundaries of Iran" in the International Boundaries of Modern Iran , (ed). K.S. Mclachlan , London , UCL Press , 1994 , P. 135 .

٣٧ - محمد حسين آياتي، منبع قبلي، ص ١٤٧ .

38 -McMahon's Final Draft of Water Award , Award "B" , No. 29 of FO 60/728 , PP. 34-36 .

على حكم مكماهون، واعتباره مؤامرة على حقوق إيران والإيرانيين في مياه هيرمند لصالح الأفغان<sup>(٣٩)</sup>، مما أدى بأهالي سيستان إلى الهجوم على محل إقامة لجنة التحكيم البريطانية وإحراقه<sup>(٤٠)</sup>.

استمرت تعديلات ومضايقات أفغانستان لإيران والمناطق الحدودية الفاصلة بينها إلى أن عقد بين الطرفين - على اثر توطيد أواصر الصداقة بينهما - اتفاقا في ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٩ حول تقسيم مياه هيرمند جاء فيه : ((تقسم المياه بالتساوي بين الطرفين من بند كمال في الكيلو ٤٧ داخل الأراضي الأفغانية إلى الحدود الإيرانية، وإن تتعهد أفغانستان بعدم إنشاء أي قناة جديدة بين جهار برجك وبند كمال خان، وإن تقوم بتقييم القنوات الموجودة))<sup>(٤١)</sup>. لكن هذا الاتفاق لم يختم الخلافات بين البلدين ؛ لان الأفغان لم يتفقوا عليه فيما بينهم، بسبب التحولات في المجال السياسي لإيران خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)، لاسيما بعد حصول عدة شركات أمريكية على امتيازات اقتصادية من حكومة أفغانستان سنة ١٩٤٦ لإنشاء سدود وقنوات انحرافية على نهر هيرمند. حيث تم بناء سدين كبيرين هما سد خزان كجكي وسد بغرا الانحراقي في أفغانستان في سنة ١٩٤٩، مما أثار حفيظة الإيرانيين، وعلى الرغم من توسط الولايات المتحدة الأمريكية، وإرسال الدولتين ممثلهم إلى واشنطن سنة ١٩٥٩ لإجراء المحادثات، إلا إن تلك المحادثات لم تصل إلى نتيجة تذكر<sup>(٤٢)</sup>.

استمرت الخلافات بين الطرفين إلى سنة ١٩٧٤، حيث وقع البلدان في هذه السنة اتفاقا جديدا حول تحديد سهم كل واحد منهم من الماء، فحدد سهم إيران من المياه في سهل هيرمند بـ ٢٢ متر مكعب في الثانية، فضلا عن مترين مكعبين في الثانية تم شراؤها من أفغانستان<sup>(٤٣)</sup>.

## ٦- لجنة تحكيم فخر الدين آلتاي Altay :

قرر الجانبان الإيراني والأفغاني - مع تفاهم المنازعات بينهما في ٨ آذار ١٩٣٤ - رفض المادة ١٠ من معاهدة ١٩٢١ المبرمة بين الطرفين (والتي تنص على تحكيم بريطانيا في الاختلافات الحدودية)، حيث قررا اللجوء إلى تركيا للتحكيم بينهما، وقد وافقت الأخيرة على ذلك، وأرسلت

39 - Copy of Report of the Russian Legation at Tehran to H.I.H the Vali- ahd (Crown Prince), dated July 29, 1905, FO 60/729, P. 48

40 - From British India Office to Foreign Office, dated 23 November 1905, FO 60/729, P. 280

٤١ - محمد حسين آياتي، منبع قبلي، ص ١٤٧.

٤٢ - المدونات الشخصية للبروفسور محمد حسين كنجي سكرتير اللجنة الممثلة لإيران في محادثات ١٩٥٩ في واشنطن، المؤرخة في ١٨ ذو الحجة ١٣٦٩.

٤٣ - المدونات الشخصية لمحمود فروغي سفير إيران في كابل أثناء المحادثات الأولية والتي انتهت بانعقاد الاتفاق في ١٣٥٢، المؤرخة في ٧ جمادي الثاني ١٣٦٩ ش.

الجنرال فخر الدين آلتاي على رأس لجنة تحكيم، وكان من المقرر أن تقدم الدولتان شكواهما قبل شهر تشرين الأول إلى اللجنة عن طريق تركيا. وقد عينت حكومة إيران مهدي فرخ معتمد السلطنة (ابن فرخ خان أمين الملك الموقع على اتفاق باريس ١٨٥٧) رئيساً للهيئة الإيرانية المؤلفة من ٢٠ خبيراً في لجنة التحكيم، إما حكومة أفغانستان فقد عينت حاكم هرات عبد الرحيم خان نائب سالار على رأس الهيئة الأفغانية<sup>(٤٤)</sup>.

قام أعضاء اللجنة بزيارة المنطقة المتنازع عليها، وفي ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٤ ذهبوا إلى كابل، وفي ٢٢ تشرين الثاني ولأجل استكمال التحقيقات عادوا إلى منطقة الحدود<sup>(٤٥)</sup>، وكان من بين أعضاء لجنة التحكيم الكولونيل ضياء بيك الدبلوماسي البريطاني في كابل، والذي عرف بصداقته للأفغان<sup>(٤٦)</sup>.

بقي أعضاء اللجنة ثلاثة أسابيع في مشهد، وفي ٢٩ كانون الأول ومن أجل المزيد من التحقيقات ذهبوا إلى غوران، وفي ١٨ كانون الثاني ١٩٣٥ التقى ممثلو إيران وأفغانستان بها لتبادل الوثائق والادعاءات بين الطرفين، ومن غوربان انطلقت اللجنة إلى الجهة المتعلقة بأفغانستان؛ ذلك لأن الاطلاع على الحدود لم يكن ممكناً من جهة الأراضي الإيرانية فقط. وقد تفقد الوفد المناطق المتنازع عليها من نقطة الحدود إلى جنوب سياه كوه وفي الشهر نفسه ذهبوا إلى هرات، حينها استدعى الجنرال آلتاي الطرفين إلى جلسة مشتركة، وبدأت خطوات الوساطة بشكل مختصر<sup>(٤٧)</sup>. بعدها ترك آلتاي اللجنة وعاد إلى بلاده<sup>(٤٨)</sup>.

تجددت الخلافات والاعتراضات من قبل الطرفين بسبب تأخير اللجنة في إصدار الحكم النهائي، وقد كتب أحد الدبلوماسيين البريطانيين في تركيا إلى حكومته تقريراً بصدد ذلك جاء فيه: "... لم تستطع اللجنة إيجاد حل يرضي الطرفين، كما إن مزاعمهما لم تكن مقبولة لديه... إن تركيا مصممة على إعلان خاتمة أعمال اللجنة، في حالة قبلت الدولتان برأي اللجنة وانصاعتا له"<sup>(٤٩)</sup>. أعلن الطرفان موافقتهما على شروط اللجنة، وفي ١٥ أيار ١٩٣٥ كتب الجنرال آلتاي قرار اللجنة، وسلمه إلى سفيرى البلدين في أنقرة، وفي ١٦ تشرين الأول ١٩٣٥ أقرت إيران اللائحة

٤٤ - محمد علي مخبر، مرزهای ایران، تهران، ١٣٦٢، ص ٣٢.

45 - Afghanistan Annual Confidential Report for the year 1934, No. 1358/1358/97, Kabul Feb. 1934, FO 31/1942, P. 41

46 - Clause 4 of Dispatch from His Majesty's Minister, Kabul, to His Majesty's Secretary of State for Foreign Affairs, London No. 141, Dec. 1934 FO 371/19408, P. 173

47 - From British Legation Kabul to British Legation Tehran, 11 Dec. 1934, FO 371/19408, PP. 182-183

48 - Clause 2 of H. B. Majesty's Consulate General of Khorasan and Sistan Confidential Dialy for Jan. 1935, FO 371/19421, P. 3 of 142

49 - Mr. Morgan's dispatch No. 457, dated Angora, 1 Jan. 1935, FO 371/19408, P. 179

الحدودية بناءً على رأي آلتاي، وقام الوفدين الإيراني والأفغاني بنصب العلامات الحدودية<sup>(٥٠)</sup>.

## ٧- أهم المناطق الحدودية في قرار آلتاي :

١- **موسى آباد** : كانت موسى آباد عبارة عن قرية فيها ثلاث منازل طينية، وكان الماء الذي يؤمن للقرية يأتي من عين تبعد كيلو متر إلى شمالها، وقد احتل الأفغان المنازل الثلاث<sup>(٥١)</sup>. وفي الجنوب الشرقي للقرية - القريب من محل سكن بعض البدو الأفغان - توجد عدد من العيون، وكان أمير محمد رضا خان أمير سيستان<sup>(٥٢)</sup> يملك القناة والأراضي التي ترويه مياه هذه القناة، وقد عمر القناة على الرغم من إن القرية كانت تحت الاحتلال الأفغاني. وكان رأي آلتاي أن تبقى موسى آباد على وضعها الحالي، متغافلاً عن كونها جزءاً من الممتلكات الشخصية لأحد أتباع إيران، فضلاً عن عشرات الأميال التي تبعد من شاخص الحدود الغربية رقم ٣٩ في خط مكلمين، مؤكداً على : "... تقسيم منطقة موسى آباد إلى قسمين : الأراضي الواقعة فيها البيوت الطينية تعود إلى إيران، والموضع الذي يشغله البدو الأفغان، فضلاً عن العيون تعود إلى أفغانستان"<sup>(٥٣)</sup>.

٢- **نمكزار** : قام الجنرال آلتاي بتعيين الشواخص الحدودية من رقم ٤٠ إلى المسافة الفاصلة بين موسى آباد إلى شمال نمكزار. من هذه النقطة يسير الخط الحدودي في مجرى نهر سرکردان بحدود ١٠ كم إلى أن يصل المنطقة التي يتبين فيها الفرع الأصلي من القنوات القديمة، وهنا توجد العلامة الحدودية ٥٢، ومن هذه النقطة أيضاً - ولمسافة ١٠ كم - تمتد الحدود في المجرى القديم لنهر سرکردان من الشمال الغربي إلى الجنوب الغربي. وقد عين آلتاي منطقة سياه كدوى الأفغانية للأفغان، وسياه كدوى الإيرانية للإيرانيين، هذا الخط يمتد إلى الساحل الشمالي من نمكزار وإلى العلامة الحدودية رقم ٥٣. وقد قسم أيضاً بحيرة الملح إلى قسمين بامتداد الخط الحدودي، فأعطى القسم الغربي لأفغانستان، والقسم الشرقي لإيران<sup>(٥٤)</sup>.

٣- **يزدان** : كانت يزدان قرية تضم عدد قليل جداً من السكان، وفيها مزرعة ومبنى حدودي للجنود والكمارك وكلها تابعة لإيران<sup>(٥٥)</sup>، وهي ملك محمد رضا خان وأمير حسين خان. وعلى بعد ١٢ كم إلى الجنوب من يزدان توجد قرية باسم كبوده، وهي محل سكن عدد من الأفراد، يزرعون الأراضي بواسطة القنوات، وهي أيضاً تعود إلى إيران، وملك لأمر حسين خان، وقد عمر القناة القديمة في القرية وأحدث قناة أخرى إلى جانب قطعة أرض خصبة، وكتب كل ذلك - بين يزدان

50 - From British Embassy at Ankara to the Foreign Office , dated Angora , 22 May 1935 , FO 371/19408 , P. 261

٥١ - ينظر : محمد علي مخبر، منبع قبلي، ص ٣١ - ٥٢ .

٥٢ - همان منبع، ص ٤١ .

٥٣ - همان منبع، ص ٤١ - ٤٢ .

٥٤ - همان منبع، ص ٤٢ .

٥٥ - همان منبع، ص ٤٢ .

وكبوده - باسم ابنته طاهرة وسميت طاهر آباد . وهناك مزرعة نظر خان ، وهي ملك لأحد الأفغان ، وحول هذه المزرعة مناطق يستفيد منها بعض الأفغان في الشتاء<sup>(٥٦)</sup> .  
كان رأي آلتاي هو منح يزدان وكبوده إلى إيران ومنح أفغانستان مزرعة نظر خان الواقعة بين الاثنين<sup>(٥٧)</sup> .

٤- **جكاب** : يستمر الخط الحدودي من كبوده إلى الشاخص الحدودي رقم ٧٢ في كوه ريكو (جبل ريكو)، وهنا يمتد هذا الخط بشكل ملائم من شمال غرب إلى جنوب شرق الشاخص الحدودي رقم ٨٠ في كوه خرماكه (جبل خرماكه) . وقد سمي جنرال آلتاي هذا الجبل باسمه وجاء في متن الحكم باسم كوه آلتاي . وإلى الجنوب هناك قرية جكاب التي تعود ملكيتها إلى أمير إبراهيم خان شوكت الملك . كان رأي الجنرال آلتاي اقتطاع هذه المنطقة لصالح أفغانستان ، متجاهلا عائديتها لإيران ، وملكية أمير إبراهيم خان شوكت الملك لمنطقة جكاب<sup>(٥٨)</sup> .

#### ٨. تحليل لرأي آلتاي :

على الرغم من إن الدبلوماسيين البريطانيين في كابل نقلوا حينها ، بان الأفغان كانوا يرون إن رأي آلتاي يصب لصالح إيران<sup>(٥٩)</sup> ، ولكن هذا القول ينافي للحقيقة ، بل كان ينفخ أفغانستان أكثر والسبب تثبته عدة فرضيات منها : إن آلتاي لم يشاهد المناطق الحدودية أكثر إلا من جهة أفغانستان ، وهذا أدى إلى استماعه إلى وجهة نظر الأفغان والاطلاع على أدلتهم بشكل أكثر . والاحتمال الآخر الصداقة الوطيدة التي تربط أحد مساعدي آلتاي الكولونيل ضياء بيك الضابط الأفغاني جعل أمر التحكيم لصالح أفغانستان . وقد عبر عبد الحسين مفتاح احد الخبراء الدبلوماسيين الإيرانيين عن ذلك قائلا : " التقى بي الدكتور مجتهد زادة وزير الخارجية الأفغانية في أنقرة سنة ١٩٣٥ وقال لي : اعرف جيدا إن قرار التحكيم قد أغضب الإيرانيين ، ولكن التقصير كان من جانب حكومة إيران التي اختارت شخصا فاقدا للتوازن وهو مهدي فرخ معتمضم السلطنة لرئاسة وفدها في هذه اللجنة ، حيث كان سلوكه ينم عن الغرور ، وكان يرى نفسه أفضل من الآخرين ، مما أثار عصبية الجميع ، لاسيما الجنرال آلتاي . كان يجب أن يكون اختياركم فيه أكثر دقة ، يتناسب وحجم هذه المهمة الخطيرة" . من هذا نستنتج إن المسؤولين الأفغان لا ينكرون حقيقة إن آلتاي في حكمه كان يحابي الأفغان<sup>(٦٠)</sup> .

٥٦- محمد علي مخبر، منبع قبلي، ص ٤٤ .

٥٧- همان منبع، ص ٤٥ .

٥٨- همان منبع، ص ٤٨ .

59 - Afghanistan Confidential Annual Report 1935 , from Leut . Colonel Fraser- Tyler to Mr. Eden , No. 31 , dated Kabul March 7 , 1936 , FO 371/19423 , P. 48

٦٠- محمد علي مخبر، منبع قبلي، ص ٤٩ .

شرعت اللجنة التحكيمية سريعا بوضع العلامات الحدودية بين إيران وأفغانستان بعد إعلام رأي لجنة آلتاي، والتي شكلت في أيار ١٩٣٥ وانتهت من عملها في أوائل سنة ١٩٣٦، ووضعت علامات لمسافة ٢٣٤ ميل من الحدود. وبذلك قللت من المشاكل التي تعاني منها القرى الحدودية الإيرانية، ولكنها لم تحل المشكلة بشكل كامل<sup>(١١)</sup>.

### الخلاصة وعرض النتائج :

تعد الحدود الشرقية الإيرانية واحدة من أول الخطوط الحدودية في العالم، وهذا ما جلب إليها اهتمام المتخصصين في الدراسات الجغرافية السياسية، وهي تعد أيضا نموذجا لظواهر أرضية طبيعية، وكانت تحت ضغط سياسي من قبل الإمبراطورية البريطانية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

جهل حكام إيران في كيفية تشكيل علم الجغرافية السياسية الحديثة، وعدم اطلاعهم على ماهية التحولات في المنطقة والعالم اجمع، والجهل بالتقدم الذي أحرزه الآخرون في المجالات الجغرافية وتعيين الحدود وكيفية تقسيم الأراضي الحدودية، لاسيما عند مطالعة الوثائق التي بحوزة إمبراطورية قوية مثل إمبراطورية الهند البريطانية. كل ذلك يؤكد إن حكام إيران ليس فقط يجهلون كل ما يخص الجغرافية السياسية، بل إنهم يفتقدون إلى الإحساس بالمسؤولية اللازمة للدفاع عن حقوق بلادهم، حتى بلغ بهم الجهل حدا كبيرا في كيفية التعامل مع الاتفاقات ورعاية المعاهدات التي تم إبرامها مع بريطانيا. وكانوا يبدون غير مباليين أمام ما كان يقوم به الجنرال كولد سميث، ولم يهتموا بالتحذيرات التي كان يؤكد عليها ممثل إيران تباعا حول نواياه وسوء إدارته لملف تعيين الحدود وأعداد الخرائط، ومع إن لجنة كولد سميث أعدت فقط لدراسة المناطق الحدودية، وإن النتائج كانت يجب أن تعد في طهران، إلا إن الأمور جرت في مسير آخر، فبدل الاعتماد على رأي ممثل إيران انصاعت حكومته لضغوط الوزير البريطاني، فأوكلت مهمة رئاسة الهيئة الإيرانية في اللجنة إلى رجل غير مدرك لحفايا الأمور، ويجهل الحدود في سيستان وطبيعة الأرض المتنازع عليها. وافقت الحكومة الإيرانية على ما قضى به كولد سميث بشأن الحدود في سيستان، فضاع بذلك قسم من أراضي هشتادان ومنح إلى أفغانستان ترصية لبريطانيا، وجرى الشئ نفسه بالنسبة لباقي الحدود الإيرانية. فلم يبق للإيرانيين سوى التأسف على ما حصل جراء جهل وعدم مبالاة حكامهم سابقا. وعلى الرغم إن حدود إيران قد عينت، إلا انه لازالت هناك بعض المشاكل مع جيرانها حول بعض الأراضي والمناطق الحدودية.

شهدت سيستان منذ بداية القرن العشرين فاجعة محيطية؛ وذلك بسبب السياسة المائية (الهيدرولوجية) الخاصة بالاتفاق الأفغاني - البريطاني، وتناقص مياه هيرمند بالتدرج، والذي

أدى إلى تقليص تدريجي لبحيرة هامون . وبالتالي أضرت في البيئة والاقتصاد في سيستان ، مما أدى إلى هجرة الكثير من أهالي سيستان إلى مناطق أخرى من إيران .

### قائمة المصادر :

#### ١- المصادر باللغة الفارسية :

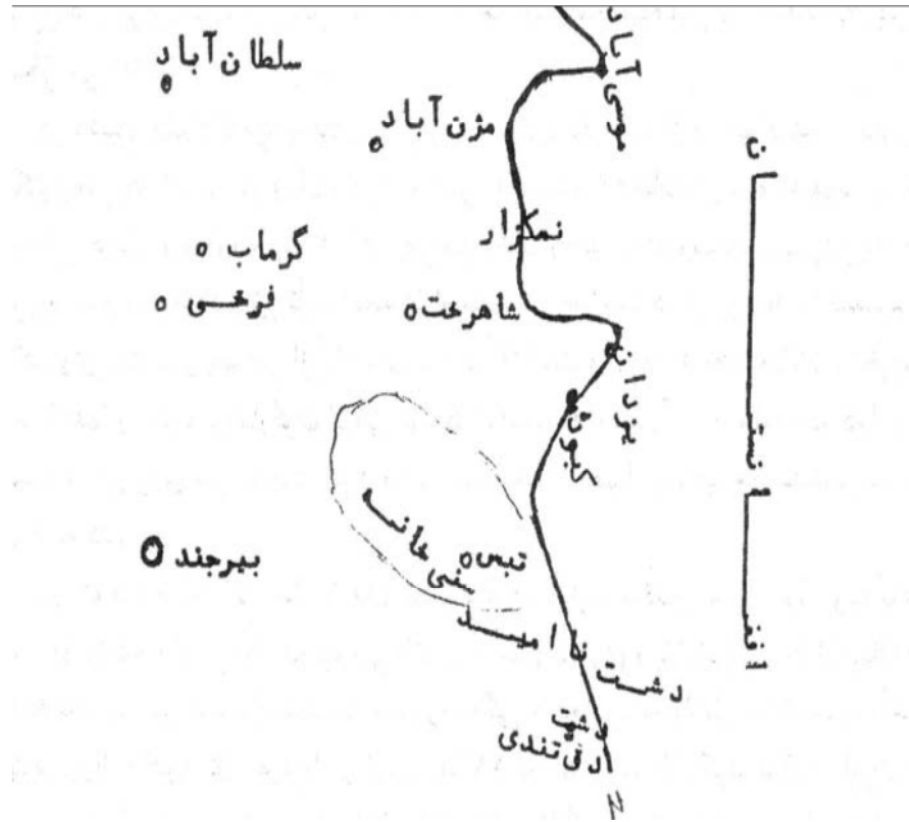
١. إبراهيم صفائي ، يكصد سند تاريخي (مئة سند تاريخي)، تهران، ١٣٥٤ .
٢. بيروز مجتهد زاده، "سير تكاملی مرزهای خاوری ایران" (المسير التكاملي لحدود إيران الشرقية)، فصلنامه ره آورد (المجلة الفصلية الهدية)، شماره (العدد) ٢٥، جاب لس أنجلس (طبعة لوس أنجلوس)، ١٣٧٣ / ١٩٥٣ .
٣. —، "بر سيستان وهيرمند جه كذشته است" (ما الذي مر على سيستان وهيرمند)، فصلنامه ره آورد (المجلة الفصلية الهدية)، شماره (العدد) ٢٥، جاب لس أنجلس (طبعة لوس أنجلوس)، ١٣٦٩ .
٤. —، "هيرمند وهامون در چشم انداز هيدروپوليتيكي خاوري ايران" (هيرمند وهامون رؤيا مستقبلية للمعالجة السياسية لشرق إيران)، اطلاعات سياسي - اقتصادي، سال دهم (السنة العاشرة)، شماره پانجم وششم (العدد ٥ و ٦)، تهران، ١٣٧٤ .
٥. تاريخ معاصر ايران، سال سوم (السنة الثالثة)، شماره دوازدهم (العدد ١٢)، تهران : مؤسسة مطالعات تاريخ معاصر ايران، ١٣٧٨ .
٦. محمد حسين آياتي، بهارستان، تهران، ١٩٤٨ .
٧. محمد علي مخبر، مرزهای ايران (حدود ايران)، تهران، ١٣٦٢ .
٨. مقاله "كتاب چه تحديد سيستان" (كتيب تحديد سيستان)، فصلنامه ايران زمين (المجلة الفصلية الإيرانية)، سال (السنة) ٢٨، تهران، ١٣٦٩ .
٩. المدونات الشخصية للبروفسور محمد حسين كنجي سكرتير اللجنة الممثلة لإيران في محادثات ١٩٥٩ في واشنطن، المؤرخة في ١٨ ذو الحجة ١٣٦٩ .
١٠. المدونات الشخصية لمحمود فروغي سفير إيران في كابل أثناء المحادثات الأولية والتي انتهت بانعقاد الاتفاق العجيب في ١٣٥٢، المؤرخة في ٧ جمادي الثاني ١٣٦٩ ش .
١١. علي اكبر ولايتي، تاريخ روابط خارجي ايران دوران ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه، تهران، ١٣٧٢ .
١٢. علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الايوبية الحديثة، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٩٠ .
١٣. مهدي بامداد، تاريخ رجال ايران در قرن ١٢ - ١٣ - ١٤ هجري، جلد سوم، تهران، ١٣٧٤ .

#### ٢- المصادر باللغة الانكليزية :

1. Afghanistan Confidential Annual Report 1935 , from Leut . Colonel Fraser- Tyler to Mr. Eden , No. 31 , dated Kabul March 7 , 1936 , FO 371/19423 .
2. Afghanistan Annual Confidential Report for the year 1934 , No. 1358/1358/97 , Kabul Feb. 1934 , FO 31/1942 .
3. British Foreign Office Document Known as "Persian Frontiers" , Section on boundaries with Afghanistan , RPX/7/1 . Fo 371/40219 .
4. Copy of Report of the Russian Legation at Tehran to H.I.H the Valiahd (Crown Prince) , dated July 29 , 1905 , FO 60/729 .
5. Clause 4 of Dispatch from His Majesty's Minister , Kabul , to His Majesty's Secretary of State for Foreign Affairs , London No. 141 , Dec. 1934 FO 371/19408 .
6. Clause 2 of H. B. Majesty's Consulate General of Khorasan and Sistan Confidential Dialy for Jan . 1935 , FO 371/19421 .
7. Colonel H. McMahon's Memorandum of 25<sup>th</sup> September 1904 on Sistan Water Question , Paragraph 3 of Clause 69 , FO 60/727 .
8. Confidential Letter from C. U. Alchison , Secretary of the Government of India , to Major General Goldsmid , dated Ford William 24<sup>th</sup> January 1871 , No. 169 , FO 60/387 .
9. Despatch from Mr. McNeil to Viscount Palmerston , dated Tehran feb.24 , 1837 , No.13 , P.3 , FO 539 \1-10 .
10. Despatch from Lord Russell to Mirza Saeed Khan , dated London 5<sup>th</sup> of November 1863 , repeated in H. L. Wynn's "History of Sistan" .
11. Extract of Goldsmid's Sistan Boundary Award Regarding Hirmand river , Last paragraph , as appeared in General Goldsmid's Book Eastern Persia , London , 1876 .
12. From Sir H. Green to the Government of India , dated 10<sup>th</sup> January 1867 , repeated in H. L. Wynn's "History of Sistan " .
13. From Mirza Saeed Khan , Iranian Foreign Minister of Foreign Affairs , to M. Alison , H. B. Majesty's Minister at Tehran , dated 14<sup>th</sup> September 1871 , FO 60/391 .
14. From Durand of British Legation in Tehran , to Marquis of Salisbury (of London) , Dated Tehran , January 20<sup>th</sup> 1896 , No. 5 , FO 60/62 .
15. From Foreign Secretary of India to General Pollock , dated Calcutta 27 April 1872 , FO 60/392 .
16. From British India Office to Foreign Office , dated 23 November 1905 , FO 60/729 .

17. From British Legation Kabul to British Legation Tehran , 11 Dec. 1934 , FO 371/19408 .
18. From British Embassy at Ankara to the Foreign Office , dated Angora , 22 May 1935 , FO 371/19408 .
19. George N. Curzon , Persia and the Persian Question , Vol. II , London , 1982
20. Letter from Sir John McNeil to Viscount Palmerston , dated June.25 , 1838 , Blue Book ,PP.131-3 , FO 539 \1-10 .
21. Letter of 15th September 1839 , from Haji Mirza Aghasi to Viscount Palmerston , FO 539 \1-10 .
22. Letter from General Goldsmid to Foreign Minister of Foreign Affairs , to M. Alison , H. B. Majesty's Minister at Tehran , dated 14<sup>th</sup> September 1871 , FO 60/391 .
23. Letter from the Viceroy (of India) the Her Majesty's Government (of London) , dated 16<sup>th</sup> December 1895 , FO 60/627 .
  
24. Colonel H. McMahon's Memorandum of 25<sup>th</sup> September 1904 on Sistan Water Question , Paragraph 3 of Clause 69 , FO 60/727 .
- Water Question , Paragraph 3 of Clause 69 , FO 60/727 .
25. McMahon's Final 26. McMahon's Final Draft of Water Award , Award "B" , No. 29 of FO 60/728
27. Mr. Morgan's dispatch No. 457 , dated Angora , 1 Jan. 1935 , FO 371/19408.
28. Pirous Mojtahed- Zadeh , Evolution of Eastern Iranian Boundaries , Ph. D . Thesis in file , University of London , 1993 .
29. Pirous Mojtahen –Zadeh , The Amirs of the Borderlands and Eastern Iranian Borders , London , 1995 .
30. Pirous Mojtahed-Zaden , "Eastern Boundaries of Iran" in the International Boundaries of Modern Iran , (ed). K.S. Mclachlan , London , UCL Press , 1994 .
31. Report from Mr. Cook to the Foreign Office , 1 September 1950 , No. 4170/1 , FO 371/82332 A P. O.
32. Treaty of Peace between Her Majesty the Queen of the United Kingdom of Great Britain and Ireland and His Majesty the Shah of Persia , Paris , March 4 , 1857 , FO 60/403 .





المصدر : تاریخ معاصر ایران، منبع قبلی، ص ۷۳.

## موقف الملك فيصل الأول من الثورة العربية والقضية الفلسطينية

١٩٠٨-١٩٣٣ م

king faisal I attitude towards the palestinian cause and arab revolution  
1908-1933

م.د. سالم هاشم عباس أبو دله<sup>(١)</sup>

Dr. Salim Hashim Abbas

### المقدمة...

لعب الأمير فيصل بن الشريف حسين أمير الحجاز دوراً أساسياً وخطيراً في الثورة العربية، وبذل المستحيل من أجل تحرير كامل تراب الأراضي السورية من الاحتلال الفرنسي، وتقرير حق الشعب الفلسطيني في أرضه وتحريره من الاحتلال البريطاني متخذاً من مختلف النشاطات السياسية التي مارسها، كالمؤتمرات الدولية، وتشكيل الجمعيات السياسية (السرية منها والعلنية) وكذلك تنظيم الاحتجاجات والتظاهرات الشعبية، التي تهدف بشكل عام في التأكيد على الوجود العربي، سيما التأكيد على الحق العربي الفلسطيني في قضيته العادلة.

تؤكد المصادر التاريخية على أهمية وجود فلسطين منذ أقدم الأزمنة التاريخية، والتي تعود إلى ٢٥٠٠ سنة ق.م، حيث حكمها الكنعانيون بعد أن فرضوا سيطرتهم التامة على الساحل السوري وفلسطين ولبنان، وجاورهم في الجنوب الأموريون، وقد أحكم الكنعانيون قبضة الحكم لألف وخمسمائة عام قبل مجيء اليهود المتأخر ليحكموا فلسطين ألف عام.

---

١ - معهد اعداد المعلمين - كربلاء

لهذا لم تنقطع صلة العرب بفلسطين منذ أن عُرفت بأرض كنعان وإلى يومنا هذا، حيث نمت فيها دولٌ قوية، أمثال دولة الأنباط وتدمر ودولة الغساسنة التي فرضت سيطرتها على فلسطين في فتراتٍ مختلفة قبل الفتح العربي الإسلامي لها، وفي ظل الفتح الإسلامي شهدت فلسطين انتعاشاً وازدهاراً عاماً في مجمل النشاطات السياسية والدينية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية. ونظراً لأهمية موقع فلسطين الجغرافي والسياسي وما تحمله من طابعٍ روحي مقدس، أصبحت محلاً للصراعات العقائدية، ثم تبلورت إلى صراعات سياسية واقتصادية فيما بعد، الأمر الذي أدى إلى ظهور حركات سياسية متطرفة حدثت تغيرات وتقلبات في الواقع السياسي الحديث، تمثلت بالحركة الصهيونية التي ظهرت كحركة سياسية عالمية، قادها الصهيوني المتطرف تيودور هرتزل بدعم من الصهيوني الثري روتشيلد وتشجيع من وزير خارجية بريطانيا آرثر بلفور الذي قطع وعده المشؤوم في ٢ / تشرين الثاني / ١٩١٧ بإنشاء وطن قومي لليهود العالم في فلسطين. ولما عاشت القضية الفلسطينية ثلاث مراحل سياسية عصيبة عاصر الملك فيصل الأول منها المرحلتين الأولى والثانية.

والتي أطلق على الأولى بمرحلة التوثب وهي مرحلة العشرينات والثانية بمرحلة الثورة وهي مرحلة الثلاثينات، وعلى هذه الرؤيا ارتأيت تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مباحث هي كالاتي:

١. المبحث الأول: مرحلة النشاط السياسي للأمير فيصل بن الحسين (١٩٠٨ - ١٩٢٠م).

٢. المبحث الثاني: دور الأمير فيصل في الثورة العربية وموقفه من القضية الفلسطينية.

٣. المبحث الثالث: موقف الملك فيصل الأول من النشاط الصهيوني في العراق.

### المبحث الأول النشاط السياسي للأمير فيصل بن الحسين ١٩٠٨ - ١٩٢٠

يعود النشاط السياسي للأمير فيصل في بداية عمر الشباب البالغ الثالث والعشرين<sup>(٢)</sup> من عام ١٩٠٨، عندما استدعى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني<sup>(٣)</sup> أباه الشريف حسين وطلب منه أن يعود إلى مكة حاكماً عليها<sup>(٤)</sup>.

أن الأسلوب المُطبَّق لدى العثمانيين منذ أمدٍ بعيد، هو أن يجلبوا إلى العاصمة التركية اسطنبول أوثق أقارب الشريف الذي يحكم مكة، وربما حتى منافسيه، كما طُبِّقت الدولة العثمانية ذات الأجراء مع الأسر الأخرى في الولايات العثمانية القائمة ولذلك كان أبناء الأسر وأقاربها يتعودون على اتباع الأساليب التركية، يتحدثون اللغة التركية، ويحضرون بلاط السلطان ليستمعوا إلى آرائه

٢ - الصحيح أن عمر الأمير فيصل هو السادس والعشرين من عام ١٩٠٨ حيث هو من مواليد ١٨٨٢م ((الباحث)).  
٣ - عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩): عبد الحميد بن عبد المجيد الأول، السلطان الخامس والثلاثون من سلاطين آل عثمان، تولى الحكم عام ١٨٧٦ وخلع عام ١٩٠٩ لأهماله الدستور، وأقام تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته عام ١٩١٨.  
٤ - جيرالد دي غوري، ثلاثة ملوك في بغداد، ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٨٣، ص ٢١.

وأوامره، وبهذه الطريقة تمكّن أولاد الشريف حسين في مرحلة شبابهم النظرة إلى العالم بشكل أوسع مما ينظر إليها من أقاربهم ممن تخلفوا عنهم في مكة.

كما إنهم تعلموا من والدهم إنه ينبغي لهم في اسطنبول أن يحذروا التفرق، وأن يسلكوا طريق الحذر في مباحثهم وأن يراقبوا مغزى الباشوات والسفراء الأجانب<sup>(٥)</sup>.

يبدو إن منافسات الدول الكبرى قبل سنة ١٩١٤م قد جعلت من مدينة اسطنبول ساحة للمؤامرات والألاعيب السياسية التي لم يكن لفيصل ابن شريف مكة أكثر من مخلب، لكنه المخلب الذي يستطيع ممارسة اللعب السياسية ويتعلمها، إذ كان صبوراً وذكياً، فهو في مقدوره التطلع إلى توصية نفسه نحو الاتجاهات النافعة.

كانت تعقيدات المراسيم العثمانية، وعقد الباب العالي، وتزلفات الدبلوماسية وتراجعاتها، من الموضوعات التي تلقنها الأمير فيصل على يد أبيه في العاصمة القديمة القسطنطينية، وعندما جيء بفيصل لمثل هذا الجو، فقد استفاد من النظرات السياسية الصائبة الشيء الكثير.

كان فيصل مديناً بفرصته الأولى لظهوره زعيماً عربياً إلى تعاظم الأستبداد الذي مارسه السلطان عبد الحميد الثاني، وما أعقب ذلك من ظهور ((الحركة الطورانية<sup>(٦)</sup>)) التي تولى أمرها الشباب التركي المقلد للغرب بعد سنة ١٩٠٨<sup>(٧)</sup>.

لقد اعتاد الأمير فيصل القول، إنه لم تكن لدى والده الشريف مكة أية سياسة انفصالية عن الإمبراطورية العثمانية، وأن والده كان على غرار المثقفين في سوريا ممن يطمحون إلى التطور داخل الإمبراطورية العثمانية.

وعلى الرغم من تصريحات فيصل هذه التي توحى إلى الأتحاد والتقدم السياسي المنشود مع الإمبراطورية العثمانية، إلا إن السلطان عبد الحميد الثاني كان شديد الخوف من مطامح الشريف حسين وأولاده، وقد برهنت الحوادث إن السلطان عبد الحميد كان على صواب من رأيه<sup>(٨)</sup>.

### جمعية العربية الفتاة ودور الأمير فيصل فيها:

تألفت جمعية العربية الفتاة في باريس عام ١٩٠٩م، وأنظم إليها نخبة بارزة من رجال العرب وضباطهم الشباب في سوريا ومصر والأستانة، كان في مقدمة أعضائها عوني عبد الهادي ومحمد المحمصاني وعبد الغني العريس وجميل مردم ورضا باشا الركابي وياسين الهاشمي والشيخ كامل القصاب والشيخ نواف الشعلان والشيخ محمد الملحم وغيرهم.

٥ - المصدر نفسه، ص ٣٩.

٦ - الحركة الطورانية: هي حركة إحياء التعصب القومي التركي في نفوس الناشئة الشباب، ظهر نشاطها السياسي قوياً أبان سقوط السلطان عبد الحميد الثاني بعد عام ١٩٠٨.

٧ - المصدر نفسه، ص ٤٠.

٨ - المصدر نفسه، ص ٤١.

وجهدت الجمعية عزميتها ووطنت نفسها على أن تضع على بساط البحث القضية العربية لتجعل لهذه الأمة مكانة تستحقها بين الأمم التي أدركت قيمة الحياة، فعمدت النية في المضي على هذا السبيل، وأرسلت النشرات إلى سائر أنحاء العالم، تدعو فيها الطبقة الناهضة لعقد مؤتمر في باريس يدرس المسألة من جميع وجوهها، فيضع لها خططاً منهجية تسير عليها الأمة، وقد اشتركت فيه جميع الجاليات العربية في أوروبا وأمريكا بما فيها الأحزاب السياسية الموجودة في مصر والأستانة، ومن عمدت به العزيمة في الاشتراك، فقد أرسل برقية يؤيد فيها هذا الشعور الوطني ويجذب الفكرة السامية<sup>(٩)</sup>.

وعلى أثر أعدام الشيخ محمد الملحم من قبل جمال باشا السفاح<sup>(١٠)</sup> شنقاً دون محاكمة، أرسلت الجمعية وعلى الفور مندوباً خاصاً هو السيد يوسف حيدر إلى الحجاز لتستدعي الأمير فيصل كي تشوق الأشراف على وجهة قومية صحيحة في الوقت الذي كان فيه الأمير عبد الله شقيق الأمير يفاوض الأنكليز في مصر والأحزاب العربية الأخرى، كان الأمير فيصل بدوره يفاوض الوطنيين في سوريا.

وعلى أثر هذا الحدث عُقد اجتماع في دار السادة البكرية في دمشق أقسم فيه الأمير فيصل يمين الأخلاص والتعهد لجمعية العربية الفتاة، وتلى بعد ذلك أحد أعضاء الجمعية هو السيد محمد الشريف خطاباً قومياً وقصيدة حماسية حَضَّ فيها الأمير فيصل على المناذاة بحقوق الأمة العربية بعد اتفاق أمرائها عليه<sup>(١١)</sup>.

وفي الاجتماع صرح الأمير فيصل أن التفاهم تام بين الأطراف، وإنه شجّع والده الشريف حسين على العمل، وأن ابن سعود سيكون في جانب النهضة العربية على أثر ذلك تم مبدئياً بين الحجاز ونجد.

وعلى أثر ذلك سافر الأمير فيصل إلى الأستانة، يصحبه يوسف شتوان بك جاسوس الأتحيادين على الأمير فيصل، إلا إن الأمير فيصل، استطاع أن يستميله إليه، كما استمال وزير الداخلية التركي انور باشا، وعاد إلى جمال باشا مكلفاً بالتفاهم معه، على أن يدعو والده للعمل المشترك مع الأتراك في حالة القتال، فاستقبل جمال باشا الأمير فيصل حسب التعليمات التي تلقاها من الأستانة استقبالاً حسناً ظاهرياً، فالأتحياديون كانوا يضمرون الشر للشريف حسين وأولاده ومحاولون الأستيلاء على الحجاز عسكرياً، وهذا الأمر لم يكن مجهولاً لدى الشريف حسين وأبنة الأمير فيصل<sup>(١٢)</sup>.

٩ - إبراهيم الراوي، من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث، مطبعة دار الكتب، بيروت، لبنان، ١٩٧٨، ص ٥٤.

١٠ - أحمد جمال باشا (١٨٧٣ - ١٩٢٢): قائد الجيش العثماني، عين حاكماً على سوريا وبلاد الشام عام ١٩١٥ وهو من زعماء جمعية الأتحاد والترقي.

١١ - المصدر نفسه، ص ٥٥.

١٢ - المصدر نفسه، ص ٥٦.

ولما اشتدت وطأة جمال السفاح على العرب انتقاماً من معارضة الأتحيادين قبل الحرب، معتمداً على القوة العسكرية التي بأمرته، رأت الجمعية عندئذ لا بد من القيام بالثورة الاستقلالية، حفاظاً على كيان العرب، سيما بعد أن علمت أن الأتحيادين قرروا تشتيت شمل العرب، كما فعلوا من قبل بالأرمن والأكراد والألبان من اضطهاد واغتيايل وتشريد، فضاغت جهودها وأرادت ان تبدأ الثورة في دمشق بواسطة الجيش الأهلي المتطوع، في الوقت الذي يجلب الأمير فيصل جيش الحجاز المتطوع من تبوك ليشارك مع العشائر الموالية المرتبطة بالجمعية في معظم البوادي والجبال السورية، ليتم تفجير الثورة بتحريض الضباط الشباب المرتبطين بعهد الجمعية.

غير أن بطش جمال السفاح وشنق خيرة الضباط العرب، ونقل الفرق العسكرية العربية من بلاد الشام إلى الأناضول والروميلى واستبدالها بفرق تركية أثر كثيراً على مسار الثورة العربية<sup>(١٣)</sup>.  
نصح الأمير فيصل جمال السفاح بأن لا يتمادى بشنق الأحرار العرب، وأن يعاملهم بالحسنى، سيما وأن الحكومة التركية تحارب في عدة جهات، لم يصغ السفاح لنصح الأمير فيصل، بل أسمع فيصل بأن الحساب سيلحق الآخرين، الأمر الذي فهم منه ضمناً، أن السفاح يريد والده وأهل بيته ليحاسبون حساباً عسيراً، فأستطاع فيصل أن يخدع السفاح بقوله:  
(دعني أذهب إلى المدينة لأهنيء حملة عسكرية أكون على رأسها لتساهم في القتال مع الحملة التي ستتوجه إلى قناة مصر)).

وهكذا ترك دمشق وتوجه إلى المدينة ليعلم والده الحسين بالأمر ليُعجّل بالثورة، سيما وأن الأتحيادين كانوا يعدّون العدة لخلعه من أمانة مكة<sup>(١٤)</sup>.

#### موقف الأمير فيصل من الأتحيادين الأتراك عام ١٩٠٩م:

دشنت ثورة الأتحيادين بداية مرحلة جديدة من التأريخ السياسي لشعوب الإمبراطورية العثمانية، وفي مقدمتها الشعب العربي الذي كان يؤلف الوزن السكاني الأكبر فيها، ومس ذلك الشريف حسين وأفراد أسرته بصورة مباشرة، فهناك مجموعة عوامل مهدت الطريق أمام تعاون الشريف حسين مع الأتحيادين، أهمها موقف السلطان عبد الحميد منه، وحاجة النظام الجديد إلى تعاونه من أجل القضاء على الاضطرابات التي نشبت في جنوب الجزيرة العربية، فوق أختيار الأتحيادين على الشريف حسين دون أعمدة الأسرة الهاشمية في الحجاز<sup>(١٥)</sup>.

في كانون الثاني من عام ١٩٠٩ بدأت مرحلة مهمة في حياة الأمير فيصل بن الحسين التي وصفت بكونها مرحلة الأختبار العملي لقدراته ومواهبه القيادية، الأمر الذي تجسد في دوره في حرب عسير أكثر من أي شيء آخر.

١٣ - المصدر نفسه، ص ٦٦.

١٤ - المصدر نفسه، ص ٦٧.

١٥ - الدكتور عبد المجيد كامل، الملك فيصل الأول ودوره في تأسيس الدولة العراقية ١٩٢١ - ١٩٣٣، مطبعة دار

الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩١، ص ١٣.

كان على الحسين أن يترجم موقفه ووعوده للأتحاديين، مما كان يؤلف في الوقت نفسه اشباعاً لرغباته وطموحاته، فقاد حملاته ضد الأدريسي<sup>(١٦)</sup> في جنوب الجزيرة العربية عامي ١٩١٠-١٩١١ م، وقد ساعده فيها ولده فيصل وعبد الله. وفي عام ١٩١٢-١٩١٣ كلف الشريف حسين ولده الأمير فيصل ليقود حملة جديدة ضد الأدريسي في منطقة عسير.

تؤكد المصادر التاريخية المعاصرة على أن فيصلاً أثبت أثناء حملة عسير مقدرة عالية في الإدارة والقتال، سيما في حملته الثانية التي أنتصر فيها على الأدريسي، فباركه والده وأزدادت ثقته به، وعظم أعماده عليه، سيما بعد أن تيقن من حب القبائل له وأعجابها بشجاعته وحزمه<sup>(١٧)</sup>. كما أن عضوية مجلس المبعوثان تعد المهمة الخطيرة الثانية التي اضطلع بها الأمير فيصل في المرحلة الجديدة من حياته السياسية، فبعد ثورة الأتحيدين أختاره والده ممثلاً عنه وعن أهل مدينة جدة في دورة المجلس الثانية التي بدأت أثر انتخابات عام ١٩١٢ م.

أن مجرد وجوده في المجلس وأطلاعه على آراء النواب وطروحات المعارضة، بما في ذلك موقف النواب العرب، كانت تجربة مهمة في حياته السياسية المبكرة.

لقد أحتك الأمير فيصل بأسلوب جديد في العمل السياسي لأطراف عربية، الأمر الذي انعكس في مساعي النواب العرب داخل المجلس من أجل إصلاح أوضاع الولايات العربية بما فيها فلسطين، وما من شك في أن كل ذلك ترك تأثيره على فكر فيصل في مرحلتي التكوين والتبلور<sup>(١٨)</sup>. لقد لعب الأمير فيصل خلال الستين الأخيرتين، قبل أنبثاق الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ دوراً سياسياً مزدوجاً، فقد كان من ناحية يعد الأتراك بمساعدته ومساعدة والده لهم، في الوقت الذي كان فيه من الناحية الأخرى يعمل سراً على الثورة ضدهم<sup>(١٩)</sup>.

### المؤتمر العربي الأول في باريس:

في حزيران ١٩١٣ عُقد المؤتمر العربي الأول في باريس، وضم عدداً كبيراً من الشخصيات السياسية البارزة في سوريا ولبنان وفلسطين، وكان يشدد على الاهتمام بالحقوق العربية. وعلى أثر انعقاد هذا المؤتمر تألفت عدة جمعيات عربية لهذا الغرض، وكان بعض هذه الجمعيات سرية، من أمثال جمعية العهد التي أسسها ضباط الجيش العربي، وأصبح مقرها في دمشق ولها فروع قوية في العراق، والجمعيات هي جمعية النهضة اللبنانية وجمعية الإصلاح

١٦ - الأدريسي: هو محمد بن علي الأدريسي الذي أعلن ثورته على الدولة العثمانية عام ١٩١١، واستطاع الأمير فيصل وأخوه عبد الله من أخماد هذه الثورة والسيطرة على (أبها) عاصمة عسير،  
١٧ - المصدر نفسه، ص ١٤.  
١٨ - المصدر نفسه، ص ١٥.  
١٩ - جيرالد دي غوري، المصدر السابق، ص ٤٣.

البصرية والجمعية الثورية وجمعية العربية الفتاة وغيرها من الجمعيات التي لا تقل أهمية عن جمعية العهد.

ولما كان الأمير فيصل ممثلاً في البرلمان العثماني، فقد كان ينتقل بين مكة واسطنبول باستمرار، وكان على اتصال وثيق مع الحركة العربية عن طريق أعضائها النشطاء في دمشق<sup>(٢٠)</sup>. أما في فلسطين، فقد كانت مشاعر العداة للصهيونية تزداد يوماً بعد يوم، ففي مطلع شهر آب سنة ١٩١٣ نشرت صحيفة فلسطين العرائض والاحتجاجات كافة التي قدمت ضد الصهيونية، وفي الثاني عشر من شهر آب، نشرت صحيفة الكرمل نبأ قيام مظاهرة كبيرة في نابلس ضد اعتزام البيع لأراضي بيسان التابعة لدولة اليهود. نتيجة لهذه الضغوط السياسية، ظهرت جمعية مكافحة الصهيونية، وكان مقرها في نابلس، مع إقامة مشروع لها في المدن الفلسطينية<sup>(٢١)</sup>.

### القضية الفلسطينية خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م:

في أواخر صيف عام ١٩١٤ أخذت الدلائل تشير إلى احتمال دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا، الأمر الذي دفع الأنكليز إلى الأتصال بالشريف حسين أمير مكة، بقصد استمالته وكسب العرب إلى جانبهم، وذلك عن طريق التلويح بميل بريطانيا نحو تأييد إعادة الخلافة الإسلامية إلى عربي من الدوحة النبوية ((الشريف حسين))، ودعم العرب لنيل الأستقلال إذا ثاروا ضد الأتراك. والهدف الحقيقي لبريطانيا من هذا التشجيع هو أضعاف الموقف العسكري التركي في هذه الحرب من جانب، وحمايتها الأمتيازات النفط في العراق بعد أحتلاله من قبل الجيش البريطاني من جانب آخر، فضلاً عن دعم الحركة الصهيونية عن طريق تهجير يهود العراق إلى فلسطين<sup>(٢٢)</sup>.

### بروتكول دمشق عام ١٩١٥ ودور الأمير فيصل فيه:

في مطلع عام ١٩١٥ أتصل رجال جمعية العربية الفتاة بالشريف حسين لأطلاعه على اتجاه قادة الحركة الوطنية العربية في سوريا، وبضمنها فلسطين والعراق المتمثلة بالضباط العرب في الجيش التركي نحو التفكير في القيام بالثورة لنيل الأستقلال من الأتراك، وعرضوا قيادة الثورة المرجوة على الأمير فيصل بعد أن تم ترشيحه عضواً بارزاً لرعاية جمعية العربية الفتاة<sup>(٢٣)</sup>.

٢٠ - المصدر نفسه، ص ٤٢.

٢١ - الدكتور عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، طبع المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٧٣، ص ٦٨.

٢٢ - الدكتور عبد الوهاب الكيالي، موجز تاريخ فلسطين الحديث، طبع المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٧١، ص ٢٩.

٢٣ - الدكتور عبد الوهاب الكيالي، موجز تاريخ فلسطين الحديث، ص ٣٠.

كما سلم أعضاء الجمعية الوثائق السرية إلى الأمير فيصل أثناء مروره بدمشق عن طريق عودته إلى مكة ليسلمها إلى والده الشريف حسين ليعرضها بدوره على الأنكليز، كأساس للتعاون بين الطرفين، وقد عرفت هذه الخطة بـ (بروتكول دمشق).

وقد حدد البروتوكول حدود الاستقلال العربي التي تشمل فلسطين، كما نصَّ على إلغاء الإمتيازات الأجنبية، وعقد معاهدات التحالف الدفاعي بين بريطانيا والدول العربية.

وتبنى الشريف حسين ما جاء في بروتكول دمشق القاضي باستقلال الولايات العربية، ولكن المعتمد البريطاني هنري مكماهون حاول في جوابه المرسل في ٣٠ / آب / ١٩١٥ م التملص من الألتزامات التي طالب بها الشريف حسين، مكتفياً بتمجيد الشريف والأسترسال في الألقاب والمجاملات والعبارات المجيدة حول الخلافة العربية والأستقلال العربي، دون بيان حدود الدولة العربية<sup>(٢٤)</sup>.

إلا إن الشريف حسين تمسك بعروبة لبنان وفلسطين بعد أن ردَّ مكماهون في رسالته المؤرخة في ٩ / أيلول / ١٩١٥، حيث ركز الشريف حسين على رفض العرب لمطامع فرنسا في بيروت حيث قال:

((أما حلب وبيروت وسواحلها فهي عربية صرفة، وليس هناك فرق بين المسلم العربي والمسيحي العربي))، أما فلسطين فقد كان من المفهوم ضمناً في هذه المراسلات أن عروبته ليست موضع أخذ ورد مطلقاً.

كانت خطة الشريف حسين تقضي بإعلان الثورة في الحجاز وفي الولايات العربية في أن واحد، ولكن القائد التركي جمال باشا السفاح أكتشف بعد مصادرتة أوراق القنصلية الفرنسية في بيروت وجود تنظيمات سرية اتصفت بكونها ثورية تضم سياسيين وعسكريين عرب داخل الجيش العثماني، فأخذ يفتك بهم ويلاحقهم، وكان الفتك بالفلسطينيين عالياً. وعلى أثر أعدام الشهداء دَوَّتْ صيحة (طاب الموت يا عرب)، الأمر الذي دفع الشريف حسين إلى التعجيل بالثورة ضد الأتراك في ١٠ / حزيران / ١٩١٦<sup>(٢٥)</sup>.

### المبحث الثاني: دور الأمير فيصل في الثورة العربية وموقفه من القضية الفلسطينية

لقد تركت أحداث الحرب العالمية الأولى أثراً مباشراً على نشاط الأمير فيصل وقناعاته السياسية ولعل السنتين الأخيرتين ١٩١٥ - ١٩١٦ كانتا من أشد السنين حراجة وخطورة في حياته العامة، إذ كان والده كثيراً ما يعهد إليه أموراً سياسية خطيرة، حتى قدر له أن يؤدي دوراً متميزاً في انبثاق الثورة العربية الكبرى التي أندلعت شرارتها من مكة المكرمة في ١٠ / حزيران / ١٩١٦، ومن هنا فقد وقع اختيار الشريف حسين على ابنه فيصل قائداً عسكرياً لقيادة الجيش العربي في شمال

٢٤ - المصدر نفسه، ص ٣٠.

٢٥ - المصدر نفسه، ص ٣٢.

الحجاز، وكان دوره حاسماً في القتال ضد القوات العثمانية، وفي غضون أشهر قليلة دخل الأمير فيصل الأراضي السورية بضمناها أرض فلسطين على رأس قواته التي بلغت ألف فارس من الخيالة، وثلاثة آلاف جندي مشاة برفقته (٢٤) مدفعاً وسيارتين مصفحتين<sup>(٢٦)</sup>.

واستطاع الأمير فيصل من تحرير دمشق في ١ / تشرين الأول / ١٩١٨، وتحرير حمص في ١٤ من الشهر نفسه، وحماه في ١٦ من الشهر نفسه، وحلب في ٢٥ من الشهر نفسه، حتى أصبحت كامل أراضي سوريا تحت سيطرته بعد أن أعلنت هدنة مودروس<sup>(٢٧)</sup>.

وفي هذه المرحلة من نشاطه السياسي والعسكري تعززت صلاته بالبريطانيين وبعدها كبير من الضباط العرب، في مقدمتهم الضباط العراقيين ممن التحقوا بالثورة العربية، الأمر الذي ساعده كثيراً على تأسيس الدولة العراقية فيما بعد<sup>(٢٨)</sup>.

### الوعد البريطاني في إقامة دولة اليهود في العالم عام ١٩١٦م:

في بداية عام ١٩١٦ أخذت الحكومة البريطانية تفكر جدياً في اتخاذ موقف رسمي أكثر تأييداً للحركة الصهيونية، وتصرف أنصار الصهيونية من أعضاء الوزارة البريطانية بجزر شديد، وأكدت بحسب نبض فرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية، وذلك عن طريق ارسال الصهيونيين البريطاني أدوارد غراي في آيار ١٩١٥ مذكرة تلخص رأي بريطانيا في العلاقة بين الفلسطينيين واليهودية العالمية إلى السفير البريطاني في سانت بطرسبرغ (لينينغراد) ليسلمها إلى وزير الخارجية الروسي (سادانوف) يؤكد فيها حرص بريطانيا على إيجاد سبل تكسب اسناد أكثرية اليهود في العالم لقضية الحلفاء<sup>(٢٩)</sup>.

وفي الوقت نفسه من سنة ١٩١٦ قدم الصهاينة إلى الحكومة البريطانية مذكرة بعنوان ((برنامج لإنشاء إدارة جديدة في فلسطين)) من وجهة نظر الحركة الصهيونية، وكانت المذكرة تقترح إنشاء شركة يهودية شبه حكومية تحت رعاية حكومتي بريطانيا فرنسا، مهمتها تشجيع اليهود على التوطن في فلسطين وأستثمارها في العمل.

ويومئذ عثرت الحكومة الألمانية على خريطة كانت محفوظة في خزانة آل روتشيلد في مدينة فرانكفورت في المانيا، كتب فيها (مملكة إسرائيل) حددت فيها دولة إسرائيل المستقبلية، وتضم

٢٦ - الدكتور عبد المجيد كامل، المصدر السابق، ص ١٨.  
٢٧ - هدنة مودروس: وقعت في ٣٠ / أكتوبر / ١٩١٨ أنهت بموجبها العمليات القتالية في الشرق الأوسط بين الدولة العثمانية والحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى المنبثقة عام ١٩١٤.  
٢٨ - المصدر نفسه، ص ١٩.  
٢٩ - آلان و- تايلور، مدخل إلى إسرائيل، تعريب شكري محمود نديم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ١٩٦٩، ص ٣٦.

فلسطين والأردن وسوريا ولبنان والعراق وسيناء والدلتا من الأراضي المصرية والمدينة المنورة وما حولها من مناطق شمال الحجاز<sup>(٣٠)</sup>.

وعندما تولى لويد جورج في كانون الأول ١٩١٦ رئاسة وزارة بريطانيا وتولى معه آرثر بلفور وزارة الخارجية وكانا من الصهيونيين البارزين أعتبرت الاجتماعات غير الرسمية بين الصهيونيين والمسؤولين البريطانيين بمثابة مفاوضات جديدة، أدت بالنتيجة إلى التزام بريطانيا بتحقيق حلم الصهيونية في إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين، وجاء هذا الألتزام على شكل رسالة بعث بها آرثر بلفور إلى اللورد روتشيلد الثري اليهودي المعروف في الأوساط اليهودية وأعتبرت الرسالة فيما بعد تصريحاً رسمياً أعترفت به بريطانيا بالكيان الصهيوني<sup>(٣١)</sup>.

### وعد بلفور لسنة ١٩١٧:

أعلنت بريطانيا في ٢ / تشرين الثاني / ١٩١٧ بـ(تصريح بلفور) الذي يؤيد إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وهو على صيغة رسالة بعث بها بلفور إلى اليهودي البريطاني روتشيلد وفيما يلي نصها:

يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالتهم، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود، وقد عرض على الوزارة وأقرته ((إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أن لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر الحقوق المدنية أو الدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى)).

أكون ممتناً لو أبلغتم هذا التصريح إلى الأتحاد الفيدرالي الصهيوني، وقد وافق على هذا التصريح السياسي البريطاني رئيس الولايات المتحدة ويلسون قبل نشره، كذلك صادقت عليه بصورة رسمية كل من الحكومتين الفرنسية والإيطالية في شباط ١٩١٨<sup>(٣٢)</sup>.

ولعل الكثير يظنون إن فكرة استيطان اليهود في فلسطين تعود إلى وعد بلفور عام ١٩١٧ ومع إن الرسالة التي وجهها بلفور إلى الصهيوني البريطاني روتشيلد في ٢ / تشرين الثاني من العام المذكور تؤكد لليهود دعم الإمبراطورية البريطانية في استعمار فلسطين، إلا إن المخطط نفسه لم يكن وليد ساعته وأن مشروع استيطان فلسطين من قبل اليهود يعود إلى ثلاثة قرون مضت حين ظهر أول

٣٠ - عبد الحميد العلوجي، المد الصهيوني بين الهجرة والهجرة المضادة، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٧٠، ص ١٠٤.  
٣١ - د. عبد الوهاب الكيالي، موجز تاريخ فلسطين الحديث، ص ٣٥.  
٣٢ - جعفر الخليلي، الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ، ط ٢، مطبعة دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩، ص ١٢٥.

كتاب في لندن عن الموضوع في عام ١٦٢١ ، وكان عنوان الكتاب (الأحياء العظيم للعالم) أو (دعوة اليهود) بقلم عضو البرلمان البريطاني هنري فنش ((١٥٥٨ - ١٦٢٥))<sup>(٣٣)</sup>.  
إلا إن فنش وجد نفسه في مأزق أدى إلى اعتقاله بسبب كتابه، حيث كانت دعوته لليهود لإستيطان أرض فلسطين وأقامة إمبراطورية تطغى على كل الممالك في العالم، وهي حالة لا تتناسب مع آراء الإمبراطور جيمس الأول الذي رأى في فنش داعية للثورة على حكم عائلة ستوربات، فأمر الملك بسجنه وأحرق كتابه، ودعى أحد الحاشية إلى مهاجمة كتاب فنش وتفنيد آرائه<sup>(٣٤)</sup>.

ومن هنا فأن وعد بلفور ما هو إلا حصيلة اتفاقية سايكس - بيكو السرية المعقودة بين بريطانيا وفرنسا وروسيا في ١٥ - ١٧ مايس ١٩١٦ والتي نصت على تجزئة الوطن العربي إلى مناطق مستعمرة تحت ظل هذه الدول وهي كالآت:

١. المنطقة الحمراء: وتكون تحت إدارة بريطانية مباشرة تشمل بغداد والبصرة من العراق وحيفا وعكا من سورية الجنوبية (أي فلسطين).
٢. المنطقة الزرقاء: وتكون تحت إدارة فرنسية مباشرة وتشمل كليكية وجزء من الأناضول وقسماً من سوريا الغربية.
٣. منطقة (A) وتشمل دمشق وحلب والموصل وتكون تحت إدارة الحماية الفرنسية.
٤. منطقة (B) وهي جزء من دولة عربية تُشكل تحت الحماية البريطانية وتشمل الأراضي الواقعة بين فلسطين والعراق والمقصود بها منطقة شرق الأردن.
٥. المنطقة السمراء: وتكون تحت إدارة دولية وتشمل القسم الجنوبي من سوريا ((فلسطين)) على أن تستشر روسيا في نوع الإدارة ويتفق عليها الحلفاء مع الشريف حسين. وكانت الحكومة البريطانية قد تعهدت للشريف حسين بن علي أمير مكة في مراسلات حسين - مكماهون أن تمنح الوطن العربي وحدة عربية غير مجزأة، ويكون الشريف حسين ملكاً عليها لقاء إعلانة الثورة ضد الدولة العثمانية<sup>(٣٥)</sup>.

### فلسطين بين وعد بلفور والانتفاضة الشعبية الأولى ١٩١٧-١٩٢٠:

تعتبر هذه المرحلة من أدق مراحل القضية الفلسطينية، إذ تعددت خلالها مواقف جميع الفرقاء المعنيين، كما برزت فيها بوضوح الملامح الواضحة لطبيعة التمركز الفلسطيني في الصراع العربي الصهيوني، وظل الحكم البريطاني المباشر الملتزم بدعم المطامع الصهيونية، واقامة وطن قومي يهودي فوق أرض فلسطين على حساب أصحابها الشرعيين.

٣٣ - مجلة العربي، العدد ٣٦٦، مايو، ١٩٨٩، الكويت، ص ٣٣.

٣٤ - المصدر نفسه، ص ٣٤.

٣٥ - عبد الرزاق الحسني، أحداث عاصرتها، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢، ص ٤٢ - ٤٣.

على الرغم من جميع الإمتيازات والتسهيلات التي قدمها البريطانيون للحركة الصهيونية، فقد حولت الإدارة العسكرية البريطانية التي حكمت فلسطين طيلة تلك الفترة تهديده عرب فلسطين عن طريق إخفاء الحقائق عنهم والتوفيق ما أمكن بين الزعماء العرب وبين الصهيونيين تمهيداً لفصل فلسطين عن سوريا وتمكين السيطرة الاستعمارية عليها<sup>(٣٦)</sup>.

ففي ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ أعلن وزير خارجية بريطانيا آرثر بلفور مساندة حكومته لأهداف الصهيونية، حتى إن الصهيوني البريطاني وايزمان قد جاءت شهادته أمام لجنة بيل الملكية في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٦ قوله: ماذا عنى وعد بلفور؟!.. لقد عنى وطناً قومياً، وقومياً بمعنى أننا يجب أن نعيش في فلسطين كأمة، والوطن بالتعبير السياسي الواضح هو إقامة ((دولة يهودية))<sup>(٣٧)</sup>.

وفي ١٧ تشرين الثاني ١٩١٧ استلم الصهيونيون في مدينة كيف الروسية برقية مستعجلة من مدينة بطرسبورج تقول ((بسرور بالغ نعلمكم بنص البيان الذي استلمناه من المنظمة الصهيونية المعتمدة في لندن والذي أذاعته الحكومة البريطانية في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٧ ويقول البيان: ((إن حكومة صاحب الجلالة تُعبر عن ترحيبها بإنشاء مركز قومي للشعب اليهودي في فلسطين)).

إن الإجراء الكريم للحكومة الإنكليزية يفتح عصراً جديداً ويحقق وصية هرتزل إعلموا اليهود في منطقتكم بالنبأ على نطاق واسع وأقيموا الأحتفالات الشعبية وأخذوا القرارات، أرسلوا لنا الجواب بريقياً<sup>(٣٨)</sup>.

وبهذا الوعد المشؤوم سقطت مبادئ ولسن الأربعة عشر وسقط مبدأ عصبة الأمم الذي أعطى الشعوب حق تقرير المصير، وكان ذلك الوعد دافعاً إلى أجتتماع اللجنة الهولندية - الأُسكندنافية لأصدار بيان السلام، الذي أعلنت فيه اعترافها بالطابع العالمي للمسألة اليهودية، وضرورة طرح هذه المسألة في معاهدة الصلح، وإنه يجب دعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين بضمانات عالمية<sup>(٣٩)</sup>.

وعلى هذا الأساس شكلت القضية الفلسطينية ((محور الصراع العربي - الصهيوني)) الصراع الفعلي للكيان العربي مع الاستعمار الغربي منذ نشأة الكيان الصهيوني المقرون بالتبشير الأستيطاني ليهود العالم النازحين إلى فلسطين منذ وعد بلفور المقطوع ليهود العالم في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ وحتى مرحلتنا السياسية المعاصرة<sup>(٤٠)</sup>.

٣٦ - د. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، مصدر سابق، ص ١٠١.

٣٧ - عبد الحميد العلوجي، مصدر سابق، ص ١٠٦.

٣٨ - المصدر نفسه، ص ١٠٧.

٣٩ - المصدر نفسه، ص ١٠٨.

٤٠ - محمد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الأحداث، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥، ص ٢٥٥.

والحقيقة الثابتة أن هرتزل لم يكن منعزلاً عن الدعم اللامحدود لدول أوروبا الغربية، فقد كان لنشاط الولايات الأمريكية المتحدة وبريطانيا دور فاعل في بعث النشاط الصهيوني ودعمه في مختلف المجالات<sup>(٤١)</sup>.

كما إن اتفاقية سايكس - بيكو المنعقدة بين فرنسا وبريطانيا قد فضحت مقاصد الإستعمار الغربي حيال تقسيم البلاد العربية ومنها فلسطين، وعلى أثر ذلك أدركت الدولة العثمانية خطر ونوايا الغرب السياسية فبعث جمال باشا السفاح من مقر قيادته برسولين إلى الأمير فيصل بن الحسين وإلى جعفر باشا العسكري بموقف الغرب، إلا إنه لم يفت بتعيينه الأمير فيصل إلى وقوعه ضحية الوعود المضللة من جانب الحلفاء<sup>(٤٢)</sup>.

لقد نجح تيودور هرتزل من تحقيق أفكاره وآرائه المتطرفة التي طرحها خلال المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في مدينة بازل في آب عام ١٨٩٧، والتي لاقت صدى واسعاً في الأوساط اليهودية، وكان منهجه مبني على ثلاثة محاور هي:

١. تبني فكرة استعمار يهودي منم بمقياس واسع لفلسطين.
٢. الحصول على حق قانوني معترف به دولياً بشرعية استعمار اليهود لفلسطين.
٣. تشكيل منظمة داعية تعمل على توحيد جميع اليهود للعمل في سبيل تنظيم الصهيونية<sup>(٤٣)</sup>.

### الضغوط البريطانية على الأمير فيصل وعلى والده الشريف حسين:

لما كانت الحكومة البريطانية تدرك طبيعة المشاعر العربية بشأن مستقبل فلسطين، فقد حاولت أن تحول دون إجراء أي بحث لموضوع الصهيونية في أثناء سنين الحرب، وعندما نشرت صحيفة القبلة التابعة للشريف حسين مقالاً عن الصهيونية في أواخر عام ١٩١٦، أصدر الجنرال ماكيدولف رئيس الاستخبارات البريطانية تعليماته إلى الجنرال كلايتون رئيس الشعبة السياسية في البعثة العسكرية المصرية ورئيس المكتب العربي بأن يوجه إلى الشريف مكة (أنذاراً جدياً وشخصياً) وأن يحثه على بذل أقصى الجهود للحيلولة دون بحث هذا الموضوع<sup>(٤٤)</sup>.

في تقرير المكتب العربي ((المؤسسة العسكرية البريطانية ومقرها في القاهرة)) في مطلع ١٩١٧، أبلغ المسؤولون البريطانيون إنه ((تم بالفعل تشكيل جمعية في القدس تضم الطبقة المثقفة من الشباب المسلمين لمحاربة الاستعمار الصهيوني، وقد جاء هذا التقرير ليؤكد ما جاء في تقرير سابق وقعه الكابتن وليام أورمسي نمور، ((الذي أصبح فيما بعد وزيراً للمستعمرات البريطانية)) عن الوضع

٤١ - مديرية الرعاية العامة، أحاديث رئيس الوزراء نوري السعيد، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٧، ص ١١٦.  
٤٢ - د. أسعد رزوق، اسرائيل الكبرى، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت - لبنان، ص ٣٦٤.  
٤٣ - آلان ر. تابلور، المصدر السابق، ص ٢٣.  
٤٤ - د. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص ١٠٣.

السياسي في فلسطين وموقف الفلسطينيين العرب من الأتراك والبريطانيين والصهيونيين، حيث ورد في التقرير ((ليس في فلسطين أحد يحب الأتراك عدا ألمانيا، وتعتبر طبقة الفلاحين المسحوقة أبعد فئات الشعب عن محبتهم)).

أما الأسر الإسلامية البارزة وفي طليعتها آل الحسيني وآل النشاشيبي وآل الداودي وغيرها فهي موالية للبريطانيين حيث ترسل أبناءها للدراسة في المعاهد الإنكليزية<sup>(٤٥)</sup>.

وفي الثامن من /آيار / ١٩١٨ استدعى حاكم يافا العسكري أعيان الميناء العربي من سياسيين ورجال دين للأجتماع بوايزمان، وبعد أن أصغى المجتمعون إلى خطاب وايزمان، أكد ناطق بلسان العرب للزعيم الصهيوني إن ((كلا المسلمين والمسيحيين سيعاملون المواطنين اليهود معاملة حسنة ما دام اليهود يحترمون حقوق هاتين الديانتين مؤيدين ذلك الكلمات بالأفعال<sup>(٤٦)</sup>.

ومن هنا فقد سارع وايزمن ليجتمع بالأمير فيصل بن الحسين في ٤ / حزيران / ١٩١٨ في بلدة (وحيدة) ويستفاد من تقرير الكولونيل جويس، إن الأجتماع كان ودياً، ولكن الأمير فيصل لم يلزم نفسه شيء، فقد ورد في التقرير: ((صرح الشريف فيصل بأنه لا يستطيع بوصفه عربياً أن يبحث مستقبل فلسطين، سواء كان ذلك بوصفها مستعمرة يهودية، أو بوصفها بلداً تحت الحماية البريطانية، فهذه القضايا قد أصبحت بالفعل موضوع قدر واسع من الدعاية الألمانية والتركية، ولا شك إن البدو غير المثقفين سوف يسيئون فهمها إذا بحث بصورة علنية، ولكن عندما تصبح الشؤون العربية فيما بعد أكثر استقراراً أو انتظاماً يصبح بالإمكان أثارها<sup>(٤٧)</sup>.

يبدو إن الأمير فيصل من خلال اجتماعه بالصهيوني وايزمان يحاول أن يكسب الوقت لصالح القضية الفلسطينية من خلال سياسته المعروفة ب(السياسة التوفيقية) أو الوسطية من أجل إيجاد حلول جادة وحقيقية لاستقلال الدولة الفلسطينية، على وفق النظم والمعايير السياسية والدولية الداعية إلى أقرار حقوق الشعوب في تقرير مصيرها من خلال المؤتمرات والمحافل الدولية التي تؤمن بالحريّة والسلام.

#### الأمير فيصل أمام مؤتمر السلم في باريس ١٩١٩:

أصدر الأمير فيصل في ٤ / تشرين الأول / ١٩١٨ وبعد مرور ثلاثة أيام من تحرير دمشق من الحكم العثماني بلاغاً إلى جميع أبناء سوريا، يشير فيه إلى استقلال سوريا وإلى سلطان أبيه على جميع البلاد، وعلى أثر ذلك عين الضابط في الجيش العثماني الفريق علي رضا الركابي حاكماً عسكرياً على دمشق، وعين اللواء شكري باشا الأيوبي حاكماً على بيروت، ورفع العلم العربي في ٧ / تشرين الأول / ١٩١٨ وأعاد امتيازات جبل لبنان التي اغتها الحكومة اللبنانية<sup>(٤٨)</sup>.

٤٥ - المصدر نفسه، ص ١٠٢.

٤٦ - المصدر نفسه، ص ١١٤.

٤٧ - المصدر نفسه، ص ١١٥.

٤٨ - د. عبد المجيد كامل، المصدر السابق، ص ٢١.

أثارت إجراءات فيصل منذ اللحظة الأولى ردود فعل قوية لدى الفرنسيين الذين رأوا فيها تطاولاً حيال الجهود والمواثيق الدولية المنعقدة بين الحلفاء في سنوات الحرب الأولى، وقبل أن يستكمل الأمير فيصل إجراءاته في سوريا توجه إلى أوروبا بهدف الاشتراك في مؤتمر السلم بباريس الذي كان يتوقف على قراراته المصير السياسي للأقطار العربية، بما فيها القضية الفلسطينية التي كانت ضمن الإمبراطورية العثمانية المنهارة.

وصل الأمير فيصل بباريس نهاية تشرين الثاني ١٩١٨، يرافقه وفد عربي مؤلف من نوري السعيد ورستم حيدر وفائز الغصين والدكتور أحمد قدوري، وسمح له الاشتراك في المؤتمر ممثلاً عن الحجاز لا عن سوريا.

ومن المهم أن نشير إلى إن الأمير فيصل كان أول زعيم عربي يعرض القضية العربية وبضمنها القضية الفلسطينية بأسلوب دبلوماسي عميق أمام أكبر محفل دولي عرفه التاريخ الحديث في ذلك الوقت، عندما أجاب الرئيس الأمريكي ودر و ويلسن بقوله (أنني أخشى كل تقسيم وأن مبديي الرئيس هو وحدة العرب)<sup>(٤٩)</sup>.

يشير الأديب الحوماني في كتابه بين النهرين إلى سياسة الأمير فيصل فيقول ((الأمير فيصل هو سيد البلاد، وهو معني بالكفاح الخارجي بين لندن وواشنطن وباريس وأنقرة والعواصم العربية، وهو مفكر يستعرض حقه المسلوب على عهد أبيه وجده، وملكه الحائر القلق بين مستعمر جشع وبين رهط يديرون دفة الحكم بأفكار هوج وعقول لم تنضجها التجارب السياسية))<sup>(٥٠)</sup>.

ومن جانب آخر فقد حدث بفعل الضغوط الصهيونية المختلفة على الشعب الفلسطيني أن أوردت صحيفة أبناء فلسطين نبأ تشكيل عدة جمعيات في يافا منها دار العلوم الإسلامية، وجمعية الشبيبة اليابانية، وجمعية التعاون المسيحي والجمعية الأهلية، كما نشرت الصحيفة في ٩ شباط ١٩١٩ نبأ ظهور أول منظمة كشفية وأول نادي نسائي عربي.

كما بذلت جهود أخرى تهدف إلى شل الجهود الصهيونية بوسائل عملية، ففي غضون شهر حزيران تم تشكيل جمعية مسيحية - إسلامية ذات برنامج يهدف إلى مقاومة السيطرة اليهودية وإلى مكافحة النفوذ اليهودي والحيلولة - بجميع الوسائل الممكنة - دون شراء اليهود الأراضي الفلسطينية<sup>(٥١)</sup>.

### أفتتاح مؤتمر السلم:

أفتتح مؤتمر السلم في باريس في مطلع كانون الثاني من عام ١٩١٩ ليرسم خارطة جديدة للعالم، ويبني الأسس الجديدة والعلاقات الدولية بعد الحرب، وسط جوٍ من التفاؤل بقرب موعد

٤٩ - المصدر نفسه، ص ٢٣.

٥٠ - محمد علي الحوماني، بين النهرين، مطبعة الكشافة الأدبية، بيروت، لبنان، ١٩٤٦، ص ٣٦٨.

٥١ - د. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص ١١٦.

تنفيذ مبدأ تقرير المصير للشعوب، إلا إنه سرعان ما تبددت الأوهام عندما كشفت الدول الاستعمارية، وفي طليعتها بريطانيا وفرنسا عن أطماعها وخططها في ضم ممتلكات استعمارية جديدة، وضم مساحات شاسعة من الأراضي التي كانت واقعة تحت سيطرة ألمانيا وتركيا.

وكان واضحاً أن الصهيونيين يتمتعون بمركز قوي وشديد في المؤتمر يؤهلهم للحصول على مراميهم كافة، ذلك أن بريطانيا كانت ملتزمة بتبني فكرة إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، كما أن الرئيس ويلسن كان على استعداد مسبق للتخلص عن تنفيذ حق تقرير المصير فيما يتعلق بفلسطين، نظراً لتأثير الصهيوني برانديس فيه وتأثير اليهود في السياسة الداخلية في الولايات المتحدة، كما إن فرنسا وبقية الدول الرئيسية في المؤتمر، ولاسيما جنوب أفريقيا المتمثلة بالجنرال سمطس كانت ملتزمة بتأييد الصهيونية<sup>(٥٢)</sup>.

لقد واجه فيصل منذ البداية مضايقة الفرنسيين الذين كانوا مصممين على احتلال سوريا، ومن جهة أخرى تعرض فيصل الأول إلى ضغوط البريطانيين الذين كانوا يمولون حكومته شهرياً، وقد أطبقت عليه هذه الضغوط من أجل فرض المخططات البريطانية في فلسطين<sup>(٥٣)</sup>.

يبدو أن الضغوط الغربية على فيصل من قبل الدول الأربعة الكبار، بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة كان شديداً بالنسبة لمصير المشرق العربي بما في ذلك سوريا وفلسطين، حيث ظهر واضحاً من خلال خطابه الذي القاه في المؤتمر في ٦/ شباط/ ١٩١٩ والذي لقي أهتماماً استثنائياً أشاد فيه بضرورة رفع الأضطهاد والأستعباد عن العرب فجاء في خطابه قائلاً: ((إن المؤتمر لن يقيد العرب من جديد بأصفاة تحرروا منها تواء، فهم عرفوا معنى العبودية وهو أمر لا تعرفه الشعوب الممثلة في قاعة المؤتمر، وأن العرب عاشوا على مدى أربعة قرون تحت اضطهاد عسكري ثقيل، وما دامت الحياة تجري في عروقهم، فأنهم يرفضون العودة إلى ما كان عليه سابقاً)).

كما أشار فيصل في خطابه إلى ضرورة أن ينظر المؤتمر إلى أمة العرب، بأعتبارها أمة مضطهدة انتفضت ضد مستعبدتها، وهي تطالب بالحرية ولا ترضى عنها بدلاً<sup>(٥٤)</sup>.

ولكن تحقيق الطموحات الفيصلية في ظل الظروف الدولية السائدة كان يدخل في عداد المستحيل، لذا كان على فيصل أن يعود إلى سوريا ليجابه الفرنسيين في معادلة غير متكافئة، تعلم في خضمها دروساً كثيرة في الدبلوماسية المعاصرة، إضافة إلى ما تعلمه من مؤتمر باريس، حيث وصفت الصحافة العربية موقف الأمير فيصل من إنه (بادرة أمل ونصر دبلوماسي كما أشادت به الأوساط السياسية الغربية من أنه يصلح أن يكون زعيماً سياسياً لتلك المرحلة)<sup>(٥٥)</sup>.

- ٥٢ - د. عبد الوهاب الكيالي، موجز تاريخ فلسطين الحديث، ص ٥٠.  
٥٣ - المصدر نفسه، ص ٥٢.  
٥٤ - د. عبد المجيد كامل، الملك فيصل الأول، مصدر سابق، ص ٢٣.  
٥٥ - د. عبد المجيد كامل، المصدر السابق، ص ٢٤.

## المؤتمر العربي الفلسطيني ١٩١٩م:

في غضون هذه الأجواء السياسية المشحونة بالصراعات أنعقد المؤتمر العربي الفلسطيني في القدس بين ٢٧ كانوا الثاني ولغاية العاشر من شباط ١٩١٩ م، ظهر على أثره طبيعة الصراع بين الأوساط الفلسطينية من أصحاب الأملاك والأطيان ممن التزموا بجانب الهدوء وبين طبقة الشباب المثقفة التي دعت إلى المناذاة بالحقوق الفلسطينية بما فيها حق تقرير المصير.

ويستفاد من التقرير الذي أعدته دائرة الاستخبارات البريطانية عن المؤتمر العربي الفلسطيني المؤلف من (٢٧) عضواً إن (١١) عضواً كانوا موالين لبريطانيا وأثنان موالين لفرنسا، واثنان آخرا ليس لهما ارتباطات سياسية، أما الباقون وعددهم (١٢ عضواً) كانوا من أنصار الأتحاد العربي، وكان أبرز أعضاء المؤتمر عزت دروزه ويوسف العيسى رئيس تحرير جريدة فلسطين<sup>(٥٦)</sup>.

وتعرض المؤتمر منذ البداية إلى ضغوط قوية من الخارج، وعلى الرغم من تأثير بعض من أعضاء المنتدى الأدبي والنادي العربي المناصرين للقضية الفلسطينية إلا إن الصراع داخل المؤتمر كان على أشده بين الكتلة الموالية لبريطانيا والكتلة الموالية لقضية فلسطين.. وبالتأكيد أن سبب الانقسام هذا يعود في أصوله إلى عوامل اقتصادية مجتته أكثر مما تعود إلى طبيعة الفوارق بين الأجيال المختلفة.

وهنا تكمن ورطة العرب الفلسطينيين الموالين لبريطانيا، فمع إنهم كانوا معارضين للصهيونية، إلا إن التقرير تحدث عن ((المعارضة القوية لجميع العناصر غير اليهودية في فلسطين ضد اليهودية)) فقد كانوا عملياً يقدمون المساعدة للصهيونية من خلال الولاء لبريطانيا الموالية للصهيونية، ومن خلال تأييدهم لفصل فلسطين عن سوريا<sup>(٥٧)</sup>.

وقد حاول الأمير فيصل، على وفق اتفاقية فيصل وايزمان المعقودة في شهر كانون الثاني من السنة نفسها أن يوفق بين العرب والفلسطينيين والسياسة اليهودية، ففي ١١ آيار ١٩١٩ كتب يقول: ((أبلغ فيصل الوفد العربي في دمشق إنه لا يرى أن الأهداف العربية والصهيونية غير قابلة للالتقاء، وبدا أن الوفد أخذ انطبعا طيباً عن ذلك وسيدعى أعضاء اللجنة الصهيونية لزيارة فيصل الذي قد يقوم بدعوة بضعة زعماء بارزين من العرب الفلسطينيين للحضور بقصد التوفيق بين الجانبين))<sup>(٥٨)</sup>.

كان وايزمن يدرك تماماً حتمية فشل أية جهود تبذل للتوفيق بين اليهود وبين الأكثرية الساحقة من عرب فلسطين، فقد كان مصمماً على تحويل فلسطين إلى دولة يهودية، وعندما عارض هوبرت صموئيل تصريحاً أدلى به إسرائيل زانغويل جاء فيه: أنه ينبغي تهجير عرب فلسطين إلى سوريا لكي

٥٦ - د. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص ١٢٤.

٥٧ - المصدر نفسه، ص ١٢٥.

٥٨ - المصدر نفسه، ص ١٣٢.

تنتقل أراضيهم لليهود، أجاهه وايزمن بصراحة داعياً إلى حتمية استعمال العنف لفرض البرنامج الصهيوني في فلسطين<sup>(٥٩)</sup>.

يبدو إن الأمير فيصل حاول سياسة معينة أن يوفق في حلٍ سلمي بين عرب فلسطين واليهود، وهي محاولة أقرار الوجود العربي الفلسطيني مقابل الوجود اليهودي، لعلمه أن معظم القوى السياسية العالمية هي بجانب الكيان الصهيوني الذي يستمد قوته السياسية والعسكرية من الدول العظمى التي تمتلك عناصر الدعم المادي والمعنوي للصهاينة.

كما أن رؤيا الأمير فيصل لعرب فلسطين كانت رؤيا أحادية، حيث شعر بوجود عدد غير قليل من العوائل الفلسطينية المتنفذة اقتصادياً واجتماعياً ترغب بوجود علاقات طبيعية مع الجانب البريطاني الداعم لمشاركة اليهود الحياة جنباً إلى جنب مع عرب فلسطين.

إن المدقق لمسيرة النضال الفلسطيني، يجد أن الزعماء العرب الفلسطينيين أمضوا الفترة الأولى في (الاعتدال) ومحاولة التفاهم مع بريطانيا، ((وكانهم أعتقدوا بإمكانية تكوين مصالح مشتركة عربية - بريطانية تقف في وجه الأطماع الصهيونية))<sup>(٦٠)</sup>.

وعلى أثر الصراعات السياسية الداخلية لعرب فلسطين أنعقد مؤتمر سوريا العام.

### المؤتمر السوري العام ١٩١٩م:

أنعقد المؤتمر السوري في دمشق خلال الأسبوع الأول من تموز ١٩١٩ وكان يضم مندوبي جميع المناطق الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية من الحائزين على اعتمادات سكان مقاطعاتهم وتفويضاتهم من مسلمين ومسيحيين وموسويين، وقام وفد انتخبه المؤتمر بأعداد بيان وقَّعه أعضاء المؤتمر عرف باسم برنامج دمشق، وطالب البيان بـ (الاستقلال الفوري التام لسوريا دون حماية أو وصاية، وذلك في ظل حكومة مدنية ملكية نيابية)<sup>(٦١)</sup>.

أما فيما يتعلق بفلسطين فقد عبر البرنامج عن مشاعر الفلسطينيين في البند السابع والثامن والعاشر من بنود البيان، حيث جاء في البند رفض الفلسطينيين مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي (فلسطين) من بلاد سوريا وطناً قومياً للإسرائيليين.

وفي البند الثامن طالب الفلسطينيون عدم فصل القسم الجنوبي من سوريا والمعروف بفلسطين والمنطقة الساحلية التي من جملتها لبنان عن القطر السوري، وفي البند العاشر أحتج الفلسطينيون بقواعد الرئيس ولسون التي تقضي بإلغاء المعاهدات السرية (كأتفاقية سايكس - بيكو) وكوعد بلفور وكافة المعاهدات والاتفاقيات التي من شأنها استعمار البلدان والشعوب<sup>(٦٢)</sup>.

٥٩ - المصدر نفسه، ص ١٣٣.

٦٠ - محمد حافظ يعقوب، تاريخ القضية الفلسطينية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ص ٦٢.

٦١ - د. عبد الوهاب الكيالي، موجز تاريخ فلسطين الحديث، مصدر سابق، ص ٥٣.

٦٢ - المصدر نفسه، ص ٥٤.

### الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على سوريا وتساعد الثورة الفلسطينية:

على أثر انعقاد المؤتمر السوري وتساعد القلق والتردد السياسي نادى المؤتمر بالأمير فيصل بن الحسين ملكاً على سوريا في ٨ / آذار ١٩٢٠ / ومهما قيل عن هذه الخطوة التي عدها البعض أمراً مدفوعاً من قبل بريطانيا ولورانس<sup>(٦٣)</sup>، أو من قبل لجنة كنج - كرين<sup>(٦٤)</sup> إلا إنها كانت دون شك تعبيراً عن طموح ذاتي وشعبي مشروع كان من شأنه أن يصطدم بمخططات الفرنسيين بالنسبة لمصير المنطقة، لذا كان لا بد لفيصل أن (يفشل ويسقط) حسبما يؤكد صديقه ومستشاره الضابط البريطاني لورانس.

وتنفيذاً لهذا المخطط المقرر مسبقاً في ضوء توافق المصالح البريطانية والفرنسية على اثر الصفقة التي تمت بين لندن وباريس على حساب العرب، فقد انسحبت القوات البريطانية من سوريا وحلت محلها القوات الفرنسية<sup>(٦٥)</sup>.

على أن الضغوط المشتركة من قبل بريطانيا وفرنسا والصهيونية العالمية لم تترك استقراراً لتقرير حق المصير العربي، والفلسطيني بالذات، ففي ١١ / آذار / ١٩٢٠ صدر أمر يحظر القيام بالمظاهرات، وهو إجراء زاد من حدة الاستياء العربي، وكان موعد أسبوع عيد الفصح ومصادفة وقوع الاحتفالات الدينية المسيحية واليهودية في الموعد نفسه لأحتفالات موسم النبي موسى (ع) عند المسلمين، قد أحدث قلقاً بالغاً لدى الطائفة اليهودية والإدارة البريطانية، ففي تلك المناسبة أحتشد المسلمون القادمون من أطراف مدينة القدس.

وكانت الحكومة الفيصلية تعترف على الدوام رسمياً بهذا الموسم وتؤمن القوات الضرورية لحفظ الأمن، فضلاً عن فرق موسيقية للاحتفاء بالمناسبة، على إنه بالنظر للهيّاج السياسي والتوتر السائد لم يكن من المستغرب أن تقرر الأوساط الوطنية في فلسطين تحويل أي تجمع إلى مناسبة احتجاج وتحريض ضد الصهيونية والإدارة البريطانية<sup>(٦٦)</sup>.

وفي ٤ / نيسان / ١٩٢٠ أنطلقت مسيرة وفد الخليل، وتوقفت أكثر من مرة لتستمع إلى الخطب والتأييدات التي القاها عارف العارف وموسى كاظم الحسيني والحاج أمين الحسيني، تلك الخطب والتأييدات التي أتصفت بطابع سياسي مكشوف، رفعت خلالها صور الملك فيصل وتحيته بوصفه

٦٣ - لورانس: هي عضو الأرتباط السياسي لصالح السياسة البريطانية في علاقتها مع العرب، يُعد لورانس ضابطاً استخبارياً بريطانياً من الدرجة الممتازة، وله دور فاعل في تنظيم العلاقات السياسية البريطانية العربية، كلف من قبل دائرة الإستخبارات البريطانية بملازمة الملك فيصل الذي تعرف عليه عام ١٩١٦ في وادي الصقراء وأصبح من المقربين للملك وللأساسة العرب حتى لقب بـ(لورنس العرب).

٦٤ - لجنة كنج كرين: وهي لجنة دولية أقرها الحلفاء لدراسة قضايا الولايات العربية، وقد تخلف عنها الفرنسيون والبريطانيون وفعل مهامها الأمريكيون لتحرير الأستفتاء وتقصي الحقائق حيث تجولوا في سوريا ولبنان وفلسطين عام ١٩١٩، ولمسوا رغبة عارمة في الوحدة والتحرير والنفور من أي تدخل أجنبي في شؤون بلادهم وذلك من خلال الأستفتاء الذي قامت به في المنطقة.

٦٥ - د. عبد المجيد كامل، المصدر السابق، ص ٢٥.

٦٦ - المصدر نفسه ص ٥٧.

ملكاً على سوريا وفلسطين، حتى وصلت هذه الخطب والمسيرات إلى أقصى حالات الأنفعال وأخذ الجمهور ينادي بشعارات مناوئة للصهيونية والأدارة البريطانية كما شارك المسيحيون في هذه المسيرات معلنين معارضتهم للهجرة الصهيونية<sup>(٦٧)</sup>، لقد لفتت أنتفاضة ٤ نيسان التي أطلق عليها بأنتفاضة القدس أنظار مؤتمر سان ريمو<sup>(٦٨)</sup> إلى طبيعة النزاع العربي - الصهيوني في فلسطين، ولكن المؤتمر بدلاً من أن يُعيد النظر في سياسة بريطانيا بشأن الوطن القومي اليهودي في فلسطين، منحها حق الانتداب على فلسطين، وحدد واجبات بريطانيا من خلال تكرار نص وعد بلفور حرفياً، على الرغم من التناقض الواضح بين فرض وعد بلفور على الشعب الفلسطيني وبين حق هذا الشعب بتقرير مصيره وسيره نحو الاستقلال بموجب ميثاق عصبة الأمم بموجب وعود الحلفاء المقطوعة في هذا الصدد<sup>(٦٩)</sup>.

وبعد مرور خمسة أيام بلغت الإدارة مضمون قرارات سان ريمو لوجهاء نابلس، وبهذا الشكل أنهت بريطانيا سنة ١٩٢٠ إدارتها العسكرية وأقامت مكانها إدارة مدنية، ثم سارعت إلى تعيين اليهودي هربرت صموئيل مندوباً سامياً على فلسطين واليهودي نورمان بنتوتش مستشاراً قضائياً للحكومة ((وهو صاحب سن قانون الهجرة)) واليهودي حاييمسون مديراً لدائرة (المهاجرة والسفر والجنسية) ليمهدوا طريقاً أمام المهاجرين اليهود، وينسقوا الأعمال لتهود البلاد بأقصى سرعة ممكنة<sup>(٧٠)</sup>.

وكان صموئيل قد قرر قبل وصوله إلى فلسطين أن يتبنى سياسة ذات حدين، ترمي إلى حمل العرب على الإذعان لسياسة بريطانيا في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، فهو من جهة قرر إبلاغ العرب إن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بالتدرج هو أمر مفروغ منه بقدر ما يتعلق الأمر بالحكومة البريطانية، وهو من جهة أخرى قرر كسب تأييد الفلسطينيين المعتدلين ((أي ذوي المصالح الثابتة والمستقرة)) وذلك من خلال اللقاءات الشخصية والتساهل السياسي ضمن أطار تصريح بلفور، أما الخطة البريطانية الصهيونية لتهود فلسطين، فقد سارت على أساس الغزو التدريجي القائم على تشجيع الهجرة اليهودية ونقل ملكية الأراضي الفلسطينية إلى اليهود، كما سارع هربرت صموئيل إلى استدعاء وجهاء القدس وضواحيها لاجتماع يعقد في ٧ تموز/ ١٩٢٠، كما استدعى وجهاء حيفا إلى الاجتماع في ٨ تموز ١٩٢٠، وذلك لتحقيق الهدف السياسي نفسه.

٦٧ - المصدر نفسه، ص ٥٨.

٦٨ - مؤتمر سان ريمو: هو المؤتمر المنعقد في ولاية سان ريمو الإيطالية في نيسان عام ١٩٢٠ لتفعيل سياسة الانتداب على الممتلكات الخاضعة للإمبراطورية العثمانية، حيث أنيط أنتداب العراق وفلسطين وشرق الأردن لبريطانيا وأنيط أنتداب سوريا ولبنان لفرنسا.

٦٩ - المصدر نفسه، ص ٦١.

٧٠ - المصدر نفسه، ص ٦٣.

حتى إذا تولت بريطانيا الانتداب على فلسطين كوصية على أشخاص لا يمتون إلى أرضها بصلة، تدفق اليهود من أقطار خارجية، فكانت بولونيا هي المصدر الأول للهجرة اليهودية، ثم تلتها روسيا، وعندما سُئل البروفيسور بردوفسكي القادم من روسيا وعضو الوكالة اليهودية في فلسطين عن نتائج هذا الغزو ومصير السكان العرب الفلسطينيين أصحاب البلاد الشرعيين، أجاب قائلاً ((إن الهدف النهائي هو طرد كل عربي من حدود فلسطين إلى داخل الأردن))<sup>(٧١)</sup>.

### المبحث الثالث: موقف الملك فيصل الأول من النشاط الصهيوني في العراق

في ٢٥ تموز ١٩٢٠ دخل الفرنسيون دمشق لينهوا حكم الملك فيصل على سوريا، فكان ذلك صدمة سياسية كبرى، تلقاها الملك فيصل في حياته، حيث حولته الصدمة إلى ((تمثال من الشمع)) على حد تعبير مقربيه<sup>(٧٢)</sup>.

تعد مرحلة الحكم الفيصلي في سوريا من أخصب المراحل التاريخية في حياة فيصل من حيث تجاربها ووقائعها وتناقضاتها ومفاجأتها سلباً وإيجاباً، والتي علمته أشياء كثيرة في السياسة انعكست على مواقفه في حكم العراق فيما بعد.

كان أبلغ درس تعلمه من تلك التجربة، إنه وقف بصورة أفضل على حقيقة الألاعيب السياسية الدولية، سيما سياسة البريطانيين الذين أرادوه أداة لتحقيق مخططاتهم التي كانت تلتقي أحياناً مع تطلعاته وطموحه السياسي الذي عرف به<sup>(٧٣)</sup>.

وقبل تنصيب الملك فيصل على العراق في ٢٣ / آب / ١٩٢١ تجسدت العلاقة والتعاون بين الحركة السياسية في العراق وبين الثورة العربية في الحجاز ومن ثم في سوريا في المطالب التي ظهرت في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء ومناطق أخرى خلال استفتاء عام ١٩١٨ - ١٩٢٠ حين طالبت الحركة بأن يكون أحد أمجال الشريف حسين ملكاً على دولة عربية دستورية في العراق، وهذا ما نادى به المؤتمر العراقي في سوريا عام ١٩٢٠.

وظهرت هذه المطالب بعد أن وجدت الثورة العربية إن هناك تراجعاً وعدم التزام بالوعود التي قطعها الإنكليز لتشكيل الدولة العربية الموحدة، وعليه لم تكن المطالبة بدولة عربية في العراق أو سوريا (لبنان + فلسطين + شرق الأردن + سوريا الحالية) أو الحجاز بمعزل عن التطلع القومي في الأتحاد بين هذه الأقطار بالنتيجة تحت قيادة واحدة<sup>(٧٤)</sup>.

٧١ - سامي حكيم، إسرائيل والدول الشيوعية، دار الكاتب العربي، بيروت لبنان، ص ١٢.

٧٢ - د. عبد المجيد كامل، المصدر السابق، ص ٢٧.

٧٣ - المصدر نفسه، ص ٢٨.

٧٤ - مجلة آفاق عربية، العدد / ٤، السنة الرابعة - بغداد - كانون الثاني، ١٩٧٨، ص ٨٦.

### موقف حكومة الملك فيصل من يهود العراق:

لقد عاش يهود العراق على وفاق مع بقية أطياف المجتمع العراقي، وقد تغلغلوا في جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العراق، ولما تألفت الحكومة العراقية المؤقتة سنة ١٩٢٠، كان أول وزير للمالية وزيراً يهودياً هو ساسون حسقييل، وقد تجدد تعيينه في كل الوزارات التي تعاقبت على الحكم منذ تشرين الأول ١٩٢٠ وحتى عام ١٩٢٤، وكان ساسون حسقييل واسع الاطلاع في ثقافته، ويحسن التحدث في اللغة الانكليزية والفرنسية والألمانية بطلاقه<sup>(٧٥)</sup>، ولم يلق تعينه اعتراضاً من العراقيين لأن علاقة اليهود بإخوانهم في المواطنة كانت حسنة، حيث حافظ الدستور العراقي على حقوق اليهود بإخوانهم في المواطنة أما عملياً فلم يكن هناك حسب اعتراف اليهودي الصهيوني حاييم كوهين أي تمييز ضد اليهود، فضلاً عن علاقة الملك فيصل الأول الذي أعتلى عرش العراق في ٢٣/١١/١٩٢١ باليهود كانت طيبة وإيجابية<sup>(٧٦)</sup>.

كما اشتهر اليهودي مناحيم بن صالح آل دانيال بكونه من كبار وجوه الطائفة اليهودية في بغداد ومن له شهرة في عالم المال والتجارة، وقد أختير عضواً في مجلس الأعيان أبان الحكم الملكي في العراق<sup>(٧٧)</sup>.

لاشك إن التبدلات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على حياة اليهود في العراق ويهود بغداد خاصة خلال السنوات ١٩٢٠ - ١٩٣٥ ولدت جيلاً جديداً اعتبر نفسه عراقياً مئة بالمئة<sup>(٧٨)</sup>.  
و حين أنعقد المجلس التأسيسي العراقي المؤلف من (١٠٠) عضو سنة ١٩٢٤، كان منهم خمسة يهود ممثلين للطائفة اليهودية في العراق.

و حين سنَّ قانون الانتخابات سنة ١٩٢٤، تقرر أن يكون عدد النواب اليهود أربعة، واحد عن الموصل وأثنان عن بغداد والرابع عن البصرة من مجموع عدد أعضاء مجلس النواب العراقي البالغ (٨٨) عضواً<sup>(٧٩)</sup>.

ومن بين الشخصيات اليهودية السياسية الذين برزوا في مجلس النواب والأعيان هم، أسحاق افرايم، وساسون سميع، وإبراهيم حاييم، وروبين بطاط، حيث أصبح هؤلاء نواباً عن الطائفة اليهودية في الدورات الانتخابية للسنوات ١٩٢٦ - ١٩٢ - ١٩٣٤، أما مناحيم دانيال فقد تولى منصب عضو مجلس الأعيان طيلة الفترة من ١٩٢٥ ولغاية ١٩٣٢<sup>(٨٠)</sup>.

٧٥ - سعد سلمان المشهداني، النشاط الصهيوني في العراق ودوره في تهجير يهود العراق إلى فلسطين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢، ص ١٣.  
٧٦ - صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤ - ١٩٥٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢١.  
٧٧ - مجلة آفاق عربية، العدد ٥/، السنة الرابعة، بغداد، كانون الثاني، ١٩٧٩، ص ٤٩.  
٧٨ - صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ٢٢.  
٧٩ - المصدر نفسه، ص ٢٣.  
٨٠ - المصدر نفسه، ص ٢٧.

### حركة النشاط الصهيوني في العراق على عهد الملك فيصل الأول:

لقد احتل النشاط الصهيوني في الجمعيات والنوادي والصحف اليهودية في العراق والصادرة في عقد العشرينات حيزاً مميّزاً في موضوع ترويج اللاسامية أو معاداة اليهود العراق. وفي النشاط السياسي الذي قامت به الجمعية الصهيونية في العراق، بغية إيجاد صلة سياسية مع بعض ساسة العراق، من أجل العمل على توطين يهود العالم في فلسطين، كما إن الاتصال بيهود العراق وتعبئتهم نفسياً وعقائدياً كانت من المهام الأساسية للنشاط الصهيوني عبر المنظمات السرية والعلنية، فقد أدى نشاط هذه المؤسسات إلى إيجاد وخلق جمعيات سرية في مرحلة الثلاثينات، كانت في مقدمتها جمعية الشبان الإسرائيليين التي تأسست في ٢٠ أيلول ١٩٣١<sup>(٨١)</sup>. وعلى أثر التحركات اليهودية في العراق التي اثارته شكوك الملك فيصل الأول على عهد حكومة عبد المحسن فهد السعدون الأولى في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢، من شبهات صهيونية مغلفة بطابع الدين الموسوي، وعلى الرغم من رعاية الملك فيصل واحترامه الأديان والمبادئ التي انتشرت في العراق على ضوء أحكام الدستور العراقي، سيما رعاية الديانة اليهودية واهتمامه بطلباتهم كطائفة دينية لها حقوقها وعليها واجباتها، إلا إن حكومة الملك فيصل قد حددت هذه التحركات وراقبتها مراقبة شديدة وحاربتها لما تحمله من أفكار وأراء تمثل الحركة الصهيونية التي أقرها تيودور هرتزل.

لذلك نلاحظ أن وزارة السعدون اضطرت أن تعتمد قانون الجمعيات الصادر في ٢٩ / حزيران ١٩٢٢/ الذي منعت بموجبه عقد أي اجتماع لم تصدر به أجازة رسمية من الدولة<sup>(٨٢)</sup>. وجاء هذا المنع بعد أن حاول اليهودي الصهيوني أهرون ساسون أن يكسب قناعة رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون من خلال لقائه به زهاء الساعة في تشرين الثاني ١٩٢٢ في محاولة منه للحصول على امتيازات سياسية تدعم جمعيتهم المسماة بـ(الجمعية الأدبية الإسرائيلية)، وكان أهرون يشغل منصب رئاسة الهيئة الإدارية للجمعية، إلا أن هذه الجمعية لم تلبث أن لفظت أنفاسها أثر اغتيال رئيسها السابق في ٢٤ / كانون الأول / ١٩٢٠.

وبعدَ حادثة الاغتيال اختلف أعضاؤها في أوائل عام ١٩٢١ وأجتمع عدد من الصهاينة في نادي الجمعية الأدبية المنحلة، وانتخبوا هيئة إدارية جديدة لجمعيتهم وتقدموا بطلب إلى المندوب السامي البريطاني في ٢٢ / شباط / ١٩٢١ فتلقوا رداً بالموافقة من سكرتيره السياسي في ٥ / آذار ١٩٢١، ويعتبر هذا التاريخ الموعد الرسمي لأثناء الجمعية الصهيونية في العراق<sup>(٨٣)</sup>.

٨١ - سعد سلمان المشهاني، المصدر السابق، ص ٤٢.

٨٢ - عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ١، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، ١٩٦٥، ص ٩١.

٨٣ - صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ٣٦.

كما أن أهرون ساسون أتصل بوزير المستعمرات البريطاني يخبره بالصعوبات التي تواجهها جمعية بغداد الصهيونية مع حكومة الملك فيصل التي تمثلت بوزارة عبد المحسن فهد السعدون<sup>(٨٤)</sup>.

ولعل النشاط الصهيوني في العراق خلال العشرينات تجسد من خلال تفعيل الأمور الآتية:

١. الأهتمام بالأعلام الصهيوني من خلال الصحافة اليهودية في العراق كمجلة (يشيرون) التي صدرت باللغتين العربية والعبرية في عددها الأول في ١٩ تشرين ١٩٢٠ ومجلة (المصباح) التي صدرت في ١٠ نيسان ١٩٢٤ وكانت متقطعة حتى ١ حزيران ١٩٢٩ وصحيفة (الحاصد)<sup>(٨٥)</sup>.
٢. الجمعيات اليهودية التي لعبت دوراً فاعلاً في تفعيل النشاط الصهيوني تحت ستار العقائد الدينية فهناك جمعية الهستدروت التي تأسست عام ١٩٢٤، وفي آذار من العام نفسه تأسست سبع جمعيات صهيونية تابعة للهستدروت موزعة بين مدن العراق بغداد والبصرة وأربيل والعمارة<sup>(٨٦)</sup>.

٣. طبع وترويج الكتب الصهيونية، منها على سبيل المثال ((النهضة الإسرائيلية وتاريخها الخالد)) الذي لقي رواجاً وأعجاباً بالغين في الأوساط اليهودية في العراق مع دعوة صريحة لتحديد الصهيونية وتأييدها<sup>(٨٧)</sup>.

لقد كان للإنكليز دورٌ واضح في دعم النشاط الصهيوني في العراق، حيث ثارت زوبعة أخرى بفعل كتاب آخر ورد إلى اليهودي مناحيم دانيال، فيه ترويج للحركة الصهيونية والذي أخرج موقف الحكومة العراقية والملك فيصل، مما دفع برئيس ديوان البلاط الملكي إلى إرسال كتاب إلى عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء تحت رقم د/١/٤٩٩ في ١/ تشرين الأول ١٩٢٣، جاء نص الكتاب "أرسل إلى فخامتكم بأمر صاحب الجلالة كتاباً إنكليزياً وترجمته العربية من الإدارة الصهيونية المركزية وعدداً من جريدة (العالم الإسرائيلي)".

إن ما يدعيه كاتب الكتاب أن وكيل الإدارة موجود في العراق بموافقة صاحب الجلالة الملك فيصل ليس على شيء من الواقع حقيقة، فأن هذا الوكيل تشرف بمقابلة جلالة الملك مرة في السنة الماضية ولذلك لا يصح بوجه من الوجوه أن ينسب قط إلى جلالة الملك أنه موافق على وجوده بصفة ممثل رسمي، ولما كانت الدعوة الصهيونية في هذه البلاد تبعث بطبيعتها إلى التفرقة بين فئة وأخواتها، والمثابرة عليها يؤدي إلى شقاق وتصدع في الصلات الودية الوطنية بين فئة وأخرى، وقد بدأت تظهر علائقها السيئة بسبب ما ينشره بعض دعواتها من الأفكار المخالفة للوئام التقليدي السائد

٨٤ - المصدر نفسه، ص ٣٨.

٨٥ - سعدا سلمان المشهداني، المصدر السابق، ص ٢٤.

٨٦ - صادق حسن السوادني، المصدر السابق، ص ٢٥.

٨٧ - المصدر نفسه، ص ٤٢.

بين الطوائف، فيرغب صاحب الجلالة إلى فخامتكم في توجيه أهتمامكم إلى هذا الأمر الخطير لأتخاذ وسائل ناجحة توقف هذه الدعوة قبل تغلغلها في البلاد<sup>(٨٨)</sup>.

ومما يجدر ذكره، إن رستم حيدر رئيس الديوان الملكي، كان يُبدي أهتماماً واضحاً ضد النشاط الصهيوني وأخطاره، بل كان يدفع الملك فيصل في الوقت نفسه إلى الأهتمام بهذا النشاط ورصده، كما كان وراء استفسارات البلاط الملكي المستمرة عن الصهاينة القادمين من فلسطين إلى العراق وضرورة مراقبة تحركاتهم<sup>(٨٩)</sup>.

يبدو إن الحس الوطني لدى رستم حيدر كان وراء هذا الأهتمام، يسنده تقدير الملك فيصل لرئيس ديوانه وصديقه في الجهاد الوطني.

وفي كتاب لرستم حيدر موجه إلى وزير الداخلية برقم د/١٠/٢٥٢ بتاريخ ١٧ / نيسان / ١٩٢٤، جاء قوله (بَلِّغْ صاحب الجلالة إنَّ أثنين من دعاة الصهيونية وهما (فيشمن وبنازيل) يصلان قريباً من فلسطين إلى بغداد وقصدهما بث (الدعوة الصهيونية بين أبناء الطائفة الإسرائيلية)، ولقد كتبنا إلى معاليكم سابقاً عن تحركات بعض الصهيونيين ولفتنا نظركم إلى ما ينتج عنها من التأثيرات السيئة في العراق وإلقاء بذور الشقاق بين الطوائف المتأخية، والآن بمناسبة مجيء الشخصين المذكورين، أمرني صاحب الجلالة بأن أدعو أهتمامكم لمراقبتهما مراقبة تامة، كي لا ييدر منهما ما يتعذر تلافيه فيما بعد، وعلى أثر ذلك أوعز وزير الداخلية إلى دائرة التحقيقات برفع تقرير عنهما وعن تحركاتهما ووضعهما تحت المراقبة<sup>(٩٠)</sup>.

لم يتوقف النشاط الصهيوني في العراق، إذ أثارت حادثة زيارة الصهيوني البريطاني الفريد موند وزوجته وأبنته إلى العراق في ٨/ شباط / ١٩٢٨، فلقبت زيارته معارضة شديدة من الرأي العام العراقي بقواه وفصائله الوطنية كافة ولاسيما الطلبة، وقد حاولت قوات الشرطة والحياالة من تشتيت المظاهرة بعدما استمرت المظاهرات حتى مساء ذلك اليوم، فأضطرت الشرطة من تغيير مسار موكب الفريد موند من قبل مدير الشرطة العام حسام الدين جمعة إلى نقطة ابن منيصير<sup>(٩١)</sup>.

ومن أبي منيصير نقلته الشرطة تحت ستار الظلام إلى الكاظمية ثم إلى الأعظمية، ومن ثم إلى دار المعتمد البريطاني، حيث حل ضيفاً هناك هو وأسرته، أما حاشيته فقد نزلت في دار اليازر خضوري أحد أثرياء اليهود المقيمين في لندن، على أن الملك فيصل ورئيس الوزراء عبد المحسن السعدون قد أبديا تشكياً لدار الأعتاماد البريطاني بخصوص عدم أطلاعهما عما يجري وراء الكواليس استعداداً لمجيء الفريد موند<sup>(٩٢)</sup>.

٨٨ - المصدر نفسه، ص ٤٣.

٨٩ - المصدر نفسه، ص ٥٠.

٩٠ - المصدر نفسه، ص ٥١.

٩١ - عبد الرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ٢، مصدر سابق، ص ١٥٠.

٩٢ - صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ٦٨.

يدو أن الملك فيصل ورئيس وزرائه قد أبدوا تجاهلاً لزيارة الفريدموند، وتعاطفاً مستوراً مع العراقيين الذين رفضوا زيارة الفريد موند إلى بغداد، وعلى الرغم من التشديد المتخذ من قبل الشرطة التي تهاونت هي الأخرى مع المتظاهرين، كل هذا جاء بشكل تقرير من الانتقادات الحادة التي وجهها مستشار المندوب البريطاني بورديلون إلى البلاط الملكي في ١٠ / شباط / ١٩٢٨.

أن أهم ما تميزت به سنة ١٩٢٩ هو الخطر الشديد على النشاط الصهيوني في العراق، إذ نتج عن ذلك حادثان كان لهما الأثر الكبير في انشقاق وانشطار النشاط الصهيوني واندفاعه في تحركاته.

١. الخلاف بين اليهود وانشقاقهم إلى كتلتين، الأولى يؤيدها أهرون ساسون رئيس الجمعية

الصهيونية التي وقفت ضد ساسون خضوري رئيس الطائفة اليهودية.

٢. خطر النشاط الصهيوني من قبل السلطة الحكومية.

حيث انتفاضة الشعب العراقي ضد الصهيونية في شباط ١٩٢٨، ثم حشد التظاهرات في ٣٠ / آب / ١٩٢٩ حين عقد الأهالي في بغداد اجتماعاً كبيراً ضم مئات المتظاهرين في جامع الحيدر خانة، حضره بعض الساسة العراقيين في مقدمتهم ياسين الهاشمي وجعفر أبو التمن ومحمود رامز، وعدد غير قليل من الخطباء والشعراء منددين بالصهيونية والانتداب البريطاني على فلسطين، ونشبت هذه التظاهرات أثر ثورة البراق<sup>(٩٣)</sup> في فلسطين المحتلة، واستمرت حتى منتصف أيلول / ١٩٢٩، وبلغت أوجهاً في ١١ / ٢ / ١٩٢٩ حين حلت الذكرى الثانية عشر لوعده بلفور المشؤوم<sup>(٩٤)</sup>.

وعلى أثر ذلك بدأت السلطة العراقية تلاحق النشاط الصهيوني بشكل أفضل من السابق، حيث شرعت في تحصين يهود العراق ضد الهجرة إلى فلسطين، ففي أيلول ١٩٢٩ أصدرت أمراً لآهارون ساسون بمغادرة بغداد إلى البصرة خلال عشرة أيام، على الرغم من تأكيده للحكومة من إنه سيمتنع من مواصلة النشاط الصهيوني سواء المتعلق بالهجرة أو جمع التبرعات ووقع على تعهد أمام وزير الداخلية في كانون الأول ١٩٢٩<sup>(٩٥)</sup>.

كان العراق في مقدمة الأقطار العربية التي قاومت فكرة اتخاذ فلسطين وطناً قومياً لليهود، وكان يسارع لكل فرصة للذب عن كيانها والبذل في سبيلها وإرسال الاحتجاجات من أجلها، ففي ٢ تشرين الثاني ١٩٢٩ أنتخب السيد محمد الصدر رئيساً لمجلس الأعيان العراقي، وكان مجلس الأعيان آنذاك صريحاً بموقفه واحتجاجه ضد وعد بلفور المشؤوم مطالبة الحكومة البريطانية وعصبة الأمم بإلغاء هذا الوعد، ففي محضر الجلسة الثانية من الاجتماع الاعتيادي الخامس لسنة ١٩٢٩ الفقرة (٣) وتحت عنوان الاحتجاج أبرق مجلس الأعيان البرقية الآتية:

١. رئيس الوزراء - لندن.

٩٣ - ثورة البراق: أو ما تسمى بثورة (حائط المبكى) وهي الثورة التي نشبت عام ١٩٢٩ بسبب أفعال الشغب التي أثارها اليهود الصهاينة ضد عرب فلسطين.

٩٤ - المصدر نفسه، ص ٨٠.

٩٥ - المصدر نفسه، ص ٨٤.

٢. سكرتارية عصبة الأمم - جنيف.

٣. رئيس لجنة التحقيق - القدس.

قرر مجلس الأعيان العراقي في جلسته المنعقدة في ٢ تشرين الثاني ١٩٢٩ الاحتجاج على ما هو جارٍ في فلسطين ضد العرب، وتوجيه اهتمام فخامتكم إلى ضرورة إلغاء وعد بلفور الذي يرمي إلى أمحاء أمة في وطنها، وهذا لا يتلائم بشيء مع مبادئ العدل الإنسانية.

التوقيع

محمد الصدر

رئيس مجلس الأعيان<sup>(٩٦)</sup>

ونتيجة لهذا الاحتجاج تلقى مجلس الأعيان جواب سكرتارية لجنة التحقيق الفلسطينية في القدس يخبره بوصول برقية الاحتجاج في ٩ تشرين الثاني ١٩٢٩، هذا ولم تصل أجوبة الاحتجاج المبعوث إلى لندن و جنيف<sup>(٩٧)</sup>. وفي أوائل عام ١٩٣٠ طُرد أول صهيوني من فلسطين كان يُدرس في مدرسة الطائفة اليهودية في البصرة لنشاطه الصهيوني وتدريسه الفكر الصهيوني، ثم بلغ آخران بعدم تدريس الفكر الصهيوني والترويج له في المدارس الخاصة بالطائفة، كما حظُر على الصحف والمنشورات العبرية بموجب أوامر رسمية صدرت في ٣١ تشرين الأول ١٩٣١ و ١٨ / كانون الثاني / ١٩٣٢، بعدما كانت الصحف العبرية تباع في شارع البنوك في صيف ١٩٣١<sup>(٩٨)</sup>.

#### الخلاصة:

نستنتج من البحث إن الأمير فيصل بن الحسين قد واجه صعوبات تربوية وسياسية مختلفة، أحاطت به منذ مرحلة صباه في قرية رحاب من أعمال الطائف ومرحلة فتوته في مدينة أسطنبول التركية، وصولاً إلى وفاته في مدينة برن السويسرية في ٨ أيلول ١٩٣٣.

تمثلت هذه الصعوبات بطبيعة اختراق الأثر الحضاري والتمدني في حياة الأمير فيصل الجديدة، التي نقلته من واقع حياة البداوة وقساوة الصحراء في مقتبل حياته إلى عالم التمدن الحضاري ليمارس به رغباته وتطلعاته المختلفة، الأمر الذي ترك أثراً واضحاً في بناء شخصيته بناءً حضارياً وسياسياً متقدماً.

وعلى الرغم مما اكتسبه الأمير فيصل من الجوانب الحضارية، إلا إنه لم يتخلص من الاضطهاد السياسي والثقافي المزدوج الذي فرض عليه من قبل الكيانات الدولية العظمى التي اصطدم بها، تلك الكيانات التي تمتعت بدبلوماسية وقوة عسكرية عاليتين.

٩٦ - د. سالم هاشم أبو دله، محمد الصدر ودوره في السياسة العراقية، ١٩٢٠ - ١٩٥٦، مطبعة الحرمين، كربلاء المقدسة، ٢٠٠٥، ص ١٥٣.

٩٧ - المصدر نفسه، ص ١٥٤.

٩٨ - صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ٨٣.

ولعل أولى هذه الأضطهادات التي فُرضت وعلى والده الشريف حسين وأخوته كانت من الدولة العثمانية، والتي تمثلت بسياسة التتريك، من خلال فرض الإقامة الجبرية والحجر على والده في القسطنطينية لأثني عشر عاماً.

وعلى الرغم من هذه الإضطهادات استطاع الأمير فيصل أن يحافظ على العادات والتقاليد العربية التي جبل عليها والتي كان يفتخر بها كثيراً.

ومن الاضطهادات الأخرى هي الضغوط البريطانية التي اصطدم بها بفعل عوامل وسياسات مختلفة، في مقدمتها الخداع البريطاني والوعود الكاذبة التي عانى منها، فضلاً عن الدور الذي لعبه البريطانيون في إثارة الأحداث والوقائع العسكرية ضد الدولة العثمانية، وتشجيع الأمير فيصل لخوض المعارك بحجة الدفاع عن الثورة العربية، وكذلك دورهم الخفي في دفع آل سعود لمنافسة الشريف حسين على إمارة البلاد العربية.

ثم أصطدم الأمير فيصل بقسوة التعامل السياسي الفرنسي الذي لم يترك له خياراً سياسياً مناسباً أمام تنازلاته الشخصية لقائد الحملة الفرنسية الجنرال غورو، لعله يحصل على الأمل المفقود لحماية مملكته وحكومته من أجل شعب سوريا وفلسطين، الشعب الذي ضرب أعلى مثلاً في التضحيات والشهادة في واقعة ميسلون الشهيرة ضد الأحتلال الفرنسي الذي أطاح بمملكة فيصل بن الحسين وعزله عن سوريا، بعدما رأى الفرنسيون في فيصل من إنه جندي بريطاني مخلص.

يذكر رستم حيدر مستشار البلاط الملكي ملاحظاته على الملك فيصل ما نصه: فيقول: ((إن سياسة خُذ وطالب)) التي أمن بها الملك كادت أن تقضي عليه، لولاً الأمل الذي يراوده بفعل من يحيطه من رجال البلاط.

إن تفضيل فيصل طريق المناورة السياسية على الأساليب الثورية، فتحت أمامه آفاقاً كبيرة في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي ساعدته على بناء الدولة العراقية الحديثة وإدارة دفة الحكم بحكمة عقلانية.

وبغض النظر عن سلبات الملك فيصل في سياسته العامة، تُعدُّ وفاته عام ١٩٣٣، خسارة فادحة، أحدثت فراغاً سياسياً كبيراً في البلاد وأفرزت صراعات واضطرابات سياسية حادة فيما بعد، كادت أن تهز العرش الملكي في العراق، فالتدخل البريطاني (على سبيل المثال) الذي أعاد الوصي على العرش الأمير عبد الأله وإفشال حركة مايس ١٩٤١ التي قادها رشيد عالي الكيلاني يُعدُّ أنموذجاً واضحاً لأهتزاز العرش الملكي العراقي.

فالملك فيصل هو الحاكم العربي الوحيد الذي استطاع أن يُدخل العراق في عصبة الأمم عام ١٩٣٢ قبل أية دولة عربية أخرى خلال اثنا عشر عاماً من تنصيبه ملكاً على العراق فكان للعراق مندوباً سياسياً يمثل العراق بجانب الدول العظمى كبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وغيرها من الدول.

## النحو الكوفي في مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام

الأنصاري (ت ٧٦١هـ)

(( ما لم يصرِّح به خاصة ))

KUFI GRAMMAR IN MUGHNI AL-LABIB AN KUTUB AL-ANSARIB  
BY IBN HUSHAM

د. محمد ياسين الشكري<sup>(١)</sup>

Dr. Muhammed Yasin Al-Shukri

### الملخص

إنَّ هذه الدراسة تسعى لكشف ما نقله ابن هشام في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعراب من النحو الكوفي دون تصريح، أو دون أية إشارة منه إلى ذلك. وإذا ما عدَّ هذا الكتاب في قائمة كتب أعراب القرآن، وهو ما سعى إليه المؤلف، فلا بد من الاستفادة من كتب الأعراب الأخرى، منها: معاني القرآن للكسائي (ت ١٨٩هـ)، ومعاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧هـ)، ومعاني القرآن لثعلب (ت ٢٩١هـ)، وغيرها من هذه الكتب. أي أنها دراسة سعت بجديَّة إلى كشف مواضع النحو الكوفي التي لم يصرِّح بها ابن هشام في كتابه المغني. وفي الوقت نفسه هي دراسة بينت إمكانية ابن هشام على مزج كلام نحاة الكوفة بكلامه إلى الحد الذي يصعب فيه التمييز بينهما، إلاَّ بجهد شاق. فضلاً عن أنها دراسة جادة لتوثيق آراء الكوفيين التي تمثل جزءاً من تراثنا الفكري، والتي أغنت الدرس النحوي، كي توضع كل لبنة في موقعها من الصرح، لئلا يلتبس الأمر، وتختلط الأوراق، وتضيع الحقوق.

١ - جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

بدأت الدراسة بمقدمة فيها بيان الأسباب والمسوغات التي دعت إليها، وتضمنت دراسة للنحو الكوفي من حيث النشأة والأعلام والميزات، ثم تعريف بكتاب مغني اللبيب وبيان لمنهجيته التي اتبعها المؤلف فيه، وتعريف بمؤلفه ابن هشام الأنصاري، واعرض بعض ما قيل بحق المؤلف، ثم الدخول إلى متن الموضوع المتمثل بتحديد مواضع النحو الكوفي التي لم يصرح بها خاصة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

### abstract

This study seeks to uncover what was narrated by Ibn Hisham in his book Labee singer wrote Aloarab of as Kufi without the permission , or without any reference to it. If we count this book in the list of books Oarab Quran , which is sought by the author , they must benefit from the books Aloarab other , including: the meanings of the Quran( d. 189 AH), and the meanings of the Qur'an of furs (d. 207 AH), and the meanings of the Qur'an to Fox (d. 291 AH), and other these books. That is, they seriously study sought to expose as Kufi positions that have not been authorized by Ibn Hisham in his book the singer. At the same time , is the study showed the possibility of Ibn Hisham blending words Kufa his words, to the extent that it is difficult to distinguish between them , but the hard effort. As well as it is a serious study to document opinions of Alkoviin that are part of our intellectual heritage , which has enriched the grammar lesson , so that each placed in the location of the brick edifice , lest it be confused , mixed leaves , and lost rights. The study began with an introduction in which the statement of reasons and justifications , which called it, included a study of nearly Kufi terms of origination , flags and features, then the definition of a book singer Labee and a statement of the methodology followed by the author in it, and the definition of Ibn Hisham al-Ansari, and show some of what was said by copyright , and then going to the board Version goal of identifying as kufi positions that are not authorized by the private , and the last prayer is that all praise be to Allah , Lord of the Worlds.

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى من سار على نهجه وهداه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن هذه الدراسة تسعى وبجدية إلى الكشف عن مواضع النحو الكوفي في كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري(ت ٧٦١هـ)، والتي لم يصرح بها ابن هشام في كتابه هذا

خاصةً، فاقترعت هذه الدراسة على مواضع النحو الكوفي التي لم يصرح بها حصراً، لأن المواضع التي يصرح بها معلومة وواضحة من جانب، ومن الجانب الآخر قد تم تناولها بالدراسة. ولأن كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعراب كتاب تعليمي، وهذا بلسان مؤلفه، إذ ورد ذلك عبر مخاطبة مؤلفه طلبة العلم وكذلك العلماء، فيقول: (( وخطابي به لمن ابتدأ في تعلم الإعراب ولمن استمسك منه بأوثق الأسباب ))، ولأنه من كتب أعراب القرآن، ولأدوات، تأتي أهمية الكتاب، سعى الباحث الكشف عن التوجه النحوي لابن هشام من خلال تمسكه بآراء النحو الكوفي عن طريق التصريح عنها تارة، وعدم التصريح عنها تارة أخرى، على أن مهمة البحث تنحصر في محاولة الكشف عن مواضع النحو الكوفي التي لم يصرح بها ابن هشام في مغني اللبيب. إن مثل هذه الدراسة تتطلب العودة إلى مصادر النحو الكوفي - على قلتها - للإفادة منها في تحديد مواضع النحو الكوفي التي لم يصرح بها في مغني اللبيب، وفي ضوء هذا فإن: كتاب معاني القرآن للكسائي (ت ١٨٩هـ)، وكتاب معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧هـ)، وكتاب معاني القرآن لثعلب (ت ٢٩١هـ)، وكتب الخلاف النحوي مثل: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لكamal الدين أبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، وكتاب التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، وكتاب ائتلاف النصر في اختلاف نخاة الكوفة والبصرة لعبد اللطيف الزبيدي (ت ٨٠٢هـ) من المصادر القديمة التي تغني البحث كثيراً. أما المراجع الحديثة فهي كثيرة ومنها: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو للدكتور مهدي المخزومي، وكتاب ظاهرة الشذوذ في النحو العربي للدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني، والحروف العاملة في القرآن الكريم بين البلاغيين والنحويين للدكتور هادي عطية مطر، وغيرها من المراجع. ولقد اقتضى البحث أن يكون على تمهيد يحتوي تعريفاً بالنحو الكوفي، وتعريفاً بكتاب مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ثم متن البحث ويتضمن مواضع النحو الكوفي في المغني مما لم يصرح به ابن هشام.

على أن الذي ينبغي الإشارة إليه يتمثل في أن النحو الكوفي هو القسيم للنحو البصري، ومجتمعان يؤلفان النحو العربي، وهذا يجعل لكل منهما منهج ومصطلح وقواعد ينفرد فيها عن الآخر. والذي يلحظ على ابن هشام في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعراب يتمثل في استعماله وبكثرة: وقيل، وقالوا، وقال غيرهم، ولقد اثبت البحث أن أغلب ما ذهب إليه ابن هشام من هذه الاستعمالات، كان قاصداً به الكوفيين بدلالة وروده في كتبهم. وقيل الولوج في تحديد مواضع النحو الكوفي في كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعراب، والتي لم يصرح بها ابن هشام في كتابه المذكور، نرى من الأجمل التقديم للموضوع بتعريف للنحو الكوفي من حيث النشأة وأبرز علماءه وأهم مؤلفاتهم، والتعريف بالكتاب - مدار البحث - ومؤلفه.

### النحو الكوفي: النشأة والأعلام والميزات

عند الحديث عن نشأة هذا النحو، ينبغي التذكير بأن علماء الكوفة كانوا قد شغلوا برواية الحديث والشعر، وتعليم القرآن الكريم ودراسة قراءته، حتى أنه أنجبت الكوفة لوحدها ثلاثة من القراء السبعة المشهورين، وهم (عاصم بن أبي النجود - والكسائي - وحمزة). علي أننا لا نغالي إذا ما قلنا أن علماء الكوفة لم يفطنوا إلى علم النحو إلا بعد مئة عام. ويُعدُّ الرواسي (ت ١٩٤هـ) أول كوفي ألف في العربية، وكتابه (الفصل) قد تم عرضه منه على الخليل بطلب منه فأطلع عليه حسب قوله (٢)، وإن كل ما في كتاب سيبويه من قول (قال الكوفي كذا)، فإنما يقصد الرواسي (٣).

ويُعدُّ الكسائي (ت ١٨٩هـ) مؤسساً لمدرسة الكوفة، وهو الذي أخذ عن الخليل (ت ١٧٥هـ)، وقرأ كتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ) سراً، وتلمذ على عمه معاذ بن مسلم الهراء (ت ١٨٧هـ) واضع علم الصرف، وأبو جعفر الرواسي الذي عدُّ أول كوفي ألف في العربية. ولكن مدرسة الكوفة لم تتبلور إلا بعد أن تخرج على الكسائي كثيرون، صاروا فيما بعد علماء الكوفة ورواد مذهبها، إذ اتبعوا منهجاً جديداً، ووضعوا مسلكاً آخر في تقعيد القواعد، ورسموا خطأ لهذا العلم، مما جعل مدرستهم تتميز عن مدرسة البصرة تميزاً ظاهراً (٤).

على أن مدرسة الكوفة انمازت بما يأتي:

- ١ - توسعها في منهج السماع عن كل أعرابي (في البادية أو في الحضر).
- ٢ - توسعها في قبول الرواية، فكثرت في نقولهم المنحول والمصنوع.
- ٣ - أقامت قواعدها على ما متوافر بين أيديها من شواهد، ولا اعتبار للأكثر عندهم، إذ ما كان ضرورة أو شاذ في مدرسة البصرة، كان له قاعدة خاصة في مدرستهم، وهذا أدى إلى كثرة القواعد عندهم وتشعبها.
- ٤ - مع كثرة اعتمادهم على السماع، فقد كانوا أكثر استعمالاً للقياس من البصريين، لأن قياسهم كان على الكثير والقليل والنادر والشاذ.
- ٥ - مدرسة الكوفة قدمت السماع - دائماً - على القياس المجرد ورد الشاهد، دون تحرُّ في ثبوته، ثم القياس عليه وعلى الأصل. وتعدُّ هذه أهم الميزات التي انمازت بها مدرسة الكوفة.

### مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)

إنَّ الحقيقة التي لا يمكن إنكارها تتمثل في أن هذا الكتاب كتاب قيم ومشهور، إذ إنه كتاب حافل بالمسائل والشواهد والمناقشات وحكايات الخلاف بين المذاهب النحوية، وبين النحويين

٢ - ينظر: من تاريخ النحو، تاريخ ونصوص: ٤١

٣ - ينظر: مراتب النحويين: ٢٤

٤ - ينظر: موجز تاريخ النحو: ٥١ - ٥٢

أنفسهم، فضلاً عن أنه رزق الشهرة لمؤلفه، فكثرت الإقبال عليه، وحظي باهتمام بعد وفاة مؤلفه، فكثرت عليه الشروح والحواشي، وانتشر بشكل واسع، إذ يمكن القول إنه أصبح محفوظاً في دور الكتب في كل البلدان.

على أن الذي ينبغي أن يؤشر بشأن هذا الكتاب يتمثل بانفراد مؤلفه بنسق استطاع أن يضم أشتاتاً كثيرة في نظام، وأن يجمع قواعد كلية تنطبق على ما لا يحصى من أجزاء وأنواع، وحشد له من الشواهد كثرة قل أن تجتمع في كتاب، وكانت له ملاحظ ومآخذ على كتب النحويين المشهورة، نعاها عليه واجتهد في اجتنابها في هذا الكتاب. يقول ابن هشام: ... بل لأنني وضعت الكتاب لمتعاطي التفسير والعربية جميعاً<sup>(٥)</sup>. ولقد تفرد ابن هشام بطريق ميزه بين النحويين، وكان كتابه على قسمين:

القسم الأول: أداره على (الأدوات في اللغة العربية) فبعد أن حصاها وحصرها (عاملة وغير عاملة)، قام بجمع كل ما استطاع من شواهدا أداة أداة، حتى إذا تم له جمع الشواهد على أداة ما، أمعن فيها وفي شواهدها ثم نسق معانيها المختلفة وأحكامها تبعاً لهذه المعاني، وتحقق من ذلك فائدتين، هما: نتاج مادة قيمة غزيرة في النحو المؤسس على الشواهد الصحيحة، والوقوف على معاني مختلفة واستعمالات صحيحة للأدوات في اللغة العربية.

القسم الثاني: وكان مقسماً على ثمانية أبواب، وهي:

الأول: في تفسير المفردات (حروفاً وأفعالاً وأسماء) وذكر أحكامها.

الثاني: في الجملة وأقسامها وأحكامها.

الثالث: في شبه الجملة وأحكامها.

الرابع: في ذكر أحكام يكثر دورها.

الخامس: في ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها.

السادس: في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها.

السابع: في كيفية الإعراب

الثامن: في ذكر أمور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية.

والذي يمكن ملاحظته على منهج ابن هشام يتمثل في اعتماده على القرآن الكريم في استنباط معاني الحروف وأحكامها. ولكن هذا لا يعني خلو الكتاب من المآخذ عليه، بل يكفي القول أن هذه الدراسة قامت على واحدة من المآخذ على الكتاب التي تمثلت بـ (ما لم يصرح به ابن هشام من النحو الكوفي في كتابه مغني اللبيب). أما المؤلف، فكما ورد في ترجمته بمقدمة الكتاب، فهو الإمام الذي فاق أقرانه، وشأى من تقدمه، وأعيب من يأتي بعده، الذي لا يشق غباره في سعة الاطلاع وحسن العبارة وجمال التعليل، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد

الله بن هشام، الأنصاري، المصري. ولد بالقاهرة في ٧٠٨ هـ، تلا على ابن السراج، وسمع على أبي حيان ديوان زهير بن أبي سلمى المزني. وتفقه أول الأمر على مذهب الشافعي، ثم تحبّل فحفظ مختصر الخرقى قبيل وفاته بخمس سنين. تخرج به جماعة من أهل مصر وغيرهم، وتصدر لنفع الطالبين، وانفرد بالفوائد الغريبة. قال عنه ابن خلدون<sup>(٦)</sup>: ((ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيويه)). وأعاد القول: ((إن ابن هشام على علم جم يشهد بعلو قدره في صناعة النحو، وكان ينحو في طريقته منحة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جنى وأتبعوا مصطلح تعليمه، فأتى من ذلك بشيء عجيب دال على قوة ملكته وإطلاعه)). ولابن هشام مصنفات كثيرة تدل على عقلية علمية لها وزنها، ولها مكانتها بين علماء العصر الذي عاش فيه.

### مواضع النحو الكوفي التي لم يُصَرِّح بها ابن هشام في المغني:

بعد قراءة كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعراب بدقة متناهية، لوحظ أن ابن هشام يشير وبكثرة إلى نقله عن الكوفيين، فمرة يشير إلى النقل عن الكوفيين صراحةً، ومرة ينقل عن الفراء، ومرة ينقل عن الكسائي، وأخرى ينقل عن ثعلب، وما أروع ذلك النقل الذي يعود بكل حق لصاحبه، لكن في الوقت نفسه نجد أن ابن هشام ينقل عن الكوفيين وبكثرة من دون الإشارة إلى ذلك، أي: أنه ينقل عن الكوفيين دون أن يُصَرِّح بذلك، وكان يكتفي بالقول: وقيل، وقد قالوا، وقالوا، وقال بعضهم. ومن هنا كانت مهمة هذا البحث، إذ تبنى الكشف عن تلك المواضع، عبر إرجاعها إلى مصادرها، وذهب الباحث إلى عرض المواضع في ضوء ما وردت في المغني.

ففي باب تفسير المفردات وذكر أحكامها، قال ابن هشام<sup>(٧)</sup>: ((وقد قالوا في قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ الرعد ٣٣: إن التقدير: كمن ليس كذلك، أو لم يوحده، ويكون (وجعلوا لله شركاء) معطوفاً على الخبر على التقدير الثاني)).  
والحقيقة أن هذا القول ذهب إليه الكوفيون، إذ قال الكسائي<sup>(٨)</sup> في معانيه: التقدير: كشركائهم. وقاله الفراء بقوله<sup>(٩)</sup>: ((ترك جوابه ولم يقل: ككذا وكذا، لأن المعنى معلوم، وقد بينه ما بعده، إذ قال ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ الرعد ٣٣، كأنه في المعنى قال: كشركائهم الذين اتخذوهم)) ومثله قول الشاعر<sup>(١٠)</sup>:

تَخَيْرِي خَيْرَتِ أُمِّ عَالٍ      بَيْنَ قَصِيرِ شِيرِهِ تَبَالٍ  
أَذَاكَ أُمِّ مَنْخَرِقِ السَّرِبَالِ      وَلَا يَزَالُ آخِرَ اللَّيَالِي

٦ - م . ن : ٦ / ١

٧ - م . ن : ١٤ / ١

٨ - ينظر: معاني القرآن للكسائي: ١٧١

٩ - ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٤ / ٢

١٠ - الأبيات لأخزم بن مالك بن مطرف بن كعب، وقد ذكرها صاحب الأغاني ١٧٢ / ٦، و: ١٥٦ / ٢٤

مُتَلَفَ مَالٍ وَمُفِيدَ مَالٍ

تخيري بين كذا وبين منخرق السربال: فلما أن أتى به في الذكر كفى من إعادة الأعراب عليه.

وقال ابن هشام<sup>(١١)</sup>: ((وقالوا: التقدير في قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الزمر ٢٤، أي: كمن يُنعم في الجنة، وفي قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ فاطر ٨، أي: كمن هداه الله، بدليل قوله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فاطر ٨، أو التقدير: ذهبت نفسك عليهم حسرة، بدليل قوله تعالى ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ فاطر ٨)).

وبعد البحث وجد الباحث أن الكسائي هو الذي قال بهذا القول، وتابعه الفراء، قال الكسائي<sup>(١٢)</sup>: ((قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ فاطر ٨: مَنْ: في موضع رفع بالابتداء، وخبره محذوف لما دل عليه، والذي دل عليه ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾، والمعنى: أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ذهبت نفسك عليهم حسرات، قال: وهذا كلام عربي حسن ظريف لا يعرفه إلا القليل)). وقال الفراء<sup>(١٣)</sup>: ((وقوله ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ فاطر ٨، يقول: شبه عليه عمله، فرأى سيئه حسناً. ثم قال ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾، فكان الجواب متبعاً بقوله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ واكتفى باتباع الجواب بالكلمة الثانية لأنها كافية من جواب الأولى)). وقال الفراء<sup>(١٤)</sup>: ((ولو أخرج الجواب كله كان: أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك أو تذهب نفسك، لأن قوله (فلا تذهب) نهي يدل على أن مانه عنده قد مضى في صدر الكلمة. ومثله في الكلام: إذا غضبت فلا تقتل، كأنه كان يقتل على الغضب، فنهى عن ذلك)).

ومما تقدم يتبين أن الكسائي والفراء هما من قالوا بذلك التقدير، وهما أعمدة المدرسة الكوفية، ولما نقل ابن هشام، فإنه لم يصرح بأنه من النحو الكوفي. وفي حديثه عن (إن) قال ابن هشام<sup>(١٥)</sup>: ((وخرج جماعة على (أن) نافية في قوله تعالى ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَهَوًا لَاتَّخِذْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء ١٧.

وعند العودة إلى كتب النحو، وجد الباحث أن هذا القول للكوفيين<sup>(١٦)</sup>، قال الفراء: ((وقوله (إن) كُنَّا فَاعِلِينَ) جاء في التفسير: ما كُنَّا فَاعِلِينَ، و(إن) قد تكون في معنى (ما) كقوله ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا

١١ - مغني اللبيب: ١٤/١

١٢ - معاني القرآن للكسائي: ٢١٦

١٣ - معاني القرآن للفراء: ٣٦٦/٢ - ٣٦٧

١٤ - م. ن: ٣٦٧/٢

١٥ - مغني اللبيب: ٢٣/١

تَذِيرٌ ﴿فَاطِرٌ ٢٣﴾، وقد تكون (إن) التي في مذهب جزاء فيكون: إن كُنَّا فاعلين ولكنَّا لانفعل. وهو أشبه الوجهين بمذهب العربية والله أعلم)).

وفي سياق الحديث عن معاني (ما) قال ابن هشام<sup>(١٧)</sup>: ((وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ الأحقاف ٢٦، أي: في الذي ما مكناكم فيه، وقيل: بل هي في الآية بمعنى (قد)، وإن من ذلك ﴿فَذَكَرْنَا أَنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾ الأعلى ٩، وقيل: في هذه الآية: إن التقدير (وإن لم تنفع) مثل ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ النحل ٨١، أي: والبرد)).

على أن هذا القول للفراء، وتابعه ثعلب، قال الفراء<sup>(١٨)</sup>: ((وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ الأحقاف ٢٦، يقول: في الذي لم تمكنكم فيه، و(إن) بمنزلة (ما) في الجحد. وقال: ((وقوله تعالى ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ النحل ٨١، أي: وتقي البرد، إذ ترك ذلك لأن معناه معلوم والله أعلم. وقال ثعلب<sup>(١٩)</sup>: ((وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ الأحقاف ٢٦، الفراء يقول: فيما لم تمكنكم فيه)).

وذهب ثعلب إلى القول: (إن) بمعنى (قد)، وذلك في قوله تعالى ﴿فَذَكَرْنَا أَنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾ الأعلى ٩. ومما تقدم يتبين أن هذا قول للكوفيين، إذ قال به الفراء كثيراً. في معانيه، وقد تابعه ثعلب وقال به في أكثر من موضع من مجالسه، ومعانيه.

وفي الحديث عن وجود معانٍ آخر لـ (أن) قال ابن هشام<sup>(٢٠)</sup>: ((من المعاني الأخر لـ (أن) هو النفي كـ (إن) المكسورة أيضاً، قاله بعضهم في قوله تعالى ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مَثَلٌ مَا أُوتِيْتُمْ﴾ آل عمران ٧٣، وقيل إن المعنى: ولا تؤمنوا بأن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم من الكتاب إلا لمن تبع دينكم، وجملة القول اعتراض)).

والذي ينبغي الإشارة إليه بهذا الشأن يتمثل في أن ما قاله ابن هشام هو قول الفراء، إذ قال الفراء ما نصّه<sup>(٢١)</sup>: ((وقوله: أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم، يقول: لا تصدقوا أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم. أوفعت (تؤمنوا) على (أن يؤتى)، كأنه قال: ولا تؤمنوا أن يعطى أحدٌ مثل ما أعطيتم، فهذا وجه)). أي أن الفراء قال: وصلحت (أحدٌ) لأن معنى (أن) معنى (لا).

وفي سياق حديثه عن الشأن نفسه، قال ابن هشام<sup>(٢٢)</sup>: ((...والرابع من المعاني: (أن) تكون بمعنى (لثلا)، قيل به في ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ النساء ١٧٦. على أن هذا القول ذكره الكسائي

١٦ - معاني القرآن للفراء: ٢/٢٠٠، و: شرح السيرافي: ٥/١١٠، و: مشكل إعراب القرآن: ١/٣١٥، و: الجني الداني: ٢٢٩، و: الإنصاف في مسائل الخلاف: مسألة (٢٤)  
١٧ - مغني اللبيب: ١/٢٣  
١٨ - معاني القرآن للفراء: ٣/٥٦، و: ٢/١١٢  
١٩ - معاني القرآن لثعلب: ١٨٩، ٢٢٩ - ٢٣٠، و: مجالس ثعلب: ١/٢٦٧  
٢٠ - مغني اللبيب: ١/٣٦  
٢١ - معاني القرآن للفراء: ١/٢٢٣  
٢٢ - مغني اللبيب: ١/٣٦

في معانيه في قوله تعالى ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾، فقال<sup>(٢٣)</sup>: ((المعنى: يبين الله لكم لثلا تضلوا)). وهو ما ذهب إليه الفراء، إذ قال<sup>(٢٤)</sup>: ((وقوله ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾، معناه: ألا تضلوا. ولذلك صلحت (لا) في موضع (أن). هذه محنة - امتحان - (أن) إذا صلحت في موضعها (لثلا) و(كيلا) صلحت (لا)). وقال الفراء في موضع آخر من معانيه<sup>(٢٥)</sup>: ((وقوله ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ﴾ الأنعام ١٥٦: (أن) في موضع نصب من مكانين. أحدهما: أنزلناه لثلا تقولوا إنما أنزل. والآخر من قوله واتقوا أن تقولوا، (لا) يصلح في موضع (أن) هاهنا كقوله ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ النساء ١٧٦ يصلح فيه (لا تضلون) كما قال: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الشعراء ٢٠٠ - ٢٠١. وذهب ابن هشام في سياق كلامه على لزوم الفاء في جواب (أما) إلى القول<sup>(٢٦)</sup>: ((فإن قلت: فقد حذف في التنزيل في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ آل عمران ١٠٦، قلت: الأصل: فيقال لهم أكفرتم، فحذف القول استغناء عنه بالمقول، فتبعه الفاء في الحذف)).

إلا أن الذي لا يمكن غض الطرف عنه، يتمثل في أن هذا ما قاله الفراء<sup>(٢٧)</sup>: ((وقوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ آل عمران ١٠٦، يقال: (أما) لا بد لها من الفاء جواباً فأين هي؟ فيقال: إنها كانت معقول مضمرة، فلما سقط القول سقطت الفاء معه، والمعنى - والله أعلم - فأما الذين اسودت وجوههم فيقال: أكفرتم، فسقطت الفاء مع (فيقال). والقول قد يضمن. ومنه في كتاب الله شيء كثير)). أي: أن (أما) لا بد لها من أن تجاب بالفاء، ولكنها سقطت لما سقط الفعل الذي أضمر. وقد قاله الفراء في موضع آخر<sup>(٢٨)</sup>، عندما ذهب إلى القول: ... ومثل قوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ المعنى - والله أعلم - فيقال: أكفرتم. وأكد الفراء ذلك ثالثة<sup>(٢٩)</sup> بقوله: وقوله تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ﴾ الجاثية ٣١ أضمر القول فيقال: أفلم، ومثله قوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ آل عمران ١٠٦، معناه فيقال: أكفرتم، والله أعلم. وذلك أن (أما) لا بد لها من أن تجاب بالفاء، ولكنها سقطت لما سقط الفعل الذي أضمر. أي أن الفراء بحث عن الفاء في جواب (أما) في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ وهو يبحث عن استواء القاعدة النحوية، ولذلك يقول: إن (أما) لا بد لها من الفاء جواباً فأين هي؟ فيقال: إنها كانت مع قول مضمرة، فلما سقط القول سقطت الفاء معه<sup>(٣٠)</sup>. وعلى الرغم من كل هذا التأكيد في قول الفراء

٢٣ - معاني القرآن للكسائي: ١٢٠

٢٤ - معاني القرآن للفراء: ٢٩٧/١

٢٥ - م. ن: ٣٦٦

٢٦ - معني الليب: ٥٦/١

٢٧ - معاني القرآن للفراء: ٢٢٨/١ - ٢٢٩، و: ينظر: شواهد التوضيح والتصحيح: ١٩٤

٢٨ - م. ن: ١١٩/٢

٢٩ - م. ن: ٤٩/٣

٣٠ - ينظر: الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز: ١٠٥

بشأن هذه المسألة، إلا أن ابن هشام لم يقل بأن هذا القول للكوفيين، بل لم يذكر ذلك أو يصرح باسم الفراء.

وفي سياق كلام ابن هشام عن (أما) قال<sup>(٣١)</sup>: ((وقد يترك تكرارها استغناءً بذكر أحد القسمين عن الآخر، أو بكلام يذكر بعدها في موضع ذلك القسم، فالأول نحو... والثاني نحو: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ آل عمران ٧، أي: وأما غيرهم فيؤمنون به، ويكفون معناه إلى ربهم، ويدل على ذلك ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ آل عمران، أي: كل من المتشابه والمحكم من عند الله، والإيمان بهما واجب، وكأنه قيل: وأما الراسخون في العلم فيقولون، وهذه الآية في (أما المفتوحة) نظير قولك في (إما المكسورة): ((إما أن تنطق بخير وإلا فاسكت)). وسيأتي ذلك، كذا ظهر لي، وعلى هذا فالوقف على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾، وهذا المعنى هو المشار إليه في آية البقرة السابقة فتأملها)).

والذي يدقق النظر في هذا القول سيجد أن الكوفيين هم من قالوا به، إذ قال الكسائي<sup>(٣٢)</sup>: ((وقوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ آل عمران ٧: الراسخون مقطوع مما قبله والكلام تم عند قوله ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ ولقد تابعه الفراء في ذلك القول بقوله<sup>(٣٣)</sup>: ((قال ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ثم استأنف (والراسخون) فرفعهم بـ (يقولون) لا يأتبعهم إعراب الله. وفي قراءة أبي (ويقول الراسخون)، وفي قراءة عبد الله (إن تأويله إلا عند الله، والراسخون في العلم يقولون)). وعندما قال: فرفعهم بـ (يقولون)، أي: مبتدأ وخبر، وقوله لا يأتبعهم إعراب الله: أي: لا بالعطف على لفظ الجلالة.

وفي ضوء ما تقدم يتضح أن قول ابن هشام قد سبقه إليه الكوفيون - الكسائي والفراء، وكان الأجدر به أن يشير إلى ذلك، لأن قواعد النحو الكوفي كما يرى الباحث لا يمكن عدها من القواعد العامة التي لا تحتاج إلى توثيق أو معرفة صاحبه، بحجة أنها أشياء لا تنسب إلى شخص بعينه، وحتى لو سلمنا بهذا التسوية، فهو لم يكن باباً للإلغاء التوثيق.

وفي باب الكلام عن معاني (أو) ذهب ابن هشام إلى القول<sup>(٣٤)</sup>: ((والثاني: الإبهام، نحو ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ سبأ ٢ الشاهد في الأولى)).  
غير أن الذي يقرأ كتاب الفراء يجد هذا القول فيه، قال الفراء<sup>(٣٥)</sup>: ((وقوله ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ﴾ قال المفسرون معناه: وإننا لعلى هدى وأنتم في ضلال مبين، معنى

٣١ - مغني اللبيب: ٥٧/١

٣٢ - معاني القرآن للكسائي: ٩٦

٣٣ - معاني القرآن للفراء: ١٩١/١

٣٤ - مغني اللبيب: ٦١/١ - ٦٢

(أو) معنى (الواو) عندكم، وكذلك هو في المعنى. غير أن العربية على غير ذلك: لا تكون (أو) بمنزلة (الواو). ولكنها تكون في الأمر المفوض، كما تقول: إن شئت فخذ درهماً أو اثنين، فله أن يأخذ واحداً أو اثنين، وليس له أن يأخذ ثلاثة.

وذكر ابن هشام أن هناك معنى آخر لـ (أو) بقوله<sup>(٣٦)</sup>: إنَّ المعنى الثامن لها أن تكون بمعنى (إلا) في الاستثناء. والحقيقة أن هذا القول هو ما ذهب إليه الكوفيون، إذ قال الفراء<sup>(٣٧)</sup>: ((وقوله ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ آل عمران ٧٣ في معنى (حتى) وفي معنى (إلا) كما تقول في الكلام: تعلق به أبداً أو يعطيك حقه، فتصلح (حتى) و(إلا) في موضع آخر. وكان من الأولى بابن هشام أن يذكر أن هذا القول للكوفيين، إن لم يرغب بذكر الفراء، إلا أن ذلك لم يحدث. وفي حديث ابن هشام عن (إذا) وعملها، ذكر<sup>(٣٨)</sup> أنه: لا تعمل (إذا) الجزم إلا في ضرورة، كقوله:

استغن ما أغناكَ ربُّك بالغنى وإذا تُصَبِّكُ خصاصةً فتجمل<sup>(٣٩)</sup>

على اننا نجد الفراء يقول<sup>(٤٠)</sup>: من العرب من يجزم بـ(إذا)، فيقول: إذا تغم أقم.

وعن خروج (إذا) عن الاستقبال، ذهب ابن هشام إلى القول<sup>(٤١)</sup>: ((وذلك على وجهين: أحدهما أن تجيء للماضي كما تجيء (إذ) للمستقبل في قول بعضهم، وذلك كقوله تعالى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أتَوْكَ لِيَتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ التوبة ٩٢ وقوله ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا﴾ الجمعة ١١.

ولقد ذهب الكوفيون إلى ذلك القول، إذ نجد في كتاب معاني القرآن للفراء<sup>(٤٢)</sup>: ((وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ آل عمران ١٥٦. كان ينبغي في العربية أن يقال: وقالوا لإخوانهم إذ ضربوا في الأرض، لأنه ماض، كما تقول: ضربتك إذ قمت ولا تقول: ضربتك إذا قمت. وذلك جائز، والذي في كتاب الله عربي حسن، لأن القول وإن كان ماضياً في اللفظ فهو في معنى الاستقبال، فأنت تقول للرجل: أحبب من أحبك، وأحبب كل رجل أحبك. فيكون الفعل ماضياً وهو يصلح للمستقبل. ومن ذلك أن يقول الرجل للرجل: كنت صابراً إذا ضربتك، لأن المعنى: كنت كلما ضربت تصبر. فإذا قلت: كنت صابراً إذ ضربت، فإنما أخبرت عن صبره في ضرب واحد.

٣٥ - معاني القرآن للفراء: ٣٦٢/٢

٣٦ - معني اللبيب: ٩٦/١

٣٧ - معاني القرآن للفراء: ٢٢٣/١

٣٨ - معني اللبيب: ٩٣/١

٣٩ - البيت لعبد قيس بن خفاف، ينظر: المفضليات: ١٨٥/٢، و: الأصمعيات: ٢٦٩

٤٠ - معاني القرآن للفراء: ١٥٨/٣

٤١ - معني اللبيب: ٩٥/١

٤٢ - معاني القرآن للفراء: ٢٤٣/١ - ٢٤٤

وفي سياق حديث ابن هشام عن معاني الباء قال<sup>(٤٣)</sup>: ((والمعنى السادس لها الظرفية نحو ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ آل عمران ١٢٣ ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ القمر ٣٤)).  
على أن هذا القول ذهب إليه الفراء بقوله<sup>(٤٤)</sup>: ((وقوله ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ التوبة ٢٥: الباء هاهنا بمنزلة (في)، كما تقول: ضاقت عليكم الأرض في رحبها وبرحبها.  
وقال الفراء في موضع آخر من معانيه<sup>(٤٥)</sup>: ((وقد وجدنا من العرب من يجعل (في) موضع الباء فيقول: أدخلك الله بالجنة، يريد: في الجنة.

ولقد ذكر ابن هشام في معرض حديثه عن مفردات حرف الباء أن<sup>(٤٦)</sup>: (بلى) حرف جواب أصلي الألف، وقال جماعة: الأصل (بل) والألف زائدة)). ولم يذكر أن أحداً قبله ذكر ذلك.  
على أن الكسائي ذكر ذلك فقال<sup>(٤٧)</sup>: ((قوله تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة ٨١: الفرق بين (بلى) و(نعم) أن (بلى) إقرار بعد جحد، و(نعم) جواب استفهام بعد جحد)). وقد تابعه الفراء بالقول في ذلك المعنى، فقال<sup>(٤٨)</sup>: ((وُضِعَتْ (بلى) لكل إقرار في أوله جحد... فأرادوا أن يرجعوا عن الجحد ويقرؤا بما بعده فاختاروا (بلى) لأن أصلها كان رجوعاً محضاً عن الجحد إذا قالوا: ما قال عبد الله بل زيد، فكانت (بل) كلمة عطف ورجوع لا يصلح الوقوف عليها، فزادوا ألفاً يصلح فيها الوقوف عليها، ويكون رجوعاً عن الجحد فقط، وإقرار بالفعل الذي بعد الجحد، فقالوا: (بلى) فدلّت الألف على معنى الإقرار والإنعام، ودلّ لفظ (بل) على الرجوع عن الجحد فقط)).

وفي حديث ابن هشام عن مفردات حرف الحاء، وعند الحديث عن (حتى) ذكر<sup>(٤٩)</sup>: أن الفعل لا يرتفع بعد (حتى) إلا بثلاثة شروط، الثاني منها: أن يكون مسبباً عما قبلها، فلا يجوز القول: سرت حتى تطلع الشمس)).

وبعد قراءة في كتب النحو الكوفي، وجد الباحث أن الكسائي قال بذلك<sup>(٥٠)</sup>، وكذلك الفراء فهو الآخر قد قال<sup>(٥١)</sup>: ((وحتى ثلاثة معانٍ في الفعل، وثلاثة معانٍ في الأسماء، فإذا رأيت قبلها فعلاً ماضياً وبعدها يفعل في معنى مضي وليس ما قبل (حتى) يفعل) يطول فإرفع يفعل بعدها، كقولك: جئت حتى أكون معك قريباً. وكان أكثر النحويين ينصبون الفعل بعد (حتى) وإن

- ٤٣ - مغني اللبيب: ١٠٤/١  
٤٤ - معاني القرآن للفراء: ٤٣٠/١  
٤٥ - م. ن: ٧٠/٢  
٤٦ - مغني اللبيب: ١١٣/١  
٤٧ - معاني القرآن للكسائي: ٧٥  
٤٨ - معاني القرآن للفراء: ٥٢/١ - ٥٣  
٤٩ - مغني اللبيب: ١٢٦/١  
٥٠ - معاني القرآن للكسائي: ٨٨  
٥١ - معاني القرآن للفراء: ١٣٤/١

كان ماضياً إذا كان لغير الأول، فيقولون: سرت حتى يدخلها زيد، فزعم الكسائي أنه سمع العرب تقول: سرنا حتى تطلع الشمس بزباله، فرفع (والفعل للشمس)). وذكر ذلك السيوطي، وغيره<sup>(٥٢)</sup>. وتحدث ابن هشام في سياق كلامه عن (غير) بقوله<sup>(٥٣)</sup>: ((قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ النساء ٩٥ يقرأ برفع (غير)، إما على أنه صفة لـ (قاعدون) لأنهم جنس، وإما على أنه استثناء وأبدل)).

على أن هذا القول ذكره الفراء في كتابه<sup>(٥٤)</sup> عند الحديث عن قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ النساء ٩٥ فقال: يرفع (غير) لتكون كالنعت لـ (القاعدين)... وقد ذكر أن (غير) نزلت بعد أن ذكر فضل المجاهد على القاعد، فكان الوجه فيه الاستثناء والنصب، إلا أن اقتران (غير) بالقاعدين يكاد يوجب الرفع،... وقد يكون نصباً على أنه حال... ولو قرئت خفضاً لكان وجهاً تجعل من صفة المؤمنين)). وذكره العكبري في كتابه<sup>(٥٥)</sup>.

ولقد ذكر ذلك ثعلب بقوله<sup>(٥٦)</sup>: ((وقوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ النساء ٩٥: يرفع (غير) نعتاً للقاعدين، وينصب على الاستثناء وعلى أنها حال ويخفض نعتاً من المؤمنين)).

وعند حديث ابن هشام في باب مفردات حرف الحاء، قال<sup>(٥٧)</sup>: ((قوله تعالى ﴿هَذَا فَلْيَذوقوه حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ ص ٥٧ أن الخبر (حَمِيمٌ) وما بينهما معترض، أو (هذا) منصوب بمحذوف يُفسره (فَلْيَذوقوه) مثل ﴿وَأَيُّ فَاَرْهَبُونَ﴾ البقرة ٤٠، وعلى هذا فحميم بتقدير: وهو حميم)). والحقيقة أن الفراء هو من ذهب إلى هذا القول في كتابه معاني القرآن، إذ يقول<sup>(٥٨)</sup>: ((وقوله عز وجل ﴿هَذَا فَلْيَذوقوه حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ ص ٥٧: رفعت الحميم والغساق بـ (هذا) مقدماً ومؤخراً. والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه، وذكر أيضاً: ويكون (هذا) في موضع رفع، وموضع نصب، فمن نصب أضمر قبلها)).

لكن الذي ينبغي الإشارة إليه هنا هو إمكانية ابن هشام في مزج كلامه بكلام غيره إلى الحد الذي يصعب الفصل بينهما، إلا عن طريق المراجعة الحرفية للألفاظ والقيام بعملية مقارنة دقيقة بين النصوص، حتى يتبين المزج الذي يقصده ويسعى إليه.

٥٢ - ينظر: همع البوامع: ٨/٢

٥٣ - ينظر: ظاهرة الشذوذ في النحو العربي: ٢٩٠ - ٢٩١

٥٤ - معاني القرآن للفراء: ٢٨٣/١ - ٢٨٤، و: ٢٥٠/٢

٥٥ - ينظر: التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: ٤١٦

٥٦ - معاني القرآن لثعلب: ٥٩

٥٧ - مغني اللبيب: ١٦٦/١

٥٨ - معاني القرآن للفراء: ٤١٠/٢

وفي سياق كلام ابن هشام الأمور المشتركة بين (كم الخبرية) و(كم الاستفهامية) ذكر<sup>(٥٩)</sup>: (( أما قول بعضهم في ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ يس ٣١: أبدلت (أن) وصلتها من (كم) فمردود، بأن عامل البدل هو عامل المبدل منه، فإن قدر عامل المبدل منه يروا فكَم لها الصدر فلا يعمل فيها ما قبلها)).

وهذا القول ذكره الفراء في معانيه، إذ قال<sup>(٦٠)</sup>: ((...وقوله (أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ) فَتَحَتْ أَلْفَهَا، لِأَنَّ الْمَعْنَى: أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ إِلَيْهِ لَا يَرْجِعُونَ. وَقَدْ كَسَرَهَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، كَأَنَّهُ لَمْ يَوْقِعِ الرَّؤْيَةَ عَلَى (كَمْ) فَلَمْ يَوْقِعْهَا عَلَى (أَنَّ)، وَإِنْ شِئْتَ كَسَرْتَهَا عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ وَجَعَلْتَ (كَمْ) مَنْصُوبَةً يَوْقِعُ (يُرَوُّ) عَلَيْهَا)).

وعلى الرغم من أن ابن هشام لم يصرح بالنحو الكوفي، ففي الوقت نفسه نجده ينسب ما هو للكوفيين لغيرهم، ففي الحديث عن (كم) الخبرية و(كم) الاستفهامية، ينسب قول الفراء الى ابن عصفور<sup>(٦١)</sup>، ففي رده على ابن عصفور القائل: أن (كم) في قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ السجدة ٢٦ فاعل، أنه قول مردود بأن (كم) لها الصدر، وإنما الفاعل ضمير اسم الله سبحانه، أو ضمير العلم أو الهدي المدلول عليه بالفعل، أو جملة (أهلكتنا). والحقيقة أن القول بأن الفاعل في هذا النص القرآني هو..... أو جملة (أهلكتنا) هو رأي الفراء، عندما قال<sup>(٦٢)</sup>: (( وقوله ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يبين لهم إذا نظروا ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ و(كم) في موضع نصب لا يكون غيره. ومثله في الكلام: أو لم يبين لك من يعمل خيراً يجز به. فجملة الكلام فيها معنى رفع. ومثله أن تقول: قد تبين لي أقام عبد الله أم زيد، في الاستفهام، معنى رفع (...)).

وبهذا فإن ما عزا ابن هشام من قول الى ابن عصفور لم يكن كذلك، بل هو قول قال به الفراء. وعندما كان ابن هشام يتحدث عن اللام المبيّنة للفاعل قال<sup>(٦٣)</sup>: (( واختلف في قوله تعالى ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنكُم مُّخْرَجُونَ﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ المؤمنون ٣٥ - ٣٦، فقيل: اللام زائدة، و(ما) فاعل)).

ويرى الباحث أن ابن هشام لم ينصف الكوفيين، إذ لم يشر اليهم، بل يكتفي بالقول: قيل، أو: قالوا. في حين أن أصل القول للكوفيين. والرأي الذي ذكره ابن هشام بـ(قيل) أن: اللام زائدة، و(ما) فاعل، هو رأي الفراء<sup>(٦٤)</sup> الذي قال به: ((وقوله هيهات هيهات لما توعدون، لو لم تكن في (ما) اللام كان صواباً، ودخول اللام عربي. ومثله في الكلام هيهات لك وهيهات أنت منا، وهيهات لأرضك، قال الشاعر:

- ٥٩ - مغني اللبيب: ١/١٨٤  
٦٠ - معاني القرآن للفراء: ٢/٣٧٦  
٦١ - مغني اللبيب: ١/٨٤  
٦٢ - معاني القرآن للفراء: ٢/١٩٥  
٦٣ - مغني اللبيب: ١/٢٢٢  
٦٤ - معاني القرآن للفراء: ٢/٢٣٥

فإيهات إيهات العقيق ومن به وإيهات وصل بالعقيق نواصله  
فمن لم يدخل اللام رفع الاسم. ومعنى هيهات بعيد كأنه قال: بعيد (ما توعدون) وبعيد  
العقيق وأهله. ومن أدخل اللام قال (هيهات) أداة ليست بمأخوذة من فعل بمنزلة بعيد وقريب،  
فأدخلت لها اللام كما يقال: (هلم لك) إذ لم تكن مأخوذة من فعل. فإذا قالوا: (أقبل) لم  
يقولوا: (أقبل لك) لأنه يحتل ضمير الاسم).

وفي سياق كلام ابن هشام عن (لا) في باب حرف اللام، قال (٦٥): ((وأما قوله تعالى ﴿فَلَا أَفْتَحَمَ  
الْعَقَبَةَ﴾ البلد ١١: إن (لا) فيه مكررة في المعنى، لأن المعنى، فلا فك رقية ولا أطعم مسكيناً، لأن  
ذلك تفسير للعقبة، قاله الزمخشري)).

لكن الذي ينبغي قوله هو أن هذا القول حتى وإن كان للزمخشري، فهو من توجيه الفراء الذي  
قال (٦٦): ((وقوله عز وجل ﴿فَلَا أَفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ ولم يضم إلى قوله ﴿فَلَا أَفْتَحَمَ﴾ كلام آخر فيه  
(لا)، لأن العرب لا تكاد تفرد (لا) في الكلام حتى يعيدها عليه في كلام آخر، كما قال عز وجل  
﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ القيامة ٣١ و﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يونس ٦٢ وهو مما كان في  
آخره معناه، فاكتمى بواحدة من أخرى. ألا ترى أنه فسّر اقتحام العقبة بشيئين، فقال: فك رقية، أو  
إطعام في يوم ذي مسبغة، ثم كان (من الذين آمنوا) ففسرها بثلاثة أشياء، فكأنه كان في أول  
الكلام، فلا فعل ذا ولا ذا ولا ذا)).

وفي سياق حديثه عن السياق نفسه قال ابن هشام (٦٧): ((الموضع الرابع: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ  
أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ الأنبياء ٩٥ فقيل: لا زائدة، والمعنى: ممتنع على أهل قرية قدرنا  
إهلاكهم أنهم يرجعون عن الكفر إلى قيام الساعة، وعلى هذا (حرام) خبر مقدم وجوباً لأن  
المخبر عنه (أن وصلتها)).

إلا أننا وعبر متابعة كتب النحو الكوفي من الكسائي ثم الفراء وثعلب وابن الأنباري، وجد  
الباحث أنهم يتفقون بشأن هذه المسألة، فالكسائي يقول (٦٨) ذلك في أكثر من موضع في  
معانيه، منها: ((قوله تعالى ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام ١٠٩: إن (لا) زائدة.  
وقال بذلك الفراء (٦٩): ((وقوله ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ الأعراف ١٢، المعنى - والله  
أعلم - ما منعك أن تسجد، (أن) في هذا الموضع تصحبها (لا)، وتكون (لا) صلة. كذلك تفعل  
بما كان في أوله جحد. وقال الفراء في موضع آخر (٧٠): ((...وقوله ﴿لِنَلَّا يَغْلَمَ أَهْلُ  
الْكِتَابِ﴾ الحديد ٢٩ والعرب تجعل (لا) صلة في كل كلام دخل في آخره جحد، أو في أوله جحد

٦٥ - معني اللبيب: ٢٤٤/١  
٦٦ - معاني القرآن للفراء: ٢٦٤/٣ - ٢٦٥  
٦٧ - معني اللبيب: ٢٥٢/١  
٦٨ - (٦٦) معاني القرآن للكسائي: ١٣٥، ١٤٢  
٦٩ - (٦٧) معاني القرآن للفراء: ٣٧٤/١  
٧٠ - (٦٨) م. ن: ١٣٧/٣ - ١٣٨

غير مُصرِّح، فهذا مما دخل أخره الجحد، فجعلت (لا) في أوله صلة، وأما الجحد السابق الذي لم يصرح به فقوله عز وجل ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ﴾ الأعراف ١٢، وقوله ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام ١٠٩، وقوله ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ الأنبياء ٩٥، وفي الحرام معنى الجحد والمنع، وفي قوله ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ فلذلك جعلت (لا) بعده صلة معناها السقوط من الكلام.

وفي حديث ابن هشام عما يتعلق بجواب (لما) وأنه يكون فعلاً مضارعاً عند ابن عصفور مستشهداً بقوله تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ هود ٧٤ قائلاً<sup>(٧١)</sup>: (( إن الجواب (جاءته البشري) على زيادة الواو، أو محذوف، أي: أقبل يجادلنا )).

وأن الحقيقة تشير إلى أن هذا القول قال به الفراء<sup>(٧٢)</sup>: ((وقوله ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ ولم يقل: جادلنا. ومثله في الكلام لا يأتي إلا بفعل ماض كقولك: (فلما أتاني أتيته). وقد يجوز (فلما أتاني أثب عليه)، كأنه قال: أقبلت أثب عليه)).

وعندما يبحث ابن هشام في (ما) الشرطية غير الزمانية يقول<sup>(٧٣)</sup>: (( وقد جوزت في ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ النحل ٥٣، على أن الأصل: وما يكن، ثم حذف فعل الشرط)).

إلا أننا نجد ما ذهب إليه ابن هشام هنا، سبقه إليه الكوفيون، قال الفراء<sup>(٧٤)</sup>: (( وقوله ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾: (ما) في معنى جزاء ولها فعل مضمر، كأنك قلت: ما يكن بكم من نعمة فمن الله، لأن الجزاء لا بد له من فعل مجزوم، إن ظهر فهو جزم، وإن لم يظهر فهو مضمر، كما قال الشاعر:

إن العقل في أموالنا لا نضق به ذراعاً - وإن صبراً فنعرف للصبر<sup>(٧٥)</sup>

فإن الشاعر أراد (إن يكن) فأضمرها، ولو جعلت (ما بكم) في معنى (الذي) جاز وجعلت صلته بكم) و (ما) حينئذ في موضع رفع بقوله (فَمِنَ اللَّهِ)، وأدخل الفاء كما قال تبارك وتعالى ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ الجمعة ٨، وكل اسم وصل، مثل (من وما والذي) فقد يجوز دخول الفاء في خبره، لأنه مضارع للجزاء، والجزاء قد يجاب بالفاء. ولا يجوز (أخوك فهو قائم)، لأنه اسم غير موصول، وكذلك: ما لك لي. فإن قلت: ما لك جاز أن تقول: فهو لي، وإن ألقيت الفاء فصواب. وما ورد عليك فقسه على هذا. وكذلك النكرة الموصولة. تقول: رجل يقول الحق فهو أحب إلي من قائل الباطل، وإلقاء الفاء أجود في كلّه من دخولها)). وفي سياق حديث ابن هشام

٧١ - (٦٩) مغني اللبيب: ٢٨١/١

٧٢ - (٧٠) معاني القرآن للفراء: ٢٣/٢

٧٣ - مغني اللبيب: ٣٠٢/١

٧٤ - معاني القرآن للفراء: ١٠٤/٢

٧٥ - البيت ورد في أمالي الشجري: ٢٣٦/٢، أراد بـ (العقل): الدية

عن (ما) في الفصل الذي عقده للتدريب، يقول (٧٦): (( والأرجح في ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يس ٦ أنها نافية، بدليل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ سبأ ٤ وتحتمل الموصولة)).

وهذا القول للفراء، إذ يقول في معانيه (٧٧): ((وقوله ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ يس ٦ يقال: لتنذر قوماً لم ينذر آبائهم، أي: لم تنذرهم ولا أتاهم رسول قبلك. ويقال: لتنذرهم بما أنذر آبائهم، ثم تلقى الباء، فيكون (ما) في موضع نصب كما قال ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ فصلت ١٣.

وعندما تحدث ابن هشام عن (ما) المصدرية، قال (٧٨): ((وقوله تعالى ﴿وَمِنْ قَبْلِ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ يوسف ٨٠: (ما) إما زائدة، ف (من) متعلقة ب (فرطتم). وإما مصدرية، فقيل: موضعها هي وصلتها رفع بالابتداء، وخبره (من قبل)). وهو لحد الآن لم يشر إلى الكوفيين إلا أننا نجد أن الفراء هو الذي يقول ذلك (٧٩): ((وقوله ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلِ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ يوسف ٨٠: (ما) التي مع (فرطتم) في موضع رفع كأنه قال: ومن قبل هذا تفرطكم في يوسف.

وفي سياق حديث ابن هشام عن (واو الثمانية) قال (٨٠): ((واستدلوا على ذلك بآيات، إحداها ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَتَأْمِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ الكهف ٢٢، وقيل: هي ذلك لعطف جملة على جملة، إذ التقدير هم سبعة)).

إلا أن الذي ينبغي الإشارة إليه بشأن القول بهذا العطف هو ما جاء بقول الفراء (٨١): ((وقوله ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ النساء ١٧١، أي تقولوا: هم ثلاثة، كقوله تعالى ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف ٢٢ فكل ما رأيت بعد القول مرفوعاً ولا رافع معه فيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم)). ومن هذا يفهم أن العطف هو القائم وليس غيره. ويقول الفراء: فأما قول الله تبارك وتعالى ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ...﴾ فهو رفع لأن قبله ضمير أسمائهم، سيقولون: هم ثلاثة، وهم أربعة، و...، وقوله ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انتهبوا﴾ النساء ١٧١ رفع، أي: قولوا الله واحداً، ولا تقولوا الآلهة ثلاثة. ويقول الفراء: ... فأبن على ذا ما ورد عليك من المرفوع، قوله ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ...﴾ و (خمسة) و (سبعة) لا يكون نصباً، لأنه إخبار عنهم فيه أسماء مضمرة، كقولك: هم ثلاثة، وهم خمسة.

- ٧٦ - معني اللبيب: ٣١٥/١  
 ٧٧ - معاني القرآن للفراء: ٣٧٢/٢  
 ٧٨ - معني اللبيب: ٣١٧/١  
 ٧٩ - معاني القرآن للفراء: ٥٣/٢  
 ٨٠ - معني اللبيب: ٣٦٤/٢  
 ٨١ - معاني القرآن للفراء: ٢٩٦/١، ٣٨، ٩٣

وفي حديث ابن هشام عن باب التعليق الذي هو الباب الثالث من أبواب وقوع الجملة مفعولاً به، قال (٨٢): (( واختلف في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ آل عمران ٤٤ ، فقيل: التقدير ينظرون أيهم يكفل مريم، وقيل: يتعرفون، وقيل: يقولون، فالجملة على التقدير الأول مما نحن فيه، وعلى الثاني في موضع المفعول به المسرح، أي: غير مقيّد بالجار، وعلى الثالث ليست من باب التعليق البتة)).

والحقيقة أن هذه التقديرات قال بها الكوفيون، فالكسائي يقول (٨٣): ((قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَنْتَرَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ مريم ٦٩: لننزعن واقعة على المعنى كما تقول: لبست من الثياب وأكلت من الطعام ولم يقع (لننزعن) على (أيهم) فينصبها، ثم ابتداء (أيهم أشد على الرحمن عتياً). وذهب الفراء إلى القول (٨٤): ((وقول الله ﴿ثُمَّ لَنْتَرَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ مريم ٦٩: مَنْ نصب أياً أوقع عليها النزاع وليس باستفهام، كأنه قال: ثم لنستخرج العاتي الذي هو أشد. وفيها وجهان من الرفع، أحدهما: أن تجعل الفعل مكتفياً بمن في الوقوع عليها، كما تقول: قد قتلنا من كل قوم، وأصبنا من كل طعام، ثم تستأنف أياً فترفعها بالذي بعدها، كما قال عز وجل ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ الإسراء ٥٧، أي: ينظرون أيهم أقرب. ومثله ﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ آل عمران ٤٤. وأما الوجه الآخر فإن قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَنْتَرَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ﴾: لننزعن من الذين تشايعوا على هذا، ينظرون بالتشايح أيهم أشد وأخبث، وأيهم أشد على الرحمن عتياً)). وقد ورد ذلك في شرح المفصل لابن يعيش (٨٥)، وجاء في كتاب اثتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة (٨٦).

وفي أثناء كلام ابن هشام على تعلق الظرف والجار والمجرور، قال (٨٧): (( ومثال التعلق بالحدوف ﴿وَأَلِي تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ الأعراف ٧٣ بتقدير: (وأرسلنا) ولم يتقدم ذكر الإرسال، ولكن ذكر النبي والمرسل إليهم يدل على ذلك)).

وهذا ما ذهب إليه الفراء بقوله (٨٨): ((... ومثله من غير (إذ) قول الله ﴿وَأَلِي تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ وليس قبله شيء تراه ناصباً لـ (صالح) فعلم بذكر النبي (ص) والمرسل إليه أن فيه إضمار (أرسلنا)). وفي موضع آخر قال الفراء: وقوله ﴿وَأَلِي تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ منصوب بضمير (أرسلنا)، ولو رفع إذ فقد الفعل كان صواباً، كما قال ﴿فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ

٨٢ - مغني اللبيب: ٤١٧/٢

٨٣ - معاني القرآن للكسائي: ١٩١، و: شرح السيرافي: ١٦٥/٣

٨٤ - معاني القرآن للفراء: ٤٧/١ - ٤٨، و: الإنصاف في مسائل الخلاف: مسألة (١٠٢)

٨٥ - ينظر: شرح المفصل: ١٤٦/٣، و: دراسة في النحو الكوفي: ٤٠٧

٨٦ - ينظر: لإثتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة: ٦٧

٨٧ - مغني اللبيب: ٤٣٦/٢

٨٨ - معاني القرآن للفراء: ٣٥/١، و: ١٩/٢ - ٢٠، و: ٢٨٨/٢

يَعْقُوبَ ﴿هُوداً ٧١﴾، وقال أيضاً ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ ﴿فاطر ٢٧﴾. وذكر الفراء ذلك في موضع آخر بقوله: ((وقوله ﴿وَأَلِيَّ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ نصبت صالحاً وهوداً وما كان على هذا اللفظ بإضمار (أرسلنا). وفي موضع آخر ذكر الفراء: وقوله تعالى ﴿وَأَلِيَّ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ نصب بإضمار (أرسلنا).

وقال ابن هشام<sup>(٨٩)</sup>: ((وقال بعضهم في قوله تعالى ﴿وَحَفِظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ الصافات ٧: إنه عطف على معنى ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزَيْنَةِ الْكُوكَبِ﴾ الصافات ٦، وهو إنا خلقنا الكواكب في السماء الدنيا زينة للسماء، كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ الملك ٥ ويحتمل أن يكون مفعولاً لأجله، أو مفعولاً مطلقاً، وعليهما فالعامل محذوف، أي: وحفظاً من كل شيطان زينها بالكواكب، أو: وحفظناها حفظاً)). إلا أن الذي ينبغي الإشارة إليه هنا، هو التذكير بأن هذا القول قال به الفراء<sup>(٩٠)</sup>: ((وقوله عز وجل ﴿لِتَرْكُوهَا وَزِينَةَ﴾ النحل ٨، نصبتها: ونجعلها زينة على فعل مضمر، مثل ﴿وَحَفِظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ أي: جعلناها. ولو لم يكن في الزينة ولا في (وحفظاً) واو لنصبتها بالفعل الذي قبلها لا بالإضمار. ومثله (أعطيتك درهما ورغبة في الأجر)، المعنى: أعطيتك رغبةً، فلو ألقيت الواو لم تحتج إلى ضمير لأنه متصل بالفعل الذي قبله. على أن هذه الدراسة، يمكن وصفها بأنها محاولة للكشف عن مواضع النحو الكوفي التي لم يصرح بها ابن هشام في كتابه المذكور، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين الرسول الكريم وآل بيته الطيبين الطاهرين، ونرجو من الله أن نكون قد وفقنا إلى تحقيق ما سعى إليه البحث من كشف لتلك المواضع.

### الخاتمة والنتائج

بعد أن من الله تعالى علينا، ونحن ننتهي من محاولة الكشف عن مواضع النحو الكوفي التي لم يصرح بها ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعريب، يمكن القول أن ما توصل إليه الباحث ما يأتي:

١ - تبين من البحث وبوضوح أن ابن هشام أخذ عن نحاة الكوفة، إلا أنه لم يصرح بالكثير من ذلك بقصد أو دون قصد، على أن مازال الناس حتى أيامنا هذه يرون أن النحوي إذا أخذ عن نحوي آخر بدون إشارة إليه، ارتكب أمراً لا يُحمد، بل يمكن عده مأخذاً عليه، وفي ضوء ما تقدم كانت هذه الدراسة.

٨٩ - مغني اللبيب: ٤٧٩/٢

٩٠ - معاني القرآن للفراء: ٩٧/٢، و: ١١٤/١

- ٢ - كشف البحث عما يتمتع به ابن هشام من امكانية مزج كلام نحاة الكوفة الذي لم يصرح به بكلامه مزجاً يصعب فيه التمييز بينهما، إلا بالعودة الى عرض كتابه (المغني) عرضاً دقيقاً، ومقارنته بشكل تفصيلي مع الكتب الأخرى.
- ٣ - في ضوء ما تقدم يمكن القول: إنه انفرد بهذه الإمكانية (مزج الأقوال)، وهذا جعله متميزاً، بل منفرداً بهذه الخاصية.
- ٤ - تيقن البحث أن كتاب مغني اللبيب على ما فيه من فوائد جمّة، فهو يخلو من المصادر، إذا ما تمت مقابله بغيره من المصنفات النحوية.
- ٥ - كشف البحث أن مواضع التصريح باسم من ينقل عنه ابن هشام قليلة، في ضوء ما تم كشفه من المواضع التي لم يصرح بها، وهو بذلك يختلف عن غيره من النحويين الذين يُكثرون في ذلك.
- ٦ - عنى البحث بعرض آراء الكوفيين التي لم يصرح بها ابن هشام، عبر الوقوف المتأنى على مصادر النحو الكوفي التي نُقلت عنها، وفي هذا توثيق لآراء الكوفيين. وختاماً أن هذه الدراسة ما هي إلا محاولة لوضع كل لبنة من الصرح في موضعها الذي ينبغي أن تكون فيه، لئلا يكون اللبس في الأمر، وتكون الفوضى في النقل.

### روافد البحث

#### القرآن الكريم

- ائتلاف النصر في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، تأليف عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي (٨٠٢هـ)، تحقيق: الدكتور طارق الجنابي، كلية التربية، جامعة الموصل، عالم الكتب، مطبعة النهضة العربية، ط ١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ٤، ١٩٦١م.
- الأصمعيات، الأصمعي، عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف مصر ١٩٦٤م.
- أمالي الشجري، ضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ت ٥٤٢هـ)، المعروف - ابن الشجري، طبعة بيروت.
- المفضليات، المفضل الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف مصر ١٩٦٤م.
- الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، الدكتور نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ٧، ٢٠١١م.

- الأغانى، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت - لبنان ١٩٥٩م.
- التبيين عن مذاهب اختلاف النحويين البصريين والكوفيين، تأليف: أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الدار اللبنانية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١١م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، صنعة الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، والاستاذ محمد نديم فاضل، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، الدكتور: المختار أحمد ديزة، دار قتيبة، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٣م.
- شرح المفصل للزمخشري (ت ٥٤٨هـ)، الشيخ موفق بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ)، قدم له ووضع هوامشه: د أميل يعقوب، ط ١ دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م
- شرح كتاب سيويوه، أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تأليف جمال الدين بن مالك الأندلسي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: الدكتور طه محسن، جمهورية العراق، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، تأليف الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني، الناشر: وكالة المطبوعات - شارع فهد السالم - الكويت، توزيع دار القلم، بيروت - لبنان.
- مجالس ثعلب، تأليف ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطابع دار المعارف بمصر، القسم الأول ١٩٦٠م - ١٩٦٩م.
- مراتب النحويين، عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، المطبعة العصرية، صيدا بيروت - لبنان.
- مشكل اعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- معاني القرآن، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، الجزء الأول بتحقيق: أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، والجزء الثاني: بتحقيق ومراجعة الاستاذ محمد علي النجار، والجزء الثالث تحقيق: الدكتور عبد الفتاح اسماعيل، مراجعة الاستاذ علي النجدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
- معاني القرآن، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الكوفي (٢٠٠ - ٢٩١هـ)، جمع وتحقيق: الدكتور شاكر سبع الأسدي، مطبوعات مطبعة الناصرية التجارية، ط ٢٠١٠، ١م

- معاني القرآن، لعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ)، أعاد بناءه وقدم له الدكتور عيسى شحاته عيسى، كلية الدراسات العربية، جامعة المنيا، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، عبدة غريب ١٩٩٨م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تأليف الامام أبي محمد عبد الله جمال الدين يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، المصري (ت ٧٦١هـ)، حققه وفصله وضبط غرائب محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- من تاريخ النحو، تاريخ ونصوص، وفق منهاج شهادة فقه اللغة في الجامعة اللبنانية، سعيد الأفغاني، دار الفكر.
- موجز تاريخ النحو، الاستاذ توفيق بن عمر بلطه جي، دار الشيخ أمين كفتارو للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، دمشق - الصالحية، جادة الرئيس، خلف مشفى الطلياني.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون والدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٥م.

## تنوع مجالات الاستثمار السياحي في مدينة كربلاء المقدسة ودورها في معالجة البطالة

The variety of the field of the tourist investment and its role  
in solving the problem of unemployment in kerbala

م.م. عباس فاضل رسن الاختصاص<sup>(١)</sup>

Ass. Lecture Abbas Fadhil Risan

### المستخلص

يتناول البحث تنوع مجالات الاستثمار السياحي في مدينة كربلاء المقدسة وأمكانية توظيف هذا التنوع في مواجهة نسب البطالة المرتفعة في المدينة أسوة ببقية المحافظات العراقية الاخرى والتي تعاني من نفس المعضلة، اذ يتميز النشاط السياحي بكونه احادي الجانب كونه يعتمد على السياحة الدينية فقط مع تجاهل بقية المجالات، كما يصلح هذا البحث ان يكون أ نموذج قابل للتطبيق يمكن تعميمه كفكرة وتطبيقه عمليا في بقية انحاء العراق العزيز والتي تتمتع مدنه بأغلب الميزات المتوفرة في مدينة كربلاء ضمن النشاط السياحي قيد الدراسة.

يتضمن المبحث الاول منهجية البحث التي تركز فرضية القبول فيها على امكانية وجود دور لتنوع مجالات الاستثمار السياحي في معالجة نسب البطالة وهذا ما تم اثباته من خلال هذا البحث والحمد لله مع مراعاة عدم التفائل المفرط من خلال اعتماد النسب المدروسة بمحدودها الدنيا، أما المبحث الثاني فقد تناول المجالات السياحية التي تقع ضمن نطاق الاستثمار السياحي الذي من الممكن استغلاله في مدينة كربلاء المقدسة والتي تعاني التغييب والتجاهل من قبل القطاع العام والخاص معا (الشركات السياحية)، وقد تناول المبحث الثالث البطالة كمفهوم وانواع وآثار هذه

١ - جامعة أهل البيت (عليه السلام) / كلية الشريعة الإسلامية / قسم السياحة الدينية.

المشكلة الاقتصادية ذات الاثر المتعدد الجوانب على افراد المجتمع، كما تناول المبحث الرابع الجانب العملي للبحث من خلال تحليل البيانات المتوفرة لاعداد العاملين العراقيين والاجانب في الفنادق تحديداً، بالإضافة الى تحليل عدد الزائرين للمدينة خلال المدة (٢٠٠٧ - ٢٠١١) وكذلك اعداد الفنادق التي تعمل حالياً ضمن نشاط السياحة الدينية، وقد ضم المبحث الخامس أهم الاستنتاجات والتوصيات التي تولدت في ضوء نتائج الجانب العملي للبحث.

### المقدمة

تعمل دول العالم قاطبة على استثمار كافة المجالات التي ترى فيها فرصة لتحقيق الرفاهية لشعوبها بل وتذهب بعض هذه الدول الى استخدام الأساليب المشروعة وغير المشروعة لتحقيق هذا الهدف، اذ قامت الإمارات العربية المتحدة بصناعة السياحة على سطح البحر عند بنائها لمدينة النخلة، أما الدول الكبرى فقد قامت بنهب خيرات الشعوب الضعيفة لتحقيق ما تصبو اليه بهذا الاتجاه، وما عملية نهب الاثار من الدول التي تملك ارثا حضاريا وعرضها في متاحف الدول المتقدمة الا دليل واضح على ذلك، فأثار العراق المسروقة تعرض اليوم في العديد من هذه الدول مثل مسلة حمورابي في فرنسا وبوابة عشتار في المانيا.

يتناول بحثنا هذا فرص الاستثمار السياحي في مدينة كربلاء العزيزة والتي تزخر بها في عدة مجالات ودورها في خفض نسب البطالة كعينة متكاملة المعالم من ناحية الموقع الجغرافي والمناخ والتضاريس والارث الحضاري والديني، والتي من الممكن تطبيقها على باقي مدن العراق الحبيب الذي يعاني نسب بطالة مرتفعة لاتتلائم مع قدراته المالية والاقتصادية والتي تفرض عليه كأملاءات أمريكية مجحفة من خلال شروط صندوق النقد الدولي الذي تديره هذه الدولة بشكل مباشر، كما سنتناول المجالات السياحية التي من الممكن الاستثمار فيها بشكل مركز كالمراقد الدينية والمسطحات المائية والواحات والعيون الطبيعية والمناطق الزراعية الواسعة والمواقع الاثرية المتعددة فضلا عن امكانية القيام بما يعرف اليوم بالسياحة الصناعية التي تتمثل بما يبدع به العقل البشري من الفن المعماري الفريد والافكار الخلاقة في هذا المجال وما قامت به دولة الامارات العربية المتحدة مثال حي يمكن الاقتداء به في هذا المجال، كما سنتناول في بحثنا هذا نسب البطالة في كربلاء حالها حال بقية محافظات العراق التي اصبحت نسبها اليوم تدق ناقوس الخطر كنسبة مرتفعة من جانب وكأفة لها آثارها الاجتماعية والنفسية و الاخلاقية من جانب آخر، والتي نتمنى ان تعطي صورة مبسطة لما يمكن ان نقدمه لابناء هذه المدينة تخفيفا عن كاهل مواطنيها كأ نموذج عن محافظات العراق الاخرى التي تتوافر فيها مثل هذه الامكانيات.

## المبحث الأول - منهجية البحث

### ١- مشكلة البحث:-

ان المشكلة الأبرز وعلى مستوى العراق بشكل عام ومحافظة كربلاء بشكل خاص عدم وجود سياسة اقتصادية واضحة لاستثمار وتوسيع العمل في القطاعات الاقتصادية الصناعية والزراعية والتحويلية والسياحية وحتى الخدمية. وبما ان بحثنا يتناول قطاع السياحة تحديدا فان هذا القطاع يعاني من تغييب لعدة مجالات يمكن استغلالها لدعم الاقتصاد الوطني وزيادة الدخل القومي الذي يؤخذ عليه بأنه أحادي الجانب بينما الدول النفطية المجاورة الاخرى حققت طفرات ملحوظة في هذا المجال، فالامارات العربية المتحدة بميزانية تبلغ ١٢ مليار فقط تمكنت من تحقيق دخل بنسبة ٧٥٪ من عوائد غير نفطية.

أما محافظة كربلاء المقدسة فقد حباها الله سبحانه وتعالى بالعديد من المجالات السياحية المغيبة، فهي تملك ارثا حضاريا وطبيعة جغرافية متنوعة يمكن العمل عليها لتوسيع الاستثمار السياحي في المحافظة.

### ٢- اهمية البحث:-

تتبع اهمية البحث من اهمية محافظة كربلاء وقدسيتها وما تفرضه علينا من التزام كأحدى محافظات الوطن العزيز التي يجب النهوض بواقعها الاقتصادي واستثمار الطاقات المتوفرة فيها، فضلا عن اهمية رفق الاقتصاد الوطني بمجالات جديدة لزيادة الدخل القومي وتقليل الاعتماد على الايرادات النفطية التي لم تدار بشكل ايجابي لحد الان، كما ان لتغيرات البحث وتحديدا البطالة اثار سلبية يجب العمل على تفاديها بشكل ملح كونها تتسع يوما بعد يوم.

### ٣- هدف البحث:-

يحقق هذا البحث عدة اهداف هي كالآتي :-

- أ- المساهمة في تعزيز التنمية الاقتصادية لمحافظة كربلاء من خلال تنشيط المجالات السياحية المغيبة فيها.
- ب- الحد من نسبة البطالة في المدينة كأنموذج يمكن تطبيقه على بقية المحافظات.
- ت- تقليل الاعتمادية على الايرادات النفطية.
- ث- تحقيق ايرادات اضافية لدعم المدينة المقدسة كما هو الحال مع الايرادات المتحققة للمحافظات المشمولة بقانون البترو دولار كون المحافظة غير مشمولة بهذا القانون مما يحقق بديلا عنه في حالة ثبوت فرضية البحث.
- ج- تنوع مجالات الاستثمار السياحي بهدف مواجهة الاختلالات التي من الممكن ان تحدث في مجال واحد ممكن ان يؤدي الى شل حركة السياحة في المدينة عند توقفه.

- ح- تحقيق مقومات عامل المنافسة الايجابية مع المحافظات الاخرى التي تتوافر فيها مجالات سياحية متنوعة.
- خ- توفير فرص عمل في مجال متخصص لخريجي السياحة سواء المتخرجين من جامعة كربلاء او من جامعة اهل البيت على حد سواء-
- د- خلق سوق سياحي اوسع من السوق الموجود تحديدا في مجال السياحة الدينية مما يخلق ارتباطات خلفية وامامية جديدة تنتشر في رقعة جغرافية اوسع من المحافظة.

#### ٤- فرضية البحث:-

- فرضية العدم / عدم وجود دور لتنوع مجالات الاستثمار السياحي في معالجة البطالة.
- فرضية القبول / يوجد دور لتنوع مجالات الاستثمار السياحي في معالجة البطالة.

#### ٥- مجتمع البحث:-

يمثل مجتمع البحث القطاع السياحي في العراق.

#### ٦- عينة البحث:-

تمثل عينة البحث مجالات الاستثمار في القطاع السياحي وتنوعها في محافظة كربلاء المقدسة.

#### ٧- حدود البحث /

##### أ- الحدود الزمانية

يغطي البحث البيانات المعتمدة من قبل مديرية سياحة كربلاء الفترة الممتدة ما بين (٢٠٠٧ - ٢٠١٢).

##### ب- الحدود المكانية:

الحدود الادارية لمحافظة كربلاء المقدسة.

#### ٨- منهج البحث:-

اعتمد البحث في اختيار الفرضيات الاسلوب التحليلي وذلك بدراسة المتغيرات في ضوء البيانات التاريخية المتوفرة حول عينة البحث.

## المبحث الثاني/ مجالات الاستثمار السياحي في محافظة كربلاء المقدسة.

### اولا- الاستثمار السياحي/

#### ١- المفهوم/

يعرف الاستثمار تحديدا بأنه (التوظيف المنتج لرأس المال او الثروة في الموجودات بهدف تحقيق عائد او ربحية او كلاهما)<sup>(٢)</sup>، اما الاستثمار السياحي فيعرف بأنه (القدرة الهادفة الى توظيف رأس المال المادي واعداد رأس المال البشري في المجال السياحي)<sup>(٣)</sup>، يرتبط هذا المفهوم ارتباطا وثيقا بالادارة التي تدير الاستثمار اذ لا يمكن تحقيق استثمار ناجح بدون ادارة احترافية متخصصة في هذا المجال تعمل على تحقيق الاهداف المخطط لها لهذا النوع من الاستثمار وللأنواع الاخرى منه.

#### ٢- أهمية الاستثمار السياحي/

تتبع هذه الاهمية من طبيعة الاستثمار السياحي فهو قطاع او نشاط سريع النمو وذو مردود اقتصادي جيد من خلال فرص العمل التي من الممكن ان يوفرها للمجتمع من اداريين وفنيين وعمال ماهرين، وكذلك يساهم في رعد الاقتصاد الوطني من العملات الاجنبية بالاضافة الى الارتباطات الخلفية والامامية لهذا القطاع مع القطاعات الاخرى.<sup>(٤)</sup>

#### ٣- اهداف الاستثمار السياحي/

- أ- تنوع القطاعات الاقتصادية الداعمة للاقتصاد القومي وتحديدا للدول التي تعد احادية الجانب اقتصاديا ومنها العراق.
- ب- خلق فرص العمل في القطاع المعني و تعزيز مجالاتها من خلال الارتباط مع القطاعات الاخرى.<sup>(٥)</sup>
- ج- توفير العملات الاجنبية الصعبة مما يدعم قيمة العملة الوطنية تحديدا والاقتصاد ككل.
- د- التعرف بتاريخ الشعوب وارتها الحضاري وعمقها التاريخي، فضلا عن تقارب الشعوب ذات الثقافات المختلفة فيما بينها.

### ثانيا- مجالات الاستثمار السياحي(الانواع)/

#### أ- السياحة الدينية:-

تتمثل بالسفر لزيارة الاماكن المقدسة وهي من اوسع المجالات انتشارا وأهمية لاثرها الروحي في كافة المجتمعات بشكل عام.

2- Vanguard asset management UK, 2013:8

3- Ektib&Gruber, Modern portfolio investment analysis, 1995:63

٤- شبر، الهام خضير، الاستثمار السياحي والتمويل، ٢٠١٢: ١٧.

٥- الزويني، محمد حسن علي، واقع وآفاق السياحة الدينية في كربلاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥: ١٤.

ب- السياحة الاثرية:-

يرتبط هذا النوع من السياحة بالارث الحضاري للشعوب كونها تعبر عن الحقب الزمنية المختلفة لحضارات سادت في ازمته سابقة تاركة ورائها معالم اثرية مثل التماثيل والمعابد والنقوش والقلاع وغيرها.

ج- سياحة الاصطياف:-

يمتاز هذا النوع من السياحة بموسميته وتحديدًا في فصل الصيف تتمثل دوافعه الاساسية في البحث عن المناخ الملائم لتجنب اجواء الصيف الحار، وتكون المناطق الجبلية والبحيرات والغابات وسواحل البحار المكان الاكثر ملائمة لهذا المجال، كما يشمل هذا النوع المناطق التي يكثر فيها الجليد في فصل الشتاء لممارسة رياضات معينة.

د- السياحة الطبيعية والبيئية:-

ترتبط هذه السياحة بالطبيعة الجغرافية للبلد المعني بهدف التمتع بالمنظر الطبيعية المتواجدة مثل السلاسل الجبلية والغابات والشلالات ومصبات الانهار والسهول والوديان ذات الطبيعة المميزة<sup>(٦)</sup>.

ذ- السياحة العمرانية:-

وتتضمن الابنية والابراج والمتنزهات وحدائق الحيوان، يضاف اليها ما يصنعه الانسان من مدن سياحية ذات مواقع جغرافية مميزة وكل ما يرتبط بالإبداع العمراني و الهندسي المعماري للانسان<sup>(٧)</sup>.

**ثالث السمات الجغرافية لمدينة كربلاء /**

١- موقع مدينة كربلاء /

تتمتع مدينة كربلاء المقدسة بموقع حيوي من الناحية الجغرافية، اذ تقع في الجنوب الغربي من العاصمة بغداد بنحو ١٠٥ كلم، كما تبعد عن نهر الفرات بحوالي ٣٠ كلم غربا وهي على حافة البادية وسط المنطقة الرسوبية من العراق والتي تمتاز بخصوبتها العالية وتوافر المياه الجوفية فيها مما يؤهلها ان تكون سلة الغذاء في وسط العراق اذا ما استثمرت بشكل هادف وحقيقي، اذ تحيط بها بساتين النخيل والأشجار من ثلاث جهات والتي تروى من نهر الحسينية المتفرع من نهر الفرات، كما تقع هذه المدينة على خط المواصلات الذي يربط العراق بالجزيرة العربية<sup>(٨)</sup>.

٦- غريب، احمد رضا، الارهاب وأثره في السياحة، ٤٢: ٢٠١٢

٧- الرويني، مصدر سابق: ٣٧

٨- الانصاري، رؤوف محمد علي، السياحة في العراق ودورها في التنمية والاعمار، ٣٤٧: ٢٠٠٨

## ٢- مميزات مدينة كربلاء /

تمتلك المدينة مميزات عدة تؤهلها لاستقطاب أوسع للاستثمار السياحي فضلا عن موقعها الجغرافي وسط العراق والذي يمكنها من استقطاب السياحة الداخلية لكافة محافظات العراق وهي كالآتي :-

أ- الاراضي الزراعية - اذ تمتلك هذه المدينة مساحة خضراء واسعة متمثلة ببساتين النخيل والاشجار بالإضافة الى مساحة واسعة جدا من الأراضي الصالحة للزراعة اذ تبلغ حوالي (٣٠٣٣) كم<sup>2</sup> والتي تمثل ٦٠٪ من المساحة الكلية للمدينة<sup>(٩)</sup>.

ب- الموارد المائية /

تمتلك المدينة مجموعة من الانهار والبحيرات والواحات والعيون مثل نهر الحسينية المتفرع من نهر الفرات وبحيرة الرزازة وواحات عين التمر وغيرها.

ج- المرتفعات والكهوف /

تظهر هذه الكهوف في منطقة (الطار) ضمن سلسلة من المرتفعات الصخرية، يشكل قسما منها آثار تعود للعصر البابلي واخرى اسلامية تعود للعصر الاسلامي ومنها ما انشأت قبل الاسلام تعود للديانة المسيحية<sup>(١٠)</sup>.

## رابعا- مجالات الاستثمار السياحي في مدينة كربلاء

تمتاز مدينة كربلاء المقدسة بتعدد مجالات الاستثمار السياحي فيها وهذه المجالات هي :-

### ١- مجال السياحة الدينية:-

تضم مدينة كربلاء العدد الاكبر من المواقع الدينية على مستوى العراق التي تمتاز بمكانة مقدسة لدى جزء مهم من المسلمين وتتضمن المواقع التالية :-

أ- مرقد الامام الحسين واخيه العباس عليهم السلام ويقع في مركز مدينة كربلاء.

ب- مرقد الصحابي الحر بن يزيد الرياحي ويقع في ناحية الحر.

ت- مرقد عون بن عبد الله ويقع شمال شرق كربلاء بنحو ١٢ كم على طريق بغداد.

ث- مرقد السيد احمد بن هاشم ويقع في بادية كربلاء شمال غرب مدينة عين التمر بنحو ٢٥

كم.

ج- مقام تل الزينبية ومقام الامام المهدي ومبنى المخيم الحسيني وتقع في مركز المدينة.

٩- الزويني، مصدر سابق: ١٠٦

١٠- الانصاري، مصدر سابق: ٣٤٨

## ٢- مجال السياحة الاثرية:-

تضم المدينة مجموعة من المواقع الاثرية لمختلف العصور ومنها:-

- أ- قصر مقاتل الذي يقع في مدينة عين التمر والذي ينسب الى مقاتل بن حسان الذي ينسب الى امرئ القيس شاعر الجاهلية المعروف.
- ب- حصن الاخضر وهو احد ابداعات العمارة الاسلامية ويقع في الصحراء الغربية على بعد ٥٠ كم جنوب غرب كربلاء.
- ت- خان النخيلة وخان العطشان اللذان يقعان على طريق كربلاء - النجف بنحو ١٤ كم ويعودان للعهد العثماني<sup>(١١)</sup>.

## ٣- مجال السياحة الطبيعية:-

وتقسم الى-

- أ- البحيرات والانهار:- مثل بحيرة الرزازة التي تقع شمال غرب مدينة كربلاء ونهر الحسينية المتفرع من نهر الفرات عند سدة الهندية<sup>(١٢)</sup>.
- ب- الواحات والعيون:- المتمثلة بالعيون الواقعة في مدينة عين التمر والتي تبعد عن مدينة كربلاء بنحو ٦٧ كم وتضم اكثر من ١٩ عينا منها المياه الطبيعية ومنها المياه المعدنية التي تتدفق مياهاها على مدار السنة.

## المبحث الثالث - البطالة

### اولا- المفهوم/

تعرف البطالة بأنها (ظاهرة تتمثل في عدم ممارسة الافراد الذين هم في سن العمل للنشاط الاقتصادي خلال مدة زمنية معينة لظروف خارجة عن ارادتهم بالرغم من قدرتهم على العمل ورغبتهم فيه ومجتهم عنه.

كما عرفت منظمة العمل الدولية (ILO) - العاطل عن العمل على انه (كل شخص قادر على العمل وراغب فيه ويريده ويقبل به عند مستوى الاجر السائد لكنه لا يجد هذا العمل).

ان البطالة بشكل عام تنتج نوعان من العاطلين هما:-

- ١- العاملين الذين يدخلون سوق العمل لأول مرة.
- ٢- العاملين الذين سبق لهم العمل واضطروا لتركه لأي سبب من الاسباب<sup>(١٣)</sup>.

١١- الانصاري، مصدر سابق: ٣٥٢- ٣٧١- ٣٦٤

١٢- المطيري، مصدر سابق: ٥١

١٣- مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية، ٢٠١٠، ص ٥٨

## ثانياً - أنواع البطالة /

هنالك عدة انواع من البطالة على وفق معايير مختلفة يمكن تصنيفها كالآتي :-

### ١- البطالة الدورية:-

يظهر هذا النوع نتيجة الدورات الاقتصادية أو التقلبات التي تصيب اقتصاديات الدول الصناعية بصورة شبه منتظمة منذ الثورة الصناعية والذي ينعكس بدوره على بقية دول العالم الاقل تقدماً كونها مصدراً للخامات المستخدمة في النشاط الصناعي للدول المعنية، يحصل هذا النوع من البطالة عندما يكون الاقتصاد في حالة ركود أو في فترات الكساد اذ يقل الطلب الكلي مما يدفع الى تخفيض الانتاج مما يؤدي الى توليد البطالة من خلال ظاهرة تسريح العاملين وتحديدًا في القطاع الصناعي.

### ٢- البطالة الموسمية:-

ينشأ هذا النوع من البطالة نتيجة تأثير المشاريع ذات الطابع الموسمي التي يرتبط العمل فيها بالظروف الطبيعية والمناخية وتحديدًا الدورة الموسمية لفصول السنة، يظهر هذا النوع في القطاع السياحي والزراعي ونشاطات البناء والتشييد.

### ٣- البطالة الاحتكاكية:-

ان صعوبة الحصول على فرص العمل نتيجة لجهل العمال بالاعمال المفتوحة امامهم في المناطق الاخرى وصعوبة الانتقال الى هذه المناطق هو ما يؤدي الى ظهور مثل هذا النوع من البطالة، كما يطلق هذا المصطلح على البطالة الناتجة عن احلال الآلة وطرق الانتاج الحديثة محل الافراد العاملين.

### ٤- البطالة القطاعية:-

يحدث هذا النوع من البطالة في القطاعات الاقتصادية وخصوصاً في القطاع الصناعي نتيجة التقادم التكنولوجي لبعض المنتجات او الافتقار الى المواد الخام او عدم الاقبال على بعض المنتجات بسبب رداءتها مما يؤدي الى اغلاق المصنع وتسريح العاملين فيه، كما يصيب هذا النوع القطاع التجاري نتيجة القيود التي تفرض على عمليات الاستيراد والتصدير.

### ٥- البطالة المقنعة:-

يعني هذا النوع ممارسة الاعمال قليلة الانتاجية ذات الاجور المنخفضة والتي يضطر بعض الافراد العمل فيها بسبب الاستغناء عنهم في نشاطات اخرى وتظهر هذه البطالة في القطاع الزراعي للدول المتخلفة بشكل ملحوظ.

٦- البطالة المؤقتة (غير المنظمة):-

ينشأ هذا النوع بشكل عرضي عند استخدام العمال الوقتيين الذين يحملون مهارات محدودة اذ يتم الاستغناء عنهم خلال مدة قصيرة<sup>(١٤)</sup>.

٧- البطالة الناقصة الظاهرة:-

يقصد بالعمالة الناقصة الظاهرة الأفراد الذين يؤدون عملا مدفوع الأجر أو يعملون لحسابهم الخاص ويشغلون ساعات عمل يومي تقل عن معدل الاشتغال الأسبوعي العادي (٣٥) ساعة، أو الأفراد الذين يعملون ولكنهم يتسلمون دخولا قليلة مقارنة بمستوى الجهد المبذول، أو الأفراد الذين يعملون بأعمال لا تتناسب مع مؤهلهم العلمي أو التقني<sup>(١٥)</sup>.

ثالثا - أسباب البطالة /

تظهر البطالة وتنتشر لأسباب متنوعة يؤدي التعرف عليها الى إمكانية تحديد آثارها ومعالجتها، ان البطالة هي نتيجة حتمية لاختلال عوامل العرض والطلب على القوى العاملة. إن أهم الأسباب الواردة في الأدبيات الاقتصادية هي كالآتي :-

- ١- تقلبات الاعمال الموسمية التي تمتاز بطابعها الانتاجي المحدد باحد الفصول من السنة .
- ٢- الدورات الاقتصادية التي يمر بها الاقتصاد القومي (رواج، نمو، ازدهار، كساد).
- ٣- تدهور الكفاية الصناعية للقوى العاملة نتيجة التقدم التقني والتكنولوجي المبتكر الذي ينافس الطلب على الايدي العاملة ويدفع باتجاه الاستغناء عنها او تحديدها.
- ٤- العامل الشخصي ودوره في خلق البطالة مرتبطا بمدى ميل الشخص للعمل وقدراته الشخصية والفكرية والجسدية التي من الممكن ان تجعله مطلوبا في سوق العمل<sup>(١٦)</sup>.

رابعا- آثار البطالة /

تخلق البطالة آثار متعددة على صعد مختلفة سواء على الصعيد الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي أو كلها معا في آن واحد كونها مشكلة ذات ابعاد مختلفة تترك آثارها بعدة اتجاهات ومن هذه الآثار الآتي :-

- ١- نقص الناتج القومي بمقدار ما كان من الممكن ان ينتجه المتعطلون عن العمل فيما لو توفرت لهم فرص العمل وبالتالي فأن حجم السلع والخدمات المتوفرة في السوق سينخفض بمقدار قوة العمل المعطلة مما يجعل الناتج القومي ادنى مما هو موجود في حالة عدم وجود بطالة.

١٤- الغري، مصدر سابق، ص ٥٩ - ٦٠

١٥- نشرة الجهاز المركزي للاحصاء وتكنولوجيا المعلومات، مديرية الاحصاء الاجتماعي، ٢٠٠٤، ص ٥.

١٦- الغري، مصدر سابق، ص ٦٤ - ٦٥.

- ٢- تعطل جزء من رأس المال المتمثل بالآلات والمعدات وخطوط الانتاج مما يؤدي الى خفض كفاءتها عند تشغيلها من جديد ويؤدي الى رفع تكاليف صيانتها، وهذا يعني عدم الاستخدام الكفوء للموارد المتاحة.
- ٣- فقدان الافراد المتعطلين عن العمل مهاراتهم ومواهبهم في العمل الذي كانوا يمارسونه مع طول فترة البطالة التي يمر بها، وهذا يعني ان تشغيله من جديد سيؤدي الى خفض انتاجيته مما يستلزم تدريبه وتأهيله لعودة به الى مستواه السابق مما يخلق انفاقا متزايدا يؤدي الى هدر اقتصادي للموارد المتاحة للمجتمع.
- ٤- ارتفاع مستوى نفقات الدولة بسبب حجم تعويضات البطالة التي تدفعها للمتعطلين والتي من الممكن ان تستغل لخدمة المجتمع في مجالات اخرى اكثر نفعا.
- ٥- ان لبطالة الخريجين والمتعلمين آثار سياسية ممكن ان تكون خطيرة في حالة توجه هؤلاء الافراد لتشكيل تجمعات أو تنظيمات تؤدي الى زعزعة الاستقرار السياسي والامنّي والتي من الممكن ان تستغل من جهات مغرضة لخلق حالة من الفوضى.
- ٦- من الممكن ان تدفع البطالة الفرد الى القيام بسلوكيات غير قانونية وغير مشروعة للحصول على مستلزمات الحياة او الحصول على دخل معين مما يسهم في زعزعة الاستقرار الاجتماعي من جهة ويدفع الدولة لزيادة نفقاتها لتوفير الاستقرار الامني من جهة اخرى.
- ٧- للبطالة المقنعة آثار سلبية معروفة اذ انها تؤدي الى تقليل الانتاجية بشكل عام وتردي الكفاءة الإنتاجية بشكل خاص مقابل ارتفاع تكاليف الاجور التي لا تتناسب مع حجم الانتاج المطلوب.

#### المبحث الرابع / الجانب العملي

##### اولا- فرص العمل الممكن توفيرها على اساس عدد السائحين الى عدد العاملين.

لوقوف على حجم فرص العمل التي من الممكن ان يوفرها القطاع السياحي في محافظة كربلاء تم الاستعانة بالبيانات المدرجة أدناه والتي تم الحصول عليها حسب المصادر المبينة ازاء كل منها وكما يلي :-

- الجدول (٤ - ١) يبين عدد الزائرين من عام ٢٠٠٧ الى عام ٢٠١١ مع بيان نسبة الزيادة السنوية التي طرأت على هذه الأرقام للأعوام آنفة الذكر.  
جدول (٤ - ١)

أعداد الزائرين لمحافظة كربلاء المقدسة من عام ٢٠٠٧ الى عام ٢٠١٠

الانحراف المعياري	معدل عدد الزائرين (الوسط الحسابي)	نسبة الزيادة السنوية	عدد السائحين	السنة
		- -	٥٤٠.١٥٦	٢٠٠٧

٤٧٤٨٧٥	١١٨٠٥٤٥	٪٦٣	٨٨٣,٧٦٥	٢٠٠٨
		٪٤١,٨	١,٢٥٣,٨٠٢	٢٠٠٩
		٪١٩,٦	١,٥٠٠,٠٠٠	٢٠١٠
		٪١٥ <sup>(١٨)</sup>	١,٧٢٥,٠٠٠ <sup>(١٧)</sup>	٢٠١١

المصدر: - مديرية السياحة في محافظة كربلاء - ٢٠١٢

- ان متوسط نسبة الزيادة الحاصلة في عدد الزوار هي (٣٤٪)، كما يظهر الجدول اعلاه تناقصا ملحوظا في نسب الزيادة بنسبة ٥٠٪.

ان عدد العاملين في الفنادق التي تقع ضمن نشاط السياحة الدينية بلغ في بداية عام ٢٠١٢ حوالي (٧,٩٢٥) فردا كما مبين لاحقا، وقد بلغ عدد الزائرين التقديري على أساس اقل نسبة زيادة متوقعة (١,٧٢٥,٠٠٠)

عدد السائحين مقابل العامل الواحد = العدد الكلي للسائحين / العدد الكلي للعاملين في الفنادق

$$٧٩٢٥ / ١,٧٢٥,٠٠٠ =$$

$$٢١٨ = \text{سائح مقابل العامل الفندقي الواحد}$$

وعلى افتراض تحقيق ادنى نسبة سائحين للمجالات السياحية الأربعة المتوفرة في محافظة كربلاء مع تجاهل مجالات الاستثمار السياحي الأخرى التي تتوفر مقومات انشائها في المدينة المقدسة (السياحة الصناعية مثل المتاحف والمتنزهات والكازينوهات والمعالم المعمارية كالأبراج وغيرها) وهي نسبة (٢٥٪) فان فرص العمل التي من الممكن توليدها في المجال السياحي الواحد هي: -

عدد فرص العمل الافتراضية = (عدد السائحين الكلي × النسبة الافتراضية المتوقعة) / عدد السائحين مقابل العامل الواحد

$$\text{في المجال السياحي الواحد} = (١٧٢٥٠٠٠ \times ٢٥\%) / ٢١٨$$

$$= ٢١٨ / ٤٣١٢٥٠ =$$

$$= ١٩٧٨ \text{ فرصة عمل يمكن توفيرها في المجال السياحي الواحد}$$

إذا المجموع الكلي الافتراضي لفرص العمل التي من الممكن توفيرها في المجالات الأربعة هو (٧٩١٢) فرصة عمل وهذا يعني خفض حجم البطالة في المدينة بنفس المقدار، ان عدد العاطلين

١٧- نسبة تقديرية على أساس اقل من نسبة الزيادة الحاصلة للعام السابق بمقدار ٥٪

ملاحظة- لم يتم اعتماد معدل عدد الزائرين بسبب التذبذب الواضح بين السنين السابقة والحالية والانحراف المعياري الكبير للقيم عن وسطها الحسابي نتيجة الظروف الأمنية الاستثنائية التي كان يمر بها العراق بسبب الاحتلال

١٨- تم احتساب عدد الفنادق الممكن اقامتها على اساس عدد السائحين مقابل كل فندق

المسجلين رسمياً لدى دائرة الضمان الاجتماعي بلغ (٧٣٦٠٠) <sup>1</sup> متعطل<sup>٠</sup> وهذا يعني خفض نسبة البطالة وفق هذا المعيار بنسبة (١٠,٨٪)٠

### ثانياً - فرص العمل التي من الممكن توليدها من خلال عدد السياح نسبة إلى عدد الفنادق

يمكن اعتماد معيار آخر لقياس فرص العمل التي من الممكن توفيرها من خلال الاستثمار في المجالات السياحية الأخرى والتي يمكن اعتمادها لمواجهة نسب البطالة المرتفعة<sup>٠</sup>  
ان معدل عدد السائحين مقابل الفندق الواحد هو كما يلي :-  
معدل عدد السياح مقابل الفندق الواحد = العدد الكلي للسياح / العدد الكلي للفنادق  
 $594 / 1725000 =$   
 $2904 =$  سائح لكل فندق

وعلى أساس نسبة السياح الافتراضية التي من الممكن تحقيقها وهي نسبة (٢٥٪) والبالغة حوالي (٤٨١٢٥٠) يمكن إقامة (١٦٥) ❖ فندقاً موزعة على عدد المجالات السياحية الأربعة على اقل تقدير، علماً انه من الممكن ان يوفر كل فندق (١٣) فرصة عمل كما اشرنا سابقاً وهذا يعني انه من الممكن توليد (٢١٤٥) فرصة عمل جديدة (١٦٥×١٣) يمكن من خلالها خفض نسب البطالة بمقدار (٣٪) على اقل تقدير مع تجاهل الارتباطات الخلفية و الأمامية لهذه الاستثمارات السياحية.

### ثالثاً- فرص العمل التي يمكن توفيرها على اساس عدد العاملين نسبة الى عدد الفنادق.

- الجدول (٤ - ٢) يبين عدد الافراد العاملين في الفنادق في مجال السياحة الدينية في محافظة كربلاء المقدسة

جدول (٤ - ٢)

عدد العاملين الكلي	عدد العاملين العراقيين	عدد العاملين الاجانب	عدد الفنادق
٧,٩٢٥	٧,١٢٥	٨٠٠	٥٩٤

المصدر: - قسم شرطة السياحة في محافظة كربلاء - ٢٠١٢

- الجدول (٤ - ٣) يبين نسب العاملين في السياحة الدينية في محافظة كربلاء نسبة الى عدد الفنادق

$$\text{معدل عدد العاملين في الفندق الواحد} = \frac{\text{العدد الكلي للعاملين في الفنادق}}{\text{عدد الفنادق العاملة}} = \frac{7925}{594} = (13) \text{ فرداً}$$

جدول (٤ - ٣)

معدل العمالة الأجنبية لكل فندق	معدل العمالة العراقية لكل فندق	المعدل الكلي للعاملين في كل فندق	نسبة العمالة الأجنبية	نسبة العمالة العراقية
١.٣٤	١٢	١٣.٣٤	٪١٠	٪٩٠

المصدر: - من إعداد الباحث وفق البيانات الواردة في الجدول (٤ - ٢)

وهو معيار لا يمكن الاعتماد عليه كونه لا يمثل احتياجات السائح الكلية من السلع والخدمات، ولكن مع افتراض امكانية اقامة (١٠٠) فندق في المجالات السياحية الاخرى في محافظة كربلاء فهذا يعني توفير (١٣٠٠) فرصة عمل لمواجهة البطالة والتي تمثل نسبة (١.٨٪) من مجموع العاطلين والذي يحقق وفرا مقداره (١.٥٦٠.٠٠٠.٠٠٠) دينار سنويا من منح العاطلين.

### النتائج:-

- ١- تم اعتماد عدد العاملين في القطاع الفندقي حصرا عند تحليل النتائج وهذا التحديد لا يمثل العدد الحقيقي للعاملين في نشاط السياحة الدينية ككل ولكن تم اعتماده لايجاد الحد الأدنى من فرص العمل لتجنب التفاؤل المفرط من جهة بالاضافة الى وجود احصائية دقيقة يمكن الاعتماد عليها من جهة امنية رسمية (شرطة السياحة) للعدد الحقيقي الفعلي لهؤلاء العاملين في هذا الجزء من الانشطة السياحية في المدينة من جهة اخرى.
- ٢- ان الزيادة في عدد الفنادق المقامة حديثا يعني توفير (١٣) فرصة عمل جديدة مقابل كل فندق جديد وهذا يعني ان احتمالية اقامة (١٦٥) فندق في مجالات الاستثمار السياحي المتوفرة في مدينة كربلاء، (الاثريّة، المسطحات المائية، الواحات والعيون، الطبيعية) على اساس (عدد السائحين مقابل عدد الفنادق) من الممكن ان يوفر (٢١٤٥) فرصة عمل والتي تحقق وفرا بمقدار (٢٥٧٤.٠٠٠.٠٠٠) دينار سنويا من منح العاطلين مع الاخذ بالاعتبار المعايير الرسمية المعتمدة لحجم العمالة في القطاع الفندقي والتي تؤدي الى خفض حجم البطالة في المدينة المقدسة بنسبة (٣٪).
- ٣- اما توسيع الاستثمار السياحي في المجالات السياحية الأخرى على أساس (عدد السائحين مقابل عدد العاملين) بنسبة ٢٥٪ من عدد السائحين الكلي في مجال السياحة الدينية فيمكن ان يحقق (٧٩١٢) فرصة عمل يمكن ان تخفف نسبة البطالة بمقدار (١٠.٨٪) والتي تحقق وفرا من منح العاطلين بمقدار (٩.٤٩٤.٤٠٠.٠٠٠) دينار سنويا.
- ٤- عند اعتماد معيار (عدد العاملين مقابل عدد الفنادق) فأن فرص العمل الافتراضية للمجالات الاربعة التي يمكن الاستثمار فيها بلغت (١٣٠٠) فرصة عمل مع تجاهل فرص العمل المتولدة نتيجة الارتباطات الامامية والخلفية لهذه الأنشطة، وهذا يعني توفير مبلغ مقداره (١.٥٦٠.٠٠٠.٠٠٠) دينار سنويا من منح العاطلين مع خفض نسبة البطالة بمقدار (١.٨٪) من مجموع العاطلين في المدينة.

- ٥- اما معدل فرص العمل المتحقق من خلال المعايير الثلاثة اعلاه فقد بلغ (٣٧٨٥) فرصة عمل والتي تسهم في خفض البطالة بنسبة (٥٪) والتي من الممكن ان تحقق وفرا ماليا من منح العاطلين يبلغ (٤.٥٤٢.٠٠٠.٠٠٠)
- ٦- وجود نسبة ليست قليلة من العمالة الأجنبية في النشاط السياحي للمدينة بلغت (٨٠٠) فردا بنسبة (١٠٪) من مجموع الأيدي العاملة الكلي مما يؤثر سلبا على فرص العمل التي يمكن توفيرها للمواطن العراقي في ظل الأوضاع الاقتصادية الراهنة ، اذ يحقق هذا العدد نفس المقدار من فرص العمل والذي يسهم في خفض نسبة البطالة في المدينة بمقدار (١٪) من دون الاستثمار في أي مجال سياحي جديد مع تحقيق وفر في منح العاطلين بمقدار (٩٦٠.٠٠٠.٠٠٠) دينار بمجرد الاستغناء عن العمالة الاجنبية في ظل الظروف الراهنة على اقل تقدير.

### المبحث الخامس: الاستنتاجات والتوصيات

#### أولا - الاستنتاجات:-

- ١- ان الاستثمار السياحي في مدينة كربلاء المقدسة هو استثمار احادي الجانب وهو مشابه لحالة الاقتصاد العراقي الذي يعاني مشاكل هيكلية جمة.
- ٢- عدم وجود رؤيا واضحة المعالم في التعامل مع القطاع السياحي ومجالات الاستثمار المتوفرة فيه بشكل واضح أدى الى إضعاف دور النشاط السياحي في دعم الاقتصاد المحلي للمدينة من خلال تغييب الاستثمار في المجالات الاخرى.
- ٣- عدم وجود توجه استثماري إستراتيجي للاستفادة من المجالات الاستثمارية المتنوعة فيه والتي تمتلك المدينة المعنية معظم مقومات النجاح لتبنيه.
- ٤- ان وجود نسبة مرتفعة من العمالة الأجنبية في قطاع واحد في حين ما زال هذا القطاع عبارة عن نشاط محدود يدل على وجود مثل هذا العنصر في بقية القطاعات الاخرى مما يدل على ضياع فرص عمل اكبر ضمن حدود هذه المدينة المقدسة يؤدي الى زيادة نسبة البطالة فيها.
- ٥- عدم استخدام معايير التوظيف السياحي الرسمية الوطنية او العالمية وتحديد في قطاع الفنادق والذي ادى بدوره الى عشوائية واضحة في تطبيق هذه المعايير مما اثر سلبا على حجم فرص العمل المتوفرة لأبناء المدينة المقدسة.
- ٦- تقاعس واضح لأداء القطاع العام للتوسع والنمو الأفقي والعمودي على مستوى المجال السياحي الواحد وإهمال بقية المجالات المتاحة للاستثمار والاعتماد بشكل شبه كلي على القطاع الخاص ذات الخبرة والأداء المحدودين
- ٧- عدم توفر البيانات بشكل رسمي من الجهات ذات العلاقة (مديرية السياحة في كربلاء تحديدا و مديرية الإحصاء) بشكل مفصل وجلي وإنما هي بيانات أولية لاترقى إلى ما هو مطلوب مع افتقار هذه المؤسسات الى الدراسات المعمقة حول هذا النشاط.

٨- تحقق فرضية القبول القائلة بوجود دور لتنوع مجالات الاستثمار السياحي في معالجة البطالة ، وبالتالي يتم رفض فرضية العدم.

### ثانياً - التوصيات :-

١. العمل على تنمية مجالات الاستثمار السياحي في مدينة كربلاء المقدسة وتنويعها والعمل على خلق مجالات استثمارية اخرى في مجال السياحة مثل المتاحف والمتنزهات الكبيرة والصروح المعمارية وغيرها بهدف مواجهة أحادية النشاط التي يعاني منها النشاط السياحي والذي من الممكن ان يؤدي الى انهيار هذا النشاط في حالة تعثره لاي سبب من الاسباب.
٢. وضع رؤيا مستقبلية واضحة لكيفية العمل على تنشيط الاستثمار السياحي والارتقاء به الى مستوى القطاع الاقتصادي على مستوى العراق عموماً ومدينة كربلاء على وجه الخصوص ليكون رافد دعم للناتج القومي الإجمالي والناتج المحلي معاً.
٣. تقديم دعم استراتيجي للاستثمار السياحي في كافة المجالات الاستثمارية السياحية المتاحة على المستوى المحلي لمدينة كربلاء وعلى المستوى الوطني عموماً وتحديدًا توفير مستلزمات الاستثمار الاساسية من بنى تحتية متطورة ونظام اداري متقدم وتشريعات وقوانين استثمارية ملائمة ونظام مالي ومصرفي فعال بالإضافة الى رأس المال الذي يمتلك العراق منه وكذلك محافظة كربلاء المقدسة ما يمكنه من تحقيق طفرة نوعية في هذا المجال.
٤. منع استخدام واستقدام العمالة الاجنبية في ظل الظروف الاقتصادية الراهنة على اقل تقدير وفي كافة مجالات وقطاعات العمل وليس القطاع السياحي فقط بسبب نسب البطالة المرتفعة التي يعاني منها العراق بالإضافة الى ان ابناء العراق ومدينة كربلاء احق بفرص العمل المتاحة للعمالة الاجنبية تحت أي ذريعة ، كما ان العمالة المستوردة تسهم في خفض ممتلكات البلد من العملة الصعبة بسبب التحويلات الخارجية لهؤلاء الاجانب والذي ينعكس سلباً على قيمة الدينار العراقي الذي يعاني من عدم استقرار وتذبذب وانخفاض في سعر الصرف امام العملات الاخرى
٥. تطبيق معايير العمل والاستخدام السياحي المعتمدة عالمياً للارتقاء بالنشاط السياحي وتحقيق طفرة نوعية واضحة في هذا المجال من جهة وتحفيز السياحة الخارجية الوافدة وتوسيعها من جهة اخرى من خلال حماية العاملين في النشاط السياحي من أي غبن أو استغلال ليكون حافزاً على الاستمرارية في العمل والإبداع وتقديم الاداء الافضل.
٦. العمل على الدعم الجدي من قبل القطاع العام او المختلط للمجالات السياحية الاخرى الموجودة فعلياً في المحافظة المعنية واعتماد إستراتيجية تنمية أفقية وعمودية لكل مجال من المجالات الأربعة المذكور آنفاً مع دعم فعال للأنشطة ذات الارتباط الخلفي والأمامي لتوسيعها

بهدف تلبية متطلبات التوسع المستهدف من جهة وتوفير فرص عمل أكبر وهو ما نطمح اليه من جهة أخرى.

٧. الزام المؤسسات والدوائر الرسمية ذات العلاقة بتحديث وتدقيق البيانات المتعلقة بحجم العمالة وعدد السائحين وعدد الفنادق العاملة في النشاط السياحي والارتباطات الخلفية والامامية لهذا النشاط وتوفيرها بشكل دوري (سنوي أو نصف سنوي) لإتاحة المعلومات اللازمة للبحوث والدراسات من الجهات ذات العلاقة بشكل رسمي مععلن سواء على المستوى المحلي (مدينة كربلاء) أو المستوى الوطني.

### المصادر

#### - الكتب العربية:-

- ١- الأنصاري، رؤوف محمد علي، السياحة في العراق ودورها في التنمية الاقتصادية، ٢٠٠٨.
- ٢- المطيري، مهنا رباط الدرويش، موسوعة جغرافية انهار كربلاء، الجزء الثاني، مطبعة الزمان، بغداد، ١٩٩٤.
- ٣- شبر، الهام خضير، الاستثمار السياحي والتمويل، ٢٠١٢.

#### - الكتب الانكليزية:-

- 1- Elton, J. Edwin, Gruber, J. Martin, Modren portfolio theory and investment analysis, fifth, new York university, edition, john wiley & sons inc, 1995.
- 2- Vanguard asset management UK, 2013.

#### - الرسائل والاطاريح:-

- ١- الزويني، محمد حسين علي، واقع وآفاق السياحة الدينية في كربلاء، ٢٠٠٥.
- ٢- غريب، أحمد رضا، الارهاب واثره في السياحة، ٢٠١٢.

#### النشرات والتقارير:-

- ١- الجهاز المركزي للاحصاء وتكنولوجيا المعلومات، مديرية الاحصاء الاجتماعي، نتائج مسح التشغيل والبطالة، ٢٠٠٣.
- ٢- العنبيكي، عبد الحسين محمد، الاصلاح الاقتصادي في العراق، ٢٠٠٩.
- ٣- قسم شرطة السياحة، كربلاء، ٢٠١٢.
- ٤- مديرية السياحة، كربلاء، ٢٠١٢.

#### المجلات:-

- ١- مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية، ٢٠١٠

## الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية عام ١٩٢٠

### دراسة تاريخية

sheik muhamad ali al-shirazi: his role in the iraqi revalution 1920  
a historical study

د. جاسم محمد إبراهيم اليساري<sup>(١)</sup>

Dr. Jassim Muhamed Ali

#### المقدمة:

شهد تاريخ العراق المعاصر أحداثاً سياسية مهمة شكلت نقاط تحول تاريخية، كان من أبرزها مقاومة الشعب العراقي للاحتلال البريطاني و الذي توج بثورة ١٩٢٠م ولم يكن العراق بمعزل عن محيطه العربي والإسلامي الذي ناهض الاستعمار الغربي (البريطاني والفرنسي) في سوريا ومصر وإيران وتركيا وغيرها من الدول العربية والإسلامية. حيث برز في هذه الدول العديد من القادة الوطنيين والزعماء الدينيين الذين التفت شعوبهم حولهم لنيل الحرية والاستقلال وطرد المحتلين الأجانب، برز في العراق كذلك العديد من الشخصيات الوطنية والدينية كان على رأسها المرجع الديني الأعلى آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي الحائري.

ورغم تناول العديد من الباحثين والكتاب لأحداث العراق في مرحلة الاحتلال البريطاني ودراسة العديد من جوانبها المختلفة، إلا إنه وللأسف فقد أهملت إلى حد ما دراسة العديد من الشخصيات الدينية العراقية التي كان لها أثر وطني كبير في تلك المرحلة الحساسة من تاريخه، ويرجع ذلك لأسباب عدة من أبرزها أسباب سياسية، لذلك ارتأينا أن نسلط الضوء على إحدى

---

١- محاضر في جامعة أهل البيت عليه السلام

الشخصيات التاريخية المهمة وهو الشيخ محمد تقي الشيرازي لدوره الكبير آنذاك في قيادة الشعب العراقي بمختلف أطرافه وعناوينه، وبعيداً عن النزعات الطائفية والعنصرية. حيث سلطنا الضوء على دور الشيخ الشيرازي في ثورة عام ١٩٢٠ منذ الاحتلال البريطاني والتي بدأ التمهد لها بالاجتماعات والمراسلات مابين القواد والزعماء والوطنين من جهة والشيخ الشيرازي من جهة أخرى، مما أدى إلى اندلاعها في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ والتي كان من أبرز نتائجها تأسيس الدولة العراقية الحديثة.

أعتمد البحث على كثير من المصادر منها بعض المخطوطات للشيخ محمد الخالصي نجل الشيخ (مهدي الخالصي) أحد رجال الدين البارزين في العراق في تلك المرحلة والمقرب من السيد الشيرازي.

أما المصادر العربية فكان من أهمها كتاب فريق الزهرآل فرعون (الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها) والذي ذكر فيه العديد من الأحداث التي تخص الشيرازي، كما تم الاستعانة بمؤلفات عبد الرزاق الحسيني (الثورة العراقية الكبرى) و (تاريخ العراق السياسي الحديث الجزء الأول) وغيرها، كذلك مؤلفات الدكتور علي الوردي ومن أهمها (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، القسم الأول من الجزء الخامس)، وكتاب نور الدين الشهرودي (أسرة المجدد الشيرازي).

كما أعتمد البحث على عدد من المصادر المعربة (الإنكليزية وغيرها) ومنها (فصول من تاريخ العراق القريب) للمس بيل، والذي ذكرت فيه الشيرازي بأوصاف شائنة كذلك كتب وكيل الحاكم المدني البريطاني (آرنولد ويلسن) بعنوان (الثورة العراقية) وكتاب (بلاد ما بين النهرين بين ولائتين الجزء الثاني).

كما تم الرجوع إلى بعض من الأطاريح والرسائل الجامعية التي لها صلة بالبحث أو أحد الشخصيات المهمة التي عاصرت أحداث الثورة أو بعض رجالاتها المهمين، وفضلاً عن ذلك كله تم الرجوع إلى كتب المذكرات الشخصية العربية أو المعربة ذات العلاقة بموضوع بحثنا.

### المبحث الأول: (الشيخ محمد تقي الشيرازي - نشأته - تعليمه - سيرته)

#### أولاً: نشأته وتعليمه:

محمد تقي الشيرازي، هو الميرزا<sup>(٢)</sup> محمد تقي بن محب علي بن أبي الحسن بن الميرزا محمد علي الملقب بـ(كلشن)<sup>(٣)</sup>، الحائري<sup>(٤)</sup>، الشيرازي، ولد في مدينة (شيراز) في إيران سنة ١٨٤٠م

٢- الميرزا: لقب فارسي يطلق على الشخص الذي يولد من أم علوية، وقديماً كان يطلق على أبناء الملوك، ينظر: محمد التونجي، المعجم الذهبي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩، ص ٥٥٣.  
٣- كلشن: كلمة فارسية تعني روضة الأزهار، وهو البستان الذي تكثر فيه الأزهار. ينظر: المصدر نفسه، ص ٥٠٨.

(١٢٥٦هـ)، ينتسب لأسرة ذات علم وأدب فكان والده الميرزا محب علي من أهل الورع والدين، أما أخوه الأكبر الميرزا محمد علي فكان من كبار رجال الدين في إيران<sup>(٥)</sup>.  
درس في سامراء، ثم عاد إلى موطنه (شيراز)، وتصدى فيها لشؤون التدريس والفتاوي الشرعية طوال حياته، وكانت له المرجعية العليا فيها، كما إن عمه ميرزا حبيب الله كان من مشاهير الشعراء في مدينة شيراز<sup>(٦)</sup>.

أما أبناء الشيخ محمد تقي الشيرازي فهم ثلاثة أولاد مع و واحدة وتسلسلهم كالآتي:

١. الشيخ محمد رضا الشيرازي: وهو أكبر أبناءه، وساعده الأيمن في تأجيج الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ضد الاحتلال البريطاني، وكان صلة الوصل بين والده والعشائر العراقية الثائرة<sup>(٧)</sup>. ولقي في سبيل ذلك متاعب ومعاناة كبيرة، إذ اعتقل وأدخل السجن ثم نفي إلى جزيرة (هنجام)<sup>(٨)</sup>، في الخليج العربي، ثم أفرج عنه بعد أقل من شهر وسافر إلى إيران وبقي هناك طيلة حياته ولم يرجع إلى العراق، بعد أن شجع الحركة الوطنية ضد الاحتلال البريطاني<sup>(٩)</sup>، لهذا السبب أتهته السلطات البريطانية بالميل إلى النزعة البلشفية في روسيا<sup>(١٠)</sup>، وصفته المس بيل (١٨٦٨ - ١٩٢٦)<sup>(١١)</sup>، ((كان سياسياً فعالاً لا يستقر على حال، معارضاً للاتفاقية الإيرانية - البريطانية معارضة مرة، وعلى هذا الأساس فقد كرس جهوده لمناوئة الحكومة البريطانية في العراق))، كما أتهته بأنه يقبض المال من الأتراك، وأضافت المس بيل في وصف الشيخ محمد رضا: ((.... ومع أنه لم يكن يعترف به كعالم فإنه كان يتمتع بالاحترام الذي كانت تعامل به أسرة المجتهد الأكبر، كما إن تأثيره على أبيه

- ٤- الحائري: نسبة إلى الحائر الحسيني، وهو حرم الأمام الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) في مدينة كربلاء، ويطلق على المدينة بأجمعها فيقال لساكنها بالحائري لأنه نشأ في كربلاء. ينظر: محمد الحر العاملي، وسائل الشيعة، الجزء الخامس، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص ٥٤٣.
- ٥- أغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، نقيب البشر في القرن الرابع عشر، الجزء الأول، النجف، ١٩٥٤، ص ٢٦١؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، المجلد السادس، الطبعة السابعة، بيروت، ١٩٨٦، ص ٦٣؛ بسام عبد الوهاب، معجم الأعلام، الطبعة الأولى، قبرص - ١٩٨٩، ص ٦٨٨؛ سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٩١.
- ٦- نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، طهران، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ص ١٨٣.
- ٧- أغا بزرك الطهراني، هدية الرازي إلى الإمام المجدد الشيرازي، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/١٩٩٦م، ص ٦؛ كذلك محمد الحسيني الشيرازي، المصدر السابق، ص ١٥.
- ٨- جزيرة هنجام: جزيرة صخرية موحشة في الخليج العربي، لا تبعد كثيراً عن المضائق، أما حالتها الجوية فحاررتها مرتفعة وتزداد فيها نسبة الرطوبة، وتكثر فيها الحشرات، ينظر: فيليب ويلارد أيرلاند، العراق، دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر خياط، بيروت، ١٩٤٩، ص ٢٠٥.
- ٩- عباس الحائري، حوادث الأيام، الجزء الأول، قم، ٢٠٠٠، ص ٤٤٣.
- ١٠- المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة وتعليق جعفر الخياط، الطبعة الثانية، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، ص ٤٤٣.
- ١١- المس بيل: موظفة بارزة في المخابرات البريطانية التي عملت في العراق، رفعت تقارير إلى حكومة الهند البريطانية بصورة مستمرة تناولت فيها: أحوال العراق خلال مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق. للمزيد ينظر: محمد يوسف إبراهيم القرشي، المس بيل وأثرها في السياسة العراقية، بغداد، ٢٠٠٣.

جعله مرجعاً أعلى للرأي<sup>(١٢)</sup>. حيث إن هذه الاتهامات لا تتناسب مع شخصية وطنية تنحدر من أسرة مرجعية فهي لا تتعدى محاولة للنيل من هكذا شخصية يهدف التقليل من دوره الاجتماعي والسياسي من خلال هذه الاتهامات.

صاهر الميرزا حبيب الله الشيرازي على كريمته وهي أخت العلامة الكبير السيد مهدي الشيرازي<sup>(١٣)</sup>، وتوفي سنة ١٩٥٧ في مدينة طهران في إيران<sup>(١٤)</sup>.

٢. الشيخ عبد الحسين الشيرازي: وهو الابن الأوسط للشيخ محمد تقي الشيرازي، وكان عالماً فاضلاً من أعلام الحوزة العلمية في كربلاء، أتصف بحسن الأخلاق وطيبة النفس وحسن المعاشرة<sup>(١٥)</sup>، وكان موضع احترام العلماء والمراجع ورجال الدين، وديوان مجلسه يحضره جمع غفير من العلماء والأعيان والموظفين والزعماء السياسيين والكسبة<sup>(١٦)</sup>، متزوج وله ولدين الأول محمد علي وعمل حاكماً في المحاكم الإيرانية والثاني أسمه عبد الأمير وعمل مدرساً في المدرسة المتوسطة الإيرانية في كربلاء، توفي الشيخ عبد الحسين في سنة ١٩٦٢ ودفن في الصحن الحسيني الشريف مع والده.

٣. الشيخ محمد حسن الشيرازي: وهو أصغر أبنائه، عمل قاضياً في محكمة التمييز العليا في العاصمة الإيرانية طهران وتوفي سنة ١٩٨٦ م<sup>(١٧)</sup>.

٤. أما بنات الشيخ محمد تقي الشيرازي: فله بنت واحدة فقط<sup>(١٨)</sup>، صاحب ثورة التنباك في إيران عام ١٨٩١ م والشيخ محمد تقي الشيرازي، فليست هناك صلة قرابة بينهما لكن كلاهما في مدينة شيراز في إيران ولكنهما ليسا من أسرة واحدة وتربطهم صلة مصاهرة بين الأُسرتين وهناك من يقول أن الشيخ محمد تقي الشيرازي هو من أخوال السيد (محمد حسن الشيرازي)<sup>(١٩)</sup>، والثاني استاذ الأول كما سنرى في الصفحات اللاحقة.

### ثانياً: وصف شخصيته:

تشير العديد من المصادر التاريخية والشخصيات التي عاصرت الشيخ محمد تقي الشيرازي إلى أنه شخصية تمثلت بالعديد من الصفات التي تنم عن قدرات ذهنية عميقة في العديد من العلوم

- ١٢- المس بيل، فصول من تاريخ العراق، ص ٤٤٠.
- ١٣- سيد مهدي الشيرازي: ولد سنة ١٨٨٦ م / ١٣٠٤ هـ في كربلاء، درس في عدة أماكن وأصبح أحد علماء الدين البارزين في العراق، للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، النجف الأشرف، ١٩٦٥ م، ص ١٦٦ - ١٧١.
- ١٤- أغا بزرك الطهراني، هدية الرازي، ص ٦.
- ١٥- نور الدين الشهرودي، المصدر السابق، ص ١٩٢.
- ١٦- المصدر نفسه.
- ١٧- المصدر نفسه، ص ١٩٢.
- ١٨- ومن الجدير بالإشارة هنا إن التشابه بالأسماء والكنى قد يوقع البعض في اللبس بين المجتهدين الشيرازيين، السيد الميرزا (محمد حسن الشيرازي) وأغا بزرك الطهراني، هدية الرازي، ص ٦.
- ١٩- شهاب الدين المرعشي، الأجازة الكبيرة، قم - ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، ص ١١٧.

المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. كما عبرت عن قدرات قيادية حكيمة وفي ذلك يقول عنه السيد حسن الصدر: ((عاشرته عشرين عاماً فما رأيت منه زلة ولا أنكرت عليه خله، وباحثته اثنتي عشر سنة فما سمعت منه إلا الأنظار الدقيقة والأفكار العميقة والتنبيهات الرشيقة...))<sup>(٢٠)</sup>، وعلق أحد تلامذته وهو العلامة أغا بزرك الطهراني على هذا الكلام (أي كلام حسن الصدر) بقوله: ((أقول وقد تلمذت على يديه (يقصد الشيرازي) وحضرت بحثه ثمان سنين فتأكدت لدي صحة كلام سيدنا الصدر، وبانت لي حقيقة وصدق الخبر، وتحققنا من ذلك عن طريق السمع والبصر))<sup>(٢١)</sup>.

لم تشغله همومه عن تصديه لأعباء وصعوبات المرجعية وأعماله الكثيرة عن النظر إلى أمور المسلمين، فكان بيته المتواضع في مدينة كربلاء منتدًى للزعماء السياسيين ورؤساء العشائر العراقية، ويزحم بالكثير من الناس من مختلف الطبقات، فضلاً عن رجال الدين والعلماء في معظم الأوقات<sup>(٢٢)</sup>، وكان الناس يعتبرونه قائداً لهم بسبب ما يمتلكه من صفات ومؤهلات، وعندما تصدى لقيادة الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ ضد البريطانيين، ولم يشغله هذا العمل الكبير عن إصدار الفتاوى والتشريعات الدينية، وظل يستقبل الناس وينظر في مشاكلهم الخاصة والعامة<sup>(٢٣)</sup>، وبهذا الصدد نقل عن أحد طلابه وهو السيد شهاب الدين المرعشي النجفي قوله (عندما كانت الثورة العراقية مشتعلة الآوار وكان جهاد الشعب العراقي المسلم ضد الاحتلال البريطاني على أشده، كان المغفور له الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي بمثابة ثقل هذه الثورة ومحور الحركة الدينية والدينية...))، وأضاف المرعشي إن الشيخ محمد تقي الشيرازي التقى بهم وقال لهم (أيها السادة طلاب العلم الأجلاء ترون بأنفسكم كيف أن رجال العشائر ورجال السياسة يجوطن بي ويزدحمون حولي وكيف أن الحرب مع الإنكليز تأخذ كثيراً، فأضاف أن واحداً منكم له حاجة معي ولا يمكنه الوصول إلي...))، ووضع الشيرازي حلاً لهذه المشكلة بأن يقوم بالمشي إلى جانب نهر الحسينية بعد صلاة الفجر من كل يوم ليأتيه الناس إلى هناك للنظر في أمورهم ومشكلاتهم، ويقول المرعشي عن ذلك ((... رأيت به بنفسه (ويقصد الشيرازي) عدة مرات في الصباح الباكر وهو يمشي هناك أنتظراً منه للقاء من له حاجة أو مسألة منه))<sup>(٢٤)</sup>.

٢٠- حسن الصدر، تكملة أمل الأمل، بيروت - ١٩٨٦، ص ٢٤٢؛ عبد الرحيم العقيقي البخشايشي، كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١١٦.  
٢١- نقلاً عن أغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ص ٢٦٢.  
٢٢- نور الدين الشهرودي، المصدر السابق، ص ١٨٥.  
٢٣- سلمان هادي آل طعمة، معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٨٧.  
٢٤- شهاب الدين المرعشي، المسلسلات من الأجازات، قم ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص ٩٣؛ لجنة أحياء تراث الإمام الشيرازي، في رحاب قائد ثورة العشرين الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي، الطبعة الأولى، كربلاء، ٢٠٠٤، ص ٣٣؛ نور الدين الشهرودي، المصدر السابق، ص ١٨٦.

كان الشيخ محمد تقي الشيرازي في غاية الحلم والصبر، لم يحدث أن غضب في وجه أحد من الناس حتى من أساء إليه، ولم يكن ينظر إلى الأعلى بل كان منحني الرأس حتى إنه لم يكن ينظر إلى وجوه طلابه أثناء الدرس<sup>(٢٥)</sup>.

سأل أحد تلامذته وهو الشيخ محمد كاظم الشيرازي عن عدله وتقواه وزهده، فأجاب بالقول: ((لا تسألني عن عدله وتقواه وكلمات كهذه، بل أسألني عن عصمته وقل لي هو إنسان معصوم أم لا))، أي إنه في الكمال الروحي قد وصل إلى مرتبة عالية<sup>(٢٦)</sup>.

كان الشيخ الشيرازي زاهداً إلى حد بعيد في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه، وكانت داره مستأجرة، على الرغم من وصول أموال كثيرة إليه من الدول الإسلامية، ولم يكن متقيداً بمظاهر الزينة ولا مكترثاً بمباهج الحياة وزخارفها لا في الملبس أو المسكن أو المأكل<sup>(٢٧)</sup>، كما كان يحترم كل من يقابله بمنتهى الأدب والتواضع<sup>(٢٨)</sup>، وكان دقيقاً في إصدار فتاويه حذراً أشد الحذر لمعرفته بخطورة ما يصدر لأنه رجل الدين المجتهد تكون مهمته في غاية الخطورة وأن أي زلة أو خطأ منه في إصدار الفتاوى تجعله يتحمل وزر مقلديه وكل الذين أتبعوا الفتوى التي أصدرها لهم، وقد نقل عن السيد (محسن الحكيم)<sup>(٢٩)</sup> عن وصف الشيخ الشيرازي حيث قال ((لقد كان سماحته رجل دين وديناً بما للكلمة من معنى...))<sup>(٣٠)</sup>.

وكان الشيخ الشيرازي حريصاً يقوم هو بنفسه بمهامه الشخصية ولا يكلف فيها أحداً من الناس أبداً<sup>(٣١)</sup>. كان يحمي المستجير به بقوله (يجب إجارة المستجير إن كان غير مسلم، فيكلف بمن هو مسلم فر من كافر حربي؟) ويقف إلى جانب المظلوم ضد الظالم مهما كان جبروته وعظمته، وبهذا الصدد ذكر أحد الأشخاص المقربين من الشيخ الشيرازي، إنه في إحدى المرات وعندما كان الشيرازي في مدينة الكاظمة لأداء مراسيم زيارة الإمام الكاظم (عليه السلام) التجأ إليه أحد

٢٥- وفي هذا السياق فقد روى أحد المقربين من الشيخ الشيرازي أنه كان في قافلة مسافرة من مدينة سامراء إلى بلدة (سيد محمد) وحاول أحد المسافرين إثارة غضب الشيخ الشيرازي، وقد راهن أحد أصدقائه الذين كان معهم على ذلك، فأخذ هذا الرجل يجادل ويناقش الشيخ الشيرازي في المسائل الفقهية والدينية ويخالفه الرأي بعنف وشده، لكن الشيخ الشيرازي لم يغضب لذلك وعند ذلك أبدى الرجل إعجابه واحترامه للشيخ الشيرازي أضعاف ما كان عليه من قبل.

٢٦- أغا بزرك الطهراني، هدية الرازي.....، المصدر السابق، ص ٦، كذلك؛ محمد الحسيني الشيرازي، المصدر السابق، ص ١٧.

٢٧- لجنة أحياء تراث الإمام الشيرازي، المصدر السابق، ص ١٢.

٢٨- نور الدين الشهرودي، المصدر السابق، ص ١٨٨.

٢٩- السيد محسن الحكيم (١٨٨٩ - ١٩٧٠) ولد في النجف الأشرف في بيت علم ودين وتقوى شارك في عمليات الجهاد ضد الغزو البريطاني عام ١٩١٤م، أصبح مرجعاً أعلى للمسلمين الشيعة عام ١٩٥٢، للمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية ينظر: عدنان إبراهيم السراج، السيد محسن الحكيم (١٨٨٩ - ١٩٧٠م)، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣.

٣٠- نقلاً عن لجنة إحياء التراث الإمام الشيرازي، المصدر السابق، ص ٤٦.

٣١- ففي إحدى المرات وبعد أن أتم صلاة المغرب والعشاء في مسجد (السهلة) لم يلبث أن توقف فجأة وكأنه فقد شيئاً يبحث عنه، فسأله أحد الأشخاص من المقربين منه فلم يجبه الشيخ بل تراجع عن مسيره وأتجه إلى مسجد السهلة ملتفتاً إلى الناس يأمرهم بمواصلة السير، حتى إذا وصل إلى مصلاه أخذ قلمه ومحبرته اللتين نساها هناك ثم رجع متجهاً إلى مسجد الكوفة، وكان ذلك حرصاً منه إن يقوم هو بمهامه الشخصية ولا يكلف فيها أحداً.

الأشخاص وكان من أسرة (الشهنندر) مستجيراً به فقد أصدرت عليه السلطات البريطانية حكماً بالإعدام عليه بسبب قتله أحد الجنود البريطانيين، وبدأت السلطات البريطانية بتوسيط بعض الأشخاص لاسترداد المطلوب لهم، لكن جميع الوساطات التي أرسلها البريطانيون لم تفلح في تحقيق مبتغاهم حيث ردهم الشيرازي، وبدأت السلطات البريطانية باستعمال التهديد والوعيد للشيخ الشيرازي الذي ظل على موقفه الثابت، عند ذلك اضطرت السلطات البريطانية التنازل عن حكم الإعدام وأصدرت عفواً عن الشخص المطلوب ورجع الرجل آمناً إلى بيته.

أما عن أسلوبه في التدريس فقد ذكر عن أحد طلابه قائلاً: ((كان سماحته يمتاز بأسلوبه الخاص في تدريسه، ومن جملتها أنه إذا اشتد النقاش بين الطلبة وعلا بحثهم وارتفعت أصواتهم، لم ينهرهم الميرزا (يقصد الشيخ الشيرازي) بل يتركهم وشأنهم ويشغل هو بالذكر والتسيح والتهليل إلى أن ينحل نزاعهم وتهدأ أصواتهم...))<sup>(٣٢)</sup>، ولم يكن مترمناً برأيه أو يفرض توجهاته على أعوانه ومساعديه، وإنما كان يستشيرهم في كل صغيرة وكبيرة في مرحلتي السلم والحرب، وكانت جميع أموال الزكاة والخمس التي تأتيه من مختلف البلدان الإسلامية ينفقها على الفقراء والمحتاجين، ولاسيما خلال مرحلة الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ حيث مرت على الناس أوقات وظروف اقتصادية عصيبة، وكان مخصص لكل بيت ديناراً ذهبياً مسكوكاً<sup>(٣٣)</sup>.

ولعل من المآثر المهمة في سيرة الشيخ الشيرازي هو أيمانه بالوحدة الإسلامية والتسامح الديني مع بقية الأديان الأخرى، فقد عمل الشيخ الشيرازي على التوفيق بين طائفتي السنة والشيعة، وأوصى بالمحافظة على سائر الملل والنحل وحسن معاملتهم<sup>(٣٤)</sup>، وقد علي البارزكان دور الشيخ الشيرازي في توحيد كلمة المسلمين قائلاً: ((زينا للشيعة الصلاة في مساجد السنة كما زينا للسنة الصلاة في مساجد الشيعة وقد بارك تلك الفكرة وشجعها الميرزا محمد تقي الشيرازي...))<sup>(٣٥)</sup>، وقد وصف دور الشيخ الشيرازي في هذا المجال، بأنه: ((عمل بكل جهد ووسيلة لإزالة النعرات الطائفية، والفوارق الإقليمية، والعصبات القبلية، ونسيان الأحقاد العشائرية وبفضل هذه المساعي توحدت الصفوف...))<sup>(٣٦)</sup>.

ودلالة على توجهاته التوفيقية فقد علق محمد مهدي البصير على الدور الكبير الذي قام به الشيخ الشيرازي في رص الصفوف بين أبناء الشعب العراقي بالقول: (... عرف المفكرون السنيون ما للرجل (ويقصد الشيرازي) في المنزلة العظمى فصاروا يتقربون منه ليستعينوا بنفوذه الديني

٣٢- لجنة التأبين، المصدر السابق، ص ٩٤.

٣٣- شيخ مرتضى أنصاري، زندكاني وشخصيت شيخ أنصاري، جاب سوم، قم، ١٩٨٩م، ص ٤٠٨.

٣٤- مي بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث، لندن - ١٩٩٩، ص ٣٦٤.

٣٥- علي البارزكان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، مطبعة أسعد، بغداد - ١٩٥٤، ص ٥.

٣٦- عبد الشهيد الياسري، المصدر السابق، ص ١٣٢.

الواسع على تحقيق مقاصدهم السياسية فكان رحمه الله يؤيد الصلات الودية المتبادلة بين الشيعيين والسنين بكل قواه... (٣٧).

ووصفه عبد الرزاق الحسيني بأنه : ((زعيم روحي كبير، صادق العزيمة نافذ الكلمة، واسع النفوذ...)) (٣٨)، أما عبد الله الفياض فقال عنه : ((كان من رجال الدين الأفذاذ الذين واكبوا سير الحركات التحررية في عصورهم ووجهوا مؤيديهم لخدمة مصلحة الوطن العليا)) (٣٩).

أما المسؤولون البريطانيون فقد وصفوا الشيخ الشيرازي بأوصاف قاسية تظهر مدى الحقد الذي كانوا يكنونه له بسبب مواقفه المناهضة لهم. ومنهم أرنولد ولسن (٤٠) (نائب الحاكم المدني في العراق) حيث قال عنه : ((ميال جداً إلى تقليل نفسه وغيره من العالم، ... كما إنه لم يكن محظوظاً في نسله...، و كانت تنتابه هواجس الادعاء بالسلطة الزمنية التي كانت يعتقد أنها ناشئة عن تفوقه الثيوقراطي (٤١)) كما وصف الشيخ الشيرازي وأتباعه بالجبن والطائفية، كما أتهم ولسن الشيخ الشيرازي بأنه يسعى من أجل الحصول على السلطة وأتهم أنصاره بأنهم زوروا توقيعه (٤٢).

أما المس بيل فقد وصف الشيخ الشيرازي، حين وصفته بأنه (رجل خرف عجوز يستولي عليه أبنة محمد رضا بصورة كلية... (٤٣))، وأيدها في ذلك بعض المؤرخين الأجانب (٤٤)، كما قالت إنها فرحت كثيراً عندما سمعت نبأ وفاته وأدعت إن وفاته جاءت بسبب (التعفن الشيخوخي) (٤٥)، وهي كلمة قاسية تدل على مدى الشماتة والعداء الذي كان يضمه البريطانيون له بسبب مواقفه ودوره في تأجيج الحماس الوطني لدى الشعب العراقي من الشمال إلى الجنوب ضدهم.

- ٣٧- محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، الجزء الأول، بغداد - ١٩٢٤، ص ١٩٠.
- ٣٨- عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، الطبعة الثانية، مطبعة العرفان، لبنان - ١٩٦٥، ص ٩٦.
- ٣٩- عبد الله الفياض، المصدر السابق، ص ٢١١.
- ٤٠- أرنولد ولسن ١٨٨٤ - ١٩٤٠ عسكري وسياسي بريطاني قدم مع الحملة السعكية البريطانية إلى العراق عام ١٩١٤ تحت أمره المقدم برس كوكس وكان ولسن آنذاك ضابط برتبة نقيب، ثم عين حاكماً عاماً بالوكالة بعد استدعاء بيرسي كوكس وتعيينه سفيراً في طهران، أتهمته الصحافة البريطانية بأنه يسعى إلى (تهنيد) العراق أي جعله تابعاً إلى الهند، قتل ولسن خلال الحرب العالمية الثانية أثناء أدائه للخدمة العسكرية في القوة الجوية البريطانية. ينظر: فؤاد قرانجي، العراق في الوثائق البريطانية (١٩٠٥ - ١٩٣٠)، بغداد - ١٩٨٩، ص ٢٦؛ مذكرات سندرسن باشا (طبيب العائلة الملكية في العراق ١٩١٨ - ١٩٤٦) ترجمة سليم طه التكريتي، الطبعة الثانية، بغداد - ١٩٨٢، ص ٥٤ - ٥٥.
- ٤١- أن العناصر الوطنية والمتمترجة بالمرجعية الدينية أمثال عنوان بحثنا لا ترتبي من محتل حرقته أوراقه السياسية العرامية إلى أسعاد شعبه على حساب أبناء الشعب العراقي ومسلمي العالم بأسره على أيدي تلك الثلة المؤمنة فهي لا تقابل بالورود والذكر الحسن وأما بالنسبة لقول أرنولد ولسن بخصوص تقليل نفسه فهي من تواضعه ومدعاة للفخر، فكانوا أعلاماً بالدين والسياسة ورموزاً من رموز الوطنية من أجل فضح نوايا المحتل الكافر ولم تكن لديه هواجس الادعاء بالسلطة الزمنية، فكان رحمه الله من سلاطين القلوب (الباحث).
- ٤٢- أرنولد ولسن، الثورة العراقية، ترجمة وتعليق: جعفر الخياط، الطبعة الثانية، لبنان - ٢٠٠٤، ص ١٣٩ - ١٤١.
- ٤٣- المس بيل، ص ٤٦٣.
- ٤٤- فيليب ويلارد أيرلاند، المصدر السابق، ص ١٩٤.
- ٤٥- المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة وتعليق جعفر الخياط، بغداد، ١٩٧٧، ص ١٦٧.

## المبحث الثاني: (الدور القيادي للشيخ محمد تقي الشيرازي في ثورة ١٩٢٠ منذ اندلاعها حتى وفاته)

أن ثورة ١٩٢٠ بدأت في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ عندما القت السلطات البريطانية القبض على شيخ عشيرة الضوالم في الثلاثين من الشهر ذاته (شعلان أبو الجون) وقامت عشيرته بدورها الهجومي على السراي البريطاني بالقوة المسلحة وقتلت عدداً من الجنود البريطانيين، ثم انتشرت الثورة إلى بقية مناطق الفرات الأوسط ومن ثم إلى أنحاء واسعة من العراق، وقد ورد أسم (شعلان أبو الجون) في المؤتمر الذي عقد في مدينة كربلاء بتاريخ ٤ أيار ١٩٢٠ (١٥ شعبان ١٣٣٨هـ)<sup>(٤٦)</sup>.

لم يكن يوم الثلاثين من حزيران هو ساعة الصفر التي كان يريدتها الشيخ الشيرازي لإعلان الثورة بسبب عدم أخذ الاستعدادات الكافية لها وقد أثبتت الأحداث اللاحقة هذه الحقيقة، حيث جرت المعارك في منطقة السماوة لعدة أيام، كان ذلك يعني قدرة القوات البريطانية على قمع الثورة بسهولة فيما لو ظلت المعارك الطاحنة محصورة في تلك المنطقة فقط، لذلك قرر الشيخ الشيرازي التوسط لإيقاف القتال لكي يؤمن للثورة المزيد من التعبئة العسكرية والشعبية وتوحيد العشائر التي كانت على خلاف فيما بينها<sup>(٤٧)</sup>، فأرسل الشيرازي مبعوثين إلى بغداد هما (هبة الدين الشهرستاني وأحمد الخراساني) لمقابلة (ويلسن)<sup>(٤٨)</sup>، الذي وافق على إجراء المفاوضات لكسب الوقت وتعزيز القدرات العسكرية البريطانية من جانبه أيضاً<sup>(٤٩)</sup>.

وضع مبعوثا الشيخ الشيرازي شرطين لإيقاف القتال هما:

١. سحب القوات البريطانية من مناطق القتال.

٢. إعلان العفو العام وإطلاق سراح المنفيين وعودته إلى ديارهم<sup>(٥٠)</sup>.

كان قبول البريطانيين بهذه الشروط يعني أنتصاراً سياسياً كبيراً للشيرازي وبقية الزعماء الوطنيين، تماماً كما حصل قبل عام من قيام الثورة عندما هدد الشيرازي بالذهاب إلى إيران على

٤٦- عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، مطبعة العرفان، لبنان، ط ٢، ١٩٦٥، ص ٩٥؛ مذكرات السيد محمد علي كمال الدين، من رجال الثورة العراقية ١٩٢٠، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٢١٢؛ أما عبد الشهيد الياسري فذكر في كتابه البطولة في ثورة العشرين، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٦ ص ١٣٨، إن شعلان أبو الجون اجتمع مع عبد الواحد الحاج سكر في النجف، أما علي البارزكان فذكر في كتابه (الوقائع.....، ص ١٤٦) إن شعلان أبو الجون اجتمع مع حزبه (حرس الأستقلال)-.

٤٧- كان الشيرازي متمعضاً لعدم نجدة عشائر السماوة وتركهم وحدهم في ساحة القتال يواجهون أعتى قوة عسكرية في ذلك الوقت، ينظر: عبد الشهيد الياسري، المصدر السابق، ص ١٩٣.

٤٨- عبد الرزاق الحسيني، العراق في دوري الأحتلال والأنتداب، الجزء الأول، لبنان، ١٩٣٥، ص ١٠٩، كذلك؛ عبد الرحيم محمد علي، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني، الطبعة الأولى، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٢، ص ١٥٤.

٤٩- ل.ن كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحريرية في العراق، ترجمة عبد الواحد كرم، بغداد، ط ٣، ١٩٨٥، ص ١٨٦.

٥٠- عباس محمد كاظم، ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين)، د. مط، (د.م ١٩٨٤)، ص ٢٨٥. كانت صحف الثوار آنذاك تطالب كذلك بإطلاق سرح المنفيين وأرجاعهم إلى بلادهم. ينظر الفرات (صحيفة الفرات)، العدد الخامس، السنة الأولى، النجف الأشرف، ١٨ تشرين الأول ١٩٢٠.

أثر اعتقال أعضاء من (الجمعية الوطنية الإسلامية) فاضطرت السلطات البريطانية آنذاك إلى إطلاق سراحهم. غير أن البريطانيين لم يقبلوا بهذه الشروط وأنتهت المفاوضات بالفشل<sup>(٥١)</sup>، عند ذلك أصدر الشيخ الشيرازي فتواه الشهيرة التي نصت على أن (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويحق لهم ضمن مطالبهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الأنكليز عن قبول مطالبهم)<sup>(٥٢)</sup>. لم تكن هذه الفتوى مؤرخة، لكن الراجح أنها صدرت في المدة الواقعة ما بين (٧- ١٤) تموز ١٩٢٠، لأن الفتوى صدرت بعد معارك الرميثة التي بدأت في ٣٠ حزيران ١٩٢٠م، واستمرت لعدة أيام وقبل الأجماع الذي عقد في منطقة الشامية بين زعماء العشائر والقادة البريطانيين في ١٥ تموز من السنة ذاتها، وعلى أي حال فأن هذه الفتوى وضعت حداً نهائياً للحل السلمي بين الشعب العراقي والسلطات البريطانية، وعلى أثر ذلك انتشرت الثورة في أغلب مناطق العراق الأخرى وعلى ثلاث مراحل.

### مراحل انتشار الثورة:

المرحلة الأولى: امتدت الثورة من الرميثة إلى مناطق الشامية والحلة والكوفة على أثر فتوى الشيرازي وذلك بعد اثني عشر يوماً من ابتداء المعارك في الرميثة.  
المرحلة الثانية: امتدت الثورة إلى مناطق الديوانية والناصرية بعد الانتصار الكبير في معركة (الرارنجية) في ٢٤ تموز ١٩٢٠، كما أخرج الحكام السياسيين البريطانيين بالقوة من مدن كربلاء والنجف وما حولهما بعد وصول مبعوثين للشيرازي إلى هذه المناطق للتحريض على الثورة ونشر فتواه.

المرحلة الثالثة: أنتشرت الثورة في مناطق الفرات الأعلى (الرمادي) ومناطق عشائر الدليم، والمناطق الكردية.

ففي منطقة الشامية كان هناك نزاع عشائري بين عشائر الخزاعل وعشائر بني حسن، فتدخل الشيخ (عبد الواحد الحاج سكر) لفض النزاع بين الطرفين وتم عقد الصلح بينهما<sup>(٥٣)</sup>.  
وبعد صدور فتوى الشيرازي الأخيرة، حاول البريطانيون إقناع زعماء عشائر النجف والشامية بنذ هذه فكرة الثورة المسلحة، ف عقدوا اجتماعاً مع هؤلاء الزعماء في منزل الشيخ (مرزوق العواد) في منطقة الشامية في الخامس عشر من تموز ١٩٢٠م (٢٨ شوال ١٣٣٨هـ)

٥١ - عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص ٢٨٦.  
٥٢ - لواء الأستقلال (جريدة)، فتوى الجهاد التي أذاعها الحائري (من سجل الثورة)، العدد ١٠١٧ السنة الرابعة، بغداد، ٢ تموز ١٩٥٠، كذلك؛ عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٠٦.  
٥٣ - عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، الطبعة الثانية، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٥، ص ٣٠١.

حضره حاكم النجف والشامية الميجر (نوريري) <sup>(٥٤)</sup>، فعرض عليه زعماء العشائر شروطاً لإيقاف القتال هي:

١. منح الاستقلال التام للبلاد وتشكيل حكومة وطنية مستقلة.
  ٢. إطلاق سراح المبعدين، وعلى رأسهم نجل الشيخ الشيرازي (محمد رضا).
  ٣. رفع مراكز المراقبة والتفتيش والثكنات العسكرية البريطانية في منطقة الفرات الأوسط.
- لكن البريطانيين رفضوا تلك الشروط وأضطر الكابت (مان)، أحد القادة العسكريين البارزين في منطقة الشامية إلى الانسحاب منها إلى الكوفة <sup>(٥٥)</sup>، بعد تهديد أحد شيوخ بني حسن وهو (خادم الغازي) الذي قال: (إننا تعاهدنا وتحالفنا أمام آية الله الشيرازي... إن نبذل كل ما في وسعنا في سبيل قضية بلادنا.... إن على الكابتن مان أن يخرج من الشامية من رضاه أو بالقوة... <sup>(٥٦)</sup>، وبعث زعماء العشائر في منطقة الشامية رسالة إلى الشيخ الشيرازي تروي له تفاصيل ما حدث وإن الوضع الأمني هو بين الاستسلام لهم أو الحرب ضدهم، فكتب الشيرازي في جوابه لهم (إذا أصر الانجليز على غضبكم حقكم وقابلوا التماسكم بالحرب فيجب عليكم الدفاع بجميع قواكم ويحرم لهم الاستسلام) <sup>(٥٧)</sup>.

أضطر العديد من زعماء العشائر على أثر تلك الفتوى إلى إعلان الثورة ضد البريطانيين لأن ضغط الرأي العام كان أقوى من أن يقاوم، فزعيم العشيرة يفقد مكانته وسمعته إذا رفض العمل بفتوى المرجع الأعلى، ومن هنا نستطيع القول أنه لولا فتوى الشيخ الشيرازي لم يستطيع زعماء آل قتله المعروفون بعدائهم للبريطانيين الثورة ضدهم، إذا كان بإمكان البريطانيين إثارة العشائر المناوئة لهم وأسرع خادم الغازي مع أتباعه وأستولوا على محفر (أبو شورة) وتمكنوا من الاستيلاء على أسلحته، وتبعته العشائر الأخرى في المنطقة <sup>(٥٨)</sup>.

كانت أهم المعارك التي خاضها الثوار وانتصروا فيها على القوات البريطانية في ٢٥ تموز ١٩٢٠ هي معركة الرانجية (الرستمية) التي جرت في شمال ناحية الكفل، وفيها تكبد البريطانيين خسائر فادحة بالأرواح والمعدات <sup>(٥٩)</sup>.

أما في مدينة كربلاء وهي من أهم مراكز الثورة، كونها مقر زعيم الثورة الشيخ الشيرازي فقد وقعت هذه المدينة تحت سيطرة الثوار بعد معركة الرانجية، حيث ثار الأهالي ضد البريطانيين الذين

٥٤- أن الذي أجمع مع زعماء العشائر هو القائد العسكري البريطاني الكابتن (مان) ينظر: عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

٥٥- محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ج ١، بغداد، ١٩٢٤، ص ٢١٦ - ٢١٧؛ كاظم المظفر، ثورة العراق عام ١٩٢٠، ج ١، (النجف - ١٩٦٩)، ص ١٦٠ - ١٦٢؛ عبد الله الفيض، المصدر السابق، ص ٣٦٩.

٥٦- نقلاً عن عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص ٢٩١.

٥٧- نقلاً عن محمد الخالصي، بطل الإسلام، سيرة حياة والد، مخطوطة محفوظة لدى مكتبة الكاظمية العامة، ص ٢٣٦.

٥٨- عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص ٢٩١.

٥٩- محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ٢١٨؛ عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٤٥ - ١٥٢.

تأزم موقفهم<sup>(٦٠)</sup>، واضطروا إلى الانسحاب من المدينة التي رفع علم الثوار فيها على دار بلديتها، وقد حاول حاكم المدينة (محمد البوشهري) أن يتحصن في السراي بحماية الشرطة ريثما تأتية النجدة من بغداد<sup>(٦١)</sup>، غير إن رجال الشرطة انقلبوا عليه فأضطر (البوشهري) ومدير شرطته إلى الفرار إلى المسيب التي كانت مرابطة فيها قوات بريطانية، ومنها توجه إلى بغداد، وعندما سيطر الثوار على مدينة كربلاء أجمع عدد من الزعماء في منزل الشيخ الشيرازي وتداولوا قضية تنظيم إدارة المدينة وتم الاتفاق على تشكيل ثلاثة مجالس رئيسية لإدارة وتسيير أمور المدينة.

### المجالس المشكلة لإدارة أمور كربلاء:

١. المجلس العلمي: ويمكن اعتباره المجلس السياسي والإعلامي للثورة، ومن مهماته هي بث الثورة بين طبقات الناس المختلفة في المدن ومناطق العشائر بلزوم الاشتراك في الثورة، وتوسيع نطاق العمل وتوجيه الإرشادات الدينية فيما يخص الثورة، كما يشرف على المجالس الأخرى. وأنتخب السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني رئيساً لهذا المجلس<sup>(٦٢)</sup>، أما بقية أعضائه فهم: أبو القاسم الكاشاني<sup>(٦٣)</sup> وأحمد الخراساني وحسين القزويني وعبد الحسن الشيرازي (نجل الشيخ الشيرازي)<sup>(٦٤)</sup>.

٢. المجلس المحلي: ويمكن اعتباره المجلس الوطني للأدارة العامة، ومن أبرز مهمات هذا المجلس هو ترشيح الموظفين وجباية الضرائب والرسوم وتوزيعها للصرف بحسب ما تقتضيه الأمور، والعناية بالصحة العامة وحسم الدعاوى وتأمين الطرق القريبة من كربلاء والقيام بواجب الإدارة، وكان الشيخ محمد حسن أبو المحاسن هو ممثل الشيرازي في هذا المجلس، أما بقية أعضائه فأبرزهم: عبد الوهاب الوهاب وأحمد الوهاب وهادي الحسون وعبد علي الحميري وإبراهيم الشهرستاني وغيرهم<sup>(٦٥)</sup>.

٣. المجلس الحربي: وأبرز مهماته هي تنظيم الخطط العسكرية وقيادة الثوار وتنظيمهم وتعيين قادة الحملات في الهجوم والدفاع، أما أعضائه فأبرزهم: علوان الياسري وعبد الواحد الحاج سكر

٦٠- البرت منتشا شفيلي، العراق في سنوات الأنتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٨، ص ١٦٧.

٦١- علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الخامس، القسم الأول، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.  
٦٢- فريق المزهري آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح، (بغداد ١٩٩٥)، ص ٢٤٧.

٦٣- هو السيد أبو القاسم بن السيد مصطفى الحسيني الكاشاني وهو من عائلة علمية وعلمانية وينتهي نسبه إلى الإمام زين العابدين (ع) ولد سنة ١٢٩٥ هـ في طهران وبعد أن حصل على مبادئ العلوم في أواخر العقد الثاني من عمره هاجر إلى النجف الأشرف وتلمذ على يد الخراساني والميرزا حسن الخليلي وبعد أن نال الأجتهد شارك في ثورة العشرين وأصبح عضواً في المجلس العلمي الذي شكله الشيرازي، للتفاصيل ينظر:

<http://www.alhadi.ws/wp/?page-id=9076>.

٦٤- د.علي الوردي، لمحات إجتماعية، الجزء الخامس، ص ٢٩٤.

٦٥- فريق المزهري آل فرعون، المصدر السابق، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

ومجبل آل فرعون وشعلان الجبر ورايح العطية وغيرهم<sup>(٦٦)</sup>، كما كان هناك مجلس خاص يجمع الأغاثات لتمويل المعوزين من الثوار، وأعضاءه: عيسى البزاز ومحمد رضا فتح الله وحيدر النصاب والحاج قندي<sup>(٦٧)</sup>، وكانت هذه المجالس تعمل جميعها بأشراف الشيخ الشيرازي حتى وفاته، وقام المجلس الملي (الوطني) بتعيين مدير لشرطة الخيالة وهو (سمرمد آل هتيمي) وهو أحد رؤساء عشائر المسعود في كربلاء، وتم تعيين (عبد الرحمن العواد) مدير شرطة المشاة، فضلاً عن تعيين حراس وموظفين في البلدية وكتاب وجباة<sup>(٦٨)</sup>.

أقادت النجف بما جرى في كربلاء بتشكيل إدارة محلية<sup>(٦٩)</sup>، بمساعدة العلماء والشخصيات البارزة في المدينة ومنهم الشيخ عبد الكريم الجزائري، الشيخ جواد صاحب الجواهر، جعفر أبو التمن، عبد المحسن شلاش، مهدي الخراساني (نجل الشيخ محمد كاظم الخراساني) وقررت اللجنة تشكيل مجلسين<sup>(٧٠)</sup>، مجلس تشريعي وعدد أعضائه ثمانية ينتخب عن كل محلة في النجف أثنان، ومجلس تنفيذي يكون عدد أعضائه أربعة هم رؤساء المحلات الأربعة في المدينة<sup>(٧١)</sup>. وهي طرف المشراق وطرف العمارة وطرف الحويش وطرف البراق<sup>(٧٢)</sup>.

كان للشيرازي دور قيادي كبير في الثورة حتى إنه أشرف على الخطط العسكرية وكان يقترح بعضها ففي إحدى المرات أوفد أحد مساعديه إلى الثوار في منطقة (الوند) (وهي قرية صغيرة تقع على طريق كربلاء - بغداد) ليعرض عليهم رغبته بإرسال قوة لقطع المواصلات بين بغداد والحلة<sup>(٧٣)</sup>، كما كانت الرسائل التي يبعثها الشيرازي إلى قادة الثوار العسكريين تتضمن الغازاً متفوق عليها بين الطرفين مسبقاً خوفاً من وقوعها بأيدي البريطانيين أو عملائهم وبالتالي تصبح حركات الثوار معروفة، وأتضح ذلك من خلال الرسائل التي بعثها الشيرازي بواسطة أحد معتمديه وهو السيد هبة الدين الشهرستاني في ٩ آب ١٩٢٠<sup>(٧٤)</sup>، كما تابع أخبار الثورة في المناطق الأخرى، فعندما تقهقر الثوار في الحلة أرسل السيد هبة الدين الشهرستاني للوقوف على حقيقة الأمر<sup>(٧٥)</sup>،

- ٦٦ - مكتب منابع الثقافة الإسلامية، كربلاء المقدسة تفجر ثورة العشرين، الكتاب الخامس، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٨، ص ٦١.
- ٦٧ - فريق المزهري آل فرعون، المصدر السابق، ص ٢٤٨.
- ٦٨ - محمد حسن آل طعمة، ثوار كربلاء يشكلون حكومة محلية في كربلاء، جريدة المجتمع، العدد ٢٩، ١٢١ حزيران ١٩٧١.
- ٦٩ - عبد الله الفياض، المصدر السابق، ص ٣١١ - ٣١٢.
- ٧٠ - عبد الرزاق عبد الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، ط ٢، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٢١.
- ٧١ - ناهدة حسين علي ويسين، تاريخ النجف في العهد العثماني الأخير، ١٨٣١ - ١٩٢٧، أطروحة دكتوراه غير مطبوعة كلية التربية (أبن رشد)، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص ٤٧؛ كاظم المظفر، المصدر السابق، ص ١٦٣.
- ٧٢ - ناهدة حسين علو جعفر ويسين، المصدر السابق، ص ٢٥ - ٢٦.
- ٧٣ - فريق المزهري آل فرعون، المصدر السابق، ص ٢٩٥.
- ٧٤ - مكتب منابع الثقافة الإسلامية، المصدر السابق، ص ٦٢ - ٦٣.
- ٧٥ - عبد الله الفياض، المصدر السابق، ص ٣٢٠.

وفي الوقت ذاته أرسل علوان الياسري رسالة إلى الشيخ الشيرازي يشرح فيها الوضع العسكري للثوار في الحلة<sup>(٧٦)</sup>.

أمتدت الثورة إلى مدينة الديوانية في ٣٠ تموز عندما ثارت عشيرة (الأقرع) ضد البريطانيين<sup>(٧٧)</sup>، وكان من أبرز زعماء هذه العشيرة الشيخ (سعد) والشيخ (مخيف) وأعتقل البريطانيون الأخير؛ لصلته الوثيقة بالعاملين في المجال السياسي الوطني في مدينتي كربلاء والنجف<sup>(٧٨)</sup>، ثم قاموا بنفيه إلى البصرة ومن هناك تم تسفيره إلى جزيرة هنجام<sup>(٧٩)</sup>، ثم ثارت مناطق (عفك) بزعامة الشيخ (صلال الموح)، وهكذا أصبحت كل مناطق الديوانية ممثلة بالعشائر الثائرة التي دفعت القوات البريطانية إلى الانسحاب من تلك المدينة<sup>(٨٠)</sup>. كما وصلت فتاوى الشيخ الشيرازي إلى المناطق الغربية من العراق بواسطة مبعوثه السيد (جدوع أبو زيد) الذي سافر إلى الفلوجة في ٢٣ تموز والتقى هناك برئيس عشائر الجنابيين (خضير الحاج عاصي) الذي كانت له اتصالات سابقة مع رجال الثورة في الفرات الأوسط<sup>(٨١)</sup>، وأصطحب الشيخ خضير مبعوث الشيرازي إلى بقية عشائر المنطقة ومنها البوغمر وزوبع والدليم، وكان أهم شخصية التقى بها أبو زيد هي الشيخ (ضاري المحمود) رئيس عشيرة زوبع الذي كان له اتصالات كثيرة مع زعماء الفرات الأوسط، ولاسيما عبد الواحد الحاج سكر، وعندما أطلع الشيخ ضاري على صورة فتوى الشيخ الشيرازي ورسالته زاد حماسه للثورة قائلاً: ((يشهد الله تعالى على أنني عربي مسلم وقد عاهدته وأنت من الشاهدين (يقصد أبي زيد) على أن عليّ أن أبذل الغالي والنفيس في سبيل إنقاذ بلدي من الإنكليز وليعلم العلماء والزعماء من أخواني أنني سأقوم بأدوار يسجلها التاريخ بعد أن يسمعونها فترضني الله والناس))<sup>(٨٢)</sup>.

كما راسل زعماء الثورة في كربلاء وانتقل بعدها إلى منطقة النعيمية ومنطقة خان العطيشي الواقعة بين كربلاء والمسبب لمقاومة البريطانيين<sup>(٨٣)</sup>.

كما وصل مبعوث الشيرازي (أبو زيد) إلى مناطق جنوب بغداد مثل المحمودية واليوسفية في ٢٨ تموز، كذلك منطقة (عويريج) وكان لأبناء هذه المناطق اتصالات سابقة مع السيد (هبة الدين الشهرستاني) وهو أحد وكلاء الشيخ الشيرازي حيث أرسل الشهرستاني عدة رسائل لعشائر هذه

٧٦- فريق المزهري آل فرعون، المصدر السابق، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

٧٧- عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

٧٨- عبد الله الفياض، المصدر السابق، ص ٣٢٣.

٧٩- عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، المصدر السابق، ص ٢٥٩.

٨٠- محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص ٢٢٤ - ٢٢٦.

٨١- فريق المزهري آل فرعون، المصدر السابق، ص ٣٠٦، عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص ٣٠٥.

٨٢- نقلاً عن فريق المزهري آل فرعون، المصدر السابق، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

٨٣- عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٧١.

المناطق يحثهم فيها على الوحدة والثورة ضد بريطانيا<sup>(٨٤)</sup>، وطرد موظفيها وتخريب طرق مواصلاتها التي كانت تستخدمها لنقل الأسلحة والأعتدة خلال الثورة<sup>(٨٥)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن (المس بيل) أجمعت بمجموعة من علماء السنة والشيعة من أهل بغداد وطلبت منهم تشكيل وفد منهم للتوجه إلى مدينتي النجف وكربلاء للتفاهم مع رجال الدين في هاتين المدينتين لإيقاف العمليات العسكرية للشوار، وهذا يدل على مدى الضغط الذي عاناه البريطانيون من جراء الثورة<sup>(٨٦)</sup>.

وأجمالاً يمكن القول، كانت لفتوى الشيخ الشيرازي تأثيراً فاعلاً على أغلب المناطق القريبة من بغداد سواء كانت هذه المناطق شمال بغداد أو جنوبها، وقد قال البازركان بصدد ذلك: ((تأثرت العشائر التي تقطن أطراف بغداد بفتوى الإمام الشيرازي فأخذت تشن الهجومات على ضواحي بغداد، الأمر الذي جعل الإنكليز ينشؤون الحصون والمواقع للمحافظة على المدينة، وكنت أشاهد بنفسني قنابل التنوير يطلقها الإنكليز ليلاً في أطراف المدينة للكشف عن أماكن الشوار أينما وجدوا))<sup>(٨٧)</sup>.

كما اندلعت الثورة في مناطق ديالى التي سقطت بأيدي الشوار في ١٢ آب<sup>(٨٨)</sup>، وأمتد نطاق الثورة إلى مدينة الناصرية والمناطق القريبة منها في ١٥ آب وأضطر الحكام السياسيون البريطانيون إلى الهرب منها<sup>(٨٩)</sup>، كما اندلعت الثورة في مناطق كردستان ولاسيما في (خانقين) والمناطق القريبة منها ومناطق أخرى عديدة<sup>(٩٠)</sup>.

كان للشوار اتصالات مع الخارج على المستوى الإقليمي ولاسيما مع العراقيين الموجودين في سوريا والذين كانوا إلى جانب أشقائهم السوريين وحكومة الملك فيصل بن الحسين في دمشق التي سقطت في ٢٥ تموز ١٩٢٠<sup>(٩١)</sup>.

وقد كتب العراقيون الموجودون في منطقة (دير الزور) السورية إلى قادة الثورة في الفرات الأوسط وبغداد، رسالتين طلبوا فيهما المساعدة المالية منهم كانت الرسالة الأولى معنونة إلى (علي

٨٤- فريق المزهري آل فرعون، المصدر السابق، ص ٣٠٥.

٨٥- المصدر نفسه، ص ٣٠٧-٣٠٩.

8 6 -Elizabeth Burgoyne (ed) Gertrude Bell form her Personal papers 1914-1920, london ,Ernest Bennl , 1961.p140- 148.

٨٧- علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، ١٩٥٤، ص ١٩٨.

٨٨- كاظم المظفر، المصدر السابق، ص ١٧١؛ عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص ٣١٤-٣١٦.

٨٩- عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٨٤-١٨٨.

٩٠- عباس محمد كاظم، المصدر السابق، ص ٣١٧-٣١٨.

٩١- سقطت حكومة الملك فيصل في دمشق بعد معركة ميسلون التي جرت ما بين القوات السورية بقيادة (يوسف العظمة) وزير الدفاع والقوات الفرنسية بقيادة الجنرال (غورو) في ٢٤ تموز ١٩٢٠، وقتل في هذه المعركة يوسف العظمة. للمزيد من التفاصيل عن أسباب وأحداث ونتائج هذه المعركة ينظر: ساطع الحصري، يوم ميسلون، صفحة من تاريخ العرب الحديث، بيروت.

البازركان)، والثانية معنونة إلى (ميرزا كاشان)، كانوا يقصدون الشيخ الشيرازي<sup>(٩٢)</sup>. حيث وصلت هذه الرسالة إلى كربلاء مع مبعوث أسمه (سلمان الجنابي) والذي جاء من دير الزور ووصل إلى كربلاء عن طريق البادية، ذكرت بعض المصادر عن هذه الرسالة أنها كانت مؤرخة في يوم ١٧ آب ١٩٢٠<sup>(٩٣)</sup>، ويبدو تاريخ وصولها غير دقيق لكونه صادف يوم وفاة الشيرازي إذ لا بد أن يكون تاريخ الرسالة قبل ذلك التاريخ بيوم أو بعدة أيام.

وعلى أية حال فبعد وصول هذه الرسالة إلى الشيخ الشيرازي أحالها إلى بقية قادة الثورة والذين اجتمعوا لمناقشة الأمر وأبدى عدد منهم موافقتهم على إرسال الأموال إلى دير الزور ومنهم: جعفر أبو التمن، قاطع العوادي، جدوع أبو زيد، محمد رامز، عارف حكمت<sup>(٩٤)</sup>.

لكن محسن أبو طيخ رفض هذه الفكرة وأتهم الأهالي دير الزور بموالاةهم للعثمانيين، كذلك أتهموا بالعمل مع الثوار كموظفين وليسوا مقاتلين وبالتالي فأتهم أرادوا بتلك الأموال لأخذها كرواتب لهم، ولذلك قال محسن أبو طيخ: ((.... ولأجل هذا لا يعني أنني أقدم شيئاً من مالي لأناس لا أعترف بصدق وطنيتهم في العمل....))<sup>(٩٥)</sup>.

أما أهم الاتصالات مع الخارج على المستوى الدولي في تلك المرحلة العصبية من أيام الثورة عندما بعث الشيخ الشيرازي رسالة إلى جمعية (عصبة الأمم) في جنيف بتاريخ ١٢ آب ١٩٢٠م (٢٧ ذي القعدة ١٣٣٨هـ)، وذكر الشيرازي في تلك الرسالة بعود الحلفاء بمنح العراق الاستقلال في إدارة شؤونه وتدابير مصالحه العامة بنفسه، غير إن المحتلين البريطانيين نكثوا بوعودهم وقابلوا الشعب العراقي بالقتل والتنكيل (عند ذلك قام العراقيون مدافعين عن أنفسهم وشرفهم، بعد أن يئسوا من أصغاء حكومة بريطانيا لهم حتى للتفاهم معهم بصورة سليمة).

وأختتم الشيخ الشيرازي رسالته بالقول (وبصفتكم ناصر الضعيف جئنا بهذه النبذة اليسيرة، نعلمكم موقف حكومة بريطانيا بالعراق فنستجير بمن يمثل العدل، فأنقذوا أمة تأتي أن تعيش دون أن تأخذ حقها الصريح المعترف به ودمتم بأحترام)<sup>(٩٦)</sup>.

في غمرة أحداث الثورة توفي الشيخ الشيرازي في السابع عشر من آب ١٩٢٠م (١٣ ذي الحجة ١٣٣٨هـ) ويقال إنه اغتيل بالسم على أيدي عملاء بريطانيين<sup>(٩٧)(٩٨)</sup>، وأصدر شيخ الشريعة الأصفهاني الذي تولى المرجعية بعد وفاة الشيخ الشيرازي بياناً في ذات اليوم، أي في ١٧ آب،

٩٢- د.علي الوردي، لمحات إجتماعية....، الجزء الخامس، القسم الأول، المصدر السابق، ص ٢٩٥.  
٩٣- فريق المزهري آل فرعون، المصدر السابق، ص ٢٨٣؛ د.علي الوردي، لمحات إجتماعية....، الجزء الخامس، القسم الأول، المصدر السابق، ص ٢٩٦.  
٩٤- د.علي الوردي، لمحات إجتماعية، ص ٢٩٧.  
٩٥- فريق مزهر آل فرعون، المصدر السابق، ص ٢٨٥.  
٩٦- فريق المزهري آل فرعون، المصدر السابق، ص ٣٤٨-٣٥٠، كذلك؛ كاظم المظفر، المصدر السابق، ص ٢٠٠.  
٩٧- أغا بزرك الطهراني، هدية الرازي....، المصدر السابق، ص ٦.  
٩٨- وأن هذا الأمر لا يستبعد لشخصية قارعت الوجود والحيل والأكاذيب والقمع البريطاني للشعب العراقي وفي الوقت ذاته سيئات تتضمن المكافلية ولم يكن لها رادع عن تنفيذ مخططاتها الدنيئة. (الباحث).

موجهاً إلى الأمة الإسلامية بصورة عامة والشعب العراقي بصورة خاصة، ينعى فيه الشيخ الشيرازي جاء فيه: ((أما بعد فأنا أعزيكم وكافة الموحدين بفقد عميد المسلمين آية الله العظمى الميرزا قدس الله نفسه المقدسة، فقد قضى نحبه والتحق بربه بعد أن أدى حق وظيفته وقام بها حسب طاقته، فلا تكن رحلته فتوراً في عزائمكم وتوانياً في عملكم فالجد الجدة حماة الدين وأعضاء المسلمين النشاط النشاط....))<sup>(٩٩)</sup>.

كما أصدر السيد هبة الدين الشهرستاني بياناً نعى فيه الشيخ الشيرازي جاء فيه: ((نعزيكم وعامة العالم الإسلامي بوفاة حجة الإسلام ورئيس العلماء والأعلام، ركن النهضة العربية وروح الحركة الإسلامية الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي قدس الله روحه ونور ضريحه فقد أفلت شمس حياته القدسية عند أفول شمس الثلاثاء ثالث ذي الحجة ١٣٣٨هـ))<sup>(١٠٠)</sup>. وكان يوم وفاته مشهوداً حيث حضر عدد كبير من العلماء ورجال الدين ورؤساء العشائر، فجرى له تشييع كبير، ودفن في الصحن الحسيني الشريف في مدينة كربلاء وأقيمت له مجالس الفاتحة لأيام وشهور عديدة في كثير من مدن العراق وإيران<sup>(١٠١)</sup>.

ورثاه العديد من الشعراء من أبرزهم (محمد محسن أبو المحاسن) جاء في بعض أبياته:  
يا غلة الأحشاء غاض المورد      لا نجد له للمستغيث ولا روى  
يا أزمة الأيام غاب المنجد      يشفي غليل حشاشة يتوقد

يا آية الله المقدسة التي      أمست بها الملائك تصعد  
غادرتنا والخطب داج ليلة      واليوم من صبح الحوادث أسود  
ساروا بنعشك والدموع سواجم      تهوى وأنفاس الجوى تتصعد

إن العراق لشاكر لك نعمة      عنها يقصر واصف ومعدد  
ان المؤسس نهضة دينية      عريية وفيها العلا والسودد<sup>(١٠٢)</sup>

كما رثاه الشاعر الحاج عبد الحسين الأزري في حفل تأبين أقيم له في مدينة الكاظمة:  
منحاك عز على العراق الدامي      وأمضه يا خادم الإسلام  
صدع القلوب حديث نعيمك مد      خلت دار حميت ذكارها من حام  
كادت تفنده المسامع خشية      من عبثه بقوادح الآلام

٩٩- فريق المزهرة آل فرعون، المصدر السابق، ص ٣٥٢-٣٥٣، كذلك؛ كامل سلمان الجبوري، النجف الأشرف والثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، الطبعة الأولى، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص ٢٨٥.  
١٠٠- د.علي الوردي، لمحات إجتماعية، ص ٢٩٩.  
١٠١- نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، المصدر السابق، ص ١٩٠.  
١٠٢- خضر عباس الصالح، شاعرية أبي المحاسن، الطبعة الأولى، النجف الأشرف، ١٩٦٥، ص ٧٩-٨١.

ليد الكوارث أيما أستسلام  
عن حقه المغصوب خير قيام<sup>(١٠٣)</sup>

حتى إذا حق المصاب استسلمت  
أقدس يوم قمت فيه مدافعاً

### الخاتمة:

يتضح مما سبق أن الشيخ محمد تقي الشيرازي نشأ نشأة فكرية وسط أسرة تهتم بالعلم والمعرفة، وكانت الهجرات غير القليلة التي قام بها الشيرازي، الهدف الرئيس من ورائها هو الدراسة والعلم ابتداءً من هجرته الأولى من شيراز إلى مدينة كربلاء ومن ثم من كربلاء إلى سامراء ومن ثم إلى النجف، ومن ثم رحيله واستقراره في كربلاء حتى وفاته فيها.

كما كان الشيخ الشيرازي سياسياً بارعاً، فقد أستطاع الضغط على البريطانيين بشكل كبير ليس في داخل العراق فحسب، كذلك راسل الشيخ الشيرازي الرئيس الأمريكي (ويلسن) لأن الشيخ الشيرازي كان يعتقد إن بإمكان استغلال نفوذ الدول الكبرى ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية التي رفعت آنذاك شعار (منح الشعوب حق تقرير المصير) من أجل الضغط على البريطانيين مما دفعهم إلى السعي إلى كسب الشيخ الشيرازي إلى جانبهم محاولين استرضاءه إلا إنهم لم يفلحوا في ذلك.

كان الشيخ الشيرازي حريصاً أشد الحرص على دماء الناس، فعلى الرغم من مساوئ الاحتلال البريطاني إلا إنه لم يجيز استخدام القوة والسلاح ضد الاحتلال البريطاني، بل أتبع كل الوسائل والسبل السلمية من أجل نيل حقوق الشعب العراقي قبل اللجوء إلى الاعتقال وأتضح ذلك في معظم رسائله التي أرسلها إلى الزعماء ورجال العشائر والقوى الوطنية حيث أكد فيها ضرورة المحافظة على السلم والأمن.

كان الشيخ الشيرازي يحترم رأي الأغلبية وأجماع الأمة، وأبرز مثال على ذلك هو عندما كانت للشيرازي تحفظات على تولي أحد أنجال الشريف حسين عرش العراق بدليل أن الشيرازي لم يكن من الموقعين على المضبطة التي كتبها الكربلايون في منزل الشيرازي أن هناك شبه أجماع عراقي على تولي عرش العراق أحد الهاشميين في الحجاز، بدل رأيه وأيد هذا الرأي بدليل المراسلات الكثيرة التي جرت بينه وبين نجله من جهة وبين أبناء الأسرة الهاشمية في الحجاز من جهة أخرى.

### قائمة المراجع:

#### أولاً: المخطوطات:

١. محمد الخالصي، بطل الإسلام، سيرة حياة والد، محفوظة لدى مكتبة الكاظمية العامة، بغداد.

١٠٣- إبراهيم الوائلي، المصدر السابق، ص ٨٥؛ مير بصري، المصدر السابق، ص ٣٦٤.

ثانياً: الرسائل والأطاريح:

١. ناهدة حسين علي ويسن، تاريخ النجف في العهد العثماني الأخير، (١٨٣١ - ١٩١٧)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية التربية، أبن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩ م.

### ثالثاً: المذكرات الشخصية:

١. سندرسن باشا، مذكرات سندرسن باشا، طبيب العائلة الملكية في العراق ١٩١٨ - ١٩٤٦، ترجمة سليم طه التكريتي، الطبعة ٢، بغداد - ١٩٨٢.
٢. محمد علي كمال الدين، مذكرات السيد محمد علي كمال الدين، من رجال الثورة العراقية، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري، الطبعة ١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦.

### رابعاً: الكتب العربية والمعربة:

١. أرنولد ويلسن، الثورة العراقية، ترجمة وتعليق جعفر الخياط، الطبعة الثانية، دار الرافدين للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤.
٢. أغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الجزء الثالث عشر، الطبعة الثانية، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٥٩.
٣. أغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الجزء السادس، الطبعة الأولى، جانجانة باتك علي إيران، طهران، ١٩٤٥ م.
٤. طبقات أعلام الشيعة. نقباء البشر في القرن الرابع عشر، الجزء الأول، النجف، ١٩٥٤ م.
٥. هدية الرازي إلى الأمام المجدد الشيرازي، النجف، ١٩٦٦.
٦. البرت نتشاشفيل، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٨ م.
٧. حسن الصدر، تكملة أمل الأمل، تحقيق السيد أحمد الحسيني، أهتمام السيد محمود المرعشي، بيروت، ١٩٨٦.
٨. خضر عباس الصالحي، شاعرية أبي المحاسن، الطبعة الأولى، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٥.
٩. سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣.
١٠. معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٠ م.
١١. شهاب الدين المرعشي، الأجازة الكبيرة، قم، ١٩٩٣ م.
١٢. المسلسلات من الأجازات، قم، ١٩٩٥.

١٣. عباس الرائدي، حوادث الأيام، الجزء الأول، تحقيق أحمد محمد رضا الحائري، قم، ٢٠٠٠م.
١٤. عباس محمد كاظم، ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين)، الطبعة الأولى، بلا مطبعة، ١٩٨٤.
١٥. عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، الطبعة الثانية، مطبعة دار السلام، بغداد، ٢٠٠٢م.
١٦. عبد الرحيم محمد علي العقيقي البخشايشي، كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٧. عبد الرحيم محمد علي، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني، الطبعة الأولى، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٢م.
١٨. عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.
١٩. ....، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، الجزء الأول، صيدا، ١٩٣٥م.
٢٠. عبد الرزاق عبد الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٠.
٢١. عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين، النجف، ١٩٦٦م.
٢٢. عدنان إبراهيم السراج، السيد محسن الحكيم ١٨٨٩ - ١٩٧٠، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٣. علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، مطبعة أسعد، (بغداد - ١٩٥٤م).
٢٤. علي الورددي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث والخامس، القسم الأول، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٧م.
٢٥. فريق الزهر آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٩٥م.
٢٦. فؤاد قزائني، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥ - ١٩٣٠، ، بغداد، ١٩٨٨.
٢٧. فيليب ويلارد أيرلاند، العراق - دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر ألخياط، بيروت، ١٩٤٩م.
٢٨. كاظم المظفر، ثورة العراق التحريرية عام ١٩٢٠، الجزء الأول، النجف، ١٩٦٩م.
٢٩. (ل.ن) كوتولوف، ثورة العشرين الوطنية التحريرية في العراق، ترجمة عبد الواحد كرم، الطبعة الثالثة، بغداد، ١٩٨٥م.
٣٠. لجنة إحياء تراث الإمام الشيرازي، في رحاب قائد ثورة العشرين الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي، الطبعة الأولى، كربلاء، ٢٠٠٤.
٣١. محمد التنوحي، المعجم الذهبي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٩م.

٣٢. محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، الجزء الثاني والثالث، النجف، ١٩٦٤م.
٣٣. محمد الحر العاملي، وسائل الشيعة، الجزء الخامس، بيروت، ١٩٧١م.
٣٤. محمد الحسيني الشيرازي، تلك الأيام - صفحات من تاريخ العراق السياسي، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٠م.
٣٥. محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، الجزء الأول، بغداد، ١٩٢٤م.
٣٦. محمد يوسف إبراهيم القرشي، المس بيل وأثرها في السياسة العراقية، بغداد، ٢٠٠٣م.
٣٧. المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة وتعليق: جعفر الخياط، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠٠٤م.
٣٨. مكتب منابع الثقافة الإسلامية، كربلاء المقدسة تفجر ثورة العشرين، الكتاب الخامس، النجف، ١٩٦٨م.
٣٩. مير بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث، لندن، ١٩٩٩م.
٤٠. نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، طهران، ١٩٩١م.

#### خامساً: المصادر والكتب الأجنبية:

أ. المصادر الفارسية:

١. مرتضى أنصاري، زندكاني وشخصيت شيخ أنصاري، جاب سوم، قم، ١٩٨٩م.  
ب. المصادر الإنكليزية:

1. Elizabeth Burgoyne (ed) Gertrude Bell from her Personal papers 1914-1920, London, Ernest, Bennl, 1961.

#### سائاً: الصحف والمجلات:

أ. الصحف:

١. لواء الاستقلال، العدد ١٠١٧، السنة الرابعة، بغداد، ١٩٥٠/٧/٢م.  
٢. المجتمع، العدد ١٢١، كربلاء، ١٩١٧/٦/٢٩م.

## الذكاء الشعوري للعاملين وعلاقته برضاهم الوظيفي

### دراسة استطلاعية لآراء عينة من موظفي جهاز الاشراف والتقويم العلمي

Main purpose of this emotional intelligence of employees in relation to their liking Career

A survey of the views of a sample of your staff supervision and scientific evaluation

حسين وليد حسين<sup>١</sup>

م.م. منى عبد الستار محمد حسن<sup>٢</sup>

### المستخلص

الغرض الرئيس لهذا البحث هو توضيح طبيعة العلاقة والتاثير بين الذكاء الشعوري للعاملين ورضاهم الوظيفي ، اذ يشكل الذكاء الشعوري احد العوامل المؤثرة على سلوك الفرد ومشاعره. كما يمثل الرضا الوظيفي احد ابرز العوامل المؤثرة على اداء الفرد في المنظمة. وقد اشارت مشكلة البحث الى وجود قصور واضح في ادراك افراد العينة المبحوثة لطبيعة العلاقة بين الذكاء الشعوري والرضا الوظيفي. وتمثلت عينة البحث بعدد من الافراد العاملين في جهاز الاشراف والتقويم العلمي في ديوان وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. وتم اختيار عينة البحث بطريقة العينة العشوائية البسيطة وبواقع (٣٠) فرد. واعتمدت الاستبانة كاداة رئيسة لجمع بيانات البحث والتي تم اعدادها بالاستناد الى عدد من المقاييس الجاهزة. ولادخال وتحليل بيانات البحث استخدم البرنامج الاحصائي الجاهز (SPSS)، ومن ابرزت الادوات الاحصائية المستخدمة في التحليل الاتي: "

١ - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / البحث والتطوير

٢ - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / البحث والتطوير

الوسط الحسابي، والانحراف المعياري، ومعامل الاختلاف، ومعامل الارتباط لسبيرمان مان، ومعامل الانحدار الخطي البسيط". وقد افرزت هذه الادوات عدد من النتائج اكدت معظمها على وجود علاقة ارتباط وتأثير ذات دلالة معنوية بين الذكاء الشعوري للعاملين ومستوى رضاهم الوظيفي. وعليه اوصى الباحثان على ضرورة زيادة اهتمام المنظمة بدراسة الذكاء الشعوري لعاملها وكيفية الاستفادة منهم في تعزيز الرضا الوظيفي لديهم.

### Abstract

Research is to clarify the nature of the relationship and influence between the emotional intelligence of employees and job satisfaction, as it is emotional intelligence one of the factors influencing the individual's behavior and feelings. Job satisfaction also represents one of the main factors affecting the performance of the individual in the organization. The research indicated a problem to the existence of obvious deficiencies in the perception of respondents surveyed for the nature of the relationship between emotional intelligence and job satisfaction. Research sample consisted a number of individuals working in a scientific supervision and evaluation in the Office of the Ministry of Higher Education and Scientific Research.

The research sample was selected in a simple random sample and by (30) individual. The resolution adopted as a tool head of research and data collection that has been prepared on the basis of the number of scales ready. And to introduce and analyze the research data used statistical program ready (SPSS), and highlighted the statistical tools used in the following analysis: "Alsenbh percentage of recurrence, and the arithmetic mean, and standard deviation, and coefficient of variation, and the correlation coefficient Spearman Man, the coefficient of simple linear regression." These tools were produced a number of results mostly confirmed the presence of correlation and the impact of significant correlation between emotional intelligence of employees and the level of job satisfaction. Accordingly, the researchers recommended the need to increase the interest of the organization to study a sense of intelligence to their employees and how to use them to enhance their job satisfaction.

**المبحث الاول: منهجية البحث****المقدمة**

يشكل المورد البشري المحرك الاساسي لكافة العمليات والمهام التي تقوم المنظمات بتنفيذها، كما يشكل اهم الموارد التي تمتلكها المنظمة والمصدر الرئيس لتمايزها في ظل البيئة التي تعمل ضمنها، وهناك مجموعة من العوامل التي من شأنها التاثير على سلوك هذا المورد وعلاقته بالافراد الاخرين الذي يتعامل معهم ومن ابرز هذه العوامل هو الذكاء الشعوري للمورد البشرية الذي يتجلى في القدرة على إدراك المشاعر من خلال التفكير وفهم المعرفة الانفعالية وتنظيم المشاعر بحيث يستطيع الفرد أن يؤثر في مشاعر الآخرين. ولضمان استعداد المورد البشري لبذل اقصى جهد ممكن في خدمة المنظمة وتحقيقها اهدافها، فيجب عليها تحقيق الرضا الوظيفي لديه الذي يشير الى الرضا الكلي الذي يستمده الموظف من وظيفته وجماعة العمل التي يعمل معها، ورؤساءه الذين يخضع لإشرافهم وكذلك المؤسسة والبيئة اللتين يعمل فيهما. ويمكن للمنظمة تحقيق الرضا الوظيفي لمواردها البشرية من خلال السياسات والاجراءات المختلفة التي تقوم باتباعها في التعامل معهم. ولهذا الاهمية حاولنا في هذا البحث التعرف على طبيعة العلاقة بين الذكاء الشعوري للعاملين ومستوى رضاهم الوظيفي من خلال اربعة مباحث، اذ يقسم المبحث الاول الى فقرتين تركز الاولى على المنهجية العلمية للبحث، في حين تم في الفقرة الثانية عرض بعض الجهود الفكرية السابقة التي تمكن الباحثان من مراجعتها وتحديد اوجه الافادة منها في هذا البحث. اما المبحث الثاني فركز على الجانب النظري وقسم ايضاً الى فقرتين، خصصت الاولى للتعرف على مفهوم الذكاء الشعوري وبعض الموضوعات المتعلقة به، اما الفقرة الثانية فتم من خلالها التعرف على مفهوم الرضا الوظيفي واهم موضوعاته، وجاء المبحث الثالث لتشخيص واقع واهمية المتغيرات المبحوثة في ضوء اجابات افراد العينة المبحوثة، فضلاً عن تحليل علاقات الارتباط والتاثير بين المتغيرات المستقلة والتابعة للبحث وبالشكل الذي يساعد على اختبار الفرضية الرئيسة التي انطلق منها البحث، واخيراً خصص المبحث الرابع لتقديم عدد من الاستنتاجات والتوصيات التي من شأنها تعزيز المعرفة في المجال المبحوث.

**اولاً: مشكلة البحث**

يشكل الذكاء الشعوري احدى المحركات الاساسية لمشاعر الفرد اتجاه المواقف المختلفة والافراد الاخرين الذي يتعامل معهم. كما يشكل الرضا الوظيفي ابرز العوامل المؤثر على اداء الفرد واستعداده للعمل وخدمة المنظمة. وعليه تبرز مشكلة البحث الرئيسة في وجود قصور واضح في ادراك افراد العينة المبحوثة لطبيعة العلاقة بين الذكاء الشعوري والرضا الوظيفي وهذا ما لمسها الباحثان في المعاشة الميدانية مع العينة المبحوثة. كما يمكن توضيح مشكلة البحث من خلال اشارة التساؤلات الآتية:

١. هل يوجد وعي كافي لدى العينة المبحوثة بمفهوم الذكاء الشعوري.
٢. هل يوجد وعي كافي لدى الادارة في المنظمة المبحوثة باهمية تعزيز الرضا الوظيفي لدى العاملين؟
٣. ما هي طبيعة العلاقة والتاثير بين الذكاء الشعوري والرضا الوظيفي لدى العينة المبحوثة ؟

#### ثانيا: اهمية البحث

تتجلى الاهمية العلمية للبحث في متغيراته، اذ يشكل الذكاء الشعوري احد الموضوعات المهمة في مجال السلوك التنظيمية وعلم النفس الاجتماعي، كما يشكل الرضا الوظيفي احدى المواضيع المهمة في مجال ادارة الموارد البشرية. كما تبرز الاهمية التطبيقية للبحث في مجتمع البحث والذي يتضمن القطاع التعليمي الذي يمثل المصدر الرئيس لامداد المجتمع بالمواهب والموارد البشرية النادرة. فضلاً عن محاولة الباحثان توضيح مدى اسهام المتغير المستقل للبحث في تعزيز المتغير التابع له.

#### ثالثا: اهداف البحث

يسعى البحث الى تحقيق جملة من الاهداف ابرزها:

١. تشخيص واقع واهمية متغير الذكاء الشعوري من خلال ثلاثة ابعاد لدى العينة المبحوثة.
٢. تشخيص واقع واهمية الرضا الوظيفي من خلال ثلاثة ابعاد لدى العينة المبحوثة.
٣. تحديد طبيعة العلاقة والتاثير بين متغير الذكاء الشعوري ومتغير الرضا الوظيفي في ضوء اجابات افراد العينة المبحوثة.
٤. الخروج بجملة من الاستنتاجات والتوصيات التي من شأنها تعزيز المعرفة في المجال المبحوث.

#### رابعا: تحديد المصطلحات:

الذكاء الشعوري، الرضا الوظيفي، العاملين، المنظمة، فهم الذات، ادارة الذات، ادارة العلاقات، ظروف العمل، الانجاز، الراتب.

Key words: emotional intelligence, job satisfaction, staff, organization, self-understanding, self-management, relationship management, working conditions, delivery, sala

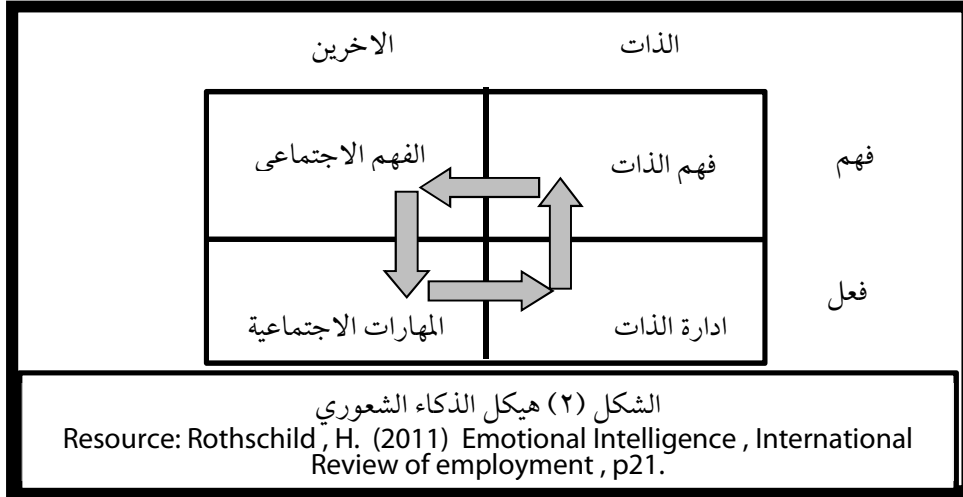
#### المبحث الثاني: الجانب النظري ودراسات سابقة

سيتم في هذا المبحث التعرف على مفهوم الذكاء الشعوري واهم الموضوعات المتعلقة به، ومفهوم الرضا الوظيفي واهميته وبعض موضوعاته من خلال فقرتين وكما يأتي:

## أولاً: الذكاء الشعوري

### أ: مفهوم الذكاء الشعوري

يكتنف تحديد مفهوم الذكاء الشعوري صعوبة واضحة بسبب تباين وجهات نظر الباحثين والكتاب اتجاه، فضلاً عن وجود عدد من المعاني التي من الممكن استخدامها للإشارة إلى نفس المصطلح منها الذكاء الشعوري والذكاء الانفعالي والذكاء العاطفي والذكاء الوجداني. وبدأ الاهتمام حديثاً بمفهوم الذكاء الشعوري كبنية نفسية يمكن من خلاله فهم الكثير من جوانب السلوك الإنساني، ويلقى هذا المفهوم في الآونة الأخيرة اهتماماً متزايداً من قبل الباحثين، حيث طبق العديد من الدراسات والبحوث الحديثة في هذا الموضوع محاولة البحث في العلاقة بينه وبين العديد من المظاهر النفسية والسلوكية الأخرى، وتجمع الدراسات والبحوث على أن للذكاء الشعوري أثراً في سلوك الفرد وسماته الشخصية والاجتماعية بدرجة تفوق تأثير الذكاء العقلي والأكاديمي، وأن ربط العقل بالانفعالات أمر لا يمكن إنكاره أو التقليل من شأنه، فلقد كان من المعتقد في الفترات المبكرة لدى علماء النفس أن النشاط العقلي يتمايز أو يفصل عن الانفعالات الإنسانية، أما الآن فيعتقد أن العمليات الانفعالية تلتقي أو تتقاطع مع أنشطة التفكير العقلية، ولذا بات هناك اقتناع لدى علماء النفس بأن دراسة الانفعالات من الممكن أن تساعد في فهم السلوك التوافقي للإنسان بصفة عامة (العبدلي، ٢٠٠٩: ٢٥). وقد عرف على أنه: "مجموعة من المهارات التي تعزى إليها الدقة في تقدير وتصحيح مشاعر الذات واكتشاف الملامح الانفعالية للآخرين واستخدامها، لأجل الدافعية والإنجاز في حياة الفرد"، أما (George, 2000) فقد عرفه بأنه: "القدرة على إدراك المشاعر من خلال التفكير وفهم المعرفة الانفعالية وتنظيم المشاعر بحيث يستطيع الفرد أن يؤثر في مشاعر الآخرين"، ومن وجهة نظر (Reed & Clarke, 2000) يمثل الذكاء الشعوري القدرة على إدراك وفهم وتناول الانفعالات بفطنة واستخدامها كمصدر للطاقة الإنسانية والتزود بالمعلومات والعلاقات مع الآخرين (المصدر، ٢٠٠٨: ٥٩٦). وبذات الاتجاه تقريباً عرف بأنه قدرة الفرد على تقييم مشاعره وانفعالاته ومشاعر وانفعالات الآخرين والتمييز بينهما واستخدام ذلك في توجيهه لسلوكه وانفعالاته، عرف بأنه حسن المطابقة بين التقدير الذاتي بين المفحوص عن عالمه الداخلي ومحكات موضوعية مرتبطة بتقبل الملاحظة الخارجية (رابح، ٢٠١١: ٦٢)، كما عرف الذكاء الشعوري بأنه: "القابلية على فهم الذات وادراكها والتعبير عنها وادراك الآخرين وفهمهم والتعامل مع المشاعر القوية ومراقبة الاندفاعات والتكيف لحل المشكلات الشخصية أو الاجتماعية (جلاب، ٢٠١١: ٥٢٠). كما يمكن تحديد الهيكل الطبيعي للذكاء الشعوري من خلال الشكل (٢) وكما يأتي:



### ب: أهمية الذكاء الشعوري

ان الذكاء الشعوري علمنا كيف نغير أنماط تفكيرنا ومن طريقة نظرتنا الى العالم من حولنا ويولد من أنفسنا مشاعر ايجابية تجاه الذات وتجاه الآخرين اننا لا نستطيع ان نقرر متى نغضب ومتى نخاف نقلق ومتى نحب ولكننا نستطيع ان نقرر كيف نتعامل مع الغضب والخوف والقلق والحب اما الفرد الذكي انفعالياً هو الفرد القادر على إدارة مشاعره وانفعالاته والتعبير عنها بطريقة فعالة متمكنة من التواصل مع الآخرين والتفاعل معهم ، فالفشل غالباً ما ينشأ عن أسباب عاطفية أكثر منها أسباب فنية ومهنية ، وللذكاء الشعوري أهمية كبيرة كأداة تشخيصية ، وهو بذلك ربما تستخدم على مستويين (سلمان ، ٢٠١٢ : ١٥٤) :

- ١ . مستوى منظم واسع ، وذلك من خلال تقسيم المناخ التنظيمي للمنظمة كي يتم توضيح قدرتها في تحسين عملية التعليم الجماعية عرقلتها.
- ٢ . على المستوى الفردي كي يرشد الى تطوير الفرد المعني داخل المنظمة.

### ج: عناصر الذكاء الشعوري

يتضمن الذكاء الشعوري عدد من العناصر يمكن تحديدها بالآتي (الزيدي ، ٢٠١٠ :

٥١ - ٥٣)

- ١ . فهم الذات : ويشمل كل من : " فهم الذات الشعوري : فالقادة الذين يتمتعون بنسبة عالية من فهم الذات الشعوري يملكون غالباً الحدس نحو أفضل الخيارات ، وهم صريحون وصادقون في الحديث عن مشاعرهم وعن قناعاتهم ، والتقويم الذاتي الدقيق : فالقادة الذين يمتلكون درجة مرتفعة من فهم الذات ؛ يعرفون غالباً نقاط قوتهم وضعفهم ، ويظهرون روح الدعابة والفكاهة ، ويرحبون بالنقد البناء ، وبالتغذية المرتدة ، والتقييم الذاتي الدقيق وهو ما يسمح

للقائد أن يعرف متى يطلب المساعدة ولمإذا، والثقة بالنفس: تؤدي الثقة بالنفس إلى الاستفادة من نقاط القوة والقدرة على القيام بالمهام الصعبة، وتوافر الحضور والبروز بين الآخرين".

٢. إدارة الذات: وتشمل: " ضبط النفس: فالقادة الذين لديهم القدرة على ضبط النفس؛ يجدون طرائق لإدارة مشاعرهم وانفعالاتهم المزعجة، ويوجهونها بطرائق مفيدة، لأنهم يحافظون على هدوئهم، وصفاء إذهانهم في ظروف الضغط والأزمات، الشفافية: هي انفتاح حقيقي للمرء على الآخرين بما يتعلق بمشاعره ومعتقداته وأفعاله والقادة الذين يتسمون بالشفافية يعترفون بأخطائهم ولا يخافون من مواجهة الآخرين بسلوكهم السيء ان وجد، التكيف: هو القدرة على الاندماج والعمل في بيئات جديدة ومواجهة التحديات، والعطاء بصورة مستمرة من دون فقدان الرغبة في ذلك، التوجه للإنجاز: فالقادة الذين يملكون تلك الكفاءة يتمتعون بمعايير شخصية تدفعهم للسعي دائماً لتحسن أدائهم وأداء مرؤوسيه، يضعون أهدافاً قابلة للقياس ولكنها تمثل تحدياً، وهذه القدرة تكمن في مواصلة تعلم وتعليم طرائق جديدة لإنجاز أفضل، المبادرة: هي الكفاءة في اغتنام الفرص، او صنعها بدلاً من مجرد الانتظار، والقائد المتمتع بتلك القدرة يخرق الروتين، ويجب التصدي للحلول، ويسعى دائماً لخلق فرص أفضل للمستقبل، التفاؤل: فالقائد المتفائل يرى في العقبة فرصة بدلاً من كونها تهديداً، وينظر للآخرين بإيجابية، ويتوقع منهم الأفضل، ويتوقع أن بإمكانه أن يحقق هو والآخرين إنجازاً ومستقبلاً أفضل".

٣. إدارة العلاقات: وتشمل: " الإلهام: وهي كفاءة القادة في إلهام الآخرين، وخلق التجاوب، وتحريك الآخرين برؤية مقنعة نحو مهمة مشتركة، وهم قدوة لغيرهم، ويمنحون الآخرين حساً وإثارة فعالة نحو العمل، والتأثير: وهي كفاءة القادة في الحصول على مشاركة من يريدون، واتباع الأسلوب المناسب للإقناع، وينبع التأثير من شخصية القائد وسلوكه ومن تعبيراته اللفظية وغير اللفظية، وتطوير الآخرين: وهي كفاءة القادة في تنمية قدرات الآخرين، والاهتمام الحقيقي بفهم أهدافهم ونقاط القوة والضعف لديهم، وتقديم تغذية مرتدة بناءة في الوقت المناسب، والحث على التغيير: وهي كفاءة القادة في معرفة الحاجة للتغيير، ومواجهة الوضع السائد، وتقديم البرهان على ما يريدون وأقناع الآخرين به، وإيجاد الطرائق العلمية لمواجهة ما يعوق التغيير، وإدارة الصراع: وهي كفاءة القادة في جذب كل الأطراف، من خلال تفهم ووجهات نظرهم المختلفة ومشاعرهم، وتبسيط نقاط الخلاف، وإعادة توجيه الطاقة باتجاه هدف مشترك يسانه الجميع".

٤. إدارة المشاعر: وتشمل: " التعاطف: فالقادة الذين لديهم تعاطف يكونون أكثر قابلية للاحساس بمشاعر الآخرين سواء المحسوسة أو غير المحسوسة، ومثل هؤلاء القادة يصغون بانتباه، ويمكنهم أن يفهموا وجهة نظر الآخر، مما يجعلهم قادرين على التفاهم جيداً مع أناس

من خلفيات وثقافات متنوعة، والوعي التنظيمي: فالقائد الذي يملك تلك الكفاءة، يكون قادراً على تنظيم شبكة من العلاقات الاجتماعية، وأن يقرأ علاقات القوة الرئيسة، وإدراك القوى السياسية والاجتماعية والثقافية المتفاعلة في صلب تنظيم ما، فضلاً عن القيم والقواعد غير المنظومة الموجهة لسلوك الناس، والتوجه للخدمة: فالقادة الذين يتمتعون بدرجة عالية من كفاءة الخدمة؛ يخلقون جواً عاطفياً يحفز المرؤوسين الذين هم على اتصال مباشر مع العميل على الاحتفاظ بعلاقة جيدة معه ومراقبة مدى رضاه، كما أنهم يجعلون أنفسهم في الخدمة كلما دعت الحاجة، وهم سعداء بذلك".

#### د: الذكاء الشعوري والنوع البشري

عندما يولد الطفل يدخل ضمن نظام تحديد الجنس، وهذا النظام يخلق حقائق مختلفة للأجناس فضلاً عن بيئات متباينة توفر لهم مختلف الفرص للتعلم الفكري أو الشعوري. وهذا ما يؤدي إلى بناء القاعدة الشعورية للجنس سواء كان ذكراً أو أنثى. وفيما يتعلق بالتباين في التفاعلات الشعورية بين الرجال والنساء. فقد وضح بأن هناك اعتقاد سائد تأصل في مجتمعاتنا وهو أن النساء يملكن من الجوانب الشعورية أكثر مما يمتلكه الرجال. وهذا ما أثبتته الاختبارات التي أجريت على كلا الجنسين. وتمت الإشارة بأن النساء يُظهرن تعابير شعورية أوضح من تلك التي يظهرها الرجال. وذلك فيما يتعلق بكل من الشعور الإيجابي والسلبي ويتمتعن باهتمام عالٍ بالشعور وقراءة أفضل للتلميحات اللغوية.. لكن ذلك لا يعني أن الرجال لا يظهرن أي شعور، بل تتضح لديهم العديد من صور الشعور كالغضب، والاشمئزاز، والضجر (نفاذ الصبر)، والتهكم. وهم يخفون فقط ذلك الشعور السلبي الذي ينم عن سرعة التأثر بالخوف، الحزن، الكآبة. وإلى حد ما بعض حالات الشعور الإيجابي كالنعومة أو الرقة، التي يعتقدون بأنها غير ذكورية. وكلا الجنسين يُظهر نفس الأداء في معظم الاختبارات المرتبطة بالذكاء. وما يوضح الاختلافات الشعورية بين الجنسين هي الطرائق المختلفة للعلاقات التي يشتركون فيها، فالنساء ربما يتكيفن لإبداء اهتمام أكبر بالشعور، أو لأنهن قد يملكن استعداداً بيولوجياً أفضل لأداء هكذا أدوار، أو أنهن يملكن قابلية فطرية أفضل من الرجال في إظهار مشاعرهن وقراءة الآخرين، أو بسبب امتلاكهن لحاجة أكبر من الرجال للقبول الاجتماعي. فضلاً عن ميل الرجال لأن يكونوا أقوياء وحازمين ومحاولتهم إظهار شعور يتوافق مع هذه الصورة. وهذا ما يحسب للنساء في أنهن أكثر دفئاً وودية من الرجال وإظهارهن لشعور أكثر إيجابية (الطائي، ٢٠٠٤: ٦٥ - ٦٦).

#### ثانياً: الرضا الوظيفي

##### أ: مفهوم الرضا الوظيفي وأهميته

لا يوجد تعريف محدد أو مفهوم متفق عليه للرضا الوظيفي، وهذا يرجع إلى تعدد الكتابات و تناوله من أكثر من جهة اختصاص، يضاف عليه أن الرضا غالباً ما ينظر إليه أنه موضوع فردي بحث

فما يمكن أن يكون رضا لشخص قد يكون عدم رضا لشخص آخر، ذلك لأن الإنسان مخلوق معقد لديه حاجات و دوافع متعددة و مختلفة من وقت لآخر الحالة التي يتكامل فيها و من شخص لآخر . ويعرف " ستون " الرضا عن العمل بأنه الفرد مع وظيفته و عمله ، و يصبح إنسان تستغرقه الوظيفة ، و يتفاعل معها من خلال طموحه الوظيفي و رغبته في النمو و التقدم و تحقيق أهدافه الاجتماعية من خلالها (وهيبة ، ٢٠١٢ : ٦٨) . ويرى البعض أن الرضا الوظيفي هو عبارة عن مشاعر السعادة الناتجة عن تصور الفرد تجاه الوظيفة إذ أن هذه المشاعر تعطي الوظيفة قيمة تتمثل برغبة الفرد في العمل وما يحيط به . ويرى البعض الآخر أن الرضا الوظيفي عبارة عن مشاعر العاملين تجاه وظائفهم حيث تتولد هذه المشاعر عن إدراكهم لما تقدمه لهم هذه الوظائف و لما ينبغي أن يحصلوا عليه منها . ويرى البعض الآخر أن الرضا الوظيفي مفهوم متعدد الأبعاد يتمثل في الرضا الكلي الذي يستمد الموظف من وظيفته و جماعة العمل التي يعمل معها ، ورؤساءه الذين يخضع لإشرافهم وكذلك المؤسسة والبيئة اللتين يعمل فيهما (حجاج ، ٨٢٣ : ٢٠٠٧) . أما (Vroom) فقد فسّر الرضا الوظيفي على أساس أن عملية الرضا أو عدم الرضا تحدث نتيجة للمقارنة التي يجريها الفرد بين ما كان يتوقعه من عوائد السلوك الذي يتبعه وبين المنفعة الشخصية التي يحققها بالفعل ، ومن ثم فإن هذه المقارنة تؤدي بالفرد إلى المفاضلة بين عدة بدائل مختلفة لاختيار نشاط معين يحقق العائد المتوقع بحيث تتطابق مع المنفعة التي يجنيها بالفعل وهذه المنفعة تضم الجانبين المادي والمعنوي معا ، وتفترض نظرية عدالة العائد في تفسيرها للرضا الوظيفي أن الفرد يحاول الحصول على العائد أثناء قيامه بعمل ما ، ويتوقف رضاه على مدى اتفاق العائد الذي يحصل عليه من عمله مع ما يعتقد أنه يستحقه (خليل وشرير ، ٢٠٠٨ : ٦٨٦) . في حين عرفه "حامد بدر" بأنه عبارة عن شعور الفرد بمدى إشباع الحاجات التي يرغب أن يشبعها من وظيفته خلال قيامه لأداء وظيفة معينة ، وتتوقف درجة الرضا على مقدار الحاجات التي يرغب الفرد أن يشبعها وذلك خلال عمله في وظيفة معينة ، وما تحققه هذه الوظيفة من حاجاته بالفعل " (الوناس ، ٢٠١١ : ٤) . وتنبع أهمية الرضا الوظيفي كونه يتناول جانب الشعور الإنساني للموظف ، والذي هو عصب الإدارة حيث يقضي جزءا كبيرا من حياته في العمل ، وان الرضا الوظيفي للعاملين يبنى على اتجاهات العمل ، ولكنه اعم منها من حيث أن الرضا الوظيفي يرتبط بكيفية ملائمة الوظيفة في الصورة الكلية لأداء الفرد بشكل أجمالي . ويأتي ذلك من خلال إشباع عوامل عدة منها عوامل خارجية كبيئة العمل ، وعوامل داخلية كالعمل نفسه الذي يقوم به الفرد ، وتلك العوامل من شأنها أن تجعل الفرد راضيا عن عمله وراغبا به ومنتاسبا مع ما يريد . أن الأسباب الحقيقية وراء أهمية رضا العاملين تعود إلى أن الإنتاجية تتأثر بوجوده العلاقة بين الأفراد والوظيفة التي يؤدونها في المنظمة ، وكما يمثل الرضا الوظيفي استجابة مهمة وحيوية لطبيعة تلك العلاقات الإنسانية الايجابية والفاعلة في إطار العمل التنظيمي ، والذي يتضح في المحصلة الإجمالية كنشاط إجمالي خاص لها والذي يؤدي في نهاية المطاف إلى تحقيق الأهداف

المنظمية، وتسريع السياسات الخاصة بنموها وتطورها الإداري والتنظيمي والمجتمعي (الموسوي، ٢٠٠٨: ١١).

#### ب: نظريات الرضا الوظيفي

كثيرة هي النظريات التي حاولت تفسير الرضا عن العمل وعوامله ومسبباته منها التالي (خوام، ٢٠٠١: ١٥ - ١٦):

١. نظرية الإدارة العلمية: حيث وضعت على يد روادها تايلور وفايول واهتمت بالحوافز المادية باعتبارها الحافز الوحيد المحقق للرضا عن العمل، فحاولت هذه النظرية توفير كافة السبل المادية التي ترفع من كفاية العامل، لتجعله يؤدي عمله بإتقان وبسرعة قصوى، ورغم ذلك لم تستطع الإدارة أن تصل للرضا المطلوب، ويؤخذ على هذه النظرية إهمالها للجوانب الإنسانية، فهي فقط للدوافع المادية.

٢. نظرية العاملين: هذه النظرية قام بوضعها هرزبرج وهي ترتبط بالاساس بتطبيق نظرية ماسلو للحاجات في مواقع العمل، حيث يحدد "هرزبرج" أن هناك مجموعتان من العوامل:

- عوامل مرتبطة بالوظيفة أو العمل نفسه: وهي بمثابة دوافع تؤدي إلى رضا العاملين عن أعمالهم، وقد قام بحصرها في إحساس الفرد بالإنجاز، وتحمل المسؤولية، توفر فرص الترقية للوظائف الأعلى والمشاركة في اتخاذ القرارات المتعلقة بالعمل.
- عوامل محيطة بالوظيفة أو العمل: وهي عبارة عن دوافع تؤدي إلى عدم رضا العمال عن أعمالهم، وحصرها في الظروف التي تحيط بالعمل كالرئاسة أو الإدارة أو الإشراف أو نمط القيادة، وطبيعة العلاقات بين الموظف وزملائه، وبينه وبين رؤسائه، وظروف البيئة المحيطة بالعمل.

٣. نظرية عدالة العائد: يرى فروم أن عملية الرضا تحدث نتيجة للمقارنة التي يجريها الموظف بين ما توقعه من عوائد السلوك الذي يتبعه، وبين المنفعة الشخصية التي يحققها بالفعل، وبعد هذه المقارنة يقوم الموظف بالمفاضلة بين عدة بدائل مختلفة لاختبار نشاط معين يحقق العائد المتوقع بحيث تتطابق مع المنفعة التي يجنيها بالفعل، وهذه المنفعة تضم الجانبين المادي والمعنوي معاً، وتفترض هذه النظرية في تفسيرها للرضا الوظيفي أن الفرد يحاول الحصول على العائد أثناء قيامه بعمل ما، على مدى اتفاق العائد الذي يحصل عليه من عمله مع ما يعتقد أنه يستحقه.

#### ج: ابعاد الرضا الوظيفي

قد تباينت آراء الباحثين في تحديد أبعاد الرضا الوظيفي تبعاً لطبيعة الدراسات واختلاف الأهداف والأدوات، وسوف يتم إيجاز أهم أبعاد الرضا الوظيفي بالآتي (الحياي، ٢٠٠٥: ٣٦-٣٧):

١. الرضا بسياسات الوظيفة: مثل سياسات الأجور، الترقية، التأمين.. الخ. في هذا الجانب يمكن الإشارة الى ان ارتباط أي فرد في أية منظمة، هو تابع عموماً لإشباع حاجاته الأساسية، وان هذه الحاجات المتمثلة بالمأكل والملبس وما شابه يتم إشباعها بالوسائل المادية فقط. وعليه فان وضع السياسات الوظيفية الملائمة والهادفة لإشباع تلك الحاجات لدى المنظمة مثل الراتب، العلاوات، الترقية سوف تساهم بصورة او بأخرى في زيادة رضا الفرد عن وظيفته.
٢. الرضا بالعلاقات الوظيفية: (العلاقات بالآخرين في محيط العمل)، فالإنسان اجتماعي بطبعه، ويسعى للتفاعل مع الآخرين في محيط تواجهه اينما كان. عليه فنوعية العلاقات التي يكونها الفرد داخل التنظيم سواء المرتبطة بالتنظيم الرسمي او التنظيم غير الرسمي لها أثر كبير في تعزيز شعور الفرد بالرضا أو من عدمه فكلما كانت علاقات الفرد بمحيط عمله إيجابية وفعاله وتتسم بالاستقرار النسبي زاد شعور الفرد بالرضا عن وظيفته المرتبط بهذا البعد. وعلى العكس من ذلك فوجود مظاهر الخلافات وعدم الانسجام بين الفرد والآخرين في بيئة العمل ستولد الإحباط لدى الفرد وانخفاض مستوى رضاه.
٣. الرضا بالوظيفة ذاتها (الإنجاز): فالوظيفة بما تحويه من مهام وواجبات ومحتويات الوظيفة وقنوات اتصال.. الخ وما تتيحه للفرد من كسب احترام الآخرين وتحقيق الذات تعد بعداً أساسياً من الأبعاد التي يأخذها الرضا الوظيفي.
٤. الرضا بظروف العمل المادية: هذا البعد يتعلق بظروف وبيئة العمل داخل المنظمة التي يعمل بها الفرد، مثال ذلك الضوء والتهوية والرطوبة والأترية ونظام فترات العمل والراحة. وهذه الظروف يمكن للإدارة التحكم في معظمها او تغييرها.
٥. الرضا بنمط الأشراف والإدارة: هناك علاقة بين نمط الأشراف ورضا العاملين عن أعمالهم، فالرئيس الذي يتبع الأسلوب البيروقراطي في قيادة مرؤوسيه لا يكسب ولاءهم، ويؤدي الى مشاعر الاستياء تجاهه اما القائد او الرئيس الذي يعتمد الأسلوب الديمقراطي في القيادة اذ يجعل المرؤوسين موضع اهتمامه في القرارات التي يتخذها ويؤدي الى تطوير الدعم والولاء، بينهم للعمل والمنظمة وهذا له تأثيره الإيجابي على رضائهم عن العمل.
٦. الرضا من عدالة العائد: لقد أوضح آدمز في نظرية عدالة القائد بأن الفرد غالباً ما يقارن معدل عوائده المستلمة قياساً بمدخلاته (مهارته، قابلياته، خبراته، مستوى تعليمه وغيرها) مع معدل عوائد الأفراد العاملين معه قياساً بمدخلاتهم. فاذا زاد معدل ما يستلمه سوف يشعر بالذنب وإذا نقص معدل ما يستلمه عن معدل ما يستلمه سوف يشعر بعدم العدالة مما ينتج عن كلتا الحالتين عدم الرضاء، وتجدر الإشارة هنا إلى أن مشاعر التوتر الناتجة عن الشعور بالذنب من الممكن بسهولة التغلب عليها وتطويعها وتفسير الموقف المسبب لها، اما مشاعر التوتر الناتجة عن الغبن وعدم العدالة فهي أصعب على الفرد وتولد لديه مشاعر سلبية وسلوكيات سلبية أيضاً.

د: آثار الرضا الوظيفي

من المسلمات والبديهيات في أذهان الكثيرين أن العمال السعداء أكثر إنتاجاً في أعمالهم وأقل غياباً ودوراناً في أعمالهم، لذا سعت مختلف التنظيمات في سبيل تحقيق هذه الغاية، فحاولت تحسين المعنويات بالمنح أو القر وض، بالرحلات والخدمات الإجتماعية، بالشهادات والأوسمة ومحاوله التأهيل والتدريب في بعض التنظيمات... الخ، غير أن هذا التفكير في الحقيقة لم يبنى على أسس علمية وحقائق تم التوصل إليها بالبحث العلمي لأن حقائق هذا الأخير بينت أن العلاقة بين هذه المتغيرات هي علاقة غير مباشرة ومعقدة تفوق بكثير عما تم الإفتراض حولها لإرتباطها بمتغيرات أخرى تؤثر في درجة وطبيعة هذه العلاقات، الأمر الذي يتطلب تعمقاً في البحث والدراسة لأخذ صورة أو نظرة توسعية لهذه العلاقات بين كل من الرضا الوظيفي والتغيب والأداء والدوران في العمل (الوناس، ٢٠١١: ١٥ - ١٦):

١. علاقة الرضا الوظيفي بالغياب عن العمل: توجد علاقة سلبية بين هذين المتغيرين، فبالرغم من منطقية الرأي القائل بأن العامل الغير راض عن عمله أكثر احتمالاً في الغياب عن العمل، غير أن الدراسات أثبتت أن العلاقة بين المتغيرين ليست بهذا الحجم إذا بلغت ٤٠٪، الأمر الذي يبين إمكانية تدخل متغيرات أخرى عكست اتجاهات كما هو الحال في التنظيمات التي تسمح سياساتها للعامل بالتغيب عن عمله بسبب المرض أو التمارض مع الحفاظ على أجره بالكامل وهو ما قد يعزز إستجابة العامل الراضي عن عمله بالتغيب وإستغلال البعض من وقته في تأدية أعمال أخرى خارجة عن نطاق المنظمة لجلب منفعة أكبر.
٢. علاقة الرضا الوظيفي بدوران العمل: توجد كذلك علاقة سلبية بين هذين المتغيرين غير أنها أقوى من سابقتها وتؤثر فيها كذلك متغيرات معدلة كالظروف الإقتصادية مثلاً، وفرص العمل في السوق، ففي حالة ما يكون الإقتصاد متدهوراً وظروف المعيشة صعبة وكثرة البطالة، حينها لا يكون هناك خيار للعامل غير الراضي عن عمله سوى الصبر والإستمرار في العمل إضافة لما لمتغير الأقدمية من تأثير على إعتبار أن العامل الأكثر أقدمية قد ينال ميزات أفضل من الجديد وهو ما قد يحتم عليه البقاء في عمله، وكذا مستوى الأداء الذي قد يحول دون ترك العامل لعمله لحرص المنظمة على إغرائه بالميزات والترقيات لما يتمتع به من مهارات وقدرات ومؤهلات في العمل، زيادة على متغيرات أخرى قد تكون لها أثر مثل سبقتها نحو الجنس، الحالة الأمنية... الخ.
٣. علاقة الرضا عن العمل بالأداء: يمكن أن تكون هذه العلاقة أقوى بين المتغيرين للعاملين في المستويات العليا في التنظيمات، لأن معظم الدراسات تشير إلى ضعف هذه العلاقة في المستويات الدنيا ولا تتجاوز في أحسنها ١٤٪ على حد قول.

### هـ: العوامل المؤثرة في الرضا الوظيفي

أن العوامل المؤثرة في الرضا الوظيفي تمثلت بستة عوامل رئيسة هي (وناس، ٢٠٠٨):  
١١٦ - ١١٧):

١. محتوى العمل: يفضل الأغلبية العمل الذي يتيح الفرصة لاستخدام المهارات والقدرات العقلية وما يتبعه من نشاطات أخرى، مثل الحرية في التفكير، أو في الإبداع، والعمل في أجواء مختلفة، وكذلك القيام بالتقييم الوظيفي من فترة لأخرى كل هذه السمات تخلق نوعا من الارتباط بين العمل والعقل، ويؤدي ذلك النوع من العمل إلى التجديد والابتكار، وزيادة التحدي داخل العمل.
٢. العائد المجزي: حينما تعادل المرتبات والمكافآت متطلبات العمل، ومستوى المهارات الفردية، وتماشى أيضا مع أسعار السوق، حينئذ يتحقق الرضا الوظيفي. إن الذي يربط بين العائد المادي والرضا الوظيفي، هو الإحساس بالعدالة، العدالة في التوزيع، والعدالة في التقدير، وفي فرص الترقى التي تتيح التطور الشخصي وأيضاً التقدم في المستوى الاجتماعي.
٣. البيئة المحيطة: من العوامل التي تساعد على الرضا الوظيفي، أن تكون أجواء العمل مريحة ومساعدة على القيام بالعمل المطلوب على أتم وجه، كتوفر الإمكانيات والأدوات التي تساعد على الإنجاز.
٤. زملاء العمل: لا يسد العمل احتياجاتنا المادية فقط، وإنما يمتد أيضا إلى إشباع احتياجاتنا الاجتماعية، ومما لا شك منه أن زملاء العمل يضيفون إضافة ليست بالهينة إلى شعورنا بالرضا الوظيفي، فكلما كان هناك تعاون وتفاهم بين الجميع، زادت الإنتاجية وزاد الارتباط النفسي بالعمل. وقد أوضحت الأبحاث أيضا أنه كلما كان رئيس العمل المباشر يمتاز بالتفاهم والود وحس الأداء يزداد إحساس المرؤوسين بالرضا الوظيفي، وما يتبعه من نتائج مذهلة.
٥. ملائمة نوع العمل للشخصية: تختلف الشخصيات وتباين، ومع تباينها تتنوع القدرات، فكل شخص سماته وقدراته التي تختلف باختلاف شخصيته، لذا فإن ما يلائم شخصا ما قد لا يلائم شخصا آخر. وينطبق هذا أيضا على الوظيفة، فهناك وظائف تحتاج إلى شخص صبور وأخرى تحتاج إلى شخص مقدم، وثالثة تحتاج إلى من يملك عضلات قوية. لذا فإن أساسيات الشعور بالرضا الوظيفي هو معرفة سماتنا بحق، وما يلي ذلك من معرفة طبيعة العمل التي تناسبنا أكثر وإلا وجدنا أنفسنا كمثل من يحاول أن يعبر النهر ساجحا دون أن تكون له القدرة على فعل ذلك فيرهق نفسه ويأس من تكرار المحاولة. في حين أنه لو أدرك إمكانياته وقدراته، لا استطاع أن يقدم بشي آخر يصل به في النهاية إلى رضا.
٦. الإحساس بالرضا ينبع من الداخل: إن نظرة الشخص إلى ذاته أو إلى المحيطين به، تشمل أيضا نظرتة إلى طبيعة عمله، وإلى مدى إشباع ذلك لاحتياجاته ولرغباته، فإذا كانت النظرة إيجابية، والإحساس بالرضا العام هو قانونه في الحياة، فحينئذ سيكون من السهل عليه التأقلم مع كافة

الأوضاع ، ولقد وجد أن من يتمتعون بسمة الرضا العام ، هم أكثر الناس تأقلمًا مع مختلف الأحداث كممثل تغيير نوع العمل ، أو اختلاف العائد المادي أو المعنوي من وقت لآخر. وأثبتت الأبحاث أن أسوأ أنواع الموظفين هم ذو النظرة السلبية ، في القدرة على النجاح ، ولا يشعرون بأي قدر ولو ضئيل من الرضا عن أي شيء.

#### ب: دراسات سابقة:

خصصت هذه الفقرة لغرض عرض عدد من الجهود الفكرية السابقة التي تمكن الباحثان من مراجعتها ومناقشتها لغرض بناء البداية الصحيحة لهذا البحث ، وكما يأتي :

دراسة (غنيم، ٢٠٠٦)

**العلاقة بين الرضا الوظيفي و الولاء التنظيمي عند أعضاء هيئة التدريس في جامعة النجاح الوطنية**  
هدفت هذه الدراسة التعرف إلى العلاقة بين الرضا الوظيفي و الولاء التنظيمي عند أعضاء هيئة التدريس في جامعة النجاح الوطنية واثرا الجنس والمؤهل العلمي والرتبة الأكاديمية والكلية وسنوات الخبرة والعمر على العلاقة بين الرضا الوظيفي والولاء التنظيمي عند أعضاء هيئة التدريس في جامعة النجاح الوطنية. وقد تحدد مجتمع الدراسة في أعضاء هيئة التدريس في جامعة النجاح الوطنية ، وتم اختيار عينة منهم بلغ حجمها (144) من أعضاء هيئة التدريس. ولإتمام الدراسة أعدت استبانته مكونة من ثلاثة أقسام: القسم الأول: معلومات شخصية عن أعضاء هيئة تدريس ، والقسم الثاني: مقياس الولاء التنظيمي المكون من (18) فقرة ، أما القسم الثالث: فمقياس الرضا الوظيفي المكون من (53) فقرة موزعة على ستة محاور. وأشارت نتائج الدراسة إلى أن مستوى الرضا الوظيفي و الولاء التنظيمي عند أعضاء هيئة التدريس في جامعة النجاح الوطنية مرتفع ، وكذلك وجدت فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الولاء التنظيمي تعزى إلى الجنس والرتبة الأكاديمية والكلية ووجدت فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الرضا الوظيفي تعزى إلى الرتبة الأكاديمية والكلية ، كما أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق في الرضا الوظيفي تعزى لمتغير الجنس ، وكذلك عدم وجود فروق في مستوى الرضا الوظيفي و الولاء التنظيمي تعزى إلى متغيرات الجامعة والخبرة والعمر ومعدل الدخل.

دراسة (جودة، ٢٠٠٧)

#### الذكاء الانفعالي وعلاقته بالسعادة والثقة بالنفس لدى طلبة جامعة الأقصى

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين الذكاء الشعوري وكل من السعادة والثقة بالنفس ، ومعرفة الفروق بين متوسطات افراد العينة في الذكاء والسعادة والثقة بالنفس ، وقد اعتمدت الباحثة على الاستبانة كاداة لجمع بيانات الدراسة ، وقد بلغت حجم العينة المبحوثة (٢٣١) طالب وطالبة من طلبة جامعة الاقصى. ومن ابرز النتائج التي توصلت اليها الدراسة هي ان مستويات الذكاء الشعوري والسعادة والثقة بالنفس هي على التوالي ٧٠.٦٧٪ ، و ٦٣.١٦٪ ،

و٦٢.٣٤٪. كما توصلت الدراسة الى وجود علاقة ارتباط موجبة بين الذكاء الشعوري وكل من السعادة والثقة بالنفس، كذلك توصلت الى عدم وجود فروق بين متوسطات درجات افراد العينة المبحوثة عن الدرجة الكلية للذكاء الشعوري والسعادة والثقة بالنفس تعزى لمتغير النوع.

دراسة (حجاج، ٢٠٠٧)

#### الرضا الوظيفي لدى موظفي وزارة الحكم المحلي الفلسطينية

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مستوى الرضا الوظيفي لدى العاملين في وزارة الحكم المحلي الفلسطينية في ضوء المتغيرات الآتية: (الراتب، الإمكانيات والأدوات، العلاقة بين الرؤساء والمرؤسين، المزايا التي تقدمها الوزارة)، كما وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى الفروق في مستوى الرضا الوظيفي وفق المتغيرات الآتية (العمر، الجنس، المؤهل العلمي، الحالة الاجتماعية، مدة الخبرة)، وتتكون عينة الدراسة من جميع الموظفين في وزارة الحكم المحلي في قطاع غزة والبالغ عددهم 120 موظفًا وموظفة. حيث تم استخدام اسلوب الحصر الشامل لهذه الدراسة. واستخدمت الاستبانة لجمع البيانات الخاصة بالرضا الوظيفي. وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: " أن متوسط إجمالي الرضا الوظيفي لدى موظفي وزارة الحكم المحلي الفلسطينية في هذه الدراسة 34.5% لكل عنصر من العناصر الأربعة التي تتكون منها الاستبانة. ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الرضا الوظيفي تعزى لمتغير الجنس، سنوات الخبرة، الحالة الاجتماعية، المؤهل العلمي، العمر. وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية علي مستوى الرضا الوظيفي تعزى لمتغير الخبرة".

دراسة (المصدر، ٢٠٠٨)

#### الذكاء الانفعالي وعلاقته ببعض المتغيرات الانفعالية لدى طلبة الجامعة

استهدف هذا البحث دراسة العلاقة بين الذكاء الشعوري ومجموعة من المتغيرات الانفعالية تمثلت في وجهة الضبط وتقدير الذات والحنجل، وأشارت مشكلة البحث في التساؤل الرئيس التالي: ما علاقة الذكاء الشعوري ببعض المتغيرات الانفعالية التالية: وجهة الضبط وتقدير الذات والحنجل؟، وتضمن البحث سبعة فرضيات اساسية. وبلغ حجم عينة البحث (٢١٩) طالبًا وطالبة من طلاب المستوى الثالث بكلية التربية بجامعة الأزهر بغزة، وقد تم استخدام مجموعة من المقاييس للحصول على البيانات من أفراد العينة. كما تم استخدام مجموعة من الاساليب الاحصائية في تحليل بيانات البحث هما: " النسبة المئوية للتكرار، وتحليل T.test، والانحدار المتعدد". وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في الذكاء الشعوري لصالح الذكور. ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مرتفعي ومنخفضي الذكاء الشعوري في تقدير الذات لصالح ذوي الذكاء الشعوري المرتفع. وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مرتفعي ومنخفضي الذكاء الشعوري في وجهة الضبط والحنجل. ووجود تأثير دال إحصائيا للذكاء الشعوري على كل من وجهة الضبط وتقدير الذات والحنجل.

دراسة (خليل وشيرين، ٢٠٠٨)

### الرضا الوظيفي وعلاقته ببعض المتغيرات الديموغرافية لدى المعلمين

هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الرضا الوظيفي وبعض المتغيرات (الديموغرافية) لدى المعلمين (الجنس، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، المرحلة الدراسية)، وقد تكونت عينة الدراسة من (360) معلماً ومعلمة، وقد تم أخذها بطريقة عشوائية عنقودية من (18) مدرسة بنون وبنات. وقد أعد الباحثان استبانة لقياس الرضا الوظيفي خاصة بالدراسة، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن وجود فروق دالة إحصائية في الرضا الوظيفي ككل لصالح الإناث وحملة الدبلوم المتوسط والمرحلة الأساسية الدنيا، بينما لم توجد فروق في الرضا عن المادة، وبالنسبة لتحقيق المهنة للذات فكانت الفروق لصالح الإناث، حملة الدبلوم المتوسط والمرحلة الأساسية الدنيا، وبالنسبة لطبيعة العمل وظروفه، والعلاقة بالمسؤولين كانت الفروق لصالح الإناث، حملة الدبلوم المتوسط والمرحلة الأساسية الدنيا، أما سنوات الخبرة فلا يوجد لها أي أثر على الرضا الوظيفي.

دراسة (اللوزي، ٢٠١٢)

### مستويات الذكاء العاطفي لمديري المدارس الثانوية واثرها على الولاء التنظيمي للمعلمين في

#### محافظة العاصمة عمان

الهدف من هذه الدراسة هو التعرف على مستويات الذكاء الشعوري لمدير المدارس الثانوية واثره في الولاء التنظيمي للمعلمين في محافظة العاصمة عمان. وقد تضمنت الدراسة عدة تساؤلات ابرزها: " ما مستولا الذكاء العاطفي لمدير المدارس الثانوية". وقد تم اختيار عينة عنقودية وطبقية عشوائية من مديري المدارس الثانوية وعددهم (٤٠)، ومعلميهم وعددهم (٢٨٠). وقد اعتمدت الاستبانة كاداة رئيسة لجمع بيانات البحث. ومن ابرز النتائج التي توصل اليها البحث هو ان مستوى الذكاء الشعوري لمديري المدارس الثانوية جاء بدرجة متوسطة، و ان مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين جاء ايضاً بدرجة متوسطة. وعليه اوصى الباحث على ضرورة اخضاع من يعين مديراً الى اختبار الذكاء الشعوري لمعرفة مستوى هذا الذكاء لديه و تعيين ذوي المستويات العاليا. تم الاستفادة من الدراسات السابقة في تعزيز قناعة الباحثان باهمية بحثهم فضلاً عن دورها في مساعدة الباحثان في بناء البداية الصحيحة لهذا البحث، وتعزيز جانبه النظري، والتعرف على اهم الابعاد التي من الممكن اعتمادها في دراسة كل من الذكاء الشعوري والرضا الوظيفي.

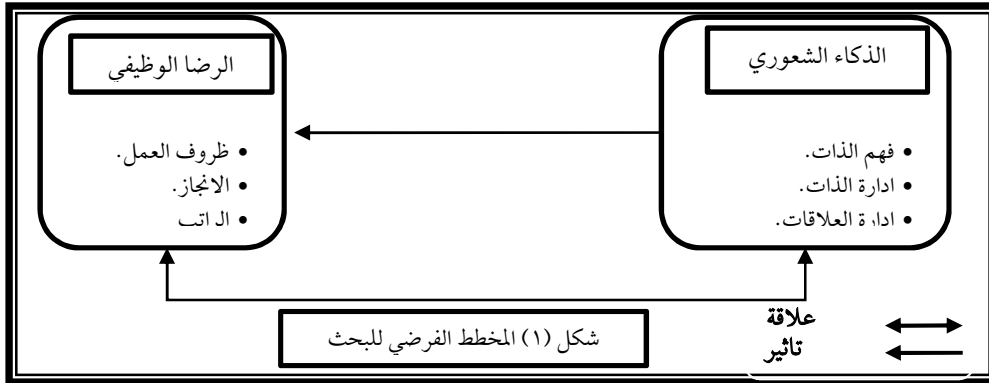
### البحث الثالث منهجية البحث واجراءاته:

#### منهجية البحث:

تم في هذه الفقرة التعرف على المشكلة الرئيسة للبحث، واهميته واهم الاهداف التي يسعى الي تحقيقها، والفرضية الرئيسة التي انطلق منها، واهم الادوات المستخدمة في جمع البيانات وتحليلها، فضلاً عن عرض اهم خصائص العينة المبحوثة وكما يأتي:

### فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية رئيسة تنص على: " توجد علاقة ارتباط وتأثير ذات دلالة معنوية بين الذكاء الشعوري للعاملين ومستوى رضاهم الوظيفي في المنظمة المبحوثة "



### المخطط الفرضي للبحث

يبين المخطط الفرضي توضيحاً للفكرة الأساسية للبحث، فضلاً عن توضيح علاقات الارتباط والتأثير بين المتغير المستقل "الذكاء الشعوري"، والمتغير التابع "الرضا الوظيفي"، والنتيجة المتوقعة من ذلك هي تعزيز المتغير التابع، وكما يوضحه الشكل (1):

### اداة جمع بيانات البحث

تم الحصول على بيانات البحث من خلال تصميم استبانة مكونة من محورين: المحور الاول يتضمن بعض الفقرات ذات العلاقة المباشرة بالذكاء الشعوري اما المحور الثاني فيتكون من الفقرات المتعلقة بالرضا الوظيفي، وقد اعتمد الباحثان على عدد من المقاييس الجاهزة والتي سبق وان خضعت لاختبارات الصدق والثبات من قبل في اعداد الاستبانة، وباستخدام مدرج ليكرت الخماسي، ويوضح الجدول الاتي المتغيرات والمقاييس المعتمدة في اعداد هذه الاستبانة:

الجدول (1) يوضح متغيرات الاستبانة والمقاييس المعتمدة في اعدادها

المتغيرات الرئيسية	نوع المتغير	الابعاد الفرعية	عدد الفقرات	المقاييس
الذكاء الشعوري	متغير مستقل (تفسيري)	فهم الذات	١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥	نموذج (Goleman, 1998) المشار اليه من قبل الزبيدي، ٢٠١٠
		ادارة الذات	٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠	
		ادارة	١١ - ١٢ - ١٣	

	العلاقات	١٥ - ١٤		
النموذج المعتمد في دراسة الحالي، ٢٠٠٥	ظروف العمل	١٨ - ١٧ - ١٦	متغير تابع (استجابي)	الرضا الوظيفي
	الانجاز	٢١ - ٢٠ - ١٩		
	الراتب	٢٥ - ٢٤ - ٢٣ - ٢٢		

الوسائل الإحصائية المستخدمة في تحليل البيانات: استخدام البرنامج الإحصائي الجاهز (SPSS) في إدخال وتحليل بيانات البحث، ومن أهم الأدوات الإحصائية التي تم استخدامها في الجانب التطبيقي الآتي:

١. الوسط الحسابي: ويستخدم لتحديد مستوى الإجابة حول الفقرات ومعرفة مستوى المتغيرات أو متوسط تلك المجموعة.
٢. الانحراف المعياري: يستخدم لمعرفة مستوى تشتت النسبي لإجابات العينة حول الوسط الحسابي، وهو الجذر التربيعي الموجب للتباين.
٣. معامل الاختلاف: ويستخرج من خلال قسمة الانحراف المعياري على قيمة الوسط الحسابي لتحديد أهمية متغيرات البحث.
٤. معامل الارتباط لسبيرمان: لتحديد نوع العلاقة بين متغيرات البحث التفسيرية والاستجابية.
٥. معامل الانحدار الخطي البسيط: لقياس تأثير المتغير المستقل في المتغير التابع.

#### مجتمع وعينة البحث

تم اختيار القطاع التعليمي كمجتمع البحث، لانه يتعامل مع اكفاء الموارد البشرية، واختير جهاز الاشراف والتقويم العلمي في ديوان وزارة التعليم العالي والبحث العلمي كميدان للتطبيق، اذ تالفت عينة البحث من عدد من الموظفين العاملين في الجهاز والبالغ عددهم (٣٠) فرداً، تم اختيارهم بطريقة العينة العشوائية البسيطة ويمكن من خلال الجدول (٢) توضيح ابرز خصائص العينة المبحوثة:

جدول (٢) يوضح خصائص العينة المبحوثة

سنوات الخدمة		العمر		الشهادة		الجنس	
٨	اقل من ٥ سنوات	١	اقل من ٢٥ سنة	٤	دكتوراه	٧	ذكور
١٣	من ٦ الى ١٠ سنوات	١٦	من ٢٦ الى ٤٠ سنة	٥	ماجستير	٢٣	إناث
٦	من ١١ الى ٢٠	١٣	اكثر من ٤٠ سنة	٢١	بكالوريوس		

	سنة					
٣	اكثر من ٢٠ سنة					

ويمكن توضيح ابرز خصائص العينة المبحوثة بالاتي :

١. ان نسبة الاناث اعلى من نسبة الذكور اذ شكلت (٧٦.٧٪) من العينة المبحوثة.
  ٢. ان معظم افراد العينة المبحوثة هم من حملة الشهادة الجامعية، وكان حملة البكالوريوس ذات النسبة الاكبر اذ بلغت (٧٠٪) من العينة المبحوثة.
  ٣. ان النسبة الاكبر من العينة المبحوثة يتراوح عمرها بين ٢٦ سنة الى ٤٠ سنة اذ شكلت (٥٣.٣٪) من العينة المبحوثة.
  ٤. ويتبين من الجدول (٢) ان النسبة الاكبر من العينة المبحوثة لديها خدمة اكثر من ٥ سنوات وبالتالي فان هذا من الممكن ان ينعكس في زيادة قناعة افراد العينة المبحوثة عن الاجابات على فقرات الاستبانة وبالتالي مساعدة الباحثان في تحقيق الاهداف المرجوة من بحثهم.
- سيتم في هذا المبحث تشخيص واقع واهمية المتغيرات المبحوثة في ضوء اجابات افراد العينة المبحوثة، فضلا عن تحليل علاقات الارتباط والتاثير فيما بينها، بالشكل الذي يساعدنا على اختبار الفرضية الرئيسة التي انطلق منها البحث وكما في الفقرات الاتية:

#### اولا: تشخيص اهمية وواقع متغير الذكاء الشعوري

تم قياس متغير الذكاء الشعوري من خلال ثلاثة أبعاد هي: "فهم الذات، ادارة الذات، ادارة العلاقات"، وفيما يأتي تشخيص واقع هذه الابعاد في المنظمة عينة البحث:

جدول (٣) يبين تشخيص واقع واهمية متغير الذكاء الشعوري وابعاده

الانحراف المعياري	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	النسبة المئوية للاتفاق	الفقرات
فهم الذات				
0.14	0.62	٤.٦	٪٩٥.٤	امتلك فهم جيد لمشاعري واسيطر عليها بكل المواقف.
0.17	0.77	4.43	٪٨٣.٣	اعبر عن مشاعري للآخرين بشكل ودي وان كانوا غير متفهمين معي.
0.19	0.89	4.27	٪٨٣.٤	اشارك الاخرين مشاعري واحاسيسي اذا دعت الضرورة.
0.26	1	3.8	٪٦٦.٧	مشاعري تتغير من فترة لآخرى حسب المزاج الذي يتناوبني.
0.08	0.38	4.83	٪١٠٠	اسامح الاخرين حتى لو تجاوزوا على مشاعري وجرحوا احاسيسي.

0.11	0.47	4.39	٪٨٥.٧٦	اجمالي بعد فهم الذات
ادارة الذات				
0.22	0.94	4.23	٪٨٥.٤	لا تهمني مشاعر الاخرين عند مناقشة مشاكلهم الخاصة.
0.21	0.86	4.13	٪٧٦.٧	اتفهم وجهات النظر المختلفة حتى اذا لم تتطابق مع تصوراتي الخاصة.
0.16	0.61	3.97	٪٧٩.٩	لا داعي الأخذ دائماً بما يشعر به الاخرين ، فتكاد هي معروفة لي بحكم التعامل اليومي معهم.
0.11	0.50	4.6	٪١٠٠	لدي خبرة بما يجرح مشاعر الاخرين الذين يعملون معي.
0.15	0.68	4.5	٪٩٦.٧	تعينني العدالة والانصاف عندما احكم على اخطاء الاخرين وتجاوزاتهم.
0.09	0.38	4.29	٪٨٧.٧٤	اجمالي بعد ادارة الذات
ادارة العلاقات				
0.17	0.78	4.5	٪٩٠	اساعد الاخرين واهتم باحباطهم في حالة حاجتهم لي
0.15	0.67	4.37	٪٩٠	اذا تعلق الامر بالاخرين ، فإننا انظر لنفسي بعيدا عن ما ينظرون هم للاشياء بشكل ذاتي يختلف عن نظرة الاخرين لها.
0.24	0.95	4	٪٦٣.٣	لا يهمني اذا ان اصغي لكل ما يقوله الاخرين عند مواجهتهم لي.
0.15	0.68	4.57	٪٩٠	اسعى قدر الامكان ان اخفف من انفعالات الاخرين وغضبهم في المواقف الصعبة.
0.15	0.68	4.5	٪٩٠	اتكهن باستجابات الاخرين الايجابية او السلبية في جميع الظروف.
0.11	0.50	4.39	٪٨٤.٦٦	اجمالي بعد ادارة العلاقات
0.08	0.33	4.35	٪٨٦	اجمالي متغير الذكاء الشعوري

١. فهم الذات: نلاحظ من خلال الجدول (٣) ان بعد فهم الذات تم قياسه من خلال (٥) فقرات ، وبالرجوع إلى الجدول نفسه يتبين أن النسبة المئوية للاتفاق حول هذا البعد قد بلغت (٨٥.٧٦٪) وهي اعلى من النسبة المئوية المعيارية للاتفاق البالغة (٦٦.٧٪)، وهذا مؤشر جيد

جدا ويشير وبدلاله واضحة الى قدرة معظم افراد العينة المبحوثة على فهم مشاعر الاخرين الذي يتعامل معهم، وما يؤكد هذه النتائج هي قيمة الوسط الحسابي لهذا البعد التي بلغت (٤.٣٩)، وهي اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي البالغة (٣)، كما بلغت قيمة الانحراف المعياري (٠.٤٧) وهي تعكس وجود انسجام عالي بين اجابات افراد العينة البحث، وبلغت قيمة معامل الاختلاف لهذا البعد (٠.١١) على التوالي. كما ان قيمة الوسط الحسابي لجميع فقرات بعد فهم الذات كانت اعلى من قيمة الوسط الحسابي.

٢. ادارة الذات: يتبين من خلال الجدول (٣) ان بعد ادارة الذات تم قياسه من خلال (٥) فقرات، وبالرجوع إلى الجدول نفسه يتبين أن النسبة المئوية للمئوية للاتفاق حول هذا البعد قد بلغت (٨٧.٧٤٪) وهي اعلى من النسبة المئوية المعيارية للاتفاق البالغة (٦٦.٧٪)، وهذه النتيجة تشير وبدلالة واضحة على قدرة معظم افراد العينة المبحوثة على التحكم بمشاعرهم اتجاه الافراد الاخرين الذي يتعامل معهم، وما يؤكد هذه النتائج هي قيمة الوسط الحسابي لهذا البعد التي بلغت (٤.٢٩)، وهي اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي البالغة (٣)، كما بلغت قيمة الانحراف المعياري (٠.٣٨) وهي تؤكد وجود انسجام عالي بين اجابات افراد العينة المبحوثة تجاه بعد ادارة الذات، وبلغت قيمة معامل الاختلاف لهذا البعد (٠.٠٩) على التوالي. وقد جاءت هذه النتائج متفقة مع قيمة الاوساط الحسابية لجميع فقرات بعد ادارة الذات اذ كانت جميعها اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي.

٣. ادارة العلاقات: يتضح من خلال الجدول (٣) ان بعد ادارة العلاقات تم قياسه من خلال (٥) فقرات، وبالرجوع إلى الجدول نفسه يتبين أن النسبة المئوية للاتفاق حول هذا البعد قد بلغت (٨٤.٦٦٪) وهي ايضا اعلى من النسبة المئوية المعيارية للاتفاق، وهذه النتيجة تشير وبدلالة واضحة على اهتمام معظم افراد العينة المبحوثة على ادارة العلاقات مع الافراد الاخرين الذي يتعاملوا معهم، وما يؤكد هذه النتائج هي قيمة الوسط الحسابي لهذا البعد التي بلغت (٤.٣٩)، وهي اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي البالغة (٣)، كما بلغت قيمة الانحراف المعياري (٠.٥) وهي تشير الى وجود انسجام جيد بين اجابات افراد العينة المبحوثة تجاه بعد ادارة العلاقات، وبلغت قيمة معامل الاختلاف لهذا البعد (٠.١١) على التوالي. وان قيمة الاوساط الحسابية لجميع فقرات بعد ادارة العلاقات كانت اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي.

وبالرجوع إلى الجدول نفسه لتحديد النسبة المئوية للاتفاق لاجمالي متغير الذكاء الشعوري، اذ بلغت قيمتها (٨٦٪) وهي اعلى من النسبة المئوية المعيارية للاتفاق البالغة (٦٦.٧٪)، كما بلغت قيمة الوسط الحسابي لاجمالي متغير الذكاء الشعوري (٤.٣٥) وهي اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي البالغة (٣) وانحراف معياري (٠.٣٣) ومعامل اختلاف (٠.٠٨)، وهذه النتيجة جاءت

منسجمة مع النتائج المتعلقة بالابعاد الفرعية لمتغير الذكاء الشعوري، وبالتالي تعكس وجود تاشير للذكاء الشعوري في سلوكيات ومشاعر افراد العينة المبحوثة اتجاه بعضهم البعض.

#### اولا: تشخيص اهمية وواقع متغير الرضا الوظيفي

تم قياس متغير الرضا الوظيفي من خلال ثلاثة أبعاد هي: " ظروف العمل ، الانجاز ، الراتب " ، وفيما يأتي تشخيص واقع هذه الابعاد في المنظمة عينة البحث :

جدول (٤) يبين تشخيص واقع واهمية متغير الرضا الوظيفي وابعاده

الانحراف المعياري	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	النسبة المئوية للاتفاق	الفقرات
ظروف العمل				
0.24	0.99	4.17	٪٧٣.٤	تهتم المنظمة بتوفير بيئة مادية (إضاءة، حرارة) ، ملاءمة للعاملين.
0.18	0.79	4.3	٪٦٦.٦	تقدم المنظمة خدمات ترفيهية وفندقية جيدة .
0.19	0.84	4.3	٪٨٠	توفر المنظمة وقت راحة للأفراد العاملين على التقانات.
0.17	0.70	4.26	٪٧٣.٣٣	اجمالي بعد ظروف العمل
الانجاز				
0.30	1.22	4.13	٪٨٠	تقدم لي وظيفتي فرصة للاستقرار الوظيفي.
0.27	1.08	4	٪٨٠.٧	تسهم وظيفتي في تأمين فرص مستقبلية تتلاءم مع ادائي الجيد.
0.22	0.94	4.23	٪٨٣.٣	يحقق العمل الذي أنجزه رضا في الأداء.
0.20	0.80	4.12	٪٨١.٣٣	اجمالي بعد الانجاز
الراتب				
0.15	0.68	4.5	٪٩٠	يتناسب الراتب الذي اتقاضاه مع الجهود التي ابذلها.
0.16	0.73	4.43	٪٨٦.٧	يحقق النظام المعتمد حاليا للرواتب في المنظمة مستوى معيشي مناسب.
0.25	1.05	4.17	٪٧٦.٧	يحدد الراتب الذي اتقاضاه وفق أسس موضوعية وعلمية.
0.19	0.82	4.23	٪٨٣.٣	تحدد المهام الملقاة على عاتقي على أساس

				الراتب الشهري.
0.13	0.56	4.33	٪٨٤	اجمالي بعد الراتب
0.13	0.56	4.24	٪٧٩.٥٥	اجمالي متغير الرضا الوظيفي

١. **ظروف العمل:** نلاحظ من خلال الجدول (٣) ان بعد ظروف العمل تم قياسها من خلال (٣) فقرات، وبالرجوع إلى الجدول نفسه يتبين أن النسبة المئوية للاتفاق حول هذا البعد قد بلغت (٧٣.٣٣٪) وهي اعلى من النسبة المئوية المعيارية للاتفاق البالغة (٦٦.٧٪)، وهذا مؤشر جيد جدا ويعكس تأكيد معظم افراد العينة المبحوثة عن رضاهم اتجاه ظروف العمل التي يعملوا ضمنها، وما يؤكد هذه النتائج هي قيمة الوسط الحسابي لهذا البعد التي بلغت (٤.٢٦)، وهي اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي البالغة (٣)، كما بلغت قيمة الانحراف المعياري (٠.٧٠) وهي تشير الى وجود انسجام مقبول بين اجابات افراد العينة المبحوثة اتجاه هذا البعد، وبلغت قيمة معامل الاختلاف لهذا البعد (٠.١٧) على التوالي. كما ان قيمة الوسط الحسابي لجميع فقرات بعد ظروف العمل اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي.
٢. **الانجاز:** يتبين من خلال الجدول (٣) ان بعد الانجاز تم قياس من خلال (٣) فقرات، وبالرجوع إلى الجدول نفسه يتبين أن النسبة المئوية للاتفاق حول هذا البعد قد بلغت (٨١.٣٣٪) وهي اعلى من النسبة المئوية المعيارية للاتفاق البالغة (٦٦.٧٪)، وهذه النتيجة تشير وبدلالة واضحة على تمتع معظم افراد العينة المبحوثة عن الرضا اتجاه انجازهم في العمل، وما يؤكد هذه النتائج هي قيمة الوسط الحسابي لهذا البعد التي بلغت (٤.١٢)، وهي اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي البالغة (٣)، كما بلغت قيمة الانحراف المعياري (٠.٨٠) وهي تؤكد وجود انسجام مقبول بين اجابات افراد العينة المبحوثة، وبلغت قيمة معامل الاختلاف لهذا البعد (٠.٢٠) على التوالي. وما يؤكد هذه النتائج هي قيمة الوسط الحسابي لفقرات بعد الانجاز اذ كانت جميعها اعلى من قيمة الوسط الفرضي.
٣. **الراتب:** يتضح من خلال الجدول (٣) ان بعد الراتب تم قياسه من خلال (٤) فقرات، وبالرجوع إلى الجدول نفسه يتبين أن النسبة المئوية للاتفاق حول هذا البعد قد بلغت (٨٤٪) وهي ايضا اعلى من النسبة المئوية المعيارية للاتفاق البالغة (٦٦.٧٪)، وهذه النتيجة تشير وبدلالة واضحة وجود رضا عالي لدى افراد العينة المبحوثة اتجاه مقدار الرواتب التي يحصلوا عليها، وما يؤكد هذه النتائج هي قيمة الوسط الحسابي لهذا البعد التي بلغت (٤.٣٣)، وهي اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي البالغة (٣)، كما بلغت قيمة الانحراف المعياري (٠.٥٦) وهذه النتيجة تؤكد وجود انسجام عالي بين اجابات افراد العينة المبحوثة اتجاه فقرات هذا البعد، وبلغت قيمة معامل الاختلاف لهذا البعد (٠.١٣) على التوالي. كما ان قيمة الوسط الحسابي لجميع فقرات بعد الراتب كانت اعلى من قيمة الوسط الفرضي.

وبالرجوع إلى الجدول نفسه لتحديد النسبة المئوية للاتفاق لاجمالي متغير الرضا الوظيفي ، اذ بلغت قيمتها (٧٩.٥٥٪) وهي اعلى من النسبة المئوية المعيارية للاتفاق البالغة (٦٦.٧٪)، كما بلغت قيمة الوسط الحسابي لاجمالي متغير الرضا الوظيفي (٤.٢٤) وهي اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي البالغة (٣) وبانحراف معياري (٠.٥٦) ومعامل اختلاف (٠.١٣)، وهذه النتيجة جاءت منسجمة مع النتائج المتعلقة بالابعاد الفرعية لمتغير الرضا الوظيفي ، وبالتالي تعكس تمتع معظم افراد العينة المبحوثة بالرضا الوظيفي في ظل الوظائف التي يعملوا فيها حالياً.

### ثالثاً: تحليل علاقة الارتباط بين الذكاء الشعوري والرضا الوظيفي

يظهر الجدول (٥) قيم الارتباط لمعامل (Spearman) بين الذكاء الشعوري والرضا الوظيفي ، وكانت نتائج تحليل الارتباط على وفق الاتي :

جدول (٥) قيم الارتباط لمعامل (spearman) بين الذكاء الشعوري والرضا الوظيفي

الاجمالي	ادارة العلاقات	ادارة الذات	فهم الذات	الذكاء الشعوري
				الرضا الوظيفي
❖٠.٤٤٤	❖٠.٣٩٩	❖٠.٣٥١	❖٠.٣٧٣	ظروف العمل
❖٠.٣٢٩	❖٠.٣١٨	❖٠.٣٩٨	❖٠.٢٩٧	الانجاز
❖٠.٤١٢	❖٠.٣٧٨	❖٠.٣٦٣	❖٠.٣٦٥	الراتب
❖❖٠.٤٨٧	❖٠.٤٣٧	❖٠.٤٢٧	❖٠.٤٠٣	الاجمالي

❖❖ الارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى 0.01

❖ الارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى ٠.٠٥

١. تحليل علاقة الارتباط بين بعد فهم الذات والرضا الوظيفي وابعاده: يوضح الجدول (٥) قيم معاملات الارتباط بين بعد فهم الذات وابعاد الرضا الوظيفي ، اذ بلغت قيم الارتباط بينهما (٠.٣٧٣ ، ❖٠.٢٩٧ ، ❖٠.٣٦٥) على التوالي ، وهي جميعها علاقات موجبة وذات دلالة معنوية عند مستوى (٠.٠٥) ، وكانت اقوى العلاقات بين بعد فهم الذات وبعده ظروف العمل ، في حين كانت اضعف العلاقات بين بعد فهم الذات والانجاز. وكما بلغت قيمة علاقة الارتباط بين بعد فهم الذات واجمالي متغير الرضا الوظيفي (❖٠.٤٠٣) وهي ايضا علاقة موجبة وذات دلالة معنوية عند مستوى (٠.٠٥) ، وتؤكد هذه النتيجة اهمية فهم الذات في تعزيز الرضا الوظيفي للعاملين في المنظمة المبحوثة.

٢. تحليل علاقة الارتباط بين بعد ادارة الذات والرضا الوظيفي وابعاده: يتضح من الجدول (٥) ان قيم معاملات الارتباط بين بعد ادارة الذات وابعاد الرضا الوظيفي بلغت (❖٠.٣٥١ ، ❖٠.٣٩٨ ، ❖٠.٣٦٣) على التوالي ، وهي جميعها علاقات موجبة وذات دلالة معنوية عند

مستوى (٠.٠٥)، وكانت اقوى العلاقات بين بعد ادارة الذات وبعد الانجاز، في حين كانت اضعف العلاقات بين بعد ادارة الذات وبعد ظروف العمل، كما بلغت قيمة علاقة الارتباط بين بعد ادارة الذات واجمالي متغير الرضا الوظيفي (٠.٤٢٧) وهي ايضا علاقة موجبة وذات دلالة معنوية عند مستوى (٠.٠٥)، وهذه النتائج تشير وبدلاله واضحة على ان ادارة الذات يؤثر وبدرجة مهمة في تعزيز الرضا الوظيفي لدى العاملين في المنظمة المبحوثة.

٣. تحليل علاقة الارتباط بين بعد ادارة العلاقات والرضا الوظيفي وابعاده: يوضح الجدول (٥) قيم معاملات الارتباط بين بعد ادارة العلاقات وابعاد الرضا الوظيفي، بلغت قيم الارتباط بينهم (٠.٣٩٩، ٠.٣١٨، ٠.٣٧٨) على التوالي، وهي جميعها علاقات موجبة وذات دلالة معنوية عند مستوى (٠.٠٥)، وكانت اقوى العلاقات بين ادارة العلاقات وظروف العمل، في حين اضعف العلاقات كانت بين ادارة العلاقات والانجاز، كما بلغت قيمة علاقة الارتباط بين بعد ادارة العلاقات واجمالي متغير الرضا الوظيفي (٠.٤٣٧) وهي ايضا علاقة موجبة وذات دلالة معنوية عند مستوى (٠.٠٥)، وتؤكد هذه النتيجة اهمية ادارة العلاقات في تعزيز الرضا الوظيفي لدى العينة المبحوثة.

وبالرجوع الى الجدول (٥) نجد ان قيمة معامل الارتباط بين اجمالي متغير الذكاء الشعوري ومتغير الرضا الوظيفي بلغت (٠.٤٨٧) وهي علاقة موجبة وذات دلالة معنوية عند مستوى (٠.١)، وعلى مستوى الابعاد الفرعية لمتغير نظم الذكاء الشعوري فقد حققت (١٦) علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية مع متغير الرضا الوظيفي وابعاده، اي ما يعادل نسبة (١٠٠٪) من اجمالي علاقات الارتباط، وهذه النتائج تؤكد اهمية الذكاء الشعوري في تعزيز الرضا الوظيفي لدى افراد العينة المبحوثة، وعليه فان هذه النتائج تسمح بقبول الفرضية الرئيسة الاولى للبحث التي نصت على: " توجد علاقة ارتباط وتأثير ذات دلالة معنوية بين الذكاء الشعوري للعاملين ومستوى رضاهم الوظيفي في المنظمة المبحوثة."

#### رابعا: تحليل اثر الذكاء الشعوري في الرضا الوظيفي

يوضح الجدول (٦) نتائج تحليل اثر الذكاء الشعوري في الرضا الوظيفي باستعمال نموذج الانحدار البسيط وكما موضح في الجدول ادناه:

جدول (٦) تأثير الذكاء الشعوري في الرضا الوظيفي

مستوى المعنوية		F	R <sup>2</sup>	B	a	الذكاء الشعوري
يوجد تأثير	٠.٠٥	٤.٣٨	٠.٢٨	٠.٣٥	١.٧٨	فهم الذات
يوجد تأثير	٠.٠٥	٥.٥٤	٠.٣٠	٠.٤٩	١.٤١	ادارة الذات

يوجد تأثير	٠.٠٥	٦.٧٢	٠.٤٤	٠.٥١	١.٣٨	ادارة العلاقات
يوجد تأثير	٠.٠١	٩.٦٩	٠.٤٧	٠.٦٨	١.٢٤	الاجمالي
n=32	F الجدولية بمستوى دلالة ٠.٠١ = ٧.٥٦				F الجدولية بمستوى دلالة ٠.٠٥ = 4.17	

١. تحليل تأثير فهم الذات في الرضا الوظيفي: يتضح من الجدول (٦) أن قيمة (f) المحسوبة بلغت (٤.٣٨) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (٤.١٧) بمستوى معنوية (٠.٠٥) وبحدود ثقة (٩٥٪)، وهذا ما يؤكد وجود تأثير "فهم الذات" في المتغير الاستجابي "الرضا الوظيفي". ومن خلال الجدول (٦) يمكن ملاحظة قيمة الثابت (a= ١.٧٨) وهذا يعني أن هناك وجوداً للرضا الوظيفي مقداره (١.٧٨) حتى وأن كان بعد فهم الذات يساوي صفراً. أما قيمة (B=0.35) فهي تدل على أن تغيراً بمقدار وحدة واحدة في فهم الذات سيؤدي إلى تغيير في الرضا الوظيفي مقداره (0.35). أما قيمة معامل التحديد (R2) الذي يعد مقياساً وصفيًا يستخدم في تفسير مدى فائدة معادلة الانحدار في تقدير القيم، وتمثل نسبة الانخفاض في الأخطاء عند استخدام معادلة الانحدار فقد كان مقدارها (٠.٢٨)، وهذا يعني أن ما مقداره (٢٨٪) من التباين الحاصل في الرضا الوظيفي مفسر بفعل فهم الذات الذي دخل الأتمودج، وأن (٧٢٪) هو تباين مفسر من قبل عوامل لم تدخل أتمودج الانحدار. وهكذا تؤكد النتائج على وجود تأثير ذات دلالة معنوية لبعده فهم الذات في المتغير الاستجابي الرضا الوظيفي.

٢. تحليل تأثير ادارة الذات في الرضا الوظيفي: نلاحظ من خلال الجدول (٦) أن (f) المحسوبة بلغت قيمتها (٥.٥٤)، وكانت هذه القيمة أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (٤.١٧) بمستوى معنوية (٠.٠٥)، وبحدود ثقة (٩٥٪)، وهذا ما يؤكد وجود تأثير "ادارة الذات" في المتغير الاستجابي "الرضا الوظيفي". كما يمكن ملاحظة ومن خلال الجدول نفسه ان قيمة الثابت (a=1.41) وهذا يعني أن هناك وجوداً للرضا الوظيفي مقداره (١.٤١) حتى وأن كان بعد ادارة الذات يساوي صفراً. أما قيمة (B=0.49) فهي تدل على أن تغيراً مقداره وحدة واحدة في بعد ادارة الذات سيؤدي الى تغيير في الرضا الوظيفي مقداره (0.49). أما قيمة معامل التحديد (R2) فقد بلغ مقداره (0.30)، وهذا يعني أن بعد ادارة الذات يفسر ما مقداره (٣٠٪) من التباين الحاصل في الرضا الوظيفي الذي دخل الأتمودج، وأن (٧٠٪) هو تباين مفسر من قبل عوامل لم تدخل الأتمودج. وعليه فان هذه النتائج تؤكد وجود تأثير معنوي لبعده ادارة الذات في الرضا الوظيفي.

٣. تحليل تأثير ادارة العلاقات في الرضا الوظيفي: يتضح من الجدول (٦) أن قيمة (f) المحسوبة بلغت (٦.٧٢) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (٤.١٧) بمستوى معنوية (٠.٠٥) وبحدود ثقة (٩٥٪)، وهذا ما يؤكد وجود تأثير "ادارة العلاقات" في المتغير الاستجابي "الرضا

الوظيفي". ومن خلال الجدول (٦) يمكن ملاحظة قيمة الثابت ( $a=1.38$ ) وهذا يعني أن هناك وجوداً للرضا الوظيفي مقداره (١.٣٨) حتى وأن كان بعد ادارة العلاقات يساوي صفرًا. اما قيمة ( $B=0.51$ ) فهي تدل على أن تغييراً بمقدار وحدة واحدة في ادارة العلاقات سيؤدي إلى تغيير في الرضا الوظيفي مقداره (0.51). أما قيمة معامل التحديد ( $R^2$ ) الذي يُعد مقياساً وصفيًا يستخدم في تفسير مدى فائدة معادلة الانحدار في تقدير القيم، وتمثل نسبة الانخفاض في الأخطاء عند استخدام معادلة الانحدار فقد كان مقدارها (٠.٤٤)، وهذا يعني أن ما مقداره (٤٤٪) من التباين الحاصل في الرضا الوظيفي مُفسّر بفعل ادارة العلاقات الذي دخل الأُمُودج، وأن (٦٦٪) هو تباين مُفسّر من قبل عوامل لم تدخل أُمُودج الانحدار. وهكذا تؤكد النتائج على وجود تأثير ذات دلالة معنوية لبعء ادارة العلاقات في المتغير الاستجابي الرضا الوظيفي.

وبالرجوع الى الجدول (٦) لتحديد اثر أجمالي متغير الذكاء الشعوري في الرضا الوظيفي، نجد ان قيمة (f) المحسوبة بلغت (٩.٦٩) وهي اكبر من قيمتها الجدولية البالغة (٧.٥٦) عند مستوى معنوية (٠.٠١) وبحدود ثقة (٩٩٪)، وهذه النتائج تؤكد وجود اثر للذكاء الشعوري في الرضا الوظيفي، كما بلغت قيمة الثابت ( $a=1.24$ ) وهذا يعني هناك وجود للرضا الوظيفي بمقدار (١.٢٤) وحتى وان كانت الذكاء الشعوري تساوي صفر، وبلغت قيمة ( $B=0.68$ ) اي ان تغيير في الذكاء الشعوري بمقدار وحدة واحدة سيؤدي الى تغيير في الرضا الوظيفي بمقدار (٠.٦٨)، اما قيمة ( $R^2$ ) فقد بلغت (٠.٤٧)، وهذا يعني أن ما مقداره (٤٧٪) من التباين الحاصل في الرضا الوظيفي هو تباين مُفسّر بفعل الذكاء الشعوري الذي دخل الأُمُودج، وأن (٥٣٪) هو تباين مُفسّر من قبل عوامل اخرى لم تدخل أُمُودج الانحدار. كما ان عدد نماذج الانحدار التي حققت أثر ذات دلالة معنوية وكما موضحة في جدول (٦) بلغت (٤) نماذج من اصل (٤)، اي ان نسبتها تساوي (١٠٠٪) من اجمالي العلاقات التأثيرية ذات الدلالة معنوية. وبما ان إجمالي الذكاء الشعوري حقق أثر معنوي في الرضا الوظيفي ايضا، فأنا هناك مبرر بعدم رفض الفرضية الرئيسة للبحث والتي مفادها: "توجد علاقة ارتباط وتأثير ذات دلالة معنوية بين الذكاء الشعوري للعاملين ومستوى رضاهم الوظيفي في المنظمة المبحوثة".

## المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

### اولا: الاستنتاجات

١. تأكيد معظم اجابات افراد العينة المبحوثة على اهمية الذكاء الشعوري في التأثير على سلوكياتهم ومشاعرهم اتجاه بعضهم البعض، ويمكن تحديد عدد من الاستنتاجات المتفرع من هذا الاستنتاج وكما يأتي:

- اكدت نتائج التحليل على امتلاك افراد العينة المبحوثة القدرة على ادارة مشاعرهم وسلوكياتهم اتجاها بعضهم البعض.
- تبين من نتائج التحليل امتلاك معظم افراد العينة المبحوثة القدرة على فهم مشاعرهم ومسبباتها.
- اتضح من خلال تحليل النتائج امتلاك افراد العينة المبحوثة المقدرة على ادارة العلاقات مع الافراد الاخرين الذي يتعاملوا معهم.
- ٢. تبين من خلال نتائج التحليل ان معظم افراد العينة المبحوثة يتمتعوا بالرضا الوظيفي في المنظمة المبحوثة، ويمكن تأكيد هذا الاستنتاج من خلال النقاط الآتية:
  - اكدت نتائج التحليل بان معظم افراد العينة المبحوثة يتمتعوا بالرضا الوظيفي اتجاها ظروف عملهم.
  - تبين من خلال نتائج التحليل ان معظم افراد العينة المبحوثة راضين عن انجازهم في العمل.
  - اتضح من خلال نتائج التحليل ان معظم افراد العينة المبحوثة راضين ومقتنعين بمقدار الراتب الذي يحصلوا عليه.
- ٣. اكدت نتائج التحليل على ان الذكاء الشعوري يؤدي الى تعزيز الرضا الوظيفي لدى العينة المبحوثة، وبشكل خاص من خلال بعد ادارة العلاقات التي حققت اعلى علاقة ارتباط مع متغير الرضا الوظيفي.
- ٤. تبين من خلال نتائج التحليل بان الذكاء الشعوري يؤثر وبدلاله معنوية في تعزيز الرضا الوظيفي لدى افراد العينة المبحوثة.

#### ثانياً: التوصيات

١. ضرورة زيادة اهتمام المنظمة بدراسة الذكاء الشعوري لعاملاتها وكيفية الاستفادة منهم في تعزيز الرضا الوظيفي لديهم.
٢. ينبغي على المنظمة المبحوثة التعرف على اهم العوامل التي من شأنها التأثير في مشاعر مواردها البشرية والاستفادة منها في ترشيد هذه المشاعر والسلوكيات باتجاه تحقيق اهداف المنظمة.
٣. يتوجب على المنظمة المبحوثة العمل على توفير كافة مستلزمات ظروف العمل المناسبة وذلك لتأثيرها الكبير على ادائهم وبالتالي على اداء المنظمة ككل.
٤. ضرورة قيام المنظمة المبحوثة بتعزيز القناعة الذاتية للعاملين بامكانياتهم وتحويلهم صلاحيات اكبر، لانعكاس ذلك على رضاهم الوظيفي.

٥. الاطلاع على تجارب الدول المتقدمة في مجال دراسة الذكاء الشعوري والرضا الوظيفي ، والاستفادة بكل من هو جديد من خلال اقامة حلقات اتصال وتبادل معلومات مع المؤسسات الاكاديمية سواء كانت مكاتب استشارية او جامعات او غير ذلك.
٦. اعادة اجراء البحث في القطاع الاخرى ، كالقطاع الصناعي والصحي ، ودراسة امكانية تعميم نتائج في البيئة العراقية.

### المصادر

١. امال ، جودة (٢٠٠٧) **الذكاء الانفعالي وعلاقته بالسعادة والثقة بالنفس لدى طلبة جامعة الأقصى** ، مجلة جامعة النجاح للابحاث ، المجلد ٢١ ، العدد ٣ ، ص ٦٩٨ - ٧٣٨.
٢. جلاب ، احسان دهش (٢٠١١) **ادارة السلوك التنظيمي في عصر التغيير** ، الطبعة الاولى ، دار الصفاء للنشر والتوزيع ، عمان.
٣. حجاج ، خليل جعفر (٢٠٠٧) **الرضا الوظيفي لدى موظفي وزارة الحكم المحلي الفلسطينية** ، مجلة الجامعة الاسلامية ، المجلد ١٥ ، العدد الثاني ، ص ٨١٩ - ٨٤٤.
٤. الحيايي ، سندية مروان سلطان حسن (٢٠٠٥) **تقانة المعلومات الصحية وانعكاساتها في الرضا الوظيفي: دراسة لآراء عينة من مستخدمي التقانات الصحية في مستشفى ابن سينا والجنساء التعليميين** ، رسالة ماجستير ، كلية الادارة والاقتصاد ، بحث غير منشور.
٥. خليل ، جواد محمد الشيخ و شرير ، عزيزة عبد الله (٢٠٠٨) **الرضا الوظيفي وعلاقته ببعض المتغيرات الديموغرافية لدى المعلمين** ، مجلة الجامعة الاسلامية ، المجلد ١٦ ، العدد الاول ، ص ٦٨٣ - ٧١١.
٦. رايح ، انس الطيب الحسين (٢٠١١) **الذكاء الوجداني للعاملين ببعض الجامعات في ولاية الخرطوم السودانية** ، **المجلة العربية لتطوير التفوق** ، المجلد الثاني ، العدد ٣ ، ص ٥٨ - ٧٢.
٧. الزبيدي ، بلال كامل عودة (٢٠١٠) **تأثير الذكاء الشعوري والقيادة التحويلية في الأداء المنظمي: دراسة استطلاعية على عينة من المدرء في مصرف الرافدين ببغداد** ، رسالة ماجستير ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، بحث غير منشور.
٨. سلمان ، ناظم جواد عبد (٢٠١٢) **الذكاء الشعوري والشخصية القيادية للمديرين: دراسة استطلاعية لآراء عينة من التدريسيين والموظفين في كلية الادارة والاقتصاد - جامعة بغداد** ، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية ، المجلد ١٨ ، العدد ٦٨ ، ص ١٤٥ - ١٦٨.
٩. العبدلي ، سعد بن حامد آل يحي (٢٠٠٩) **الذكاء الانفعالي وعلاقته بكل من فاعلية الذات والتوافق الزوجي لدى عينة من المعلمين المتزوجين بمدينة مكة المكرمة** ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة ام القرى بمكة المكرمة.

١٠. الطائي، ابراهيم خليل ابراهيم (٢٠٠٤) **الذكاء الشعوري وعلاقته ببعض متغيرات القيادة الإدارية: دراسة تحليلية**، رسالة ماجستير، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد، بحث غير منشور.
١١. غنيم، يوسف (٢٠٠٦) **العلاقة بين الرضا الوظيفي والولاء التنظيمي عند أعضاء هيئة التدريس في جامعة النجاح الوطنية**، بحث منشور على الانترنت.
١٢. اللوزي، خديجة محمد (٢٠١٢) **مستويات الذكاء العاطفي لمديري المدارس الثانوية واثرها على الولاء التنظيمي للمعلمين في محافظة العاصمة عمان**، رسالة ماجستير، كلية العلوم التربية، جامعة الشرق الاوسط.
١٣. المصدر، عبد العظيم سليمان (٢٠٠٨) **الذكاء الانفعالي وعلاقته ببعض المتغيرات الانفعالية لدى طلبة الجامعة**، مجلة الجامعة الاسلامية، المجلد ١٦، العدد ١، ص ٥٨٧ - ٦٣٢.
١٤. الموسوي، باقر محمد باقر (٢٠٠٨) **قياس الرضا الوظيفي للملاكات الطبية والمساعدة والساندة: دراسة حالة في مستشفى الكاظمية التعليمي**، بحث دبلوم عالي، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد، بحث غير منشور.
١٥. وناس، سوسن عبد الامير (٢٠٠٨) **تأثير الشفافية المنظمة في الرضا الوظيفي: تحليل آراء عينة من العاملين في ديوان هيئة التعليم التقني**، اطروحة دكتوراه، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد، بحث غير منشور.
١٦. الوناس، مزياني (٢٠١١) **محددات الرضا الوظيفي واثاره على المؤسسات في ظل النظريات المعرفية والسلوكية**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الثاني.
١٧. وهيبه، عيساوي (٢٠١٢) **اثر الثقافة التنظيمية على الرضا الوظيفي: دراسة حالة فئة الافراد الشبه طبيين بالمؤسسة الاستشفائية العمومية ترابي بوجمعة بشار**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية والتسيير، جامعة ابو بكر بلقايد - تلمسان.
18. Rothschild , H. (2011) **Emotional Intelligence** , International Review of employment.

Since we live in a world characterized by rapid change and insoluble problems, the curriculum we need should study conditions and trend in contemporary society and probable conditions as well as, any future developments for democratic living in the years of century closing through to the next one.

### 5- Bibliography

Hass, Glen (1980) Curriculum Planning: A New Approach. Allyn and Bacon, Inc.

Hiller.A.H American Heritage Dictionary Hot Rindhart and Winston inc. New York(1983).

LAdo, Robert (1964) Language Teaching A scientific Approach. New York: McGraw Hill, Inc.

Lawton, Denis (1973) Social Change Educational Theory and Curriculum Planning London: Hodder and Stoughton.

Lawton, Denis (1983) Curriculum Studies and Educational Planning. London Hodder and Stoughton.

Nida E (1974) Language in Culture and Society, New York: Harper & Row.

Taba, Hilda (1962) Curriculum Development Theory and Practice New York: McGraw Hill, Inc.

---

some kind of rules of behavior need to be transmitted. When moving from cultural in variants to cultural variables the main ways of categorizing morality systems include analyzing the dominant system as, for example religious or secular.

### 3-3-7 Belief system

This system is closely connected with morality system. it is also related to religious dogma and divine revelation of myths about the origins of the community, in other societies, these links have become weakened or the prevailing belief system is entirely secular. For example, having a belief in scientific explanation where "man is the measure of all things". In some societies, the problem of educating the young and passing on a belief system is much more difficult, not least because the young will be encouraged to question and criticize the simply learn and accept.

### 3-3-8 Aesthetic System

All human beings have aesthetic drives and needs. Every society produces some kind of art and entertainment fr its members. One of the interesting features of human life is enormous variety of aesthetic forms, but nowhere is a sense of the aesthetic absent.

Raymend Williams (1981:65) as cited by Lawton discusses culture in relation to attempts to categories societies according to aesthetic stages. He adds that it is sufficient to take into account some classification that counts as "Art" in any society, establishing boundaries between the Arts and examining the relationships between categories. Finally it is very important to analyze the relation between sub-divisions within aesthetic system and the other seven systems; in that respect the complex relationship with all the other systems will be important.

## 4- Conclusion

No matter what curriculum addresses, culture is always one of its important aspects, it has been found out that culture should process the following derived from conventional sociological and anthropological definition of society. All societies have means of transmitting elements from one generation to the next. Some societies, will achieve this cultural transmission party through educational institutions including formal schooling.

significance. This is because print makes specialized knowledge available, but at the same time encourages the tendency for printed knowledge to be highly specialized.

#### 3-3-4 Rationality System

All societies are rational in the sense of having a view about what is reasonable, and what counts as an explanation in terms of cause and effect. But without any kind of rationality, any kind of communication would be impossible. Any kind of explanation is accepted as rational will, however, vary from one society to another or from time to another with a given society, so that whereas one group might explain man being attracted to a woman in terms of "love" another group might invoke Freudian

Theory, another magic or witchcraft. These explanations are seen by anthropologists as different expressions of rationality rather than as being right or wrong explanation.

Levy Strauss (1966:87) (as cited by Lawton) classifies societies as "hot" or "cold". "hot" societies are characterized by scientific thinking, whereas "cold" societies are time suppressing and they rely on myth rather than science and history to explain their universe.

#### 3-3-5 Technology system

Early man developed tools to build shelter from the climate, and to kill animals for food; later to produce food by various kind of agriculture.

All human beings are technologists in the sense of being tool users, and make progress by passing on their developing technology, with the improvement to the next generation. In some societies, technology is simple, whereas, in other societies the difficulty lies on how to cope with the transmission of knowledge and the problem of allocating of selecting different individuals for certain kinds of learning. He also adds that it is possible to classify a society according to the dominant system of technology "is it simple or complex?" Is the society at the pre-industrial or post-industrial state of development?

#### 3-3-6 Morality system

Another characteristic that all human beings have in common is that they possess a sense of "the moral". All societies have some kind of code of ethics and they distinguish between right and wrong behavior. In some societies, the moral code is unitary and taken for granted; in other socializing the young is much more difficult-total agreement is lacking, yet

---

Lawton (1983:37) states eight features as the major heading for making selections from culture. After examining these features it seems that they are interrelated and their influence each other. These features described and identified as follows.

### 3-3-1 Social structure

All societies have some kind of social structure that is some system of defining relationship within society as a whole. Kinship, status, role, duty and obligation are the key social concepts which not only exist in every society, but to passed on to the next generation.

Lawton(1983:38) adds that social structure is simple in some societies and complex in others. The social structure is closely related to economic and technological factors. For example when western European societies are rural and agricultural, the dominant factor in social relationship is the possession or non-possession of land, but as trade and industry developed and became less important than capital or the ownership of the means of production.

### 3-3-2 Economic system

Every society has some means of dealing with the problem of scarce resources, their distribution and exchange in some societies, the economic arrangements are simple, involving barter, in other societies the economic system is complex. Some say that the link between education and economy should be the dominant one simply because the purpose of cultural analysis is to emphasize the features.

### 3-3-3 Communication System

In all societies, human beings communicate with each other. One of the major differences between man and other animals is the existence of human language.

In many societies speech is not the only form of communication for example; some societies have developed various kinds of writing it has often been pointed out by sociologists and social historians that the development of print has made enormous differences to the type of society which developed.

Most societies have visual symbols of some importance such non-speech forms of communication are required less than speech, and some kind of teaching and learning process is involved for the purpose of educational analysis, the development of writing and of print of great

### 3-2 The Criterion of relevance.

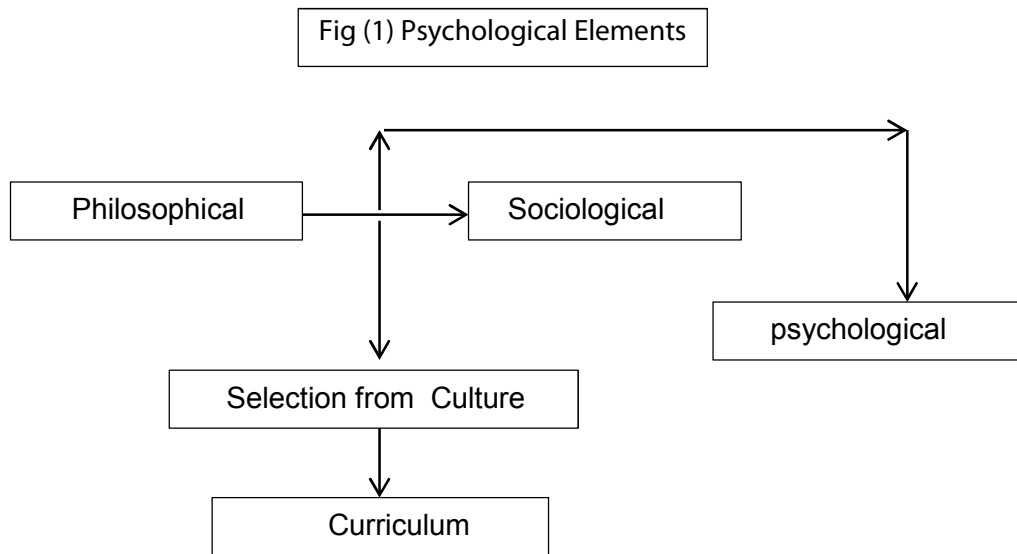
The question of relevance is somewhat easier to resolve , whereas philosophers tend to be concerned with the constant of invariable criteria , under the heading of social relevance . the particular criteria technological and society includes not only the changing technological and social conditions , but also ideas equality , and firmness .

Obviously , one of the main effects of considering relevance as a criteria for selection curriculum for school is to avoid treating knowledge in an entirely abstract and theoretical way , but to relate it to the real everyday world This means that contemporary issues (pollution or violence ) and should be linked with academic knowledge wherever possible . This is considered an important aspect of common culture .

### 3-3 Psychological Aspects

The psycho logic criteria are procedural rather than matters of principle , concerned with how learning should take place rather than why .

This criterion also relates not only to what can most usefully be taught at a given time , but also to what should be taught (giving certain basic aims) . thus , the model used so far is not entirely correct and should rather be thought of as in the diagram , below



**Third** : means of classifying the educationally desirable knowledge and experiences . Ibid (1983:65)

### 3-Criteria for Making Selection of Culture Elements

Lawton (1973 : 153) puts forward three criteria for making selection from Culture . He introduced these three criteria in terms of questions which might be applied to possible curriculum contents ; they are :

- 1-Is it worth while ?
- 2-Is it relevant
- 3-What is the best way of organizing this for efficient Learning ?

Each criterion as identified above is discussed below

#### 3-1 the criterion of value

This criterion was put clearly when Herbert Spenser posed the question in one of his essays on Education “ what is of most worth ? “ He answered this question in relation to science as the relevant subject matter for the school main purpose to prepare children and youth for complete living . for Spenser ,science is the key to complete living : for preservation for health , earning a living , good citizenship , highest production and enjoyment of the arts and intellectual and moral discipline .

Spencer’s view that the purpose of the school should be focused on effective living , good citizenship , highest production and enjoyment of the arts and intellectual and moral discipline .

Spencer ‘s view that the purpose of the school should be focused on effective living that the knowledge key to school life in society is science . this comes as a result of distorted classical studies for being irrelevant to modern living ,Tanner and Tanner(1975:100)

Lawton adds in his discussion of “ value “ some criteria to be suitable under the heading of “ Value “ . He confines the discussion to a limited , philosophical view of value – that is the unchanging aspects of education : those permanent human qualities which most ages value sufficiently to want to transmit to the next generation (1973 : 153) .

## 2-Cultural Analysis

Lawton (1983 : 27) Suggests two approaches to “ cultural analysis “ : the classificatory and the interpretive . the classificatory method involves checklists , tables and elaborate systems of classification , whereas the interpretive method is concerned with looking at the Culture as a whole.

Some anthropologists have attempted elaborate system of classification of simple societies by listing such key characteristics as kinship system , economic features ,religious beliefs . the problem with this method is that it becomes impossible to make generalization because it is seconded with the wealth of details .

On the other hand , the educationist attempts to analyze his own society which has some advantages over an anthologist in simple society . the educationist , however , suffers from the disadvantage of looking at his own society through his own ideology or belief system . so , he , tends to take some aspects of culture for granted and assumes the value of certain practice and the power of tradition.

Raymond (1976 :46)

In an attempt to see how the curriculum in society is derived from the unique Culture of that society , it is necessary to ask detailed question about knowledge skills and values , Thus , Culture analysis when applied to curriculum planning would ask

- a-What kind of society already exists ?
- b-In what ways is it developing ?
- c-How do its members appear to want it to develop ?
- d-What kind of values and principles will be involve deciding on (e) and on the educational means of achieving ?

Taba (1962:98) and Lawton (1983:65) agree that Culture analysis also involves asking questions about the extent to which a school system matches the needs of society . they also add that , in the process of developing a method of matching the needs of individual children living in a specific society by means of a carefully planned curriculum . This selection from culture is made by analyzing the kind of society that exists and “ mapping out “ the kind of knowledge and the kind of experience that are most appropriate this process requires three kinds of classification

**First** : deciding on major parameters

**Second** : outlining a method of analysis which can be used to describe any given society and making use of those parameters .

directly by the family “ face- to- face “ interaction . In complex societies , the division of Labour and social mobility make it impossible for culture to be passed on by traditional , informal means and the task is partly entrusted to formal education.

Education is concerned with making available to the next generation what we regard as the most important aspects of culture , because schools have limited time and resources , the curriculum should be planned carefully in order to ensure that an appropriate selection from culture is made. The selection should be neither arbitrary nor idiosyncratic. It should be open to rational enquiry and justification.

In order to plan a curriculum based on a reasonable selection from , culture , it is necessary to have a set of principles and processes through which the selection from culture is made. The process refers to “ cultural analysis “.

This study tends to shed light on cultural and in criteria for making selection from culture. To our best knowledge , no such study has been undertaken

#### 1-1 purpose of this study

The purpose of this study is to set up the principles through which the selection from culture is made in the ELT Curriculum.

#### 1-2 Definition of Basic Terms

##### 1-2-1 Culture

Culture can be defined as the established ways of sharing and regulating experience that communities and groups evolve through common forms of expressions their material lives.

Hiller (1983 : 117)

##### 1-2-2 Curriculum :

Refers to the planned experiences that learners are exposed to under the school guidance. Hass ,(1985 :49)

##### 1-2-3 Criterion

A Criterion is a Standard on which a decision or judgment can be based , it is a basis for discrimination . Hass(1980 : 217).

##### 1-2-4 Curriculum Criteria

Curriculum Criteria are guidelines or standards on which curriculum or instruction decision can be based . Ibid, (1980 : 217)

towards strangers , parents , children , friend its social gradings , the status of it occupations , its sexual behavior, its educational institutions , its beliefs , amusement , legends proverbs , songs , festivals and religious observations . This is the anthropologists' use of the novel culture .Nada( 1974 :36)

Cultural anthropologists , during the last twenty – five years have gradually moved from an atomistic definition of cultures , describing it as a more or less haphazard collection of traits , to one which emphasizes pattern and configuration .

Kluckbohn and Kelly express this modern concept of culture as cited by Hiller (1953:554) as “ all these historically oriented designs for living explicit and implicit , rational , irrational , and non- rational , which exist at any given time as potential guides for the behavior of men “ traits , element , or better , patterns of culture( in this definition are organized or structured into a system or a set of system , because it is historically created , is therefore open and subject to constant change)

Having defined Culture as the Whole patterns of living of a nation Lado (1964:34) focuses on “ how a language is both a components of culture and central network through which the other components are expressed “ . Thus Lado our attention to the interrelation ship between language and culture .

Language does not develop in a Vacuum . A language is a part of the culture of people and the chief means by which the members of a society communicate , a language therefore , is both a component of culture and a central network through which the other component are expressed” Lado (1964 : 23)

Raymond (1976:76) (as cited by Lawton) suggests that culture is one of the most difficult words in English Language , party because it has a history of shifting meaning and partly because the word is now used to discovery important concepts in several disciplines and in several incompatible system of thought .

Lawton(1983 :25) points out that cultures as used by sociologists' and anthropologists means everything that is man – made in a society : tools and technology , language and literature , music and art , science and mathematics , attitudes and values – in effect , the whole way of life of that society .

Any society has the “ problem “ of transmitting its way of life , or “ culture” to the next generation .in simple societies culture is transmitted

## THE CULTURAL CONTENT OF THE CURRICULUM

BY  
Dr. Bushra Saadoon Al- Noori  
Assistant professor  
College of Education for Human Sciences/Ibn Rushd

### ملخص البحث

ان الثقافة او الحضارة هي واحدة من اهم المجازات في اي مجتمع .ويمكن استنتاج ان الثقافة تتكون من العناصر المستمدة من المجتمع كالاعراف والتقاليد الاجتماعية والمواضيع المتعلقة بعلم الانسان . كل المجتمعات لديها وسائل للاتصال وارسال المفردات من جيل لآخر وبعض هذه المجتمعات تحصل على الثقافة من المؤسسات التربوية كالمدارس وغيرها. نحن نعيش في عالم يتميز بخصائص التغيير السريع والمشاكل التي لاتفسر بالمنهج الذي نريده هو دراسة شروط واتجاهات المجتمعات المتعاصرة . هذه الدراسة تهدف الى معرفة مقاييس اختيار العناصر الثقافية للمنهج ومن هذه مقاييس القيم والصواب والجوانب النفسية والتركيب الاجتماعي وغيرها .وبعد استعراض كل الميزات المتعلقة بالمحتوى الثقافي للمنهج استنتجنا ان كل هذه المقاييس التي تناولتها الدراسة هي مهمة لمعرفة المنهج ومعرفة المبادئ المستخدمة في اختيار الثقافة التي يتكون منها منهج تدريس اللغة الانكليزية

### INTRODUCTION

Culture in its broad sense refers to the way of life of a community : its speech and customs ; its modes of eating and dressing its attitudes

and Al-Razy's books changed into heritage in our laboratories only boasting without any longing to the past? When are we going to change this reality? Who is responsible for its change? Who is responsible: the ruler or the scientist? When we go back to history we will find that the scientists are the ones who pushed the people forward, not the ruler. Those who wrote about the Islamic civilization in the fourth and fifth (Higri).

didn't write about the rulers, but about the scientists who built up the glory of this nation.

Similarly, today responsibility falls upon our scientists, our universities, and research centers in the process of changing the reality from ignorance and backwardness to the fields of science, progress and prosperity.

## **Editorial Issue**

Editorial

Back to the first square

Going back to the first square is not always a bad process. If the first square contains Al-Kufa University during the days of Imam Jafar bin Mohammed Al-Sadiq (peace be upon him), Al-Mustansiriyya School during the rule of Al-Mustansir Billah, and Al-Azhar School during the days of Al-Hakim Billah, then the first square is not only a favoured affair, it is also a duty of those responsible for the Muslim's affairs to go back to the golden Islamic age, the age when Europe used to send its sons and scientists to this area in order to receive knowledge in the Islamic Universities.

It was the time when the students in the west studied Al-Khawarizmy's Al-Gebra and its opposite. It was the time when the books written by Naseer Al-Dien Al-Toosi and Al-Baironi on mathematics and the trigonometry and astronomy were taught in European universities.

It was the time when Ibn Sina's theories on the speed of sound and light, and the theories of Ibn Haitham on light and its reflections were taught in European capitals, and the time when the letters of Jabir Ibin Hayyan on distillation, filtration, calcity and evaporation were stacked in the European laboratories. Isn't Al-Razi the one who for the first time prepared alcohol and he is the first person who integrated chemistry with medicine? Isn't Al-Khawarizmy the one who invented Algebra? Aren't the Muslims the ones who established the decimal and Zero principle and the numeral percentage and engineering, in addition to the discovery of the unknown and routs in arithmetic? Aren't the Muslims the ones who first built hospitals and universities similar to those of the present time in highly well-known universities in the world?

If this is our first square, why don't we go back to it in order to regain our lost glory when we were scientifically defeated when we left our sciences to the others and when the books of Ibin Sina and Al-Toosi, Al-Baironi, Ibin Haithem,

- 9- Argumentation from al-mu'atazleh's point of view understood by sibaweih (a structural approach between scientific and pedagogical purposes) ..... ١٦٤**  
 Asst. Prof. Dr. Rajah Ajeel
- 10- Horizons of random housing and urbanization: a field study in kerbala. .... ١٨٤**  
 Dr. Makki Abd Majeed
- 11- Demarcation of the border Iranian – Afghan - A study of the historical dimension in the composition of the Iranian - Afghan border - ..... ٢٠٠**  
 Dr. Muslim Mohammad Al – Amedi
- 12- King Faisal I attitude towards the palestinian cause and Arab revolution 1908-1933. ٢١٩**  
 Dr. Salim Hashim Abbas
- 13- Kufi grammar in mughni al-Labib on kutub al-Ansarib by Ibn Husham..... ٢٤٧**  
 Dr. Muhammed Yasin Al-Shukri
- 14- The variety of the field of the tourist investment and its role in solving the problem of unemployment in kerbala ..... ٢٦٩**  
 Asst. Lecture Abbas Fadhil Risan
- 15- Sheik Muhamad Ali al-Shirazi: his role in the iraqi revolution 1920 a historical study. .... ٢٨٦**  
 Dr. Jassim Muhamed Ali
- 16- Main purpose of this emotional intelligence of employees in relation to their liking Career A survey of the views of a sample of your staff supervision and scientific evaluation ..... ٣٠٧**  
 Hussein Walid Hussein  
 Ass Lecture Mona Abd Al-Sattar Mohammad

## Contents

<b>Editorial .....</b>	<b>5</b>
<b>1- The Cultural Content of The Curriculum. ....</b>	<b>6</b>
Assistant professor Dr. Bushra Saadoon Al- Noor	

## Contents of Arabic Researches

<b>1- The development of the general expenses and their structure in Iraq. ....</b>	<b>٧</b>
Asst. Prof. Kamal Abd Hamid	
<b>2- Self-expression in the poetry of the first Abbasid .....</b>	<b>٢٧</b>
Asst. Proff. Dr: Sawsan Saeb Almaadida	
<b>3- The image of tamuz hero in the modern Iraqi poetry Youssef al-Saigh as a sample.....</b>	<b>٤٣</b>
Dr. Abbas Ubaid	
<b>4- Complaint in the Poems of Abu Al-Atahiya and NasirKhosrow Ghobadiani .....</b>	<b>٥٩</b>
Dr. Abbas Yadollahi Zeinab Rezapour	
<b>5- UN Internal Justice System.....</b>	<b>٨٣</b>
Ass. Prof. Dr. Abd-Allah Ali Aboo	
<b>6- -Analysis of the factors affecting the direct foreign investmen in jordan during the period 20002-2011 .....</b>	<b>١٠٨</b>
Dr. Abdul-Rasoul Abdul-Razak	
<b>7- The concept of the vital morals in the field of contemporary medical technologies .....</b>	<b>١١٨</b>
Asst. Lecturer Asma Qassim	
<b>8- Doctrinal issues of shadow and categories.....</b>	<b>١٣١</b>
Asst. Lecturer Alaa Kadhém Ebrahim	

## **Consultant staff**

Prof. Dr.  
Hassan A. Al-Zaal

Prof. Dr.  
Hakim M. Mohammed

Prof. Dr.  
Abboud Judi al-Hilli

Prof.Dr.  
Nadhim Shiko.

Prof. Dr.  
Khadija Al-Hadithy.

Prof.Dr.  
Abbas Zboon Al-Abboodi

Prof. Dr.  
Subhe N. Hussein

Prof. Dr.  
Hadi Hussein Al-Gara'awi

In The Name Of Allah Most Gracious, Most Merciful

ISSN 1819-2033

issue:15

---

# Ahlulbait

---

Refereed Journal (Quarterly)  
Issued By Ahlulbait University

---

## **Chief Editor**

Prof. Dr. Sadik Aziz Al-Mosawi

## **Editorial Secretary**

Dr. Baqer Jawad Al-Zajajy

## **Editors**

Prof. Dr. Abbas Hussein Al-Hmeiry

Prof. Dr. Fadhel Al-Sheikhly

Prof. Dr. Sadik Yasin Al Helou

Asst. Prof. Dr. Hassan Hantoush Rashid

Asst. Prof. Dr. Mahdi Hussein Al-Tamini

Asst. Prof. Dr. Mehdi Dakhel Al-Aobaidi

Asst. Prof. Dr. Kamal Abed-Hamed Al-Ziyara

---

Karbala, Al-Hurr street, P.O.Box: 486 ,Tel: 351257-9

info@abu.edu.iq , www.abu.edu.iq

---